تحفة الأحباب

وتذكرة أولي الألباب
بذكر نزر من مناقب العارف بالله الوهاب
الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن محمد ابن شهاب
ومناقب مشايخه وآبائه وعمومته السادة الأطناب

تأليف
العلامة النحوي
عمر بن علوي بن أبي بكر الكاف

رحمه الله رحمة الأبرار

(تقريظ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختار من عباده من يكون خليفة عن سيد المرسلين ، في تبليغ شريعته وأخلاقه وآدابه ، وهديه للعباد بالأقوال والأفعال والنيات والمقاصد ، فتحقق بذلك فيه الخلافة ، فيكون بذلك رحمة للعالمين بالخلافة عن سيد المرسلين .

وإن ممن شهدنا ورأينا بأعيننا الشحمية فيه تلك الأوصاف . . شيخنا العلامة ، الغني عن العَلاَمة : الحبيب عمر بن علوي بن أبي بكر الكاف ، أسكنه الله أعلىٰ فراديس الجنان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأخلفه في أولاده وذريته ومريديه وتلامذته بما خصه الله به من حسن الصفات ، بجاه خير رسله رفيع الدرجات ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وتابعيهم إلىٰ يوم الممات .

أما بعد : فإنه عندما أطلعني أخي الوفي ، من له مكانة عظيمة في قلبي ، الأمجد الألمعي : عيدروس بن عمر بن علوي الكاف علىٰ أنموذج مطبوع من مؤلف والده شيخنا ووالدنا ، المتصف بصفات الكرم والعفاف : عمر بن علوي بن أبي بكر الكاف ـ وهو كتاب « تحفة الأحباب وتذكرة أولي الألباب، بذكر نزر من مناقب العارف بالله الوهاب الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن محمد بن شهاب » ، والملحق به ترجمة ابنه الحبيب محمد بن علوي بن شهاب ، مما كتبه المرحوم عبد الله بن عمر بلفقيه ـ سَرَّني ما رأيت ، وطربت كلما قرأت من أوصاف تلك

الرجال الذين هم في الحقيقة رجال ، وانتعشت بتلك الأوصاف ، وتذكرت أني رأيتها في شيخي الحبيب عمر بن علوي الكاف ، فكان حافزاً لي أن أقيد في هـٰذه الورقات بعضاً مما شاهدته وأدركته من مناقب وصفات هـٰذا الحبيب ، ولا أستطيع لها حصراً ؛ فقد قلد الأعناق مناً لا تستطيع أداء الشكر له ، فجزاه الله عنا وعن جميع المسلمين خير الجزاء .

لقد كان وجود هـٰذا الحبيب ببلد (تريم) بتاريخ (٨) ربيع الأول سنة (١٣٢٥) ألف وثلاث مئة وخمس وعشرين هجرية ، فنشأ في ربوع الغناء بين مآثرها وزواياها ، وعلىٰ أيدي رجال العلم والمعرفة تربىٰ وتخرج ، فظهرت فيه النشأة المستقيمة ، وتربىٰ بالتربية الدينية الأخلاقية ، فبها احتل المكانة العُليا في أفئدة من عرفه ومن لم يعرفه ؛ لما قدمه من جزيل الخدمات العلمية والروحية والإنسانية ، فمن مزاياه : تفانيه في خدمة النشء والأجيال بالتعليم والتوجيه والإرشاد ، وإخلاصه في نفع من يستعين به في حل المشاكل والنزاعات ، وتكريس جهوده في نشر المحاسن والفضائل ، ممن اتصف بها من أجداده وأسلافه الصالحين ، والصحابة والتابعين ، والأنبياء والمرسلين ، فإذا تكلم في ذلك . . ٱلْتُقِط من كلامه نفائس الدرر ، وجُنِي من كلامه أحلىٰ ثمر ، وإذا كتب عن ذلك . . رأيت في كتاباته البلاغة والفصاحة والرصانة ، وكل ذلك عنده من السهل الممتنع ، وبأسلوبه العذب تشنيف المسامع .

وإليك أيها القارىء لمحة عن بعض ما حضرناه عنده من الدروس ، وبمرافقتنا له في أسفاره ورحلاته والجلوس ، وإذا تذكرنا تلك الأيام والليالي مع شيخنا المفضال ، وقارنا بينها وبين واقعنا اليوم . . نجد الفارق الكبير ، وكأن تلك الأيام مسروقة علىٰ رضوان من نعيم الجنان ؛ فقد حضرنا دروساً له كثيرة ولله الحمد

فمنها : دروسه التي يلقيها بمدرسة الكاف الأهلية بـ (تريم) .

ثم عندما تأسس المعهد الفقهي بـ (تريم) عام (١٣٧٧هـ) . . درسنا عنده علوم العربية ، ومن أهمها « الألفية » في النحو والصرف ، كما درسنا عنده علوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع ، وكان ممن يحضر تلك الدروس : الأخ العلامة زين بن إبراهيم بن سميط ، والأخ عبد القادر جيلاني بن سالم الخرد ، وغيرهما كثيرون .

واستمر شيخنا في إدارة المعهد والتدريس به من حين افتتاحه إلى ما بعد استقلال جنوب (اليمن) عام (١٣٨٧هـ) .

كما حضرنا دروسه في قبة آل عبد الله بن شيخ العيدروس بـ (سحيل تريم) في دروسه التي يلقيها بتلك القبة في تفسير القرآن العظيم ، وفي علوم العربية ، وفي كتب السلف الصالح .

كما أن له جلسة أسبوعية عصر كل يوم أحد ، يلقي فيها دروساً في التراجم والتاريخ والأنساب ، وكانت متنقلة في بيوت تلامذته ومريديه ، استمرت سنين عديدة ، ثم أخيراً قبل وفاته بحوالي سنتين أو ثلاث . . ترتبت تلك الجلسة المتنقلة في البيوت ، وتم استقرارها في بيته الكائن عند مولى العرض بـ (نويدرة تريم) إلى أن توفي .

كما أنا قد قرأنا عليه « صحيح الإمام البخاري » بمسجد آل أبي علوي بـ (تريم) ، وعند إكماله وختمه . . قام بزيارة عامة لأهل بشار زنبل والفريط وأكدر ، حضرها جموع كثيرة من أهل (تريم) وغيرهم .

وقد كان بعد وفاة الحبيب محمد بن علوي بن شهاب الدين تحمل ـ فوق حمله ـ ما كان يقوم به الحبيب محمد بن علوي من مظاهر (تريم) وجموعاتها ، فصار يصدق عليه أنه : (أب تريم) ؛ فقد كان بيته مفتوحاً لمن يقصد (تريم) للزيارة وللأسئلة العلمية في جميع الفنون ، ولتفريج

كرب من قصده مما يعاني من شؤون ، وكل واحد جاءه . . يجد عنده حسن الاستقبال ، وكرم الأخلاق ، ويخرج من عنده منشرح الصدر والبال ، وينحل ما لديه من إشكال .

كما أنَّا رافقناه في كثير من الرحلات في زيارة المآثر والصالحين بوديان (حضرموت) ومدنها وقراها ؛ فقد حضرنا زياراته لـ (حريضة) و(وادي عمد) و(المشهد) و(قيدون) و(نبي الله صالح) بـ (وادي سر) و(نبي الله هود) مرات عديدة ، و(وادي شحوح) ومزارات ومآثر الأسلاف بـ (وادي حضرموت) ، وكان لتلك الزيارات عظيم الأثر في نفوسنا إلى اليوم ، وإذا تذكرناها . . طربنا ، وحصل بها أنس الخاطر من كل وحشة ، وكان في تلك الزيارات والرحلات ينثر علينا الكثير والكثير من تراجم الأولياء والصالحين ، وخصوصاً ما يتعلق بسادتنا العلويين .

أما نسبه : فهو السيد الإمام ، العلامة البحاثة ، المحقق : شيخنا عمر ابن علوي بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد (الكاف) ابن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد ـ صاحب مرباط ـ ابن علي ـ خالع قسم ـ ابن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسىٰ بن محمد ابن الإمام علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت سيدنا الرسول محمد بن عبد الله ﷺ .

وأما شيوخه : فهم كثيرون فقد كان من حين تمييزه يدرس على كبار الشيوخ بـ (تريم) ، ويأخذ أيضاً عن كل من وفد إلى تريم من العلماء من جميع أقطار العالم ، وكان جده لأمه الحبيب أحمد بن علوي السري ـ الذي بلغنا أنه تولىٰ حال الفقيه المقدم ـ من أكبر شيوخه ، ولا نشك بأنه

شيخ فتحه ؛ فكان يوجهه دائماً للأخذ عن العلماء وأكابر الصالحين ، ويلاحظه ويرعاه بعناياته ولحظاته ونظراته ، وقد قيل : (لولا المربي . . ما عرفت ربي ، ولولا المرقِّي . . ما عرفت رقي) ، فقد أخذ عن كبار علماء (تريم) ، ودرس عليهم ، وأجازوه، ولقنوه، وألبسوه، وحملوه .

أما نشاطه العلمي : فقد كان لوجود العنايات التي ترعاه ، والذكاء والفهم الثاقب الذي أكرمه به مولاه . . دور كبير في الحصيلة العلمية الكبيرة التي نالها من صغره في سن مبكر ، فصار يدرِّس ويحاضر في شتى العلوم من ابتداء شبابه .

وقد أُخبِرت أن شيخه الحبيب عبد الله بن عمر بن أحمد الشاطري . . عينه مدرساً في الرباط في « الألفية » وهو إذ ذاك في ابتداء شبابه ، وكان شيخه المذكور يرقبه عند إلقاء دروسه ، فوجد فيه الكفاءة النادرة فيمن كان في سنه ، واستمر من ذلك الحين يدرس صباحاً ومساء طوال عمره في رباط (تريم) ومعاهدها ومدارسها ، وحتىٰ في بيته ، دأبه ذلك ليلاً ونهاراً طوال عمره ، إلىٰ أن توفاه الله ، فقد قضىٰ حياته كلها في تعلم وتعليم ، وتوجيه وتسليك ، ونفع للعباد والبلاد ، فجزاه الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة . آمين يا رب العالمين .

وأما تلامذته : فلا غرابة أن أقول : لا تجد أحداً في عصرنا هـٰذا بـ (حضرموت) له إلمام بأي علم . . إلا وهو ينتمي إلى شيخنا المذكور ؛ فهو ينهل من بحر علومه ، إما مباشرة أو بواسطة من قرأ عليه من التلامذة ، كما أن الكثير والكثير ممن قرأ عليه انتشر في الآفاق البعيدة ، وحصل به النفع الخاص والعام .

وأما مؤلفاته : فقد حازت الرضا والقبول عند كل من قرأها ؛ لأنه يجد فيها العبارات السلسلة ، والمعاني والمفاهيم الكاملة ؛ فمن مؤلفاته :

« الخبايا في الزوايا » ، ومنها : « الصرح الممرد والفخر المؤبد لآباء سيدنا محمد » ومنها : كتاب « البلاغة » ، ومنها : « خلاصة الخبر » ، ومنها : « تحفة الأحباب » وهو هـٰذا الذي بين يديك أيها القارىء ، وغير ما ذكر من مؤلفاته كثير مما هو مطبوع أو تحت الطبع أو مخطوط ؛ فقد خلف ثروة علمية كبيرة من تآليف كتب ، وتآليف رجال قائمين بخدمة الشريعة والطريقة ، وإذ قدر الله وفاته . . فإن علومه لن تموت ؛ لأن الانتفاع بها حاصل فيجري ثوابها له ، وينال بذلك الدرجات الرفيعة .

وأما وفاته : والثبات الذي ناله والترتيبات التي سخرها الله له . . فإنك ترىٰ من ذلك العجب العجاب ؛ فقد رتب لذلك في حياته أحسن ترتيب ، كأن عنده علم من مولاه القريب بنزول الأمر المحتوم للاستعداد له قبل نزوله ؛ فقد هيأ نفسه وداره ، ودعا كل من ينتمي إليه بنسب أو معرفة أو إرادة ، وهيأ لهم أحسن الطعام ليجتمعوا هم وأهل السر من الأولياء الكرام ، في الوقت الذي ينزل به قضاء الملك العلام ، ففي ظهر يوم الإثنين بتاريخ (٢٦) جمادى الأولىٰ سنة (١٤١٢هـ) ألف وأربع مئة واثنا عشر هجرية . . فاضت روحه الشريفة فجأة .

ولم يسبق له أن اشتكىٰ لأي أحد أيَّ شيء ، ولـٰكنه لما وجد الفرصة لائحة ، وللحوق بالرفيق الأعلىٰ سانحة . . اغتنمها وترك من خلفه من الأهل والولد والتلامذة والمريدين حيارىٰ ، بل سكارىٰ من هـٰذا الخطب الجلل ؛ لأنها فادحة كبرىٰ لا تعوض ، وخسارة عظيمة لا تسدد ، ولا يسع المؤمن مع ذلك إلا التسليم لما قضىٰ به الحكيم العليم ، و ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ، وقد قال الله لحبيبه : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ ، وإن بموت رسول الله ﷺ تسلية بأية مصيبة نزلت ، نسأل الله أن يخلفه في أولاده وأهله ومريديه وتلامذته وأهل عصره بالخلف الصالح ، ويحقق

فيهم ما نواه لهم ، ويوفقهم للعمل بما بثه فيهم من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآدابه وهديه وشريعته ، إنه علىٰ ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

وكتبه عجلاً وخجلاً الفقير إلى الله

علي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

بتاريخ يوم الإثنين (٢٢) ذي القعدة الحرام سنة (١٤٢٢هـ)

الموافق (٤) شباط فبرايرسنة (٢٠٠٢م)

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المستحق لأنواع الحمد والثناء ، المتفرد بالعظمة والكبرياء ، الذي رفع طبقات أهل بيت نبيه علىٰ كل الطبقات ، حتىٰ علىٰ طبقات العلماء ، وأتحفهم بالتطهير من الرجس وجعلهم نجوم الاهتداء .

والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد أفضل الخلق وخاتم الأنبياء ، وعلىٰ آله السادة الأصفياء ، وأصحابه البررة الأتقياء ، وعلىٰ من تابعهم من المسلمين إلىٰ يوم البعث والجزاء .

أما بعد :

فيقول العبد الفقير إلىٰ عفو الله تعالىٰ ذي التفضل والإتحاف ، عمر بن علوي بن أبي بكر بن أحمد الكاف ، وفقه الله تعالىٰ للتقىٰ والعفاف ، والاهتداء بهدي صالحي الأسلاف :

إنه قد التمس مني أحد الأصدقاء أن أكتب ما يسره الله تعالىٰ من مناقب شيخنا وملاذنا الإمام ، الحبر الهمام ، حجة الإسلام ، ونبراس الأنام ، وخاتمة الأعلام ، ويتيمة عقد الكرام ، خليفة السلف الصالحين ، وتذكرة الأولياء والعلماء السابقين ، الجامع بين علمي الظاهر والباطن ، والمُجمَع علىٰ فضله وولايته ، وعلمه ودرايته ، ذي الأخلاق الحسنة والسيرة المستحسنة ، ناشر لواء التذكير والإرشاد بـ(تريم) حرم الإقليم ، والمتصدر بها في الدروس العامة والمجالس الخاصة . . الحبيب العارف بالله الوهاب ، علوي بن عبد الله ، بن عيدروس ، بن شهاب ،

العلوي الحسيني رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه ، ونفعنا بعلومه وأسراره ، وأعاد علينا من بركاته وأنواره ، وجمعنا وإياه في دار كرامته ومستقر رحمته مع النبيين والمرسلين ، وسائر عباد الله الصالحين ، آمين ، اللهم آمين ؛

ووددت أن أقدم إلىٰ ذلك الصديق اعتذاري عن إجابة طلبه المذكور ؛ لما أعلم ما عندي من القصور وعدم التأهل لنشر محاسن ذلك الإمام ، الذي لم يزل منذ نشأ لا يَفتُر عن طاعة مولاه ، وتعليم وإرشاد خلق الله ، وأنىٰ لشخص ـ وإن أعطاه الله من فصاحة النطق وبلاغة الكلام ما أعطاه ـ أن يحصر فضائل هـٰذا السيد الجليل القدر والعظيم الذكر ؟ الذي أنفق ساعات حياته في تدريس العلوم ، المنطوق منها والمفهوم ، وفي دعوة الخلق إلىٰ ما يرضي الله الحي القيوم ، وفي عبادة الله المتنوعة ، من صلاة وصيام ، وتهجد وطول قيام ، ودوام إقبال عليه وتَوَجُّهٍ إليه . . إلىٰ غير ذلك من الصفات المحمودة ، والأفعال المشهودة ، والخوارق غير المجحودة ، التي تضيق صدور الطروس عن عدها ، وتعجز ألسنة البلغاء عن بلوغ حدها ؟

لـٰكنني رأيت إلحاح ذلك الملتمس وتأكيد طلبه بما لم أجد معه موضعاً للاعتذار ، ولا مناص للتهرب والفرار ، فلم يسعني إلا إجابة طلبه ، والنزول علىٰ رغبته ، مع ما بي من القصور وما عندي من الملل والفتور ، عملاً بقولهم : « الميسور لا يسقط بالمعسور » ، وقولهم : « ما لا يُدرَك كله لا يُترَك كله » .

وما أجدرني حينئذ بالاستشهاد بما قاله مؤلف « بهجة الفؤاد في مناقب الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد » :

وقد عَجِبتْ مني محاسنُ وصفه وقالت: أتدري ما تقول وما تَحكي

متىٰ يَصِفُ الأنوار من هو أكمهٌ أَيُحسِنُ وصفَ الشمس من هو في الحَلْك
ولٰكن لك البشرىٰ بحبك للذي حوىٰ لكمالات العلوم مع النسك
فدونك حَدِّث عن معالي صفاته بلا حرج كلا فما فُهْتَ بالإفك

كيف ؟ وقد قالوا : إن التعرض لذكر العارفين بالله ونشر فضائلهم فيه غاية الخطر لمن هو قاصر الباع والنظر ، غير أنه إذا كان الحامل له علىٰ ذلك المحبة له والتعلق به وابتغاء القرب منه . . فلا حرج إذاً ؛ اهـ .

فكتبت شيئاً يسيراً مما تحققته وشاهدته بعيني فيه من محاسن الأخلاق ، والمزايا التي منحه إياها الكريم الخلاق .

وأضفت إلىٰ ذلك ما استنتجته من جواهر كلامه المنثور ، الذي تلقاه عنه وكتبه وجمعه بعض تلامذته ومريديه التقاة ، وكذا ما استفدته مما أسعفني به حفيده الذكي الألمعي ، الأديب النجيب ، عبد الله بن محمد بن علوي ، من الأوراق والمكاتبات ، التي ينكشف منها بعض تواريخ تقلباته في أدوار حياته ، وتنم عن مجريات أحواله ، في صغره وكبره ، وعنفوان شبابه ، وعن غير ذلك مما له تعلق بالمراد هنا .

وكل ما كتبته عنه إنما هو كقطرة من بحر ، ورشفة من نهر ، بالنسبة لما لم أكتبه ، وقصدي بذلك نشر ما انتهت إليه معرفتي من مناقبه الجليلة وصفاته الحسنة الجميلة ، التي ينبغي أن تُخَلَّد بتقييدها وكتابتها ؛ لتبتهج الأرواح والنفوس عند قراءتها .

كيف ، وقد قال بعضهم : من كتب تاريخ ولي لله تعالىٰ . . كان معه ، ومن طالع اسمه في التاريخ حباً له . . فكأنما زاره ، ومن زاره . . غُفر له ما لم يؤذه أو يؤذ مسلماً في طريقه .

وجاء في « بهجة الفؤاد » عن بعضهم : إن من حق الشيوخ علىٰ

المريدين : حفظ علومهم وأعمالهم وفوائدهم ، وإبلاغها إلىٰ من بعدهم ؛ ليستفاد منهم وتكثر بأجور من استفاد منهم أجورهم ، ويُعرَف بها ما لهم من الله ، ويحيىٰ بها ذكرهم .

فكم مات بعدم الذكر من كبير ؟ وكم فات بالنسيان من العلوم من كثير ؟ وكم ستر الإهمالُ من شهير ؟

شعر :

تموت الخبايا في الزوايا وما لها من الناس بين الناس للناس ذاكر
تفوت كرامات الرجال شواردا إذا لم تقيدها علينا الدفاتر

وقد رتبت هـٰذا السفر على تسعة فصول :

الفصل الأول : في ذكر نسبه الطاهر الشريف ، وحَسَبه الباذخ المنيف .

الفصل الثاني : في التعريف ببعض آبائه الأقربين ، وعمومته وبني عمومته المقربين ، من آل شهاب الدين الأصغر ، وذكر ما يسر الله لي العثور عليه من مناقبهم وأسماء أمهاتهم ، وتواريخ ولاداتهم ووفياتهم ، وغير ذلك .

الفصل الثالث : في ذكر ميلاده ـ رضي الله عنه ـ وتربيته ونشأته ، وجِدِّه في طلب العلم ، وذكر شيء من مناقب بعض مشايخه رضي الله عنهم .

الفصل الرابع : في ذكر تفرغه للتدريس ، وقيامه بنشر الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ، وصدعه بالحق واستمراره علىٰ ذلك إلىٰ أن ضعف وشاخ وتوفاه الله تعالىٰ .

الفصل الخامس : في ذكر خلقه وأخلاقه وأحواله ، وبعض ما جبله الله عليه ، وغير ذلك مما يناسب هـٰذا الفصل .

الفصل السادس : في ذكر بعض المرائي الصالحة ، التي رآها لنفسه والتي رؤيت له وذكر شيء مما مدحه به وأثنىٰ به عليه علماء عصره وفضلاء دهره ، شفهياً أو كتابياً .

الفصل السابع : في ذكر شيء من كلامه المنثور الذي وفقني الله لجمعه وكتابته حينما سمعته منه خلال برهة قصيرة من الزمن في بعض مجالسه ومدارسه الخاصة والعامة ، مع ضم شيء إليه مما جمعه وكتبه عنه ابنه البار به ، الناسك العالم الولي ، محمد بن علوي .

الفصل الثامن : في ذكر بعض القصائد التي مدحه بها بعض الشعراء في حياته .

الفصل التاسع : في ذكر مرض موته ثم وفاته وتشييعه ، وبعض ما قيل فيه من المراثي ، وما يلحق بذلك .

وسميته : تحفة الأحباب وتذكرة أولي الألباب ، بذكر نزر من مناقب الإمام العارف بالله الوهاب ، الحبيب علوي بن عبد الله ، بن عيدروس ، ابن شهاب ؛ ومناقب بعض مشايخه ، وآبائه وعمومته السادة الأطياب .

والله أسأل أن يجعل جمعي له خالصاً لوجهه الكريم ، وسالماً من العُجب والرياء ، وأن ينفعني به وسائر المسلمين ، إنه سميع قريب مجيب ، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

الفصل الأول

في ذكر نسبه الطاهر الشريف وحسبه الباذخ المنيف

هو السيد الشريف ، علوي بن عبد الله ، بن عيدروس ، بن محمد ، بن علي ، بن عبد الله ، بن عيدروس ، بن علي ، بن محمد ، ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمٰن ، ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمٰن ، ابن الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، ابن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف ، ابن محمد مولىٰ « الدويلة » ، ابن علي ، بن علوي ، ابن الشيخ الأستاذ الأعظم ، الفقيه المقدم ، محمد بن علي ، بن محمد صاحب مرباط ، ابن علي خالع قسم ، ابن علوي ، بن محمد ، بن علوي ، بن عبيد الله ، ابن الشيخ المهاجر إلىٰ الله أحمد بن عيسىٰ ، بن محمد ، بن علي العريضي ، ابن جعفر الصادق ، ابن محمد الباقر ، ابن الإمام زين العابدين ، علي بن الحسين السبط ، ابن الإمام أمير المؤمنين علي ـ كرم الله وجهه ـ وابن فاطمة الزهراء البتول ، بنت سيد الكائنات ومفخر الموجودات محمد رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آل بيته الطاهرين وصحابته المهتدين أجمعين .

هٰذا نسبه من جهة أبيه .

وأما نسبه من جهة أمه ، فهو : السيد الشريف علوي ، ابن السيدة الشريفة الطاهرة العفيفة فاطمة ، بنت السيد الشريف الصوفي المنيف ، التقي الخاشع ، المنيب المتواضع ، محمد ـ المتوفىٰ بـ(عدن) سنة ١٢٨٣ هـ ـ ابن عمر ، بن أحمد ، بن عمر ، بن أبي بكر ، بن

حسين ، بن محمد الدويعني ، ابن حسين ، بن عبد الرحمـٰن بلفقيه ، ابن محمد الأسقع ، ابن عبد الرحمـٰن ، بن عبد الله ، بن أحمد ، بن علي ، بن محمد ، ابن الإمام الشهيد أحمد ، ابن الإمام الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ، محمد بن علي . . . إلىٰ آخر نسبه المار من جهة أبيه .

ومن هنا يُعلم أن نسبه من جهة أبيه يتفق مع نسبه من جهة أمه في جده الأستاذ الأعظم ، الفقيه المقدم ، محمد بن علي .

كما يُعلم من كون الرجال المذكورين في نسبه من جهة الأب قد بلغ عددهم سبعةً وثلاثين بإدخاله ، وإدخال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وصحبه وسلم في العدد ، أنه ـ رضي الله عنه ـ من أهل الطبقة السابعة والثلاثين من طبقات السادة الأشراف آل أبي علوي ، وأنه إذاً يكون في طبقة الإمام أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس ، والإمام محمد بن طاهر الحداد ، والإمام علي بن عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور ، والإمام عبد الله بن علي بن حسن الحداد ، والإمام محمد بن هادي بن حسن الصافي السقاف ، وغيرهم من أهل هـٰذه الطبقة .

وأما بالنسبة لعددهم في نسبه من جهة الأم ، الذي لم يبلغ إلا ستةً وثلاثين فقط . . فإنه يكون أرفع من أولئك بطبقة واحدة ، وتكون طبقته من هـٰذه الجهة مساويةً لطبقة والده وغيره من أهل الطبقة السادسة والثلاثين ، كالإمام أحمد بن محمد المحضار ، والإمام أحمد بن محمد بن عبد الله الكاف ، والإمام علوي بن عبد الرحمـٰن بن أبي بكر المشهور ، والإمام عبد الله بن عمر الشاطري ، والإمام عبد الباري بن شيخ العيدروس ، وسيدي وجدي لأمي الإمام أحمد بن علوي بن أحمد السري ، وسيدي والدي علوي بن أبي بكر بن أحمد الكاف ، وكآباء السادة الأئمة الذين ذكرناهم من أهل الطبقة السابعة والثلاثين ، وغير هـٰؤلاء ممن في طبقتهم .

ثم إن نسبه من الجهتين ، كغيره من سائر أنساب غيره من السادة الأَشراف آل أبي علوي ، من حيث صحته وصحة اتصاله بالنبي المصطفىٰ وعلي المرتضىٰ . . قد بلغ من الاشتهار ، وبواهر دلائل الاستفاضة والتواتر والانتشار ، مبلغاً يسمح معه التعرض لتحقيقه ، والتدليل علىٰ قوته وتوثيقه ، بل بلغ من الصحة والوثاقة أن المتعاطي لوصف فضله ، ورفعته في فرعه وأصله ، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، ونور القمر الزاهر ، اللذين لا يخفيان علىٰ ناظر ولا ذي بصر باصر ، فهو من الأشياء الواضحة التي يكون بيانها أدنىٰ من عِيانها ، ومن ذا يبلغ أن يصف النور المستطيل الشامل ، والقمر المنير المتكامل ؟ فاللسان عن رسمه ووسمه في انعزال ، والعقل قد أغنته المشاهدة عن الاستدلال .

وإذا استطـــال الشـــيءُ قـــام بنفســـه وصفاتُ ضوء الشمس تذهبُ باطلاً

فيا له من نسب فَلَكُه محمد الرسول ، ونَيِّراه علي المرتضىٰ وفاطمة الزهراء البتول ، ونجومه أولادهم الكُمَّل الفحول ، الذين أزروا بنجوم السماء في الكثرة والعدد والضياء .

مـن واحـد وهـو النبـي تفـرعـوا وكذا الألوف تفرعت من واحد

* * *

نسـب إمـام المـرسليـن دعـامـه وعمـــوده نـــور البتـــول وحيـــدر

غيره :

نسب كأن عليه من شمس الضحىٰ نـوراً ومـن فلـق الصبـاح عمـودا
مـــا فيـــه إلا سيـــد مـــن سيـــد جمع المفـاخـر والتقىٰ والجـودا

ولقد أجاد المحقق العلامة أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن محمد بن شهاب الدين العلوي الحسيني في وصفه ، حيث قال :

نسب بأجنحة الملائكة ارتقىٰ شأواً إليه الوهم ليس بواصل
نسب لباذخ مجده تعنو الوجو ه فكم هنالك من مليك مائل
ناهيك من نسب علىٰ نافيه لعـ ـنة ربه وعلىٰ الدَّعِيِّ الداخل
شرف إلىٰ العرش انتهىٰ فأمامَه تقف الثوابت وقفةَ المتضائل
شرف النُّبُوَّة والعروج ورؤية الـ ـباري تبارك والكتاب النازل

إلىٰ أن قال بعد ذكر عدد من أسلافهم :

وبَنيهم البيت المبارك والمقد دس والكثير الطيب المتناسِل
عمد الهدىٰ من كل ممتطىءٍ سنا م المجد وضاح الجبين حُلاحلِ
الحافظين السر حتىٰ الآن لم يُعلَم لِحافِ غيرِهم أو ناعِلِ
القانتين الراكعين الساجدي ـنَ بخشية وغزير دمع سائل
الذاكرين الله بين مُخافِتٍ بدعائه وثنائه أو زاجل
السالكي السَّننِ القويم النابذي شبهاتِ كل مخالف ومخاتل
وعلىٰ محبيهم لواء الحمد يخـ ـفق بالأمان من العقاب الهائل
وَرَدَ الحديثُ بذا وليس محمد فيما يقول بهازىء أو هازل
سَفْر علىٰ الركبان حَمْلُ مُشاتِهِمْ طوبىٰ لمحموليهم والحامل

وقال ـ بَرَّد الله ثراه ـ هٰذه الأبيات وكتبها علىٰ ظهر « الشجرة العلوية » :

فروع سمت بالمجد من دوحة العَليا لها الصب يصبو لا لهند ولا مَيَّا
فأكرم بها من دوحة طاب أصلها ومن سلسبيل الوحي طاب لها السقيا
زكىٰ تربها في ربوة المجد فانتهت إليها معالي قِسْمَي الدين والدنيا
وطابت لطيب الأصل أغصانها التي ببهجتها تزهو كأَنْ لَبِسَتْ وَشْيا
وأَرَّجَ أرجاءَ البلاد وضَوَّعَ الـ ـعوالِمَ من أزهارها الطِّيْبُ والرَّيَّا

وما أحسن قول سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في أولئك القادة الهداة الذين هم فروع تلك الشجرة :

فهم الكثير الطيب المدعو لهم ... من جدهم حين الزفاف ، ألا تعي ؟
بيت النبوة والفتوة والهدىٰ ... والعلم في الماضي وفي المتوقع

إلىٰ أن قال في وصفهم :

ثبتوا علىٰ قدم الرسول وصحبه ... والتابعين لهم فسل وتتبع
ومضوا علىٰ قصد السبيل إلىٰ العلا ... قدماً علىٰ قدم بجد أوزع

وما أحسن قول الفرزدق في وصفهم :

من معشر حُبُّهمْ دِين وبغضُهُمُ ... كفر وقربهُمُ مَنْجَىٰ ومعتصمُ
إن عُدَّ أهلُ التقىٰ كانوا أئمَّتَهم ... أو قيل مَن خير أهل الأرض؟ قيل: هُمُ
لا يستطيع جوادٌ بُعْدَ غايتهم ... ولا يدانيهمُ قوم وإنْ كَرُموا

ولكثير من كبار العلماء الحضرميين وغيرهم كلام طويل ، وأشعار رائقة في الإشادة بهٰذا النسب العلوي الحسيني ، والتنويه بصحته وشهرته واستفاضته ، نقل ذلك عنهم كثير من علماء الأنساب المحققين في مؤلفاتهم ؛ كالشيخ الإمام عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن الخطيب في « جوهره » ، والإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران العلوي في « بَرْقَته » ، والشيخ العلامة محمد بن عوض بن محمد بافضل في « تنويره » .

ومن أراد الاطلاع علىٰ ما قاله أولئك العلماء أو أولئك الشعراء في هٰذا المقام.. فليرجع إلىٰ هٰذه الكتب المنسوبة لأولئك الأئمة المحققين الأخيار ، المتقين الأبرار ، نفعنا الله بهم وبعلومهم ، إنه كريم غفار .

* * *

الفصل الثاني

في التعريف ببعض آبائه الأقربين وعمومته وبني عمومته المقربين

مما يسر الله لي العثور عليه من مناقبهم وأسماء أمهاتهم ، وتاريخ ولاداتهم ووفياتهم ، وغير ذلك .

فأقول : سبق في الفصل الأول أن أباه رضي الله عنه ـ هو السيد عبد الله بن عيدروس ، بن محمد ، بن علي ، بن عبد الله ، بن عيدروس ، بن علي ، بن محمد ، ابن شهاب الدين .

وأن أمه اسمها فاطمة بنت محمد بن عمر بلفقيه .

وكان أبوه من الرجال الكمل العارفين ، والأئمة البررة المتقين ، ومن أعيان العلماء المبرزين .

ولد بـ(تريم) مدينة العلم والفلاح ، ونشأ في أحضان الشرف والتقوىٰ والصلاح ؛ وكان ميلاده في شهر صفر سنة (١٢٦٥ هـ) ، وفي ديوان والده قصيدة حمينية ذكر فيها تأريخ ميلاده .

وتسميته عبد الله بن عيدروس باسم جده الثاني عبد الله بن عيدروس ، بن علي ، بن محمد ، ابن شهاب الدين ، راجياً من مولاه أن يحذو هـٰذا المولود حذو جده المذكور ، ويقفو أثره حتىٰ يصير مثله .

وهـٰذه القصيدة المشار إليها :

تولَّت وبانت طارقات الشدائد وحلت بنا وأَمَّت صنوف الفوائدِ

وزالت جيوش الهم من كل جانب ... وطابت لنا طُرْق الرضىٰ والمحادد
وخابت ظنون الحاسدينَ وكَفْهَرَتْ ... وجوه العدا والمفتري وَالمعاند
وجاءت جيوش النصر والخير والهدىٰ ... وتم بحمد الله أقصىٰ الفوائد
بمولودنا المحمود نحمَدُ ربنا ... حبانا وعَوَّدنا جميل العوائد
أتانا بعبدِ الله عالمِ عصره ... يكون كعبدِ الله بحرِ الفوائد
نجيبٍ أديب هاشميٍّ غضنفر ... كريمِ نبيه شاكرِ الله حامدِ
عليه من المولىٰ الكريم وقاية ... وحفظ وستر في انتباه وراقد
وبر من المولىٰ يعاون بره ... ونفع عظيم للقريب المساعد
كذا الجد عبد الله قد وافق اسمه ... أبو عيدروسٍ فرد عصرِهْ وواحدِ
فلا بد أَنْ يحذو علىٰ سير حذوهم ... ويعلو بهم ما بين راكعْ وساجد
إذا شئتَ أن تحسُبْ لتاريخه فقل : ... عبد الله المسعود يا خيرَ وافِدِ

١٢٦٥هـ

وفي صفرٍ في رابعْ عَشْرٍ به أتىٰ ... وفي ساعة المريخ يتلو عطاردِ
وصَلَّىٰ إلٰهي كلما هبت الصَّبا ... نبي الهدىٰ من خصنا بالفوائد
وآل وأصحاب ومن كان تابعاً ... علىٰ سيرة الأسلاف أهل المحامدِ

وهٰذا التأريخ مخالف لما هو مكتوب عند اسمه في « الشجرة العلوية » من أن ميلاده ـ رضي الله عنه ـ في سنة ١٢٦٢ هـ ، والتحقيق أن ما هنا هو الصواب ، وأن الذي كان ميلاده في سنة ١٢٦٢ هـ إنما هو أخوه الأوسط أحمد بن عيدروس كما سيأتي إيضاح ذلك .

وتربىٰ السيد عبد الله هٰذا في حَجر والده الكريم ، وتحت رعاية أخيه الأكبر ، العالم العابد والورع الزاهد ، السيد محمد بن عيدروس الآتي ذكره .

وبعد أن فرغ من تعلم القرآن العزيز . . أخذ يتلقىٰ فنون العلوم والآداب

عن أبيه وأخيه المذكورين ، وعن كثيرين من علماء عصره الحضرميين ؛ كالسيد الفقيه حسن بن حسين بن أحمد الحداد ، وابنه الحبيب علي بن حسن ، والعلامة الحبيب عمر بن حسن بن عبد الله الحداد ، والعلامة محمد بن إبراهيم بن عيدروس بلفقيه ، والإمام العلامة عبد الرحمٰن بن محمد المشهور ، والحبيب أحمد بن محمد بن عبد الله الكاف ، والحبيب عيدروس بن محمد العيدروس ، وابنه الحبيب شيخ بن عيدروس ، وغيرهم من علماء (تريم) و(سيؤن) و(دوعن) وغيرها من بلدان (حضرموت) .

وأثنىٰ عليه مشايخه الثناء العاطر ، وكان الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي إذا جاء إلىٰ (تريم) يقربه إليه ويقدمه لإمامة الصلاة في المجالس العامة والخاصة ، ويقول : إني أرىٰ القلوب كلها تحبه ولا أرىٰ له عدواً ، ولهٰذا كان يحبه ويثني عليه ثناءً جميلاً .

وقد تصدىٰ ـ رضي الله عنه ـ للتدريس ونشر الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بعد أن أذن له مشايخه في ذلك ، وكان أكثر ما يكون منه ذلك في مدرسة آل عبد الله بن شيخ العيدورس (القبة) بالسحيل .

وانتفع به خلق كثير (كالإمام الحبيب عبد الباري بن شيخ بن عيدروس العيدروس ، والإمام العلامة الحبيب عبد الله بن عمر بن أحمد الشاطري ، والحبيب حسين بن أحمد بن محمد الكاف ، وغيرهم .

ورحل ـ رضي الله عنه ـ إلىٰ (جاوىٰ) و(أرض الملايا) لنشر الدعوة والاسترزاق ، وطاف بكثير من بلدان ذينك القطرين ، وأخذ عمن بهما من العلماء والأولياء والصلحاء ؛ كالحبيب أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن يحيىٰ ، والحبيب محمد بن عيدروس الحبشي ، والحبيب محمد بن أحمد بن محمد المحضار ، وغيرهم .

ومما يروىٰ عن بعض الثقات : أن الحبيب أبا بكر بن عمر بن يحيىٰ كان يثني عليه ثناءً جميلاً ، ويقول : ما يصلح لـ(حضرموت) من رجال (جاوا) إلا عبد الله بن عيدروس بِنْ شهاب ؛ لما جبل عليه من الأخلاق الحسنة المرضية .

وكان إذا أتىٰ إلىٰ مدينة (سنقافورة) وحضر مدرس الأحد بها . . فإن السيد العلامة محمد بن عقيل بن عبد الله بن يحيىٰ يوليه التدريس ذلك اليوم ، ويصير هو عنده كتلميذ .

ومما يروىٰ عن صاحب هـٰذه المناقب : أن والده هو والحبيب محمد بن عبد الله بن حسين بلفقيه أخلاقهما أخلاق نبوة ، وأن والده حضر مرةً ختم مسجد الأوابين بـ(نويدرة تريم) ليلة ثمان من شوال ، فحصل له حال الذكر وجد شديد ، حتىٰ غاب عن إحساسه كما كان يحصل لكثير من الأولياء مثل ذلك عند السماع والذكر .

وكان أكثر إقامته ـ رضي الله عنه ـ من أرض (جاوا) ببلدة (فليمباغ) إحدىٰ بلدان جزيرة (سُمَطْرىٰ) ، وبها تزوج وولد له بها أولاد ، عاش منهم بعد وفاته ثلاث بنات .

ثم في سنة (١٣٠٢ هـ) عاد إلىٰ (تريم) وعزم علىٰ التزوج ، وخطب عند كثيرين من أهالي (تريم) فلم يقبلوه لما عرفوه عنه من أنه كثير الأسفار والغيبة عن (تريم) ولا يطيل الإقامة بها ، وفي الأخير خطب بنت السيد الفاضل العابد محمد بن عمر بن أحمد بلفقيه ، الشريفة فاطمة ، والدة صاحب هـٰذه المناقب رضي الله عنهما ، وكانت قد تزوجت من ذي قبل بابن عمها السيد الشريف ، ذي الحسب المنيف ، محمد بن عبد الله بن أحمد بن عمر بلفقيه ، وولدت له ابنه عيدروس بن محمد بن عبد الله عاش طويلاً ، ثم توفي بـ(جاوا) .

ولما خطبها صاحب الترجمة وكان أبوها قد توفي بـ(عدن) سنة (١٢٨٣ هـ) ـ كما سبق ـ كاد أهلها يردون خطبته ولا يقبلونه لذلك السبب، فلما سمع بعزمهم علىٰ رده السيد الفاضل محمد بن عبد الرحمـٰن بن أبي بكر المشهور ، الملقب بالفاخر . . ذهب إليهم ونصحهم ورغبهم في إجابة خطبته ، وكان من جملة ما رغبهم ونصحهم به أن قال لهم :

اقبلوه لكي يدخل بنتكم ولو ليلةً واحدةً ؛ لأنني أرىٰ في ظهره ولداً يكون به نفع الأمة المحمدية ، وأرجو أن تكون بنتكم أُمّاً لذلك الولد ، ولو كنت أنا امرأةً . . لما اخترت التزوج إلا به ـ أو ما هـٰذا معناه ـ فلم يسعهم إلا قبول خطبته والترحيب به .

ولما قرب عقد النكاح والبناء بها . . أتىٰ السيد عبد الله المذكور إلىٰ شيخه الإمام والحبر الهمام ، العلامة عبد الرحمـٰن بن محمد بن حسين المشهور ، وقال له :

إن لإمام العارفين بالله ، الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، نِيَّات حررها لمن يريد التزوج ، وإني أريد منك الآن أن تنويها لي .

فأجابه إلىٰ ذلك ، ودعا له بالذرية المباركة ، وشكره علىٰ فعله هـٰذا ، وقال له : لم يسبقك إلي بهـٰذا الطلب غيرك ، لا من السادة الأشراف ولا من غيرهم .

ولما دخل بتلك الشريفة الطاهرة . . علقت منه بعد مدة يسيرة بذلك الإمام العظيم صاحب هـٰذه المناقب ، وبقي معها مقيماً بـ(تريم) حتىٰ إذا مضىٰ من حملها نحو سبعة أشهر ، ولم يبق من وضعها إلا نحو شهرين . . سافر إلىٰ الحرمين الشريفين ، لأداء النسكين ، وزيارة سيد الكونين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

وأخذ هناك عن كثيرين من العلماء والصلحاء والأولياء ، وفي

مقدمتهم إمام الحرمين السيد أحمد زيني دحلان ، ثم عاد بعد ذلك إلىٰ (فليمباغ) .

ومما وجد مكتوباً بخطه علىٰ ظهر كتاب ، ما لفظه :

وفي(٢) ذي الحجة سنة (١٣٠٢ هـ) حضرت لدىٰ سيدي الفاضل ، العالم العامل ، السيد أحمد زيني دحلان لزيارته والتبرك ، فأمرني بترتيب آية الكرسي بعد كل صلاة مكتوبة ، وبعدها :

اللهم صل علىٰ سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العلي القدر ، العظيم الجاه ، وعلىٰ آله وصحبه وسلم بقدر عظمة ذاتك ، وأغنني بفضلك عمن سواك .

اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك ، والطف بي فيما جرت به المقادير ، واغفر لي ولجميع المؤمنين ، وارحمني وإياهم برحمتك الواسعة في الدين والدنيا والآخرة ، يا كريم يا رحيم .

رب أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً .

توكلت علىٰ الحي الذي لا يموت .

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً .

اللهم إني أسألك بك أن تصلي علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين ، وعلىٰ آلهم وصحبهم أجمعين ، وأن تغفر لي ما مضىٰ ، وتحفظني مما بقي يا أرحم الراحمين .

اللهم إني أسألك بك أن تصلي علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين ، وعلىٰ آلهم وصحبهم أجمعين ، وأن تَشْغَلَني بك في

الدارين ، علىٰ الكشف والشهود ، دون الحجاب يا كريم يا رحيم . وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اهـ

ولما بُشِّر بهدوف ابنه صاحب هـٰذه المناقب ـ رضي الله عنهما ـ فرح فرحاً شديداً ، وسُرَّ به سروراً كبيراً ، وصار يلاحظه أيام طفولته وصباه بمعنوياته ، ويرعاه بروحانيته ودعواته .

ولما تكامل عقله وبلغ أشده . . صار يربيه تربيةً دينيةً أخلاقيةً ، بما يكتبه إليه من الإشارات الطيبة ، ويسديه إليه من النصائح القيمة ، في رسائله إليه التي يبتدئه بها والتي يرد بها عن بعض كتبه ، وها أنا أذكر قطعاً منها آخر هـٰذه الترجمة تتميماً للفائدة .

ومن مؤلفاته ـ رضي الله عنه ـ نبذة قَرَّض بها وأيد ما جمعه السيد العلامة ، عثمان بن عبد الله بن يحيىٰ ، في جواز تعدد الجمعة ، سماه : « البرهان فيما قاله الحبيب عثمان » .

ورأيت له من الشعر الحكمي قصيدتين رد بهما علىٰ قصيدتين وردتا إليه من السيد العلامة ، الشاعر الناثر ، الحسن بن علوي بن عبد الله ابن شهاب .

وقصيدة السيد الحسن المذكور الأولىٰ هي :

ليس إلا إليكْ أَبث الشكيهْ ... يا عليماً بما حوته القضيَّهْ
أنت أدرىٰ بما أَكَنَّ ضميري ... وبما تنطوي عليه الطويَّهْ
وقل الله ثم ذرهم يخوضو ... ن فظنُّ الأنام سوء سجيه
حكم الدهر أن يعامل ذا الإحـ ... ـسان والصدق بالجفا والأذيه
أيها الخل والخليل قليل ... عَدِّ عن هـٰذه الظنون الرديه
قد تنكرتَ في الخطاب وما قـ ... ـط عهدنا طباعك الهاشميه

ساء حظي فصرت تشهد ضدّاً صور الضد افْتِرا في الخطيه
ويميناً ما فهتُ باللفظ إلا وجَناني مقارنٌ خيرَ نيه
مستتب علىٰ الوصول فلما قدم الخط أحجمتني الحميه
كيف حالي والحب خامره الوهـ ـم وهيهات أن يَبَرَّ الأَلِيَّه
ليت شعري بمحمل ما حملت الـ ـلفظ حتىٰ اتخذته سخريه !
بل لما قد عرفت من سوء حالي وانقيادي لحظ نفس غويه
أَجدير بمن أقام علىٰ العصـ ـيان أن يتهموه في كل نيه
غير أني أقول لا حول ولا قو وَة إلا بعالم بالخفيه
وخطابي أنهيه نحوك يا من خُصَّ من فضل ربه بمزيه
أنت يا من سما بعلم وحلم وبنفس أبية فاطميه
مَن بخير الأسماء يدعىٰ بـ عبد الـ ـلّه نجل الشهاب خيرِ خبيه
إن ودي لك الصحيحَ دعاني لكتاب يزيح مني الشكيه
وإذا كنتَ صادقاً في إخائي فتضرع في مسلكي للسويه
رب إني بسطت للفضل كفي بافتقار فمُنَّ لي بالعطيه
واشف عبد الله وألبسه من عا فية المن حُلَلاً سندسيه
وتقبل وَأَثْبِتْهُ يا رب وأثبتـ ـني بفضلٍ في الحضرة العنديه
وأعذنا من الوساوس والأو هام واسلك بنا السبيل السويه

فأجابه صاحب الترجمة معتذراً بقوله في شهر محرم سنة (١٢٠٨ هـ):

يا أخا الود يا نقيَّ الطويه وحليفَ الوفا لزيمَ السويه
وبعيد الجفا إذا الخل وافىٰ بتلافي تفريط نفس غويه
جُدْ بصفح عن المقصر فالتقـ ـصير منه والصفح منكم سجيه
أنزَلَ الاعتذارَ ساحاتِ حلم واسعات وبالقبول حريه

أسبلوا الذيل أجزلوا النيل جودوا وارحموا الذل واحملوا عنه عِيَّهْ
وأديموا عرىٰ مواثيقِ ود سالفات عن الظنون عريه
لم يزل للإخاء يحني ذماماً ويقيم له العهود الوفيه
حَرَّم النقض للعقود بنص فهو حقاً مذلة وخطيه
وحداة الوداد تحدو ذوي الذو ق إلىٰ الشوق والصفات السنيه
وإذا ما الحبيب أبدىٰ التنائي فاجعل النصح بالعتاب هديه
أعذَبُ العَتْبِ ما أتىٰ عن حبيب خالص الحب ظن عكس القضيه
مثل منظوم سيدي حَسَنٍ مَن أحسن النظم وأجاد رَوِيَّه
صاغه كالجمان صنعاً ووضعاً فحبانا قلائداً جوهريه
في بحور السطور تحكي نحوراً زَيَّنَتْها السلاسل الذهبيه
وجنانٍ قطوفها دانيات بمعانٍ عواطرٍ عنبريه
سهل لفظ بديع تركيب نظم حاكياً نظمَ أخلاقه الهاشميه
من ذكاء وفطنة وسماح وانتزاح عن الأمور الدنيه
وارتقاء إلىٰ عوالي معال يرتقيها بهمة وحميه
زاده الله رفعةً وجلالاً وجمالاً وخصه بالتحيه
وحبانا بجمع مألوف شمل بتريم وعَمَّنا بالعطيه
فبها نرتوي بشرب دنان من معان غوامض سلفيه
وبها نستقر في طيب عيش وإلىٰ سادة أبث الشكيه
من جمود وقسوة وارتباك في شباك المصائد الدنيويه
وعيوب سترتها عن عيون ليس تخفىٰ علىٰ عليم الخفيه
رب إني بهم توسلت فاقبل وتفضل بمحو كل خطيه
وتعطف وارأف وجد واعف وأسعف ببلوغ المراد والأمنيه

وأدم أفضل الصلاة وسلِّم بتوالٍ علىٰ شفيع البريه
وعلىٰ آله الكرام وصحب ومحب ومن يوالي وَلِيَّه

والقصيدة الثانية أنشأها جواباً علىٰ كتاب وأبيات وردت إليه من السيد الحسن بن علوي المذكور ، ولفظها كما يلي :

بسم الله الرحمٰن الرحيم ، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

لجناب سيدي عبد الله بن عيدروس بن شهاب حفظه الله

السلام عليكم ، قد أرسلت البارحة إليكم خِلافَهُ ، وانتظرت الجواب فلم يحصل ، فخفت من الهجر والقطيعة ، وحصل معي قلق حتىٰ فهت بالملفق ، واسمحوا وأسبلوا علىٰ المخازي ضافي غطاكم .

وكُلٌّ كلامه مثله .

عجباً للشوق ينمو نحو من لِيَ بالهجر وبالصد نَوَوْا
هجرونا وهُمُ والله في باطن الأحشاء والقلب ثَوَوْا
أنا محتاج إليهم دائماً ولهم حبي وإن هم لي قَلَوا
وفؤادي ليس يَسلىٰ عنهم أبد العيش وإن كانوا سَلَوا
أنا ما عشت أُلَبِّيهم علىٰ كيفما شاؤوه مَرُّوا وحَلَوْا
أنا أهوىٰ عاذلي يذكركم قاتل الله العواذل ما سعوا
قسماً بالنور والفرقان لا أنثني عمن لأدراني جَلَوا
يا كراماً وَطِئوا هام العلا وعلىٰ الجوزاء بالصدق علوا
والتقىٰ والفضل والعلم وبالـ ـحلم والأخلاق والمجد سموا
العفيف الدين عبد الله من لصفات فيه بالحسنىٰ تلوا
يا أخي لم يك من أخلاقكم أن يقولوا لِيَ مَن تهوىٰ جفوا

أنتـــمُ للصفـــح أهـــل وجـــديـ ـر بكم قول الورىٰ عنهم عفوا

واعفوا وسامحوا فكُثْر الخراط ، من الوَرْد خباط ، والجواب مطلوب ، وبه يحصل المطلوب ، والاتفاق فيه مرغوب ، ودمتم في الحفظ والسلامة إلىٰ يوم القيامة .

وهـٰذه هي القصيدة التي أجابه بها :

لاح فـي الأرجـاء ليـلاً بـرقُ نَـوّْ مـؤذنـاً لـي بلقـا صحـب نَـأَوْا

وشـذىٰ مـن نحـو سلمـىٰ نـافـح ضَـوَّع العـالـم مـن أرض وجَـوّْ

سكـر الصـب بـه مـن طـرب وانثنـىٰ عـاذلـه الشـانِـىءُ بَـوّْ

قلـت لمـا زارنـي ريـح الصَّبـا نـاشـراً مـن عـرف ذاك النفـح لـو

يعلـم العـذال مـا بـي مـن جَـوَى وهـــواءٍ عـــذرونـــي ورَثَـــوا

أو درىٰ مـن سكنـوا فـي مهجتـي بعض ما بي من هواهم ما قَلَوْا

مذهبي في حبهم رفض السِّوىٰ قبلـونـي وصلـونـي أو جفـوا

راحتـي ذكـرُ حـديـث لهُـمُ ورضـائـي كـامـنٌ فيمـا ارتضـوا

قـط لا أغفـل عـن تـذكـارهـم ذكـرونـي شهـدونـي أو سَهَـوْا

وبعهـــد الـــود وافٍ كيفمـــا نكثـوا أو نقضـوا أو هـم رعـوا

ليس حال النقض من أحوالهم فـإذا مـا وعـدوا نَيْـلاً وَفَـوا

يـا خليلـيَّ عُجـا بـي نحـوهـم عَـلَّ أن أروي عنهـم مـا رَوَوْا

وانـزلا بـالقـرب مـن أرجـائهـم طـالمـا والله بـالهجـر رمـوا

وأقيمـا بحمـىٰ حـامـي الـذرىٰ مانح الراجين أقصىٰ ما رجوا

سيـدي ذخـري مـلاذي مفـزعـي ومعـاذي مـن عـدائـي إن عَـدَوْا

حسـنِ مَـن حسنـت أوصـافـه فـرعِ بيت المجد حاوي ما حووا

فـاق أقـرانـاً بـأخـلاق زكـت يقبـل العـذر ويعفـو إن جنـوا

لـم يـزل يسمـو بعلـم وهـدًى ... سـالكـاً مسلـك أسـلاف مضـوا
من بني السكران من سادوا الورىٰ ... بِتُقـــاء وسخـــاء وعلـــوا
مُنِحـوا السـودَدَ إذ هـم أهلُـه ... وعلـىٰ أعلـىٰ ذرىٰ المجـد رقـوا
حملـوا النـاس علـىٰ طُرْق النجـا ... ودعـوهـم وحبـوهـم وهـدوا
قـدوة الخلـق إلـىٰ الحـق فهـم ... عن قوام الدين يوماً ما انثنوا
شربوا من كأْس هدي المصطفىٰ ... مشـربـاً صـافـي هنيئـاً وارتـووا
فلهـم روحـي الفِـدا والقلـبُ كـم ... منحـونـي فيـض فضـل وحبـوا
سيـــدي إنـــي بمـــا أوليتمـــو ... نِـيَ مـن نظـم عـلا عمـا حكـوا
بجُمـــان نيـــط فـــي جيـــد لحســـ ... ـنـــاء . . . لَـــدُونٍ ذاتِ طَـــوا
فـــي ســـرور منـــذ وافـــانِـــيَ إذ ... ذقـــت مـــن رَيَّـــاهُ شَهـــداً أَيَّ ذَوْ
عفـوكـم أوسـع مـن ذنبـي فـلا ... تشمتـوا بـي عُـذَّلاً إن هـم وشـوا
وصـــلاة الله تغشـــىٰ المصطفـــىٰ ... خيـرَ مَـن مَنُّـوا سمـاحـاً وعفـوا

ومن **كلامه المنثور** : إرشاداته الدينية القيمة ، ونصائحه الأخلاقية الثمينة التي قد أسداها لابنه صاحب هـٰذه المناقب في بعض مكاتباته إليه يتفقده بها .

فمن ذلك : ما كتبه له في رسالته المؤرخة : يوم (١٥) في شهر شعبان سنة (١٣١٧ هـ) ، قائلاً له فيها :

صدرت الأحرف من (فليمباغ) بعد وصول كتابك الكريم ، وأسرني تعريفك باهتمامك بطلب العلم ، حقق الله ذلك وفتح عليك فيه ، وجعله دليلك عليه ، وأوصلك به إليه ، وألهمك رشدك وأصلح قصدك .

واجتهد في الطلب مع لزوم حسن الأدب ، بارك الله فيك وجعلك قرة عين ، وأسمعني عنك ما يسرني .

وقم بخدمة عماتك وأولاد عمك ، وحبابتك فقيهة ـ يعني بها الشريفة علوية بنت عمر بن أحمد بلفقيه عمة أمه ـ لتنال البركة . . . إلخ .

وفي مكاتبة أخرىٰ محررة (١٣) من شهر صفر سنة (١٣١٨ هـ) يقول له :

واجتهد في الطلب والقراءة ، ولازم سيدنا وبركتنا الوالد عبد الرحمٰن المشهور ـ متع الله به ـ وغيره من أهل الخير والصلاح ، وتأدب لتنالك بركتهم .

والحذر من الميل إلىٰ أهل الترفه وملابسهم وعاداتهم .

وإني أسأل الله الكريم أن يلهمك رشدك ، ويوفقك لما يحبه منك ، ويوجب رضاه عنك ، وأن يجعلك قرة عين . . . إلخ .

ومن أثناء أخرىٰ مؤرخة (١٤) من شهر رجب سنة (١٣١٩ هـ) ينصحه ويوصيه بقوله :

والله الله في الاجتهاد في الطلب ، وملازمة سيدي الوالد البركة عبد الرحمٰن المشهور ، وأهل الخير والصلاح .

واغتنم فرصة الفراغ ، واتق الله تعالىٰ وحسِّن ظنك به ، واعتمد عليه وتوجه إليه ، فهو الهادي والمعين ، وهو أرحم الراحمين .

وإني أسأل الله أن يحفظك ويتولاك ، ويجعل التقوىٰ زينتك وحُلاك ، ويرزقك العلم والعمل ويجنبك الزيغ والزلل .

وخاطري مسرور بما يبلغني عنك من لزوم السيرة الحسنة ، والاجتهاد في الطلب ، وحضور مجالس الخير ، ربنا يحقق ذلك ويفتح لك فتوح العارفين من عباده .

هٰذا ، والدعاء وصيتكم ، خصوصاً في حضرة سيدنا الفقيه المقدم

عند الضريح ، وعند ضرائح سيدي الوالد والوالدة ، ولا تغفل عن زيارتهم ، وتعهد ضرائحهم. . . إلخ .

وفي أخرىٰ حررها يوم (٢٨) ذي الحجة (سنة ١٣١٩ هـ) يقول له :

وأينما تكون في الاجتهاد في الطلب ، مع ملازمة حسن الأدب ، والتخلق بالأخلاق الحسنة .

ولازم المروءة والوفاء ، واعرف معناهما وتحقق بهما ، بارك الله فيك وجعلك قرة عين .

وقم بحق عماتك وخدمتهن واغتنم رضاءهن ؛ لتنالك البركة .

وسيدي الحبيب عبد الرحمٰن المشهور احضر مجالسه ودروسه وتأدب معه ، واحترم واصبر تظفر. . . إلخ .

وقال له في أثناء مكاتبة أخرىٰ مؤرخة (٧) ربيع الأول سنة (١٣٢٠ هـ) :

ونرجو أنكم مجتهدون في الطلب ، وفتح الله عليك ونور بصيرتك .

والله الله في لزوم الأدب مع المشايخ وغيرهم ؛ لتنالك البركة .

واعتمد علىٰ الله ، وكن حريصاً علىٰ وقتك لا تضيعه في مجالس اللهو والخراط ؛ اغتنم فرصة الفراغ وأصلح أمور دينك ودنياك ، بارك الله فيك وهداك. . . إلخ .

وكتب له رسالةً مؤرخةً فاتحة جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٢٠ هـ) رد بها علىٰ رسالته له بخصوص التعزية له بوفاة العلامة المغفور له ، الحبيب عبد الرحمٰن بن محمد المشهور ، يقول له فيها :

وكتبكم الكرام المُعْلِمة بوفاة سيدي وحبيبي الوالد عبد الرحمٰن بن

محمد المشهور ـ رحمه الله ـ وصلت ، وشق علينا فراقه ، وأورثني الأسف والحزن ، وضاق صدري وحرت في أمري ، ولم أجد ملجأً سوىٰ التسليم والرضىٰ لما حكم الله وأمضاه ، ونسأل الله أن يوفق لحسن العزاء ، ويضاعف علىٰ ذلك الأجر والجزاء ، وأن يعلي لديه درجته ، ولا يحرمنا بركته ، ويخلفه علىٰ الجميع بخلف صالح ، آمين .

وبالأمس وصلني كتاب من ابنه سيدي علي المُعْلِم بالوفاة ، لٰكن تأخر! أخبروه بوصوله ، واطلبوا لي الدعاء منه ، وأرجو أن يكون خليفة والده علىٰ أموره وأحواله ، ومدارسه وأشغاله .

إلىٰ أن قال فيها : ونرجو أنكم مجتهدون في القراءة والطلب ، واغتنم الفرصة ، ولا تشغل نفسك بالأشغال التي لا تفيد ، واحذر من مجالسة من لا تفيدك مجالسته في دينك ودنياك ، وإن كان من أبناء جنسك .

والدعاء وصيتكم والعفو منكم .

والله الله بالقيام بحقوق عماتك وجدتك فقيهة ، وكافة الأقارب ، لتنالك البركة ، وكذلك سيدي الفاضل عبد الله بن علي بن شهاب ، لازمه وخالطه ، واحضر مجالسه ، وتأدب معه ، والله سبحانه وتعالىٰ يتولاك ويرعاك .

وفي مكاتبة أخرىٰ يوصيه بملازمة السيد عبد الله بن علي بن شهاب المذكور ، ويقول له :

وأينما تكونوا في ملازمته والتأدب معه وحضور مجالسه ؛ لتنالك بركته فسيرته سلفية ، وأسراره خفية ، لا حرمنا بركته ، والمدد ـ يا ولدي ـ في المشهد ، وحسن الظن أصل الرابطة . . . إلخ .

وفي مكاتبة أخرىٰ مؤرخة يوم (٢١) من شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٢٠ هـ) يقول له :

وأوصيك لملازمة الشيخ الفاضل أحمد بكري الخطيب ، احضر مجالسه وتأدب معه ؛ لتنالك بركته .

وكذلك الولد عبد الله الشاطري ، والشيخ محمد الخطيب ، وغيرهم .

والحذر من الملل ، ولا يغرك ما تراه مع بعض أولاد السادة من الزخارف والطنافس ؛ فإنه يذهب وتعقبه الندامة ، وليس هو شيء .

وأسأل الله الكريم أن يهديك ويلهمك رشدك ، ويعينك في أمور دينك ودنياك .

وادع لي عند ضرائح سادتي ، خصوصاً عند ضريح سيدنا الفقيه ، وفي المآثر .

وأوصيك بأخذ خاطر عماتك وخدمتهن ، وبالصبر في كل الأمور ، والسلام عليكم .

ومن أثناء مكاتبة محررة يوم (٥) محرم سنة (١٣٢١ هـ) يقول له فيها :

والزواج قد عرَّفناك ، تأخذ بشور جدتك فقيهة وعماتك وبنات عمك محمد ، الذي ينظرونه هو الأصلح .

ولكن! الحذر من البطر والعوائد الفاسدة والتكلف ، والزم القناعة والاقتصاد .

واسأل الشيخ أحمد بكري من ذلك ، فهو القائم في تزويج الولد محمد بن عوض بافضل ، والمقصود في المقصود ، وأما رضاء الناس فهو غاية لا تدرك .

وأود أن أحضر إن أذن الله ، وأفوض أمري إليه والخيرة فيما اختاره وعسىٰ وعسىٰ .

ويسرني ما يبلغني عنك من الاجتهاد في الطلب ، والتردد إلىٰ المشايخ ، ولزومك السيرة الحسنة ، ومجانبتك لمجالس اللغو واللهو التي لا يعقبها إلا الحسرة والندامة ، ويضيع بها الوقت ، وتذهب بركة العمر ، فالحذر منها .

وأسأل الله تعالىٰ أن يهديك ويلهمك رشدك ، ويقر عيني بك .

ولا يغرك الترفه والبطر الذي عليه بعض أولاد السادة ، فليس بشيء ، وهو الذي أورث الناس التعب والنصب ، وأدىٰ إلىٰ الدخول في العطب .

اللهم حفظاً ، اللهم حفظاً .

وفي أخرىٰ مؤرخة (٢٣) جمادىٰ الآخرة سنة (١٣٢١ هـ) يقول له :

وقد عرَّفناك عن الزواج ، لا تنتظرنا .

والمحل الذي يوافق لحالك وحالنا .

والحذر من مصاهرة أهل الترفه والسفه والمكابرة .

وأسأل الله أن يختار لك المحل الذي فيه الخيرة .

ووددت أن أرسل إعانةً لخرج الزواج ، ولٰكن . . إن شاء الله يكون فيما بعد .

وأوصيك بالاقتصاد ، والحذر أن تسمع كلام السفهاء والنساء ، واجتهد في الطلب وملازمة الأدب تحظ بكل أرب .

وفقك الله لطاعته ، وحفظك بعين عنايته ، آمين .

ومن مكاتبة محررة شهر رجب سنة (١٣٢١ هـ) يوصيه بقوله :

وإن أمكنك التوجه إلىٰ (سيؤن) لالتماس بركة الحبايب والقراءة عليهم . . فافعل ولا تعجز ولو مدة شهر زمان .

وبلغني أن الوالد عبد الله بن أبي بكر العطاس عازم علىٰ الإقامة بـ(تريم) وقد اشترىٰ بها بيتاً ، ربنا يحقق ذلك ويصلح (تريم) وأهلها ، وإن شاء الله يكون به نفع كبير ، وتجتمع ببركته الكلمة .

والله الله في ملازمته والقراءة عليه والأدب معه ، وكذلك الأخ عبد الله بن علي .

وفي مكاتبة أخرىٰ مؤرخة (١٥) شوال سنة (١٣٢١ هـ) يقول له :

ومطلوبك « ديوان الشواف » عرفت فيه من سربايه ومتىٰ حصل إليك ؛ ولٰكن الذي أراه أن اشتغالك بـ« ديوان الحداد » أولىٰ وأَفْوَد من اشتغالك بمثل « ديوان الشواف » أو « ديوان العيدروس » واشتغالك بالفقه أولىٰ من الكل .

الزم الترتيب في أمورك ، واشتغل بالأبدأ فالأبدأ وهٰكذا ، ولا تضيع وقتك بما لا فائدة فيه ، احذر من المجالس التي لا طائل تحتها .

وكثيراً ما أسمع أن بعض أولاد السادة لهم مجالس معقودة علىٰ قهوة وهذوة ، فلا يليق بهم ولا يحسن منهم! اللهم اهدنا فيمن هديت .

وأسأل الله أن يسمعني عنك ما يرضيه ويسرني ، من سلوك النهج القويم ، ولزوم التعلم والتعليم ، بارك الله فيك .

وأما الزواج : استخر مولاك فيه ، وأصلح النية التي هي أساس العمل ، والزم الاقتصاد والقناعة ، ولا تأخذ بشور النساء إلا فيما يليق .

ربنا يعينك ويلهمك رشدك ، من يهدي الله فلا مضل له .

إلىٰ أن قال : وأرجو أن يكون لك تعلق بسيدي عبد الله بن علي بن شهاب ، وتردد عليه ، اقرأ عليه لتنالك بركته ، فسيرته سلفية ، وطريقته علوية ، وكذلك غيره من السادة ، وغيرهم ممن تراه زاهداً في الدنيا قانعاً بالكفاف .

والحذر من مخالطة أهل الترفه والزينة والأفعال المشينة ، ووجِّه همك إلىٰ ما فيه صلاح دينك ، ولا تترك ما يلزمك إقامته من أمور دنياك ، وتخلق بالصبر والتواضع ، تنل كل خير وتكفىٰ كل سوء وضير ، فمن تواضع رفعه الله وقربه وتولاه .

إلىٰ أن قال له : ولازم قراءة كتب الحبيب عبد الله الحداد ؛ ففيها البركة ، واجعل لك ورداً من « الإحياء » ولو ورقةً كل يوم .

وإن قرأت شيئاً من « مقامات الحريري » لتعرف العربية . . فهو حسن .

وعسىٰ يتيسر لك المسير إلىٰ (سيؤن) لزيارة الحبايب والأخذ عنهم ، والتماس البركة .

هـٰذا ، ودمتم ، والدعاء وصيتكم ، والسلام .

وفي أخرىٰ مؤرخة ذي القعدة سنة (١٣٢١ هـ) يقول له :

وددناك تحج قبل الزواج ، والحاضر يرىٰ ما لا يرىٰ الغائب ، ونظرك كفاية .

والله الله في الصبر والتواضع والاعتراف ، واجتهد في الطلب والتحقيق .

ولعلك قرأت كتاباً في التجويد وأحكام القراءة ؟ لا تغفل عن ذلك ، واقرأ قراءةً مجودةً .

وكذلك علوم الآلة ؛ مثل النحو والصرف وغيره .

واغتنم الفرصة قبل الغصة ، وجاهد نفسك واقنع بميسور المعاش ، وإني أسأل الله أن يتولاك ، ويرعاك ، ويصلح أمر دينك ودنياك .

وفي أثناء مكاتبة أخرىٰ ، محررة ربيع الثاني سنة (١٣٢٢ هـ) يقول له :

وذكرت أنك تقرأ في « الألفية » و« شرح القطر » وفي بعض الكتب الفقهية ، لقد أحسنت ، ربنا يفتح لك أبواب العلوم النافعة ، ويدني لك أثمارها اليانعة .

وإن أمكن أن تأخذ حظاً من المنطق والتجويد والعربية . . فلا تَأْلُ جهداً .

واجتهد في الطلب ، واستصحب الأدب ، وتواضع تلق كل خير ؛ فمن تواضع رفعه الله .

وقد رأيت في خطك كلاماً لم يعجبني ، وهو قولك (أنك لا ترضىٰ لنفسك بالقصور في بعض الأحوال عن الأغنياء) فلم أفهم مقصودك! فإن كان في العوائد والأمور التي لا طائل تحتها ولا أمر الشارع بها . . فهـٰذا غير صواب وقد أخطأت ، وإن كان قصدك غير ذلك . . فالعلم عند الله ، وإني لا آمرك إلا بالتواضع ، والصبر والمسكنة ، والنظر إلىٰ من دونك في الدنيا وإلىٰ من فوقك في العلم والدين تحظىٰ بخيري الدارين .

وبحمد الله وفضله لم يبلغني عنك إلا ما يسرني ويفرحني من سيرتك الحسنة ، وحضورك المدارس ، واجتهادك في الطلب .

وأسأل الله تعالىٰ أن يزيدك هدايةً وتوفيقاً ، ويجعل لك المسلك القويم طريقاً ، وأن يكتبنا في ديوان أوليائه الصالحين وحزبه المفلحين ، ويجمع الشمل علىٰ خير .

وفي مكاتبة أخرىٰ في شهر رمضان سنة (١٣٢٥ هـ) يقول له :

وكتابكم المحرر فاتحة رجب سنة (١٣٢٥ هـ) وصل وفهمته ، وقد خطر ببالي أنه لو أمكنكم التوجه إلىٰ الحرمين الشريفين ، وبعد ذلك إذا انشرح خاطركم بالوصول إلي للاتفاق بكم والاجتماع ؛ ولو مدة شهر زمان وتعود إن شاء الله إلىٰ (تريم) هـٰكذا أتصور في خاطري والمولىٰ

الكريم يختار الذي فيه الخيرة الصالحة ، وأنتم استخيروا الله سبحانه وتعالىٰ ، وشاوروا من تحبون ، والحاضر يرىٰ ما لا يراه الغائب ، فإذا استحسنتم ذلك وعزمتم . . عرفوني مبادرةً ؛ لأجل أرسل الخرج الذي يلزم لكم إلىٰ (عدن) إلىٰ عند الشيخ أبيٰ بكر بن يوسف ؛ ليسلمه لكم إذا وصلتم ، وأما الخرج من (تريم) إلىٰ (عدن) دبروه ، وقد عرفتكم بهـٰذا من الآن لأجل تفكرون ، وترتبون أشغالكم ، والدعاء وصيتكم . . . إلخ .

وفي أخرىٰ مؤرخة شهر ذي القعدة سنة (١٣٢٦ هـ) قال له :

والشوق إليكم كثير ، ونود أن يكون آخر العمر في (تريم) علىٰ صراط مستقيم ، والمولىٰ سبحانه وتعالىٰ كريم عليم ، هو أعلم بالحال وأخبر بالمآل وحق العبد التسليم والسكون عن التأخير والتقديم ، اللهم إن العلم عندك . . إلخ .

وهـٰكذا ـ يا ولدي ـ حال أبيك ، وأوصيك الدعاء لي بالتوفيق والثبات ، وخلوص التوبة قبل الممات .

وكتبكم لا تزال تصلني ، بارك الله فيكم ، ويسرني وصولها وأنشرح بها ، والسلام عليكم .

ومن أثناء أخرىٰ مؤرخة (٢٧) ربيع الآخر سنة (١٣٢٧ هـ) :

وإن عزمتم إلىٰ الشحر لتوديع الوالد أحمد وزيارة المآثر مدة شهر زمان . . نظركم ؛ فالسفر يسفر ، والشحر قريب ، وأنت أعرف .

والولد عيسىٰ الحداد تردد إليه ، وشاوره ، فهو مبارك وصادق ، وذو أمانة وحسن طوية .

وفي أخرىٰ مؤرخة رجب سنة (١٣٢٧ هـ) يقول له :

وأرجو وصول الولد عيسىٰ الحداد وهو بعافية ، وإن تيسر لكم ترتبون وقتاً للقراءة عليه والاتصال به ، فلا تغفل .

وأرجو أنك مستمر في الطلب ، لا تفتر وتشتغل بالوعظ وتعليم العوام عن التعلم والاجتهاد في الطلب .

وإن أمكن تروح إلىٰ (سيئون) و(دوعن) لزيارة الحبايب ، والتبرك بالصالحين والأخذ عنهم ، وتظهر لك فائدة السفر ومفارقة الوطن ، وتزيد معرفتك واختبارك للأحوال والأمور « فبمكث الماء يبقىٰ أسناً » وأنت أعرف وأدرىٰ .

وقد ذكرت لك سابقاً السفر إلىٰ (الشحر) إن تيسر ، وكل ذلك إن ظهرت لك المصلحة والفائدة ، وكان ميسراً ، والحاضر يرىٰ ما لا يراه الغائب .

وشاور من تحب والولد عيسىٰ الحداد لا تترك مشاورته ؛ لكونه رجلاً عاقلاً ، أميناً مقتصداً ، وله خبرة .

والدعاء وصيتكم .

ومن أخرىٰ محررة في (٢٥) رمضان سنة (١٣٢٧ هـ) يقول له :

وذكرتم تزوجكم ببنت الأخ الصالح ، المرحوم عبد الرحمٰن بن هارون .

لقد أصبتم أتم الصواب ، شكر الله صنعكم ، ووفقكم للرشد .

أسرني ذلك غاية السرور ، ووقع لدي موقع الاستحسان ، وإن شاء الله يكون في ذلك اليمن والبركة ، والذرية الصالحة ، والخيرات الدينية والدنيوية .

أحسنتم غاية الإحسان ، وما كان لله سبحانه وتعالىٰ يتم وتكثر فيه البركة ، والنية أساس العمل . . . إلخ .

ومن أثناء مكاتبة مؤرخة (٢٧) رمضان سنة (١٣٢٧ هـ) قال له :

ووالدك ـ كما تعلم ـ قد جاوز العمر الغالب ، وقد مضىٰ ـ بفضل الله ـ في نعم من المولىٰ لا تحصىٰ ، وسيمضي ما بقي من العمر في مثل ذلك وأزيد .

وإذا نظرنا إلىٰ حالة من يسر الله لهم البيوت في (سنقافورة) أو غيرها ، ونظرنا إلىٰ ما أنعم الله به علينا . . وجدناه أكثر وأعظم أضعافاً مضاعفةً .

ومن جملة نعم الله علي : أنت ؛ حيث إنه لم يبلغني عنك إلا ما يسر قلبي ويشرح صدري ، فهي نعمة من المولىٰ عظيمة ، ومنحة جسيمة ، نسأله التوفيق لشكره .

وإن رأيتم واستحسنتم الدخول في الأسباب وما الناس عليه في هـٰذه الجهات . . فلا بأس ، والأمور ميسرة وأبواب الخير مفتحة ، وعلىٰ قدر أهل العزم تأتي العزائم ، والله سبحانه وتعالىٰ يدبر للكل أحسن تدبير .

هـٰذا والدعاء وصيتكم ، والعفو منكم ، والسلام عليكم وعلىٰ الكرائم والبنات ، والأولاد والإخوان ، ومن شئتم ، وخصوصاً الأخ علي بن عبد الرحمن المشهور والأخ عوض بافضل .

وسلم علىٰ الأخ عمر الشاطري وابنه عبد الله .

ولعل هـٰذه المكاتبة آخر مكاتبة أرسَلَها إليه ؛ فإنه توفي بعدها بنحو شهرين .

وفي مكاتبة له قبيل هـٰذه ، يعتذر إليه عن انقطاع كتبه إليه وعدم استمرارها في الوقت الأخير ، بأن ذلك السبب ما يجده من ألم في يده اليمنىٰ لا يستطيع الكتابة معه ، وقد استمر معه ذلك الألم مدةً ولـٰكنه بدأ يتناقص ، فربما كان هـٰذا الألم سبب وفاته ! والله أعلم .

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ ببلدة (فليمباغ) في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة (١٣٢٧ هـ) وعمره إذ ذاك ثلاث وستون سنةً إلا شهرين تقريباً .

وقد وافق وصول خبر وفاته إلىٰ (حضرموت) الوقت الذي توفي فيه إلىٰ رحمة الله تعالىٰ السيد المغفور له شيخ بن عبد الرحمـٰن بن أحمد الكاف ، فقال الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي : موت شيخ الكاف ثلمة ، ولـٰكن الثلمة الحقيقية إنما هي موت عبد الله بن عيدروس ابن شهاب .

ويروىٰ عن ابنه الإمام الحبيب علوي بن عبد الله ، أنه قال : إن الناس تحدثوا بخروج الوالد إلىٰ (حضرموت) قبيل وفاته ، فقلت لهم : الذي يظهر لي أن الوالد لا يخرج ؛ وذلك لأن الحبيب أحمد بن حسن بن علوي الحبشي ـ المتوفىٰ بـ (فليمباغ) سنة (١٢٠٤ هـ) ـ جعله خليفةً عنه ، وقال له : (أنت خليفتي في هـٰذا المكان) والخليفة يموت في المكان الذي يستخلفه فيه شيخه ، فكان الأمر كما قلت .

ويروىٰ عنه أيضاً أنه قال : وصلني كتاب من والدي يقول لي فيه : عندما تقف علىٰ كتابي هـٰذا سافر إلي حالاً للاتفاق بك ، ولو مدة نصف شهر ، بعد أن تشاور في ذلك من أردت من أهل الخير والصلاح .

فقلت في نفسي من أشاوره ؟ ما معي إلا السلف الصالح أهل (زنبل) .

فخرجت إليهم وزرتهم ، وعندي من المشقة والاهتمام بأمر الوالد ووجوب طاعته ما لا مزيد عليه ، فلما كان الليل رأيت في المنام عمي محمد بن عيدروس بن شهاب ، وقال لي : إن أباك عندنا ، وشف الحبيب عبد الرحمـٰن السقاف ذاك سيخبرك .

فأقبل إلي الحبيب عبد الرحمٰن وعليه قميص وقلنسوة ، وهو قصير القامة ، فقمت إليه وقبلت يده الشريفة ، فانتبهت .

ثم رأيت ثانياً كأن الوالد عبد الله عندنا في البيت ، وتحته فراش أبيض حوله الوسائد من كل جانب ، وكأَن الحبيب علوي بن عبد الرحمٰن المشهور حاضراً عندنا ، وكنت أتذاكر معه في مسألة فقهية ، والوالد محدق نظره إلي ، لا يحيد عني ، فقلت في نفسي : كيف الوالد لا يتخلق مع العم علوي ويأخذ بخاطره ، مع أن الذي أسمع عنه أنه ذو أخلاق رضية وشمائل مرضية ؟

ثم إنني انتبهت ، فقلت في تأويل الرؤيا : إن الفراش الأبيض هو الكفن ، وإن الوالد قد مات .

ثم رجعت إلىٰ النوم ، فرأيت في تلك الليلة العم عبد الله بن عمر الشاطري يقول لي : اذهب إلىٰ الرباط وأقم الدرس به ، وأنا سأذهب لحضور مجلس الحبيب علي بن محمد الحبشي .

فأخذتني الحسرة بسبب عدم تمكني من حضور مجلس الحبيب علي ، فما شعرت إلا والحبيب علي قد دخل إلىٰ الرباط ، وقال لي : قم يا علوي ناد بالزيارة للفقيه المقدم .

فقمت وامتثلت أمره ، فناديت بالزيارة ، فانتشر الناس من عند الرباط ذاهبين إلىٰ التربة ، فلما كنا تجاه ضريح الفقيه المقدم وإذا بأحد الحاضرين يقول لي : ذاك أبوك بجنب الحبيب علي ، قابض بيده .

فقلت في نفسي : سأصافحه وأكلمه بعد الزيارة ، فلما وصلنا إلىٰ ضريح الشيخ المحضار . . انتبهت .

فأولت الرؤيا بأن المكان الذي انتبهت عنده هو مقبرتنا ، وعرفت أن

الوالد قد انتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ ، فما مضىٰ بعد ذلك نحو شهرين إلا وجاء خبر وفاته في رسالة إلىٰ العم حسين بن شيخ الكاف ، والعم حسين أخبر العم عبد الله بن علي ابن شهاب ، والعم عمر بن عبد الرحمـٰن بن علي ابن شهاب ، بوفاته ، فطلبوا حضوري عندهم ليخبروني بذلك ، فلما حضرت . . غلبهم البكاء وأخبروني ، فقلت : أنا قد بكيت قبلكم ؛ لما معي من الإشارات بموته .

ومثل هـٰذا السيد في أخلاقه وأوصافه : أخوه الأكبر ، وصنوه المنور ، ذو السر الذي تفوح رائحته أطيب من رائحة العنبر ، بل ومن شذىٰ المسك الأذفر ، محيي النفوس ومدير الكؤوس ، ومن لإخوانه وأقرانه كالتاج للرؤوس ، السيد الشريف ، محمد بن عيدروس .

فقد كان هـٰذا الإمام بالمحل الأعلىٰ من العلم والحلم ، والعمل والعبادة ، والتقوىٰ والورع ، والتقشف والزهادة ، وكان ذا خط حسن وخلق مستحسن .

ولد بمدينة (تريم) سنة (١٢٥١ هـ) وهـٰذه السنة توفي فيها جده الأدنىٰ السيد محمد بن علي ، كما سيأتي قريباً ، ولا أدري هل أدرك شيئاً من حياته أم لا ؟

أما أبوه عيدروس بن محمد : فقد تربىٰ به ، وتخرج علىٰ يديه تخرجاً دينياً أخلاقياً ، كما قد أخذ أخذاً تاماً عن كثيرين من علماء عصره وشيوخ دهره ، ثم لازم النسك والعبادة إلىٰ أن توفي .

وكان يقرأ « الدلائل » كلها ليلة الجمعة ، وكان لا ينام بعد الفجر في رمضان إلا بعد أن تشرق الشمس ، وكان حسن الخط ، حصَّل كتباً كثيرةً بقلمه .

وكانت وفاته بـ(تريم) في شهر ذي القعدة سنة (١٣١٧ هـ) ، ودفن

بمقبرة زنبل ، غربي قبر الشيخ عمر المحضار ، وقُبِر في قبره شيخنا الإمام علوي صاحب المناقب .

وقد وقع له من الثبات عند الممات ما قل أن يقع لغيره ، وذلك أنه جاء إليه قبيل وفاته ليعوده السيد المحدث المسند ذو السر الذي يسري ، الحبيب محمد بن سالم بن علوي السري ، وغيره ممن صحبه ، فتحدثوا معه ، ولما أرادوا الانصراف . . قام معهم يودعهم إلىٰ الدرج ، ولما رجع دعا أهله وأولاده ذكوراً وإناثاً وغيرهم ممن كان حاضراً من ذوي قرابته ، فودعهم ، ثم توضأ وتهيأ للوفاة ، فاضطجع علىٰ جنبه الأيمن متوجهاً إلىٰ القبلة ماداً رجليه ، ووضع أحد الحاضرين عنده وسادةً علىٰ غير الهيئة المسنونة ، فأخذها بيده ووضعها كما يريد ، ثم صاح بأعلىٰ صوته مستغيثاً بجديه الفقيه المقدم والمحضار ثم نطق بكلمة التوحيد ، ففاضت روحه الزكية وانتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ .

حكىٰ عنه هـٰذا ابن أخيه الإمام علوي صاحب هـٰذه المناقب ، وقال : إني أتمنىٰ الثبات الذي وقع له .

ويقال : إن حال هـٰذا السيد كحال جده الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف ؛ أي : إن رتبته في الولاية كرتبته .

وأمه وأم أخيه عبد الله بن عيدروس الآنف الذكر هي الشريفة مَسْعَد ، ـ ويقال : أم السعد ـ بنت السيد محمد بن أبي بكر ، بن محمد ، بن أبي بكر بلفقيه ، المتوفىٰ في البحر قافلاً من الحج ، وهو الجد الأدنىٰ للسيد شيخ بن محمد بن أبي بكر ، بن محمد بن أبي بكر بلفقيه ، المتوفىٰ سنة (١٣٦٥ هـ) .

فليست الشريفة مسعد هـٰذه عمته ، وإنما هي عمة أبيه ، فليُعلم .

وكما أنها أم ذينك السيدين الحبرين فإنها أيضاً أم أخيهما الوسط الذي

تضيق عن كتابة أوصافه الطروس ، السيد الهمام ، أحمد بن عيدروس ، الذي نوَّه بوصفه وأرخ ميلاده والده في قصيدته الدالية الحمينية ، وهي كما وجدتها في ديوانه :

أسدىٰ إلينا المجيد ... من فضله ما نريد
ابناً يكون إماماً ... وفي البريةْ رشيد
أحمد حميد المساعي ... أحمد وخلقه حميد
سَمَّوه من قبل يولد ... فما علىٰ ذا مزيد
محفوظ من كل شرٍّ ... بعين رب حميد
فإن شئت تاريخه احسب ... غلام والي سعيد

١٢٦٢ هـ

يكون شاكرْ وذاكرْ ... فصيح فاهم وجِيد
يا حبذا من إمام ... عالم زمانه فريد
كان قدومهْ إلينا ... بيومْ جمعهْ وعيد
في سلخ شعبان فأكرم ... شهر الهدىٰ والمزيد
في ساعة النجم الأسعد ... المشتريِّ السعيد
وشهر صوم أتانا ... فيه الرضىٰ للعبيد
يا رب فاغفر لعبد ... أتاك خائف طريد
من كل ذنب وعيب ... أتاك هارب بليد
فامنن بعفو وستر ... فأنت الحليم الرشيد
وافتح لنا كل صعب ... وكل أمر شديد
وصل يا رب دائمْ ... علىٰ رسول المجيد
طه الحبيب الممجد ... شفيع يوم الوعيد
والآل تترىٰ وتبقىٰ ... في كل يوم جديد

فيُعلم من هٰذه القصيدة أن ميلاده رضي الله عنه سلخ شعبان سنة (١٢٦٢ هـ).

وكان ميلاده بـ(تريم) حرم الإقليم ، وتربىٰ في حَجر أبيه الأبر ، ورعاية أخيه الأكبر ، وقرأ القرآن الكريم .

ثم أخذ العلم عن كثير من علماء هـٰذا الإقليم ، ثم رحل إلىٰ الأراضي الجاوية ، فنال بها أقصىٰ الأمنية ، وطاف بلدانها وأخذ عن كثير من أعيانها .

ثم ألقىٰ عصا التسيار ببلدة (سرباية) ولازم الإقامة بها ليله والنهار ، ولم يزل بها حتىٰ وافته المنية ، ونال من ربه أسنىٰ الرضىٰ والعطية ، وذلك سنة . . . وكان له ـ رحمه الله ـ كلام فصيح كالدرر ، ونظم بديع أغلىٰ من الجوهر ، وقد أسند إليه هـٰذا الوصف والخبر من كان ملازماً له في وقته الأخير ، من أصحابه الخيرة وتلامذته الميامين الغرر ، لـٰكنهم لم يخلدوه بالكتابة ، وتركوه يذهب ويمر كمر السحابة ، ولم يحفظوا منه إلا قصيدته الغراء التي استنجد بها مَن بمقبرة (زنبل) من أسلافه واستعطفهم لكي يسقوه من رحيق شرابهم وسُلافه .

وهـٰذه هي القصيدة المشار إليها بفصها ونصها :

يـــا رائحـــاً نحـــو زنبـــلْ ... بلغ سلامِي علىٰ من حل به من أفاضل
وقـل لهـم جسمـي مـن البعـد معتلْ ... قد صار من كثرة الهجران شبه الخلال
يـــا مـــن بِعَيْـــدِيْـــد قـــد حـــل ... روحي فداكم لقد طالت علي المراحل
بجـاهكـم عقـد المهمـات ينحـل ... ونرتوي من شراب القوم صافي زلال
العبـــد بـــالبـــاب يســـأل ... من فضلكم لا تردوا عبد بالباب سائلْ
منـوا وإن كثـرت خطـايـاه أو زل ... وقابلوا بالرضىٰ والعفو يا أهل الكمال
يـا سـادتـي الخطـب قـد جـل ... والعبد محسوبكم قد طاح بين المنازل
مـريـض مـدنـف مـن ذنـوبـه مكبـل ... واقف علىٰ الباب يرجو فضلكم والنوال
مملـــوككـــم قـــد تـــوســـل ... بكم إلىٰ الله في إصلاح ما كان عاطل

ويـدخلـه فِـي سعفكـم يـوم ينقـل من هـٰذه الدار إلىٰ دار البقاء والحِلال
منـــــادي الخيـــــر أقبـــــل من نحو بشار حي الله تلك المحافل
مـن لاذ بـالمحضـار يـا نـاس مـا ذل ببـركتِـهْ يغفـر الله الـذنـوب الثقـال
قـــل يـــا عمـــر حيـــن تســـأل يا سيدي يا هزبراً حاز كل الفضائل
مـن كنـتَ شيخـاً لـه فمـا قـط يخـذل انظر إلىٰ إبنك المحسوب يوم السؤال
يـــا سعـــد قـــف بـــي تفضـــل علىٰ حماهم لنُكفىٰ شر كل النوازل
إن لـــم يصبهـــا وابـــل فمـــن الطـــل ننال ما ناله أهل الخير نعم الرجال
حـــذار يـــا سعـــد تـــرحـــل هـٰذه تريمٌ بها من ساد كل القبائل
آل النبـي المصطفـىٰ خيـر مـرسـل يحموا مدينتهم الغَنَّا من أهل الضلال
يـــــا رب غيثـــــاً معجـــــل ويشرب الوادي الميمون عالي وسافل
ويحصـل المطلـوب والستـر يُسبَـل يا ربنا يا صمد يا فرد يا ذا الجلال

وأول من كتب هـٰذه القصيدة ونشرها في (حضرموت) وأنشدها بنغمها المعروف ، المشنف للأسماع . . الرجل الصالح ، المشتغل بطاعة مولاه الرحيم الرحمـٰن ، بلال بن أمان بن فرج أمان ، مولىٰ السادة آل شهاب .

وقد عارض بها ناظمها في الوزن والنغم قصيدة جابر رزق التي مطلعها :

دع مـــا ســـوىٰ الله واســـأل مولاك الذي أنشاك ما رد سائل

ولما سمعها السيد الصوفي الولي ، خليفة المتقدمين من الأسلاف ، الحبيب أحمد بن محمد بن عبد الله الكاف . . رق لها قلبه ، وهش لها فؤاده ، واغرورقت عيناه بالدمع وقال : لا غرو أن تكون هـٰذه القصيدة هي السبب في أن يحظىٰ ناظمها بالمنزلة العالية عند أسلافه ، وينال

الحزن والقرب والحاجة فهو أمر له الله ومعه .

وقد خلفت هذه العقلية بالجملة [illegible] من الاستعمار والقهر الوطن حيث من شعراء (حضرموت) البلغاء الفصحاء ، حتى إن حالتهم الحالة عن تحولها في مضمونها ووزنها ونغمتها ؛ كالحكم العارف بالله ، الداعي السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي .

والحبيب الإمام ناشر دعوة السلوك ، من هو بالعلم والسياسة [illegible] ومنهم ، سيدنا وشيخنا [illegible] بن عبد الرحمن بن أبي بكر المشهور ، والعارف بالله السميع العليم ، من هو [illegible] [illegible] والتعليم ، وأستاذنا [illegible] [illegible] الحبيب العلامة عبد الله بن عمر بن أحمد الشاطري .

وفيهم من هم لا يحصون الآن كثرة .

[illegible]

([illegible]) .

ومما يؤثر عن هـٰذا السيد : أنه كان له الصوت الشجي الحسن ، وكان حسن التغني بتلاوة القرآن وبالإنشاد ، وكان هو الذي يتولىٰ إنشاد القصيدة المعروفة بـ« الفزازية » في مسجد جده الشيخ عمر المحضار بعد صلاة التراويح كل ليلة من شهر رمضان .

وكان من حسن صوته ، وشدة ذوقه ، وجودة معرفته بنغمها المعتاد ، مع ما تشتمل عليه من المدائح النبوية يكون للسامعين شديد البكاء والتأثر ، ويسري سريان ذلك في قلوب بقية الحاضرين ، رضي الله عنه وأرضاه .

وأما والد أولـٰئك الثلاثة الأفذاذ ؛ أعني الإمام الجهباذ الحبيب عيدروس بن محمد بن علي بن شهاب ، الذي طالما كان في جميع أحواله يشكر الله ويحمده . . فقد كان علىٰ جانب عظيم من التقوىٰ والصلاح والعفاف ، وغير ذلك من المزايا والمكارم ، ولو لم تكن إلا الاستقامة وحدها . . لكان بها الكفاية ، ولـٰكنه من ذوي الأخلاق الفاضلة ، ومن المسارعين إلىٰ الخيرات ، كما عاش في حياة علمية وصوفية .

وقد أفادنا الحبيب العلامة ، ذو السر والنور ، السيد عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور ، بما كتبه بخطه عند اسم هـٰذا السيد في « الشجرة العلوية » :

أنه كان سليم الصدر ، وأن ميلاده كان بـ(تريم) سنة (١٢٠٦ هـ) ، وأن وفاته بها أيضاً في سنة (١٢٨٠ هـ) .

وأفادنا حفيده صاحب الترجمة ـ رضي الله عنه ـ أنه كان جهوري الصوت ، إذا قام آخر الليل . . لهج بالجلالة ، فيدخل في قلب من سمعه شيء من الهيبة والجلال .

وأن له ديوان شعر موجود .

وأنه لما عرف قرب منيته . . ذهب لصلاة العيد ، وبعد أن فرغوا من الصلاة قام وصافح الناس ودار علىٰ جميع الصفوف ، فقال بعض العارفين بالله : إن هـٰذا الحبيب مودع فمات ـ رضي الله عنه ـ بعد مغرب ذلك اليوم ، مع أنه صحيح ليس به مرض .

وفي « الشجرة العلوية » : وقبر في قبره السيد علي بن شيخ ، بن علوي ، بن محمد ، بن شهاب الدين .

وأن أمه هي الشريفة سِيْدة بنت السيد محمد بن عبد الله ، بن حسين ، بن شهاب الدين .

كما أنها أيضاً أم أخيه ذي الفضل الممجد ، والشرف المخلد ، الحبيب عبد الرحمـٰن بن محمد بن علي بن شهاب ، الشاعر الناثر الأديب ، ذو الأخلاق الحسنة ، والسيرة المرضية ، المولود بـ(تريم) سنة (١٢١١ هـ) ، والمتوفىٰ بها سنة (١٢٩٠ هـ) ، والمقبور في قبره الآن حفيده المرحوم عبد الرحمـٰن بن عبد الله ابنه ، وقبره واقع شرقي قبر الإمام أحمد بن الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف .

ومما يذكر عنه من فرط محبته للصدقة علىٰ اختلاف أنواعها : أنه كان لا ينفك عن خياطة الكوافي بيده والتصدق بها .

وهو من كبار الشعراء الحضرميين ، وديوان شعره فيه الحَكَمي والحميني ، وقصائده في ذكر أنواع التمر والسمك ، وأسماء مساجد (تريم) ذائعات في الأوساط الحضرمية ، علىٰ أن من غرر قصائده الحَكَمية : قصيدته الهائية التي امتدح بها النبي ﷺ خير البرية ، وهي :

يا لائمي في هوىٰ من كنت أهواه ... وعاذلي في حبيب لست أنساه
دع عنك لَوْمك لي إني به شغف ... وهو الذي في السويدا صار مثواه
ولعت في حبه مذ كنت في صغري ... فكيف في حالة التمييز أنساه

أبيت أرعىٰ النجوم الزهر في غسق والنفس ترفل فكراً في محياه
ما لي وسعدىٰ وسلمىٰ أن ذكرهما مموه للورىٰ عن وصف معناه
فليس تَحصُرُ أقلام لواصفه وصفاً ولا عُشْرَ ما أعطاه مولاه
لولاه ما سارت الركبان ساريةً تطوي المهامِهَ بالحُجاج لولاه
هو الحبيب لمن في الكون قاطبةً وهو الذي خصه المولىٰ ورقاه

ومن غرر قصائده الحمينية قصيدته التي يفتخر فيها بمدينة (تريم) ، وهي التي مطلعها :

من هٰهنا يا داخل المدينة تريمنا من كل شيء حسينه

إلىٰ غير ذلك من درر مدائحه وأوصافه .

وله ـ رضي الله عنه ـ أخذ تام وتلمذة علىٰ كثيرين من علماء شتىٰ البلدان الحضرمية واليمنية وغيرهما ، حتىٰ قيل : إن له أخذاً عن الإمام الشوكاني حينما دخل (اليمن) في إحدىٰ رحلاته ، كما أن له تلامذةً ومريدين كثيربن أخذوا عنه وقرؤوا عليه ، وفي مقدمتهم : أولاده الأربعة الآتي ذكرهم .

قال سيدي علوي : وقد سمعت أن الآخذين عن الإمام الشوكاني من السادة آل أبي علوي كان أخذهم عنه بواسطة الحبيب عبد الرحمٰن بن محمد هٰذا ، ومنهم : الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه .

وقال أيضاً : إن الحبيب أبا بكر بن عبد الله العطاس كان يقول : رأيت الأخ عبد الرحمٰن بن محمد بن شهاب ، فمد إلي يده ، وقال : صافحني فهٰذه يدي نائبة عن أهل الحق كلهم . اهـ .

وكان عنده ـ رضي الله عنه ـ دابة إذا ركب عليها . . تذللت ، وإذا ركب عليها غيره . . تصعبت ونفرت .

وهو من أجدادي من جهة الأمهات ، فإن بنته الشريفة فاطمة المتوفية بـ(تريم) سنة (١٣١١ هـ) هي أم سيدي الوالد رضي الله عن الجميع .

وأما والد ذينك الإمامين ؛ أعني السيد الرضي ، الأبي الإمام ، محمد بن علي بن عبد الله بن شهاب . . فقد كان من أرباب الفضل والأدب ، ومن أعيان (تريم) وكبار السادة العلويين ، ومن الأولياء المكاشفين .

ذكر الإمام العلامة ، السيد عبد الرحمٰن بن محمد المشهور في « الشجرة العلوية » أنه أخبر بوفاته قبل موته بيوم ، وأن موته كان بـ(تريم) بدون مرض سنة (١٢٥١ هـ) ، وعمره سبعون سنةً ، وقبر في قبر الإمام الشيخ الحسين ابن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف ، وقبر فيه بعده حفيده الشهم الكريم ، عبد الله بن عبد الرحمٰن ابنه ، المتوفىٰ فجأةً سنة (١٣١٨ هـ) ، ثم قبر فيه حفيد حفيده ، وهو المغفور له السيد علوي بن عبد الرحمٰن ، بن عبد الله بن عبد الرحمٰن ابنه ، المتوفىٰ سنة (١٣٨٨ هـ) .

وهٰذا القبر واقع بمقبرة (زنبل) خلف قبر الشيخ عمر المحضار في الجهة الجنوبية .

وأم السيد محمد بن علي المذكور هي : الشريفة زينة بنت عمر ، بن محمد الخَرِد .

كما أنها أيضاً أم إخوانه الأربعة الذين أحدهم السيد الفاضل ، الناسك الولي ، أحمد بن علي بن عبد الله بن شهاب ، المتوفىٰ بـ(تريم) سنة (١٢٣٣ هـ) ، وهو والد السيد الفاضل ، العالم العامل ، الورع الزاهد ، المحب للفقراء والمساكين ، والناشر لدعوة الإسلام ، الحبيب الممجد ، عيدروس بن أحمد بن علي بن شهاب ، الذي يخاطبه الحبيب

عبد الله بن حسين بن طاهر في قصيدته التي مطلعها :

عيدروس انشرح لك واترك الهم والغمْ واحمد الله واشكر ما به الله أنعمْ
لا تَلَفَّتْ إلىٰ من قالوا إنهْ معهْ جمْ والله إنه سبب للشَّوش في ذي وفي ثَمْ

إلى أن قال :

وادع لي عيدروس إن كنت ترثَىٰ وترحمْ إنني غارقٌ مُدنفْ عسىٰ أنجو وأَسلمْ

وكانت وفاة السيد عيدروس هـٰذا بـ(مكة) المكرمة سنة (هـ) وهو والد السيد الإمام ، الحبر الهمام ، الغارق في عبادة ربه الملك القدوس ، الحبيب علي بن عيدروس بن أحمد بن شهاب ، الذي كان علىٰ قدم راسخ من العلم والنسك ، والتقوىٰ والزهد ، والكرم والورع ، يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم .

وكان رقيق القلب ، غزير الدمعة من خشية الله .

وبالجملة : فإن له نصيباً وافراً من جميع الخيرات .

وكان ميلاده بـ(تريم) ووفاته بـ(مكة) المكرمة بعد الحج سنة (١٢٨١ هـ) .

وقد ترجم له ترجمةً عظيمةً تلميذه الإمام الحبيب علي بن سالم ، ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ، المعروف بالأدعج في كتابه « فيض الله العلي » الذي ترجم فيه لمشايخه .

وأمه الشريفة أم هاني ، بنت الحبيب أحمد بن علي الجنيد ، وهو والد السيد المرحوم عبد الله بن علي ، المتوفىٰ بـ(تريم) سنة (١٣٥٢ هـ) .

وثانيهم : السيد الصبور الشكور ، ذو السر الخفي والخلق المصطفوي ، الحبيب عمر بن علي بن عبد الله بن شهاب ، المتوفىٰ بـ(تريم) سنة (١٢٦٨ هـ) .

وهو والد السيد المتواضع ، أبي بكر بن عمر ، المتوفىٰ بـ(القنفذة) قافلاً من الحج .

كما إنه أيضاً والد السيد المثري الكريم محمد بن عمر المتوفىٰ بـ(دمون) والمقبور بـ« تريم) بمقبرة (زنبل) في ذي الحجة سنة (١٣٤٢ هـ) .

وثالثهم : السيد الوقور ، ذو الكشف الجلي ، شيخ بن علي ، المتوفىٰ بـ(تريم) سنة (١٢٦٨ هـ) والمقبور في قبر الإمام عبد الرحمٰن القاضي ، ابن الشيخ أحمد بن شهاب ، بن عبد الرحمٰن ، بن علي ، بن أبي بكر السكران .

وسيأتي أنه قبر فيه من بعدهما السيد عمر بن عبد الرحمٰن ، بن علي ، بن عبد الله ، بن شهاب .

ورابعهم : السيد الشريف ، ذو المجد الرفيع ، والقدر العلي ، الإمام العلامة عبد الله بن علي بن عبد الله بن شهاب ، أحد كبار الرؤساء الدينين والزعماء الصوفيين ، شيخ العبادلة السبعة الموجودين بـ(حضرموت) في عصره ، المشهورين بالعلم والعمل ، والتقوىٰ والصلاح والورع ، وغير هٰذه من الخلال الحميدة والصفات المجيدة .

ولد بـ(تريم) سنة (١١٨٧ هـ) ، وتربىٰ بأبيه ، حتىٰ إذا خرج من دور الطفولة وفرغ من قراءة القرآن العزيز . . أخذ يتلقىٰ العلوم عن علماء عصره الحضرميين وغير الحضرميين ، وفي مقدمتهم : السيد العلامة ، علي بن شيخ ، بن محمد بن شهاب .

والسيد العلامة ، أبو بكر بن عبد الله ، بن أحمد الهندوان .

والعلامة السيد حامد بن عمر المنفِّر .

والعلامة السيد ، عمر بن سقاف ، بن محمد السقاف .

والعلامة السيد ، عمر بن عبد الرحمٰن البار ، المشهور بـ« صاحب جلاجل » وغير هٰؤلاء ممن يطول عدهم ويعسر حصرهم ، وقد صرح هو نفسه بأسماء نيف وعشرين منهم في إجازته المطولة لتلميذه العلامة رضوان بن أحمدبارضوان بافضل ، التي أثبتها تلميذه العلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي في كتابه « عقد اليواقيت » .

كما أن له مشايخ كثيرين بـ(مكة) المكرمة ، و(المدينة) المنورة ، وبمدينة (زبيد) ، وبمدينة (المراوغة) بأرض (اليمن) .

وكان من أجل مشايخه : الإمام العلامة السيد عبد الرحمٰن بن علوي ، المعروف بـ« صاحب البطيحاء » العلوي الحسيني التريمي ، وقد لازمه مدةً طويلةً ، وتخرج عليه في عديد العلوم والفنون ، وكان شيخ فتحه وعيبه إرشاده ونصحه .

ثم إنه استخلفه في مباشرة دروسه والجلوس في مكانه ، موصياً له بجميع مخلفاته من الكتب .

وكان عمره حين استخلفه شيخه والمذكور السابعة عشر من السنين ، بل يقال : إنه اقتعد منصة التدريس في الفقه وغيره قبل سن البلوغ .

والواقع أن غالب الدروس التي يلقيها كانت في زاوية مسجد جده الإمام الشيخ ، علي بن أبي بكر السكران بـ(تريم) بعد ظهر يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وكان يحضر هٰذين الدرسين الجموع الكثيرة من الناس ، حتىٰ من شيوخه ؛ فقد حدث بعضهم أنه رأىٰ منهم في أحد الأيام أحد عشر شيخاً منصتين في المحتشد إلىٰ تقريراته وإرشاداته وعظاته القيمة ، حتىٰ إن شيخه العلامة السيد عمر بن سقاف السقاف كان إذا قدم إلىٰ (تريم) . . يحضر بعض دروسه منصتاً في المستمعين علىٰ سبيل التبرك .

ولكثرة هـٰذه الدروس التي كان يلقيها ، وكثرة المستمعين لها ، كان له العدد الوافر من التلاميذ الحاملين عنه العلوم بأنواعها المتعددة ، الذين انتشروا وبثوها في كثير من الأقطار ومختلف الجهات ، وإذا أردت أن تعرف البعض منهم . . فخذ من بينهم الإمام العلامة ، السيد عبد الله بن أبي بكر عيديد .

والعلامة السيد الإمام ، عبد الله بن حسين بلفقيه .

والإمام العلامة ، السيد عبد الرحمـٰن بن علي ، بن عمر السقاف .

والسيد العلامة الإمام ، عيدروس بن عمر الحبشي ، كما ذكره في كتابه « عقد اليواقيت » وعده الشيخ السابع من شيوخه الذين ترجم لهم فيه ، وذكره أيضاً تلميذه الفقيه الصوفي ، السيد علي بن سالم ، ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ، المعروف بالأدعج ، في كتابه « فيض الله العلي » الذي ترجم فيه لمشايخه ، وقال : إنه كان في مبتدأ طلبه العلمي يذهب إليه ماشياً من (عينات) إلىٰ بلدة (دمون) بالقرب من (تريم) في سبيل التلقي والأخذ عنه .

وليست بلدة (دمون) التي أشار إليها هـٰذا السيد في هـٰذه القولة كانت وطناً لذلك الإمام ، وإنما كان في بعض السنين يخرج من (تريم) إليها للاصطياف بها ، فإذا انقضىٰ فصل الصيف . . عاد إلىٰ (تريم) .

وبالجملة :

فملخص ما يقال في حق هـٰذا الإمام أنه كان ذا صفات سنية ، وأخلاق فاضلة علية ، ونفس كريمة ، وعواطف رحيمة ، وتواضع ومسكنة ، ونسك وعبادة ، حتىٰ إنه لم تخرج حركاته وسكناته عن نطاق الشريعة المطهرة وسيرة السلف الصالح .

وما برح ـ رضي الله عنه ـ مَظْهَراً من مظاهر السادة العلويين ، وصورةً كبيرةً من صور العلماء العاملين والدعاة المرشدين ، حتىٰ توفاه الله بـ(تريم) في شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٢٦٤ هـ) ، وقبر بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ ونبش له قبر جده الثالث الإمام علي بن محمد بن الشيخ شهاب الدين الأصغر ، فقبر فيه ، ثم قبر فيه السيد المتواضع ، علي بن أبي بكر بن عمر بن شهاب ، المتوفىٰ سنة (١٣٣٠ هـ) .

وأما الإمام الحبيب علي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب ، والد أولـٰئك الخمسة الأعلام . . فقد كان ذا فضل عظيم ، وخير عميم ، وجاه وسيم ، وقد رأيت في « الشجرة » مكتوباً تحت اسمه أنه توفي بـ(تريم) ، وقبر في قبره حفيده السيد هارون بن عبد الله بن علي ابنه ، وأن وفاته كانت سنة (١٢٠٦ هـ) ؛ أي : في نفس السنة التي ولد فيها حفيده عيدروس بن محمد ابنه ، الآنف الذكر .

ومما يؤثر عن السيد علي هـٰذا ـ كما سمعته من بعض الثقاة ـ أن معظم الصدقات والعقارات الموقوفة علىٰ مسجد جده الشيخ عمر المحضار بن عبد الرحمـٰن السقاف بـ(تريم) كانت منه ، أو كان هو الساعي فيها من غيره ، ولهـٰذا كان لأولاده المنسوبين إليه حق التقدم والتصدر في مجالس القراءات التي تعقد في ذلك المسجد ، في شهر رمضان وغيره كما عليه العمل اليوم ، بل قيل : إن حق النظر علىٰ المسجد المذكور وأمواله لهم خاصةً كما هو الآن أيضاً .

وفي « الشجرة العلوية » أيضاً : أن أم السيد علي هـٰذا اسمها فاطمة ، بدون ذكر اسم أبيها وقبيلتها ، فليُحَرَّر ذلك .

وفيها أيضاً : أن أباه السيد الحبيب عبد الله بن عيدروس بن شهاب توفي في شهر شوال سنة (١١٨٥ هـ) .

وأن جده الحبيب عيدروس بن علي بن محمد بن شهاب توفي بـ(تريم) في شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة (١١٢٨ هـ) .

وأن أمه هي : الشريفة علوية بنت عمر بن عبد الرحمـٰن الحديلي ، من آل علوي بن محمد صاحب مرباط .

والحبيب عيدروس هـٰذا هو الأصل الذي تتفرع منه الفخيذة المعروفة بـ(آل بن عيدروس) من آل شهاب الدين الأصغر .

ومن أفذاذ هـٰذه الفخيذة غير من مر ذكرهم :

السيد الفاضل العالم ، الذكي النبيه الشاب الذي نشأ في طاعة مولاه ، ذو الصفات الحسنة والسمات المستحسنة ، المحب للفقراء والمساكين ، والمحسن إليهم ، والمقبول عند الناس جميعهم ، ذو الخط الحسن المضبوط ، الورع الزاهد ، الحبيب عمر المحضار ، ابن عبد الرحمـٰن ، بن محمد بن علي ، بن عبد الله ، بن شهاب .

ولد هـٰذا السيد بـ(تريم) سنة (١٢٥٤ هـ) وتوفي بـ(مكة المكرمة) في حياة أبيه منقرضاً ، وذلك سنة (١٢٨١ هـ) ، ودفن بالمعلاة عند أسلافه ، نفعنا الله به وبهم .

وقد أخبر الثقاة ممن حضر غسله أنه لما افتقد غاسلوه ما يضيء لهم وقت غسله . . أضاء لهم عرق أشرق في جبينه .

ولما بلغ خبر وفاته إلىٰ الإمام العلامة عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور . . حزن عليه حزناً شديداً ، وقال : إنه كان قريني في طلب العلم ، وكان يعينني علىٰ حل المسائل العويصة ، وعلىٰ مراجعة ما يشكل منها والتنقيب والبحث عنه في مظانه من الكتب .

وكانت له دربة ومعرفة تامة بمظان المسائل ، لكثرة ممارسته لذلك ، حتىٰ إنه كان يعثر علىٰ المطلوب في أسرع وقت غالباً .

وخلفه في ذلك : السيد العلامة ، عبد الرحمـٰن بن محمد ، بن سالم السري المولود بـ(تريم) سنة (١٢٨٥ هـ) ، والمتوفىٰ بالشحر من الوباء سنة (١٣١٧ هـ) ، فإنه كان فقيهاً ذكياً نبيهاً ، وكانت له دربة تامة ومعرفة بمظان المسائل من الكتب الفقهية وغيرها ، وكان ممن يساعد العلامة عبد الرحمـٰن المشهور علىٰ مراجعة المسائل المشكلة والتفتيش عنها .

وبلغ من ورع السيد عمر بن عبد الرحمـٰن بن شهاب المذكور ، وتحريه ـ رضي الله عنه ـ أنه إذا كتب لأحد شيئاً من كتب العلم ، وكان المكتوب له في العادة هو الذي يعطيه البياض من عنده ليكتب له فيه ، فإذا فرغ من الكتابة وذهب بالكتاب إلىٰ صاحبه . . فإنه يرد إليه كل ما عنده من الأوراق التي ربما وقع فيها شيء من الغلط القلمي ، والغلافات السوداء ، والخيوط التي يربط بها البياض .

ومرةً كتب مصحفاً مجزءاً سبعة أجزاء لمسجد الكاف بـ(سحيل تريم) علىٰ قراءة أبي عمرو ، فكان من شدة تحريه وورعه يذهب إلىٰ ذلك المسجد أول الليل وآخره ، ليحضر القراءة في ذلك المصحف فيصلح كل ما يجده فيه مخالفاً لقراءة أبي عمرو ، وكذا ما يجد فيه من الأغلاط القلمية ، علىٰ أن خطه ـ رضي الله عنه ـ غالباً يكون مضبوطاً قليل الغلط ، وعلىٰ غاية من الحسن والجودة .

وهو شقيق أخيه العالم العلامة ، الفقيه الفرضي ، الأصولي النحوي ، الأديب الشاعر الناثر ، السيد أبي بكر بن عبد الرحمـٰن ، بن محمد ، بن علي ، بن شهاب ؛ فإن أمهما ـ وكذا أخوهما الحسين بن عبد الرحمـٰن ـ هي الشريفة سلمىٰ بنت الحسين ، بن سالم ، بن أبي بكر عيديد .

وكان ميلاد السيد أبي بكر هـٰذا بأحد مصائف (تريم) بقرية حصن

آل فَلُّوقه سنة (١٢٦٢ هـ) ونشأ بـ(تريم) في حجر والده الكريم ، وتحت رعاية أخيه الأكبر السيد عمر الآنف الذكر .

وشرع في تعلم القرآن العزيز والكتابة بكتاب المعلم الصالح باغريب ، ثم تلقىٰ فنون العلوم عن والده وأخيه المتقدم ذكرهما ، وعن كثيرين من كبار العلماء ، حتىٰ قيل إنه بلغ عددهم نحو المئة ، أكثرهم من (حضرموت) .

ثم رحل عن (تريم) وطاف بلاد العرب ، ثم قصد (الهند) فسكن (حيدر آباد الدكهن) واتسعت شهرته في (الهند) و(جاوىٰ) و(الملايا) بمحاربته البدع وسلوك طريقة السلف الصالح . ثم في سنة (١٣٣١ هـ) عاد إلىٰ وطنه (تريم) وصحب معه جميع ولده ، فقوبل مقابلةً حسنةً ، وكان يوم دخوله (تريم) يوم عيد عظيم ، نشرت فيه الرايات وأطلقت المدافع ، وأقيمت المواكب والحفلات علىٰ رغم منه لشدة نفرته من ذلك .

ثم عاد إلىٰ (الهند) سنة (١٣٣٤ هـ) لقطع علائقه فيها للرجوع إلىٰ (تريم) للإقامة بها ، ولكن عاقته المقادير حتىٰ انتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ ليلة الجمعة (١٠) جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٤١ هـ) ببلدة (حيدر آباد الدكهن) .

وكان له من المؤلفات نحو من ثلاثين كتاباً ، في الأصول والفقه والمنطق ، والطبيعة والكيمياء ، والفلك والحساب والأدب ، وغير ذلك .

وله ديوان شعر من السهل الممتنع الرائق كله حكمي ، مطبوع . وله ديوان شعر حميني غير مطبوع .

أما مؤلفاته : ففيها المطبوع ، وفيها غير المطبوع .

ومن أفذاذ هـٰذه الفخيذة أيضاً :

الإمام العلامة ، هارون بن عبد الله ، بن علي بن عبد الله ، بن عيدروس بن شهاب . وقد مر ذكر والده .

أما هو : فقد كان سيداً شريفاً ، فاضلاً ، فقيهاً فرضياً ، ذا صدارة وشهامة ، وإليه يسنب السادة المعروفون بـ« آل بن هارون » من آل شهاب الدين .

وكانت وفاته بـ(تريم) في شهر ذي الحجة سنة (١٢٧٧ هـ) . وقد مر أنه دفن في قبر جده الأدنىٰ علي بن عبد الله ، بن عيدروس بن شهاب .

وقد قبر في هـٰذا القبر من بعده : السيد العالم الفقيه ، محمد بن علي ، بن أبي بكر ، بن عمر ، بن علي ، بن عبد الله ، بن شهاب المتوفىٰ (١٨) ربيع الأول سنة (١٣٤٢ هـ)

واشتهر للسيد هارون هـٰذا من الأولاد الذكور ثلاثة :

أحدهم : السيد الفاضل الحبيب عبد الله بن هارون بن عبد الله بن شهاب ، المتوفىٰ بـ(سربايه) سنة (. . . هـ) .

وهو الجد الأدنىٰ للسادة الفضلاء : عمر ، وعيدروس ، وعلي بني أحمد بن عبد الله بن هارون .

وللسيدين أحمد وعلوي ، ابني محمد بن عبد الله بن هارون .

وأمه : الشريفة عائشة بنت عيدروس ، بن أحمد ، بن علي ، بن شهاب .

وثانيهم : الصوفي الولي ، السيد الحبيب محمد بن هارون بن عبد الله بن شهاب المتوفىٰ بـ(سنقافورة) سنة (١٣٠٧ هـ) .

وهو والد السيد الشريف ، الفقيه ، النحوي الأديب ، اللطيف ، عيدروس بن محمد بن هارون . المولود بـ(تريم) سنة (١٢٩٧ هـ) ، والمتوفىٰ بـ(سنقافورة) سنة (١٣٥١ هـ) .

كما أنه أيضاً والد السيد العابد ، الناسك الصالح ، الصوفي ، صافي القلب وطاهر السريرة ، الإمام عبد الله بن محمد بن هارون المولود ببلد (تريم) سنة (١٣٠٣ هـ) والمتوفىٰ بـ(المدينة المنورة) سنة (١٣٧١ هـ) ، ودفن بـ(البقيع) بالقرب من قبة أهل البيت النبوي نفعنا الله بهم ، ورضي الله عنهم وعنا ، آمين .

وأم هٰذا السيد : الشريفة الصالحة ، شيخة بن محمد بن عبد الله ، بن محمد الكاف .

كما أنها أم أخيه عيدروس بن محمد ، الآنف الذكر .

أما والدهما : فأمه الشريفة علوية بنت عيدروس ، بن محمد بن شهاب .

وثالثهم : السيد الشريف ، العامل العابد المنيب ، الحبيب عبد الرحمٰن بن هارون بن عبد الله بن شهاب المولود بـ(تريم) سنة (١٢٦٢ هـ) والمتوفىٰ بمدينة (جيزان) في طريقه إلىٰ الحج سنة (١٣٠٥ هـ) .

قال بعض العارفين : كان يحق أن يستشهد له بقول الله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠] .

وقد رآه في المنام بعد موته سيدنا وشيخنا الإمام علوي بن عبد الرحمٰن ، ابن أبي بكر المشهور ، وسأله عن حاله ، فأخبره بأنه علىٰ حالة طيبة ، ووصف له ما لقي من الثواب الجزيل والعطاء الإلٰهي الجميل ، غير أنه قال له في آخر كلامه : « ولا ندمنا إلا علىٰ قلة الأعمال » .

مع أنه كان في حياته علىٰ جانب عظيمٍ من التقوىٰ والورع ، والزهد والتواضع ، والخشوع والخضوع ، والانزواء عن الناس ، والخوف من الله تعالىٰ ، وكانت له من العبادة بأنواعها من الصلاة والصدقة ، والصيام والقيام ، وقراءة القرآن ، وقراءة الأذكار والأوراد الشيء الكثير الوافر ، الذي لا يحصر بالحد ، ولا يضبط بالعد ، إلىٰ غير ذلك من الأعمال التي لا يقدر عليها إلا الكمل من الرجال .

ولعل الذي حمله علىٰ قولته تلك إنما هو مجرد رغبته وطمعه في الاستزادة من الأعمال ؛ كي ينال من الله تعالىٰ جزيل العطاء والهبات ، والترقي إلىٰ أعالي الدرجات ، زيادةً علىٰ ما قد حصل له من ذلك ، نفعنا الله به ورزقنا القرب منه ، آمين .

وأمه : الشريفة عائشة ، بنت السيد الإمام عيدروس بن أحمد ، بن علي ، بن شهاب المتقدم ذكره .

وهي أخت الحبر الهمام ، علي بن عيدروس الآنف الذكر أيضاً . وقد سبق أنها أم أخيه عبد الله بن هارون .

ومن أفذاذ تلك الفخيذة :

السيد الفاضل ، المحب للخير ، والمؤثر للخمول ، وترك الشهرة والفضول ، الحبيب علوي بن أبي بكر ، بن عمر ، بن علي ، بن عبد الله ، بن عيدروس ، بن شهاب ؛ المتوفىٰ بـ(تريم) في الخامس والعشرين من شهر صفر سنة (١٣٠٥ هـ) .

وأخوه : القانت الأواب ، المخلص في طاعة ربه الوهاب ، السيد علي بن أبي بكر ، بن عمر ، بن شهاب ؛ المتوفىٰ بـ(دمون) والمقبور بـ(تريم) سنة (١٣٣٠ هـ) في قبر الحبيب عبد الله بن علي ، بن شهاب شيخ العبادلة .

هو الذي جدد عمارة مسجد جده الإمام أبي بكر السكران ، بن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف بـ(تريم) .

وله أيضاً صدقات وأيادي خير أخرىٰ بـ(تريم) و(دمون) وغيرهما .

ثم إن هٰذه الفخيذة ـ أعني الفخيذة المعروفة بـ(آل بن عيدروس) من آل شهاب الدين ـ هي إحدىٰ الفخائذ الثلاث المشهورة من آل علي بن محمد ، ابن الشيخ شهاب الدين الأصغر .

وثانيها : الفخيذة المعروفة بـ(آل بن حسين) وهم الذين يتصل نسبهم بالإمام العالم العامل ، السيد الحسين بن محمد ، بن علي ، بن محمد ، ابن الشيخ شهاب الدين .

والحسين هٰذا أمه : الشريفة روضة بنت عبد الرحمٰن ، بن عبد الله ، بن عمر ، بن شهاب الدين الأكبر .

ووفاته كانت بـ(تريم) آخر شهر رمضان سنة (١١٤٤ هـ) كما في « الشجرة العلوية » وقبره بمقبرة زنبل واقع غربي قبر أخيه شيخ بن محمد ، الآتي ذكره .

وقبر في قبره : السيد الفاضل ، محمد بن عبد الله ، بن حسين ، بن عبد الله ابنه .

ومحمد هٰذا هو والد السادة : أحمد وعلوي ، وعبد الله والحسين ، بني محمد ، وسيأتي ذكرهم .

وثالثها : الفخيذة المعروفة بـ(آل بن شيخ) وهم الذين يتصل نسبهم بالسيد الإمام ، شيخ بن محمد ، بن علي ، بن محمد ، ابن الشيخ شهاب الدين .

وشيخ هٰذا إمام عالم ، غني ، له ممتلكات كثيرة . توفي بـ(تريم)

سنة (١١٧٣ هـ) وقبر شرقي قبر أخيه الحسين بن محمد جد آل بن حسين .

والسيد محمد بن علي ، والد هـٰذين السيدين ، توفي بـ(رداع) سنة (١١٠٧ هـ) كما في « الشجرة العلوية » .

وأخوه السيد عيدروس بن علي ، سبق أنه هو الذي ينتمي إليه السادة آل بن عيدروس .

وأبوهما : السيد علي بن محمد ، بن شهاب الدين ، هو الجد الجامع للفخائذ الثلاث المذكورة .

وفي « الشجرة العلوية » أن علياً هـٰذا كان سيداً فاضلاً نجيباً ، له كرامات خارقة . وأن وفاته بـ(تريم) سنة (١١٠٤ هـ) وأن والده السيد محمد بن شهاب كان سيداً نبيهاً ، صالحاً فقيهاً ، مشاركاً في العلوم ، توفي بـ(تريم) سنة (١١٠٠ هـ) .

أما والده الشيخ أحمد شهاب الدين الأصغر ، ابن الشيخ عبد الرحمـٰن القاضي ، ابن الشيخ شهاب الدين الأكبر . . ففي « الشجرة » أنه كان عالماً عاملاً ، فاضلاً كاملاً ، وهو الذي عمر النويدرة ، وحفر فيها ثلاث آبار وأنه نشأ بـ(تريم) وتوفي بها سنة (١٠٣٦ هـ) .

وأن أمه ، وأم أخويه أبي بكر ومحمد الهادي ، سلمىٰ بنت عبد الله ، بن عمر باشيبان باعلوي .

وفيها أيضاً : أن والد هـٰؤلاء الثلاثة ـ أعني الإمام القاضي عبد الرحمـٰن بن الشيخ شهاب الدين الأكبر ـ كان إماماً فاضلاً ، وعالماً عاملاً ، ورعاً مدققاً ، سخياً عفيفاً . وهو الذي عمر الزاوية المنسوبة لجده الشيخ علي بجانب مسجده بـ(تريم) المشهورة بالفتوح ، ولم تزل معمورةً ، ووقف عليها كتباً كثيرةً .

وحَدُّها : ما قدام المنارة مُقَبِّلاً ؛ أي : غربياً . ثم زاد السيد علي بن شيخ بن شهاب ساقطاً بحري المنارة ؛ أي : جنوبها .

ثم أزاد السيد عبد الله بن علي بن شهاب ساقطاً بَحْرِيَّهُ .

ثم أزاد عبد الرحمٰن بن محمد المشهور ساقطاً آخر شرقي الساقطين ، ومحلا للقهوة والماء . ووقف القاضي المذكور عليها أوقافاً كثيرةً وصدقات . اهـ .

ثم إن السيدالفاضل أبا بكر بن علي ، بن أبي بكر ، بن عمر ، بن شهاب ، أخربها في سنة (١٣٥٢ هـ) وجددها وعمرها ، وجعلها علىٰ هيئتها الموجودة الآن ، وهي إلىٰ الآن لا تزال معمورةً بالتدريس فيها كل يوم اثنين وخميس من كل أسبوع ، ويحضر الدرس فيها خلق كثير من أهالي (تريم) ومن غيرهم .

وقد جرت العادة أن لا يتصدر للدرس فيها إلا أحد العلماء المنتسبين إلىٰ مؤسسها الشيخ علي بن أبي بكر السكران .

ويروىٰ عن الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس أنه قال : لا يزال العلم في أولاد الشيخ علي بن أبي بكر ما دامت زاوية جدهم المذكور تفتح للتدريس بها . أو ما هٰذا معناه .

وكان ميلاد الإمام عبد الرحمٰن القاضي المذكور ببلدة (تريم) سنة (٩٤٤ هـ) ، ووفاته بها سنة (١٠١٤ هـ) .

وقد مر أنه قبر في قبره السيد شيخ بن علي ، بن عبد الله ، بن شهاب ، المتوفىٰ سنة (١٢٦٧ هـ) .

وفي « الشجرة العلوية » أن أمه ـ وأم أخيه عمر بن أحمد شهاب الدين ـ : الشريفة أم كلثوم ، بنت شيخ بن عبد الله بافرج .

وقد أطال الترجمة له العلامة المؤرخ ، السيد محمد بن أبي بكر الشلي ، في كتابيه « المشرع الروي » و« عقد الجواهر والدرر » .

والعلامة السيد شيخ بن عبد الله العيدروس ، في كتابه « السلسلة العيدروسية » .

وإذا طالعت هـٰذه الكتب مضيفاً إليها كتاب « البرقة المشيقة » و« العقد النبوي » و« النور السافر » و« السناء الباهر » و« الجوهر الشفاف » وغيرها من كتب التأريخ الحضرمي . . فإنك تجدها طافحةً بذكر أخبار وأخلاق وأوصاف أساطين العلماء من السلف الصالحين العلويين وغيرهم ، ومن بينهم هـٰذا السيد وأبوه وأبو أبيه فصاعداً ، إلىٰ الإمام علي المرتضىٰ ، والزهراء البتول ، وسيدنا محمد الرسول ﷺ وعليهم أجمعين .

وتراني هنا قد اقتصرت علىٰ ذكر بعض المتأخرين منهم ، ممن لهم تعلق بموضع هـٰذا الفصل ولم يدركوا زمن أولـٰئك المؤرخين ، فلم يكن لهم ذكر في تلك الكتب . أما من كان منهم له ذكر فيها . . فإني أحيل مريد الاطلاع علىٰ شيء من أخلاقهم علىٰ تلك الكتب ؛ فإن فيها ما يشفي صدره ويروي غليله .

وبما أنني ذكرت بعضاً من أفذاذ السادة (آل بن عيدروس) أحببت أن أذكر هنا بعضاً من مشاهير بني عمومتهم (السادة آل بن حسين) و(آل بن شيخ) .

فمن مشاهير آل بن حسين :

السيد الشريف ، الغني الكريم ، أحمد بن محمد ، بن عبد الله ، بن حسين ، بن عبد الله ، بن حسين ، بن محمد ، بن شهاب المتوفىٰ بـ(تريم) في آخر شهر رمضان سنة (١٣٠٧ هـ) وقبره غربي قبر الشيخ

عمر المحضار ، والشيخ علي بن أبي بكر السكران .

وقبر في قبره ابن أخيه شيخ بن علوي ، بن محمد ، بن شهاب الآتي ذكره .

والسيد أحمد هو الذي أنشأ وعمر مسجد الرياض بـ(سيؤن) بجانب رباط السيد الحبيب علي بن محمد ، بن الحسين الحبشي .

كماأنه أيضاً عمر الرباط المذكور ، وعمر وأنشأ مسجداً بمدينة (دمون تريم) ، ومسجداً آخر بـ(نويدرة تريم) في المكان الذي أشار إليه جده الشيخ أحمد شهاب الدين ، بأنه سيبنىٰ فيه مسجداً ينشئه ويعمره أحد أولاده ، اسمه أحمد كاسمه وتصدق علىٰ هـٰذه المساجد الثلاثة ، ووقف عليها عقارات بـ(حضرموت) و(جاوىٰ) .

وهو شقيق أخيه السيد حسين بن محمد بن عبد الله بن شهاب ، ذي السخاء والأخلاق الرضية المتوفىٰ بـ(مكة) يوم الجمعة بعد الحج سنة (١٢٨١ هـ) .

أمهما الشريفة فاطمة بنت أحمد ، بن علي ، بن شيخ . . التي هي أم أولاد السيد عمر بن عبد الله بن زين عيديد ، كما في « الشجرة العلوية » .

أما أخوهما السيد الشهم الكريم ، ذو النفس الأبية ، والأخلاق الهاشمية ، الحبيب علوي بن محمد بن شهاب الدين ، المتوفىٰ بـ(دمون) في (١٦) رجب سنة (١٣٤٨ هـ) ، والمقبور بـ(تريم) في قبر والده . . فليس شقيقهما ، وإنما هو شقيق أخيه عبد الله بن محمد ؛ فإنهما أمهما سلامة بنت محمد باحداد ، عربية من الهجرين ، كما في « الشجرة » أيضاً .

والسيد علوي بن محمد بن شهاب المذكور هو والد السيد الفاضل ،

شيخ بن علوي ، بن محمد الذي هو من ذوي الأسرار الخفية والأحوال الباطنية .

وقد سمعت الإمام الفاضل ، السيد جعفر بن أحمد بن عبد القادر العيدروس يثني عليه ، ويعلي من شأنه ، ويذكر أنه من كبار الأولياء .

وقد ترجم له الإمام العلامة السيد سالم بن حفيظ ، ابن الشيخ أبي بكر ، المتوفىٰ سنة (١٣٧٨ هـ) وعدَّه من أشياخه في كتابه المسمىٰ « منحة الإلٰه في الاتصال ببعض أولياه » الذي ذكر فيه أشياخه .

توفي السيد شيخ هٰذا بـ(تريم) في شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٧٥ هـ) وقد مر أنه قبر في قبر عمه أحمد بن محمد الآنف الذكر .

ومنهم : السيد الفاضل ، محمد بن عبد الله ، بن حسين ، بن محمد ، ابن شهاب الدين ، المتوفىٰ بـ(تريم) سنة (١١٨٨ هـ) ، وقبر في قبره ابن ابن أخيه الحبيب علي بن عبد الله ، بن حسين ، بن عبد الله ، بن حسين ، بن محمد ، بن شهاب الآتي ذكره .

وكان السيد محمد المذكور من العلماء العاملين المتقين .

وأمه ـ وأخيه الحسين المتوفىٰ بـ(تريم) سنة (١٢٤٠ هـ) ـ هي الشريفة سلمىٰ بنت الحبيب شيخ بن محمد ، بن شهاب الدين .

ومن أحفاد السيد محمد هٰذا : السيد الشريف ، الفاضل المهاب ، ذو الصلات الجزيلة لأرحامه ، الحبيب علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن شهاب ، المولود سنة (١٢٠٣ هـ) والمتوفىٰ بـ(قرسي) سنة (١٢٨١ هـ) كما في « الشجرة العلوية » .

وفيها أيضاً : أن أمه هي : الشريفة فاطمة بنت أحمد الخَرِد .

ومن أحفاد السيد الحسين بن عبد الله المذكور : الحبيب علي بن عبد الله ، بن حسين بن شهاب . المتوفىٰ بـ(تريم) سنة (١٢٧٤ هـ) .

وقد سبق أنه قبر في قبر عم أبيه السيد محمد بن عبد الله بن حسين بن شهاب ، الآنف الذكر . ونبش قبره في الوقت الأخير ، ودفن فيه حفيده السيد الشريف ، الصوفي المتواضع ، محمد بن عبد الله ابنه ، المتوفىٰ سنة (١٣٨٢ هـ) .

وكان الحبيب علي هـٰذا سيداً فاضلاً ، وفقيهاً عالماً عاملاً ، ذا خط حسن قليل الغلط ، حَصَّل بقلمه كتباً كثيرةً لا تحصىٰ ، وجمع له سفينة عظيمة ضخمة في الفقه ، رتب فصولها علىٰ ترتيب أبواب الفقه ، ومسائلها كلها مهمة ، وينبغي لكل مشتغل بالفقه أن يقتنيها ويقرأها ؛ فإنها نفيسة جداً ، فعسىٰ الله أن يوفق من عباده من يقوم بطبعها لتنتشر بين أيدي الفقهاء ، حملة شريعة سيد المرسلين ﷺ .

واشتهر للحبيب علي هـٰذا من الأبناء ثلاثة :

أحدهم : السيد الشريف ، العفيف الكريم ، الحسين بن علي ، المتوفىٰ بـ(جاوىٰ) بـ(سمنب) سنة (١٣١٨ هـ) .

وثانيهم : السيد الفاضل ، العامل الناسك ، الولي ، ذو الأخلاق الرضية ، والشمائل المرضية ، الحبيب عبد الله بن علي .

ولد هـٰذا السيد بحارة الحاوي ، إحدىٰ حارات (تريم) سنة (١٢٦٩ هـ) ، ونشأ بها ، وتربىٰ تربيةً دينيةً ، أخلاقيةً صوفيةً .

ورحل إلىٰ (جاوىٰ) وسكن (سرباي) وبها رزقه الله أولاده الخمسة ، الأذكياء النجباء الميامين ، الذين هم :

علي ، وأبو بكر ، ومحمد ، وعبد الرحمٰن ، وعمر .

ثم عاد إلىٰ (تريم) سنة (. . . هـ) ، وبها قضىٰ بقية حياته ، مؤثراً فيه الخمول والانزواء عن القال والقيل ، ملازماً لحضور المدارس الخاصة والعامة ، واشتغال بالكتابة وتحصيل الكتب بخطه الحسن القليل الغلط .

ولأهل (تريم) وغيرهم فيه حسن الظن والاعتقاد التامَّيْن ، لم يختلف في فضله وورعه وإخلاصه وصدقه منهم اثنان ، وقد شهد له بذلك كثير من شيوخه وأقرانه .

وقد مر في مكاتبة من الحبيب عبد الله بن عيدروس بن شهاب لابنه صاحب هـٰذه المناقب ، يوصيه فيها بملازمة السيد عبد الله بن علي هـٰذا ، والأخذ عنه والتأدب معه ، بما لفظه من أثناء تلك المكاتبة المحررة (١٩) محرم سنة (١٣٢١ هـ) :

« وسلم علىٰ سيدي الأخ عبد الله بن علي بن شهاب جزيل السلام ، واطلب لي الدعاء منه ، وأخبره بوصول خطه إلي . وأينما تكون في ملازمته ، والتأدب معه ، وحضور مجالسه ؛ لتنالك بركته ، فسيرته سلفية وأسراره خفية ، لا حرمنا الله بركته .

والمدد ـ يا ولدي ـ في المشهد ، وحسن الظن أصل الرابطة » . اهـ .

وكانت وفاة السيد عبد الله بن علي هـٰذا بـ(نويدرة تريم) بسبب سقطة خفيفة زال منها مفصل وركه عن محله ، وبعد نحو اسبوع من ذلك فاضت روحه الشريفة وتقدست إلىٰ أعلىٰ فراديس الجنان ، وذلك ظهر يوم الثلاثاء (٢٣) من ذي القعدة سنة (١٣٤٠ هـ) .

وشيعت جنازته بكرة يوم الأربعاء في جموع لا تعد ولا تحصىٰ ، ودفن بمقبرة زنبل ، في قبر جده الأدنىٰ السيد عبد الله بن حسين ، بن عبد الله ، بن حسين ، بن محمد ، بن شهاب الدين ، المتوفىٰ سنة (١٢٦٢ هـ) كما أن جده الثالث عبد الله بن حسين ، بن محمد ، بن شهاب الدين ، المتوفىٰ سنة (١١٨٣ هـ) مقبور قبلهما في ذلك القبر .

فيا له من قبر حوىٰ أولـٰئك العبادلة الثلاثة ، الصلحاء الأولياء الأخيار .

وأم السيد عبد الله بن علي ـ هـٰذا ـ هي : الشريفة سلمىٰ بنت عمر بن زين الحبشي .

وثالثهم : السيد الإمام عبد الرحمـٰن بن علي بن عبد الله بن شهاب ، وهو أسن الثلاثة ، وكان عالماً فاضلاً ، رقيق القلب ، سريع البكاء ، غزير الدمعة من خشية الله ، وكان علىٰ جانب عظيم من التقوىٰ والصلاح ، وله حظ وافر من العبادة ، وله معرفة تامة بالجان وأخبارهم ودخولهم في الإنسان ، وله دربة في إخراجهم منه .

وكانت وفاته بـ(تريم) سنة (١٣٠١ هـ) ودفن بمقبرة زنبل ، رحمه الله عز وجل ونبش له قبر[1] .

وأمه الشريفة رقية بنت عبد الرحمـٰن ، بن علي الحداد .

وله أولاد عدة ، أذكر منهم الآن :

السيد العالم العلامة ، الأديب ، العلي الذكر والصيت بأرض (جاوىٰ) الإمام محمد بن عبد الرحمـٰن ، بن علي بن شهاب المتوفىٰ بـ(جاوىٰ) سنة (. . . هـ) .

وأمه وسائر إخوانه : الشريفة سِيْدة بنت حسين ، بن محمد بلفقيه .

وأخوه السيد عمر بن عبد الرحمـٰن ، الولي العالم ، العابد الخاشع ، الذاكر المتواضع ، ذو الأخلاق الفاضلة ، والسمت الحسن ، والخط الجميل .

ولد بـ(تريم) سنة (. . . هـ) ، وتوفي بها في (١٢) ربيع الثاني سنة (١٣٤٠ هـ) ودفن في قبر السيد شيخ بن علي ، بن عبد الله بن شهاب .

---

(١) هكذا بياض في الأصل .

وشيخ هـٰذا سبق أنه قبر في قبر الإمام القاضي عبد الرحمـٰن بن أحمد شهاب الدين .

وكان السيد عمر المذكور رجلاً فاضلاً ، وطبيباً ماهراً ، ووليّاً عالماً ، ذا كرامات خارقة وفراسات صادقة ، وكان علىٰ قدم راسخ في الطاعة والعبادة .

أخبرني بعض الثقات أن ورده كل يوم في صلاة الضحىٰ : قراءة عشرة أجزاء من القرآن الكريم ، ومثلها في قيامه بالليل ، لا سيما في شهر رمضان .

وكان له معرفة بكيفية رسم شجرات النسب ، لا سيما الشجرة العلوية ، فإنه يعرف كيفية رسم آباء السادة العلويين وأمهاتهم ، ووضع اسم كل واحد منهم في موضعه المناسب له في التشجير .

وهو الذي كتب كثيراً من تراجمهم تحت أسمائهم ، وكثيراً من تواريخ وفيات من ترجم لهم العلامة الحبيب عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور في الشجرة ومات في حياتهم .

فجزىٰ الله هـٰذين السيدين الجليلين الجزاء الحسن علىٰ ما حفظاه وخلداه لمن بعدهما من تلك التراجم العظيمة ، التي بلغت في العدد إلىٰ نحو ألف وثمان مئة ترجمة ، والتي لولاهما لذهب الكثير منها أدراج الرياح .

وإنني ـ والحمد لله ـ قد جمعت تلك التراجم وأفردتها بكتاب سميته : « الفرائد الجوهرية مجموع تراجم الشجرة العلوية » أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن ينفع به ، آمين .

ومن مشاهير السادة آل بن شيخ : الإمام والحبر الهمام ، الحبيب علي بن شيخ بن محمد ، بن شهاب .

العلامة الشهير ذو العلوم الزاخرة ، والفنون الباهرة ، والأموال الوافرة ، إلىٰ ما له من الرئاسة العلمية ، والمشيخة الصوفية .

ولد بـ(تريم) ، وبها كانت نشأته وتربيته وكان في تلقيه العلمي مثابراً علىٰ الأخذ عن أبيه ، والعلامة السيد عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه ، وغيرهما ، حتىٰ بلغ الغاية القصوىٰ في العلوم ، وصار مفتي زمانه متبحراً في ثمانية عشر علماً ، منها : الفقه والحديث ، والنحو والصرف ، والمنطق وعلوم البلاغة الثلاثة ، كما يروي عنه تلميذه العلامة الحبيب عبد الله بن علي ، بن عبد الله بن شهاب .

وفي « عقد اليواقيت » أن أكثر دروسه كانت في زاوية مسجد جده الشيخ علي بن أبي بكر ، وفي مسجد الشريف سرور بن مساعد بـ(تريم) بالنويدرة ، الذي بني تحت إشراف السيد علي المذكور .

ومن الغرائب عنه : أنه إذا ذهب إلىٰ حدائقه ومزارعه الكثيرة متفقداً لها . . شغل الطريق في ذهابه وإيابه باستعراض محفوظاته الكثيرة ، التي منها : ألفية في الربع المحبب من علم الفلك .

وقد انتفع الناس بعلومه ، كما انتفعوا بثروته المبذولة للقاصي والداني ، وفي إصلاح ذات البين ، وفي إخماد الفتن .

وقد دفعته هـٰذه النزعة الإصلاحية إلىٰ التنقل في البوادي القريبة والبعيدة حتىٰ كان من نتائج تنقلاته هـٰذه تصحيح نحو مئة نكاح فاسد .

وقد حدثته نفسه بالانتقال إلىٰ سكنىٰ (وادي تنعة) بالقرب من قبر نبي الله هود عليه الصلاة والسلام ، لـٰكن منعه من ذلك شيخه السيد العلامة عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه ، خوفاً علىٰ مستقبل ذريته من البداوة وضياعها فيها .

ولما وصل مال الفيء المرسل للسادة العلويين من سلطان المغرب

الأقصىٰ ، أمير المؤمنين ، الشريف محمد ، بن أمير المؤمنين الشريف عبد الله ، بن أمير المؤمنين الشريف إسماعيل ، العلوي الحسيني ، المولود سنة (١١٣٤ هـ) ، المتوفىٰ سنة (١٢٠٤ هـ) ، الذي قَدْرُه فيما يقال ثمانون ألف ريال (٨٠٠٠٠) فضة . . انتدب السادة العلويون لتوزيعها وتفرقتها ، بينهم السيد علي بن شيخ هـٰذا .

فانتدب واغتنم الفرصة لجمع فروع السادة في بلدان (حضرموت) وسواحلها ، فألحق الفروع بالأصول ، وحرر في ذلك تحريراً تاماً ، ورتب ذلك ترتيباً محكماً ، جمع الحُسْن والإجادة ، فكتب الذكور والإناث ، والآباء والأمهات ، وذكر المندرج والمنقرض ، فكمل ذلك في ثمانية عشر مجلداً .

ولما أتمها أدركته المنية ببندر الشحر سنة (١٢٠٣ هـ) ودفن بها داخل قبة العلامة أحمد بن ناصر ، بن الشيخ أبي بكر ، بن سالم العلوي .

وقد سبقه إلىٰ جمع الشجرة العلوية في العصر القديم : الإمام العلامة ، عمر بن محمد ، بن أبي بكر باشيبان العلوي ، مؤلف « الترياق الشاف في مناقب الأشراف » ، المولود بـ(قسم) سنة (٨٨١ هـ) ، المتوفىٰ بها سنة (٩٤٤ هـ) .

وكان جمعه لها بطلب له من الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران .

ثم جاء من بعده الإمام المؤرخ ، علي بن أحمد ، بن علي باجبهان ، المتوفىٰ سنة (٩٩٧ هـ) ، فهذبها ونقحها ، وغرسها أشجاراً ولقحها .

ثم اعتنىٰ بتحبيرها الإمام زين العابدين العيدروس .

ثم جاء من بعد هـٰؤلاء في الوقت الأخير : السيد الشريف ، الإمام عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور ، فألحق بها من لم يكن فيها من الفروع

المتأخرين ، وترجم لنحو ألف وثمان مئة بتراجم مختصرة . كما اختصر نفس الشجرة بعمل مشجر بديع ، شامل لجميع الأصول والفروع ، يسهل به استخراج من يريد معرفة أصوله أو فروعه من العلويين أياً كان ، حتىٰ صارت في خمسة مجلدات فقط .

وللسيد علي بن شيخ المذكور آثار عمارية بـ(تريم) وغيرها ، فمن مبانيه الخيرية بـ(نويدرة تريم) : مسجد سرور ، ومسجد الماس المنسوب لجده الإمام أحمد شهاب الدين ؛ وترميم مسجد جده الشيخ علي بن أبي بكر ، وتوسعة زاوية جده المذكور التي إلىٰ جانب مسجده .

وله مؤلفات أخرىٰ عدا « الشجرة العلوية » مختصرةً ومطولةً ، وله أشعار صوفية وعلمية ، ومنها :

قصيدته المشهورة في زيارة نبي الله هود عليه السلام ، وهي مطولة ، أبياتها (١٠٩) وأولها :

مقاصد الخير مِفتاح العنايات ... وطالع اليُمن بادٍ في العبادات
فهي المراد لخلق الخلق من عدم ... في الذاريات بآيات صريحات
ومَن يؤملُ آمالاً بلا عمل ... كمن يصدق تمويه الخيالات
أو قاصداً حصد زرع لا وجود له ... من غير حرث وسقي وَقْتَ إِنبات
تلك الحماقة لا عقلٌ لصاحبها ... به تخاطبه بين البريات
جُلُّ الأمور ترىٰ أسبابها ظهرت ... وكم أمور بأسباب خفيات
والله قد ربط الأشيا علىٰ سبب ... وقدَّر الكل منه بالإرادات
فاعمل أُخَيَّ فلا تسويفَ في عمل ... إلىٰ غد عند أرباب الدرايات
بما قدرت من الأعمال فأت به ... علىٰ الدوام لتحظىٰ بالكمالات
وزع نهارك مثل الليل في عمل الـ ... ـبر وفرضَك صَلِّ في الجماعات

لا تحتقر فعل معروف إلىٰ أحد ... الشرَّ دعه وسلم في المصيبات
لله ربِّـك فهـو عنـك يكشفهـا ... إذا توخيت ساعات الإجابات
وإن تعاظم أمر فارتحل عَجِلاً ... إلـىٰ مكـان مُعَـدٍّ للـزيـادات
مكان من قد ثوىٰ هود النبي به ... نـذيـرُ عـاد وينبـوع الـرسـالات
فيه النصوص عن الأسلاف ظاهرة ... مـن غيـر شـك بـألفـاظ جليـات
وغالب السلف الماضين ما تركوا ... لـه الـزيـارة فـي حُقْبٍ وأوقـات

إلىٰ أن قال :

فساكنوا حضرموت الكل قد سعدوا ... بـه ونـالـوا بـه أعلـىٰ المقـامـات
وزائـرون لـه كـم أُسعِفـوا منحـاً ... عظيمـةً واستفـادوا مـن عطيـات
فجدد العزم وانهض لا تكن كَسِلاً ... وزر دواماً لكي تحظىٰ بخيرات
وإن تيسر في الجمع الغفير فزر ... في كل عام تنل فضل الجموعات

وله ـ رضي الله عنه ـ أخ من أبيه ، تسمىٰ محمد بن شيخ ، مات مندرجاً ـ أي في حياة أبيه ـ ينسب إليه كثير من أفذاذ هـٰذه الفخيذة ، لـٰكن الأكثر منهم ينسب إلىٰ الحبيب علي نفسه إما من جهة ابنه أحمد المتوفىٰ بـ(تريم) سنة (١٢٣٢ هـ) ، وإما من جهة ابنه عبد الرحمـٰن المتوفىٰ بـ(مكة) سنة (١١٩٩ هـ) المقبور داخل قبة سيدتنا أم المؤمنين ، خديجة رضي الله عنها وعنه .

وأمه : الشريفة فضل الله ، بنت أحمد ، بن علي ، بن عبد الله باحسن السقاف .

ومن مشاهير السادة آل بن شيخ أيضاً :

السيد الشريف ، الحسين بن عبد الرحمـٰن ، بن محمد ، بن عبد الرحمـٰن ، بن علي ، بن شيخ ، بن محمد ، بن شهاب الدين .

كان هٰذا السيد ذكياً ، نبيهاً ، فقيهاً . توفي بـ(تريم) سنة (١٣١٠ هـ) كما في « الشجرة العلوية » .

وأمه : الشريفة شيخة بنت حسين ، بن عبد الله ، بن شهاب . وهو والد السيد الفاضل عبد القادر بن حسين ، المتوفىٰ بـ(دمون) المقبور بـ(تريم) بمقبرة زنبل سنة (١٣٦٦ هـ) وأمه الشريفة .

ومنهم : السيد الشريف ، عيدروس بن عبد الرحمٰن ، بن عيدروس ، بن عبد الرحمٰن ، بن علي ، بن شيخ ، بن محمد .

ذكر في « الشجرة العلوية » أنه كان ذكياً نبيهاً ، شريفاً عفيفاً . توفي بـ(دمون) ولحد بزنبل بـ(تريم) في قبر جده عيدروس بن عبد الرحمٰن ، يوم الثلوث (٥) شهر رجب سنة (١٣٢٣ هـ) .

وفيها : أن والده عبد الرحمٰن بن عيدروس كان ذكياً نبيهاً ، توفي بـ(تريم) سنة (١٢٩٠ هـ) وأن جده عيدروس بن عبد الرحمٰن توفي سنة (١٢٥٥ هـ) .

ومنهم : السيد الشريف الفاضل ، أحمد بن علي ، بن أحمد ، بن علي ، بن شيخ ، بن محمد .

ففي « الشجرة » أنه كان لطيفاً نجيباً ، طالب علم توفي بـ(تريم) سنة (١٢٧٢ هـ) مندرجاً منقرضاً .

وفيها : أن والده علي بن أحمد توفي بـ(تريم) سنة (١٢٧٣ هـ) وقبره ملاصق لقبر جده الإمام شيخ بن محمد ، ونبش له قبر الإمام الحسين بن محمد ، بن علي ، بن محمد ، بن شهاب الدين ، جد آل بن حسين .

ومنهم : الإمام العالم العلامة ، الأديب الفقيه النحوي ، الشاعر الناثر ، الفصيح البليغ ، الصحافي ، السيد الشريف ، الحسن بن

علوي بن عبد الله ، بن حسين ، بن محمد ، بن شيخ ، بن محمد ، بن شهاب .

المتوفى ، بـ(تريم) سنة (١٣٣٣ هـ) .

وابنه الذكي الأديب ، النجيب اللطيف ، الشاعر الناثر ، العلامة محمد بن الحسن .

المولود بـ(تريم) سنة (. . . هـ) ، المتوفىٰ بـ(سنقافورة) سنة (١٣٦٣ هـ) .

وابنه الآخر الذكي النبيه ، العالم المستقيم ، المتواضع ، القائم بإمامة الصلاة في مسجد جده الشيخ علي بن أبي بكر بـ(تريم) والملازم للصلاة فيه لا سيما المغربين والصبح ، ذو الوصف الحسن والخلق المستحسن ، السيد الشريف ، عبد الرحمٰن بن حسن . المولود بـ(سنقافورة) والمقيم الآن بـ(تريم) كثر الله من أمثاله .

وأم السيد الحسن بن علوي هٰذا ، هي : الشريفة نور بنت علي ، بن محمد الحبشي .

ووالدة أمه : أم ولد .

وجده : السيد عبد الله بن حسين ، كان شريفاً ، نجيباً كريماً . ولد بـ(تريم) سنة (١١٩٧ هـ) ، وتوفي بـ(الغُرَف) ، ودفن بـ(مسيلة آل شيخ) في جماد آخر سنة (١٢٧٨ هـ) .

وأمه : الشريفة عقيلة بنت علوي ، بن محمد المشهور .

ووالده : السيد الحسين بن محمد ، توفي بـ(تريم) سنة (١٢٥٥ هـ) كما في « الشجرة العلوية » .

وفي كتاب « تذكرة الباحث المحتاط » للسيد المؤرخ البحاثة ، عبد الله بن حسن ، بن محمد بلفقيه : أن السيد الحسن بن علوي المذكور

كان من أعيان علماء (تريم) المبرزين ، تخرج وتلقىٰ العلم من فقه ونحو وغيرهما عن أئمة وشيوخ عديدين بـ(حضرموت) و(الحجاز) وغيرهما ، وفي مقدمتهم :

الحبيب الإمام ، عيدروس بن عمر الحبشي بـ(الغُرفة) .

والحبيب الإمام ، علي بن محمد الحبشي بـ(سيؤن) .

والإمام أحمد زيني دحلان بـ(مكة) .

والسيد العلامة ، سالم بن أحمد العطاس ، مفتي جهور ببلاد (ملايا) .

وبالجملة : فإن بيت السادة آل شهاب الدين كله بيت علم وعمل ، وولاية ، وكرم وشهامة . يمتاز أهله بفرط الذكاء والفهم ، والفطنة والنجابة حتىٰ أن من ليس منهم وله فيهم خؤولة . . فإنه تسري إليه تلك الصفات ، ويمتاز بها من بين سائر بني أبيه .

ولقد أجاد العلامة المتفنن ، قريع البلغاء ومعجز الفصحاء ، السيد أبو بكر بن عبد الرحمٰن ، بن محمد ، بن علي ، بن شهاب ، في قصيدته التي أنشأها في مدحهم ، ومطلعها :

ألا لا يعيب المجدَ والفضلَ إقلالُ ... وكـل لئيـم لا يُسَـوِّده المـالُ

إذا امتُحِنَتْ بيض الصفاح وجُرِّبت ... فبالنصل لا بالغمد يتضح الحال

وهل حولَ بازيٍّ وإن جاع يجتري ... غراب كثير الشحم يزهو ويختال

ولا مالَ في الدنيا لمن قل مجده ... صحيح وفي التنزيل للعكس إبطال

وإن يُفْقَدا أو يُفْقَد المجد وحده ... فجهـد جهيـد أو قيـان وجـربـال

أَجَلْ كل مال عند ذي اللؤم ضائع ... كحُلْيٍ علىٰ زنجية عَمَّها الخال

وإن يجتمـع مـال ومجـد فحبـذا ... فـذانـك للحسنـاء عقـد وخلخـال

كما اجتمعت شتىٰ المعالي لسادة ... حسينيـة للفضـل روح وتمثـال
فروع شهاب الدين غوث الورىٰ الذي ... عليـه مـن النـور الإلـٰهـيِّ سـربـال
إلىٰ حضرات القرب من ربه ارتقىٰ ... فجُـرَّت لـه فـوق المجـرة أذيـال
له الإنس والجن استجابوا فلم تَخِبْ ... لمـن أَمَّ منهـم رحبـةَ الفضـل آمـال
أنـابـت بـه لمـا استضـاءت بنـوره ... طوائفُ لا تحصىٰ غواة وضُلاَّل

إلىٰ أن قال :

ويـا حبـذا أبنـاؤه الكمـل الأُلـىٰ ... لهـم خَلْفَـهُ سيـر حثيـث وإيغـال
وكم جهبذٍ من صيْد أحفاده اقتفىٰ الـ ... ـجدود إلىٰ أن نال بالمجد ما نالوا
كـآل علـي القـانـت ابـنِ محمـد ... بُناةِ المعالي والمُجَلِّين إن جالوا

إلىٰ أن قال :

أولـئك حتىٰ الآن وراث شعبهم ... وهـل إرثهـم إلا علـوم وأعمـالُ
ولِمْ لا وهم من صفوة العلوية الـ ... أُلـىٰ لهُـمُ بـالسبـق تعتـرف الآل
فعـالمهـم بيـن المحـابـر عـاكـف ... لعقد عويصات الوقائع حَلاَّل
منوط به تفسيرُ ما كان غامضاً ... وتفصيله إن كان في الأمر إجمال
وعابدهم مستغرق في سلوكه ... إذا مـا تـوالـت واردات وأحـوال
وذو المال منهم للمكارم والندىٰ ... أخٌ ولأثقـال النـوائـب حَمَّـال
يواسي ذوي الحاجات غير مجاهر ... وبالباب للأضياف حَطٌّ وترحال
لديهم من الأجداد طٰه وحيدرٍ ... وفـاطـمَ والسبطيـن إرث وأنفـال
تَحلَّـىٰ بـه آبـاؤهـمْ ثُـم عنهـمُ ... تلقـاه أبنـاء كـرام وأنجـال
ومِن لَدُنِ المحضار أَوفىٰ عناية ... عليهم بها سيب المواهب هطال
كمال ولا دعوىٰ ونُسْكٌ ولا ريا ... ومَـنٌّ ولا مَـنٌّ ووصـل وإيصـال
منـزهـة أخـلاقهـم عـن كثـافـة الـ ... ـتَطُّعِ والإعجاب صُدْقٌ إذا قالوا

يمـــرون إن مـــروا بِلَغْـــوٍ أعفـــةً كـــراماً فـــلا قيـــلٌ يعـــاب ولا قـــالُ
وإن خوطبوا من جاهل أعرضوا ولو أرادوا لـــردوا لـكِـــنِ العقـــلُ عَقَّـــالُ
إذا نابهم خطب فبالحلم والنهىٰ تُدَكُّ رواسي كل خطب وتَنهال

إلىٰ أن قال :

هنيئاً لكم آلَ الشهاب وكيف لا يَهُنَّأْ الذي لم يُطْغِهِ الجاه والمال
سلكتـــم طـــريـــق الاتبـــاع فحـــزتمـــو من المجد ما لم تحصه العين والدال

إلخ وهي طويلة .

* * *

الفصل الثالث

في ذكر ميلاده ـ رضي الله عنه ـ ونشأته ، وتعلمه القرآن ، وابتدائه في طلب العلم ، وذكر بعض مشايخه الذين اهتدىٰ بهديهم واقتفىٰ آثارهم ، وذكر بعض الآخذين عنه .

كان ميلاده ـ رضي الله عنه ، وأعاد علينا من بركاته وأسراره ـ في آخر شهر محرم الحرام ، عام ألف وثلاث مئة وثلاث للهجرة ، بمدينة (تريم) في بيت أهله المعروف بـ(حارة النويدرة) .

وكان والده إذ ذاك مسافراً بـ(جاوىٰ) كما سبق ، فحضنته أمه الشريفة فاطمة بنت محمد بن عمر بن أحمد بلفقيه ، الآنفة الذكر ، وربته أحسن تربية ، تحت رعاية وإشراف عمه الأكبر محمد بن عيدروس السابق ذكره ، وقامت به أتم قيام ، وحرصت أن ينال البركة من (تريم) وصلحائها .

فزارت به معظم المعابد والمدارس ، وصلحاء البلاد وأخيارها ، لا سيما من تلاقيه منهم في الطريق ، فإنها تقدمه إليه لتطلب منه أن يدعو له ويمسح بيده علىٰ رأسه ، تيمناً وتبركاً .

وشاءت الأقدار أن يصاب ـ رضي الله عنه ـ وهو طفل بألم في بطنه شديد ، لا يفتر عنه ليلاً ولا نهاراً ، وطالت معه مدته واستعصىٰ دواؤه ، فصادف وقت اشتداده به ، وجود المرشد الكبير الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي بـ(تريم) فذهب به عمه إليه ، فوجده في جمع عظيم في الحاوي

ببيت السيد الحسن بن عمر بن حسن الحداد ، فألقاه بين يديه ، وأخبره بما يجده من الألم ومن عدم النمو للولد بسببه ، وطلب منه أن ينظر إليه ويقرأ ويمسح بيده عليه ، ويدعو له بالشفاء ؛

فوضع يده الشريفة علىٰ بطنه ، ثم مسح بها علىٰ رأسه ، وقرأ عليه قراءةً طويلةً استغرقت نحو ساعة ، ثم التفت إلىٰ عمه وقال له :

إن الولد أكل أكلةً معيونةً .

وأرشده أن يسقيه السمن المغلي فيه الشمار ، ويدهن به بطنه ، وقال له : يبرأ إن شاء الله تعالىٰ .

ثم التفت إلىٰ الحاضرين ، وقال : لم أجيء إلىٰ (تريم) في هـٰذه المرة إلا لأجل هـٰذا الولد .

وفي رواية أنه قال : لو لم يكن مجيئي إلىٰ (تريم) إلا لهـٰذا الولد لكفىٰ وذلك لما يراه عليه من ملامح الخير والهدىٰ والصلاح .

ثم إنه استُعمل له ذلك الدواء فكان سبب شفائه من ذلك المرض ، وخرج من بطنه عقب استعماله شيء من العذرة متحجر جداً ، وحصل له الشفاء عقب ذلك .

وحينما بلغ ـ رضي الله عنه ـ سن التمييز أُلحِق بالمتعلمين في المحل المنسوب للشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس ، الواقع بجانب مسجد الشيخ أحمد بن محمد بارشيد ، فقرأ علىٰ المعلم الشيخ عبد الرحمـٰن بن محمد بن سلمان باحرمي القرآن كله ، وتعلم عنده القراءة والكتابة .

ثم انتظم في سلك المتعلمين بمدرسة الحبيب عبد الله بن شيخ العيدروس ، المعروفة الآن بقبة آل عبد الله بن شيخ العيدروس ، والقائم بالتدريس فيها وقتئذ السيدان الشريفان ، خليفتا السلف الصالح :

الحبيب شيخ بن عيدروس بن عبد الله العيدروس .

والحبيب أحمد بن محمد بن عبد الله الكاف ، وكذا ابنه القاضي السيد حسين بن أحمد الكاف .

فقرأ عليهم في مبادىء الفقه والتصوف .

وفي شهر صفر سنة (١٣١٤ هـ) توفيت أمه ـ رحمها الله تعالىٰ ـ وكان سنه إذ ذاك نحو إحدىٰ عشرة سنةً ، فكفله عمه محمد بن عيدروس ، وجدته عمة أمه الشريفة علوية بنت عمر بن أحمد بلفقيه .

وألقىٰ عمه نظره إليه ، واعتنىٰ به أشد مما كان منه في حياة أمه .

فكان يأمره بتلاوة القرآن كله بمسمع منه المرات العديدة ـ كي تقوىٰ تلاوته ـ ويحضره معه الحزب فيما بين العشاءين كل ليلة بمسجد بازغيفان بـ(النويدرة) ، ويلزمه بحضور الحزب معه كل ليلة من رمضان في مسجد جده الشيخ عمر المحضار بـ(تريم) ، كما يلزمه بحضور الدرس معه فيما بين عصري يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع ، في زاوية مسجد جدهما الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، فكان يقرأ هناك في بعض المختصرات في الفقه ، وعمه يقرأ في « الإحياء » للغزالي .

وكان المتصدر للتدريس بها يومئذ : السيد الجليل ، مفتي الديار الحضرمية ، الحبيب عبد الرحمٰن بن محمد المشهور . ولم يزل كذلك حتىٰ توفىٰ الله عمه محمداً إلىٰ رحمته ، في ذي القعدة سنة (١٣١٧ هـ) كما سبق ، وسن صاحب الترجمة إذ ذاك نحو من أربع عشرة سنةً .

ثم شاءت الأقدار الإلٰهية والعنايات الربانية أن يقوىٰ اتصاله بشيخه الحبيب عبد الرحمٰن المشهور المذكور ، فصار يثابر علىٰ الذهاب إليه صباح مساء في بيته وفي الزاوية وغيرهما من محال تدريسه ، كما صار ملازماً له في الجموعات والزيارات والمدارس العامة ، في الرباط وغيره ، وفي حضور الصلوات ، لا يغيب عنه ولا يفارقه إلا في أوقات

قليلة ، فحظي عنده بالمحل الأعلىٰ من القرب والمحبة التامة والملاحظة الخاصة ، وصار يستعين به في قضاء بعض حاجاته ، حتىٰ كان عنده بمنزلة أحد أولاده ، فصار يقسم له بعض الأحيان في أكله .

وكان في بدء أمره معه هو الذي يتولىٰ طبخ القهوة لمن يحضر الروحة ـ وهي القراءة في كتب التصوف في وقت العشية ـ فعابه علىٰ ذلك بعض الناس ، وقال له : إنما أنت في حالتك هـٰذه مثل حصاة المسيال .

أي أنك لم تتحصل علىٰ فائدة علمية ، وتمر عليك المسائل وأنت لا تشعر بها ؛ لاشتغالك بالقهوة ، فأنت إذاً مثل الحصاة الواقعة في مسيل الماء ، يمر عليها الماء ولا تنتفع به ولا تستفيد منه .

فساءته ـ رضي الله عنه ـ مقالة ذلك الشخص ، وترك طبخ القهوة نحو عشرة أيام ، وصار يطبخها شخص آخر .

فناداه شيخه المذكور يوماً ، وقال له : ما لك تركت طبخ القهوة لعل أحداً أعابك علىٰ ذلك ؟ كشفاً منه ، إذ لم تكن القولة بمسمع منه ولم يخبره بها أحد .

ثم قال له : قم اطبخ القهوة كعادتك ، وأنا أرجو الله تعالىٰ أن تسبق جميع أقرانك وتفوقهم .

فامتثل أمره وطبخها كعادته ، وحقق الله له ما رجاه له شيخه من سبقه أقرانه وفوقانه عليهم ، بل امتاز من بينهم بخصائص لم تكن فيهم ، ومنها : مكثه بـ(تريم) وإقامته بها طول حياته ، ولم يخرج منها حتىٰ إلىٰ شيء من ضواحيها المجاورة لها ، إذا استثنينا خروجه إلىٰ دمون في بعض المناسبات وذهابه وهو صغير لزيارة قبر نبي الله هود عليه السلام مرةً أو مرتين ، وذلك حرصاً علىٰ أن يكون موته بـ(تريم) ويكون قبره بها عند قبور أسلافه الصالحين ، وبذلاً لما يراه واجباً عليه بذله لمواطنيه من نشر

العلم فيهم ، والقيام بإرشادهم ونصحهم ، ووعظهم وتذكيرهم ، وغير ذلك من الخدمات العظيمة التي لا تتأتىٰ له إلا بالإقامة فيهم ، وقد أسداها لهم وظل مثابراً عليها إلىٰ أن توفاه الله .

ومما يدل علىٰ شدة محبة شيخه هـٰذا له : ما حكاه عنه صاحب الترجمة نفسه ، قال : ذهب الناس مرةً لزيارة قبر النبي هود عليه السلام في سنة من السنين ، فحصلت لي حسرة علىٰ الزيارة معهم ، وكان شيخي المذكور قد تخلف عن الزيارة في تلك السنة ، فذهبت إليه يوماً وعندي من الحسرة علىٰ الزيارة ما لا مزيد عليه ، فقال لي سيدي :

أرىٰ معك حسرةً علىٰ الزيارة ؟

فقلت : نعم .

فقال : إن هوداً عليه السلام سوف لا يقبل الزائرين إلا بواسطتي وأنت معي في كل حال .

فزال ما معي من الحسرة بما قاله لي سيدي .

ولما نزل الوباء بـ(حضرموت) سنة (١٣١٨ هـ) وهو مرض الكوليرا ، ووقع بـ(تريم) ونواحيها ، بل وسائر البلدان الحضرمية . . مكث الناس في ديارهم ولم يخرجوا منها خوفاً من العدوىٰ ، فمكث صاحب الترجمة فيمن مكث وانقطع عن ذهابه إلىٰ شيخه المذكور ، فأرسل إليه شيخه أن اخرج من البيت وتردد إلي كعادتك ، ولا يصيبك من الوباء ـ إن شاء الله ـ شيء ، ولا تخف .

فامتثل أمره ، فكان يحضر معه المدارس والجنائز ، وزيارة الترب ، ويحضر الجماعات وغير ذلك كعادته ، ولم يصبهما ـ والحمد لله ـ شيء من الوباء ببركة شيخه المذكور ، رضي الله عنهما ، وعنا بهما ، آمين .

وقد أحببت أن أذكر هنا شيئاً من مناقب الحبيب السيد

عبد الرحمٰن بن محمد المشهور هٰذا ، قبل أن أذكر بقية مشايخ صاحب الترجمة ، فأقول :

إن هٰذا السيد هو في عصره علامةُ (حضرموت) وفقيهها ورئيسها الديني ، وصوفيُّها الكبير .

ولد بـ(تريم) (٢٩) شعبان سنة (١٢٥٠ هـ) ونشأ بها . وبعد أن ختم دراسة القرآن العزيز جد في طلب العلم الشريف ، وأخذ عن كثيرين ؛ كالإمام عمر بن حسن الحداد ، وقرأ عليه في الفقه : « المنهج » و« التحفة » ، وفي الحديث : « صحيح البخاري » .

وكالعلامة الحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه ، والإمام محسن بن علوي السقاف ، والعلامة محمد بن علي السقاف ، والعلامة عبد الرحمٰن بن علي السقاف ، والشيخ محمد بن عبد الله باسودان .

وأخذ التصوف عن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر والحبيب الحسن بن صالح البحر الجفري ، والحبيب القطب أبي بكر بن عبد الله العطاس ، والحبيب أحمد بن محمد المحضار .

أما الحبيب أحمد بن علي الجنيد . . فإنه شيخ فتحه ، كما لزمه مدىٰ حياته ، وكان خليفته في دروسه .

وقد أفرده بالترجمة ابنه الحبيب علي في كتاب سماه : « شرح الصدور » . وقد ذكر فيه أن والده في أيام طلبه كان يقرأ كل يوم علىٰ شيوخه اثني عشر درساً ، مطالعاً عليها اثني عشر شرحاً وسبعاً من الحواشي . وإذا سار إلىٰ (سيؤون) علىٰ كثرة تَرَدُّداته ، إليها للأخذ عمن بها من العلماء . . كان ذهابه وإيابه ماشياً وعلىٰ كتفه كتبه وزاده وفرشه .

واستمر ـ رضي الله عنه ـ إلىٰ مدىً بعيد من سني شبابه متلقياً علوم الفقه والتفسير ، والحديث ، والفلك ، والنحو والتصوف ، وغيرها ،

مستوعباً في تلقيها المتون والشروح والحواشي ، حتىٰ بلغ في معلوماته إلىٰ درجة الأئمة المجتهدين ، وصار نجماً يتألق في سمـٰوات العلماء الدينيين والصوفيين ، وتحققت فيه نظريات المتفرسين ومكاشفات المكاشفين ، من شيوخه وغيرهم من علماء عصره وأوليائه ، وحينئذ أذن له شيوخه في الإفتاء والتدريس ، فتفرغ لذلك ، وأقبل إليه الطلبة والمستفتون من مختلف الجهات ، وتفقه به وتخرج الجم الغفير ، حتىٰ كان الكثير من شيوخه يحضرون دروسه في زاوية مسجد جده الشيخ علي بن أبي بكر ، وفي سواها من مجالسه الخاصة والعامة ، وروحاته المسائية بعد العصر ، في التصوف والحديث والسِّيَر .

وبكل تأكيد : إن حياته كلها مصروفة في منافع المسلمين ، إذا استثنينا أوقات عبادته وأذكاره ونومه وخلواته مع أهله ، فإنه إذا لم يكن مشتغلاً بتدريس . . كان مشتغلاً بالإفتاء والتأليف ، والمطالعة والمراجعة ، أو بكتابة شجرات الأخذ والنسب ، أو بعمل جداول في علم الفلك لمعرفة أوائل أوقات الصلوات الخمس المكتوبة . . . إلىٰ غير ذلك من المنافع العامة غير العلمية ؛ كالسعي في إصلاح ذات البين ، وفي إصلاح ما تشعث أو تخرب من الزوايا والمعابد والتُّرَب بـ(تريم) وغيرها .

وبالجملة : فبروز شخصية هـٰذا السيد العظيم في هـٰذا الكون إنما هو لمحض النفع العام لأهل قطره ، بل ولكافة المسلمين .

أما عباداته ـ رضي الله عنه ـ ونسكه وأذكاره . . فحدث عنه في ذلك ولا حرج ، ولك أن تشبهه بكبار الصحابة والتابعين وشيوخ الرسالة القشيرية ، في زهدهم وفي صلاتهم وصيامهم ، وغيرها من أنواع عباداتهم ونسكهم .

وإن شئت أن تطلع علىٰ شيء قليل من عبادته ونسكه . . فخذ منها

قيامه كل ليلة العمر كله ، من منتصف الليل إلىٰ الفجر ، حتىٰ إذا أوتر . . أوتر بإحدىٰ عشرة ركعةً ، مع المداومة علىٰ صلاة الضحىٰ والأوابين ، والتسبيح والرواتب ، وسائر الصلوات النافلة .

وكان يؤدي كل ذلك من قيام علىٰ وجه الكمال المبيَّن في كتب الفقه . وكان ورده في كل يوم من رمضان مئة ركعة .

أما الصلوات المكتوبة : فكان يؤديها جماعةً في أوائل أوقاتها ، بحيث لا يدركها معه إلا من كان متهيئاً لها من قبل دخول الوقت . وكان هو الذي يتولىٰ بنفسه الأذان والإقامة والإمامة بمسجد جده الشيخ علي بن أبي بكر . وقد واظب علىٰ ذلك نحواً من أربعين سنةً .

وكانت (تريم) مستقره الأبدي إذا استثنينا سفره مرةً إلىٰ الحرمين ، وأوقات تردداته إلىٰ (علوىٰ) للزيارة والأخذ ، وإلىٰ (حدرىٰ) لزيارة قبر النبي هود عليه السلام ، وربما أقام بجواره في بعض السنين مدةً طويلةً قد تبلغ شهراً أو أكثر ، التماساً للخلوة وتفرغاً للعبادة ، حتىٰ قيل : إن كتابه « بغية المسترشدين » ألفه كله أو معظمه هناك .

ثم علىٰ ذكر تأليفه فإنه لم يكن لـ« البغية » فحسب ، ولـٰكن له مؤلفات عداها ؛ كـ : « مختصر فتاوىٰ ابن زياد » ومختصرات أخرىٰ في الفقه وغيره ، وكـ : « الشجرة العلوية الكبرىٰ » في خمسة مجلدات ضخمة .

ثم لما قرب انصرام أجله وحلول منيته . . اعتلت صحته ، وصارت في اعتلال متزايد مستمر إلىٰ نحو سنة كاملة ، وفي يوم الجمعة (١٥) صفر سنة (١٣٢٠ هـ) ـ وهو اليوم الذي توفي في مسائه ـ أسر إلىٰ ابنه علي بحلول منيته ، وأوصاه بأشياء يفعلها بعد انتقاله .

ثم لما دخل وقت المغرب وأحرم بالصلاة من كان في المجلس الذي به غرفته . . إذا بثلاثة طيور كبار خضر دخلت عليه ، فسمع لها معه همس

حتىٰ إذا خرجت ذاهبةً وجدوه محتضراً لاهجاً بذكر الله تعالىٰ إلىٰ أن سُلَّت روحه من جسده انسلال الشعرة من العجين ، وذلك ليلة السبت (١٦) شهر صفر سنة (١٣٢٠ هـ) .

وشيعت جنازته عصر ذلك اليوم ، وصلىٰ عليه بالناس إماماً ابنه علي بن عبد الرحمٰن ، ودفن بمقبرة زنبل ، وقبره ملاصق لقبر الإمام محمد بن عبد الله باعلوي صاحب المسجد الملاصق لدار هٰذا الإمام ، المسمىٰ : مسجد مقالد ، فكما كان مكانا هٰذين الإمامين في الدنيا متجاورين كان مكانهما في البرزخ كذلك . بَلَّ الله ثراهما ، وجعلنا من المجاورين لهما في الفردوس الأعلىٰ ، إنه سميع الدعاء .

وأم السيد عبد الرحمٰن هٰذا ، وسائر إخوانه : الشريفة شيخة بنت عبد الرحمٰن ، بن علي ، بن علوي ، بن القطب عبد الله بن علوي الحداد .

ثم إن لصاحب الترجمة ـ أعني سيدي علوياً ـ مشايخ كثيرين عدا من مر ذكره ، إلا أن منهم من أخذ عنهم أخذ تبرك ، من قراءة قليلة ، وسماع وإلباس وإجازة ، وغير ذلك مما يجري في أخذ التبرك .

ومنهم من أخذ عنهم أخذاً تاماً ، وقرأ عليهم في أنواع العلوم حتىٰ تخرج بهم .

فمن القسم الأول : الحبيب العارف بالله ، عبد الله ابن الحبيب القطب ، الحسن بن صالح الجفري البحر . فقد اجتمع به صاحب الترجمة ، وأجازه وألبسه حينما جاء إلىٰ (تريم) في آخر زيارته ، ونزل في بيت السيد الفاضل علوي بن سقاف الجنيد .

وهو سيد فاضل عظيم الحال ، ذو كرامات خارقة ، وأنفاس صادقة ، ومشاهدة وذوق ، وملازمة للطاعات والعبادات .

قال صاحب الترجمة : إني رأيت هـٰذا السيد يتلألأ وجهه نوراً ، وعليه الهيبة والجلال والوقار ، وسيماء النسك والعبادة .

توفي ندىٰ صبح سنة (١٣١٩ هـ) وقبر داخل قبة والده ، رحمهما الله تعالىٰ ، ونفعنا بهما .

ومنه : السيد الإمام ، المجتهد في العبادة ، الحبيب عيدروس بن علوي ، بن عبد الله العيدروس ، إمام مسجد جده الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف بـ(تريم) .

فإنه قرأ عليه وتبرك به ، وصلىٰ مقتدياً به في مسجد السقاف المرات العديدة .

وكان هـٰذا السيد ممن إذا رُؤوا . . ذكر الله ، وكان لا يفتر عن ذكر الله تعالىٰ في جميع تقلباته ، وكان يحث الناس علىٰ حفظ القرآن العزيز ، وحَفَّظه جميع أولاده ، ويحب من يحفظه ويثني عليه .

وكان وجهه يتلألأ نوراً ، بحيث لا يستطيع أحد أن يحدق النظر في وجهه . ولم يزل في ذكر وعبادة من تلاوة وصلاة وقراءة « إحياء علوم الدين » إلىٰ أن توفي بعد أن مرض بسبب سقطة وقعت له في المسجد المذكور ، أصابه منها وجع في رجله . وكانت وفاته يوم الأربعاء (٢٧) شهر رجب سنة (١٣٢٠ هـ) .

ومنهم : الإمام العارف بالله ، الحبيب محيي الدين بن عبد الله ، بن حسين بلفقيه .

فإنه رآه واجتمع به ، وتبرك به .

وكان هـٰذا السيد رجلاً مهاباً ، لا يدخل عليه إلا آحاد الناس ، وكان صاحب أخلاق نبوية وشمائل مصطفوية ، ذا قدم راسخ في الطاعة

والعبادة ، منكمشاً عن الناس ، علىٰ وجهه نور العبادة والذكر لائح ، وله كرامات كثيرة مشهورة .

ولم يزل علىٰ المنهج القويم والصراط المستقيم إلىٰ أن توفاه الله بـ(تريم) .

وكان ميلاده سنة (١٢٤٦ هـ) ، ووفاته سلخ محرم سنة (١٣٢٣ هـ) عشاء ليلة الأربعاء ، وقبر في قبر جده الحسين بن عبد الله بلفقيه ، ملاصقاً لقبر الشيخ الإمام علي خالع قسم ، في الجهة الشرقية .

ومنهم : الإمام العارف بالله ، الحبيب علي بن محمد ، بن حسين الحبشي .

فإنه اجتمع به وقرأ عليه ، وأجازه وألبسه أثناء زيارتاته لـ(تريم) التي ينزل في أكثرها في بيت السيدين محمد وعبد الرحمٰن ، ابني عبد الله بن عبد الرحمٰن بن شهاب .

وكان السيد علي هٰذا إماماً فاضلاً ، وعالماً عاملاً ، ولياً ، له كرم واسع ، وصيت شائع ، وفضل شاسع ، فاق أقرانه ، وارتفع في الفضل والكرم والجاه علىٰ أهل زمانه ، وكان ذا كلمة نافذة ، محبباً في القلوب .

ولد بمدينة (قسم) في (٢٤) شوال سنة (١٢٥٩ هـ) . وتوفي بـ(سيئون) في (٢٠) ربيع الآخر ، يوم الأحد ، ولحد يوم الاثنين سنة (١٣٣٣ هـ) ، وبنيت علىٰ قبره قبة عظيمة .

وأمه هي : الشريفة علوية بنت حسين ، بن أحمد الجفري ، كما في « الشجرة العلوية » .

. ومنهم : السيد الشريف ، النبراس الحبيب ، أحمد بن حسن ، بن عبد الله العطاس .

فإنه اتصل به وقرأ عليه ، وأجازه وألبسه خلال زيارته لـ(تريم) .

وكان هـٰذا السيد رجلاً فاضلاً ، وعالماً عاملاً ، فقيهاً نبيهاً ، ولياً مكاشفاً ، له تعلق تام ونظر بكتب السلف ، وإحياء مآثرهم ، وحسن الظن بهم ، والاقتداء بأفعالهم ، في عاداتهم وعباداتهم ، قائماً حاثاً علىٰ ذلك ، وله كرامات خارقة وفراسة صادقة ، وله مرائي حسنة جليلة ، واتفاقات بالأولياء والعلماء وسؤالهم عن مشكلات ، وله دربة في الإصلاح .

وبالجملة : فهو نادرة الزمان في الحفظ والفهم .

وكان ميلاده في (حريضة) في شهر رمضان سنة (١٢٥٧ هـ) .

وكف بصره ، فنور الله بصيرته ، فحفظ القرآن و« الشاطبية » وبعض « البهجة » وجملة متون ، وكان يلقب بالبصير .

توفي ـ رضي الله عنه ـ بـ(حريضة) فجر يوم الاثنين (٦) في رجب سنة (١٣٣٤ هـ) ، ودفن بداخل قبة جده الإمام ، عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس .

وأفرده بالترجمة تلميذه الشيخ محمد بن عوض ، بن محمد بافضل ، بمؤلف سماه : « تنوير الأغلاس » .

وكذا تلميذه السيد العلامة ، علوي بن طاهر الحداد ؛ فإنه أفرده بالترجمة في كتاب سماه : « عقود الألماس » . فليرجع إليهما من أراد الاطلاع علىٰ تفصيل مناقب هـٰذا السيد العظيم .

وأمه هي : الشريفة سلمىٰ بنت شيخ بن عبد الله ، بن محمد ، بن علي ، بن محسن ، بن حسين ، بن عمر العطاس ، كما في « الشجرة العلوية » .

ومنهم : الحبيب العابد ، الزاهد الناسك ، الفقيه الحافظ لكتاب الله ، السيد الشريف ، سقاف بن حسن ، بن أحمد ، بن حسين

العيدروس . المتوفىٰ في (٣) شعبان سنة (١٣٣٣ هـ) .

فإنه اجتمع به وقرأ عليه ، ويحضر روحته المسائية التي كان يعقدها في بيته ، ويقرأ عليه في كتب التصوف والرقائق . وكان هـٰذا السيد صداعاً بالحق ، لا يستطيع أحد أن يعترضه ، وكان ذا جلد في العبادة ، لا تقل صلواته النافلة في كل ليلة عن مئة ركعة ، كما أفاد ذلك عنه تلميذه الحبيب الفاضل ، محمد بن حسن ، بن أحمد عيديد في كتابه « إتحاف المستفيد » الذي ترجم فيه لمشايخه .

وأم السيد سقاف المذكور كما في « الشجرة العلوية » هي : الشريفة رقية ، بنت الحبيب الإمام عبد الله بن الحسين ، بن طاهر .

وغير هـٰؤلاء من هـٰذا القسم كثيرون لا يحصرون .

ومن القسم الثاني : الشيخ الإمام ، العالم العامل ، الصالح الخاشع المتواضع ، الولي العارف ، المتضلع في العلوم ، أحمد بن عبد الله ، بن أبي بكربن عبد الله البكري ، الخطيب الأنصاري .

فإنه اتصل به وأخذ عنه ، وقرأ عليه في الفقه والتصوف في محل تدريسه بمسجد سوية بـ(الخليف) وبزاوية مسجد نفيع بـ(الخليف) أيضاً . وكان قد تولىٰ التدريس بها بعد وفاة شيخه المؤسس لها ، الحبيب العلامة ، عبد الله بن أحمد ، بن عمر بلفقيه سنة (١٢٩٩ هـ) ، وبعد وفاة الحبيب أبي بكر بن عبد الله الخرد .

وكان ميلاد هـٰذا الشيخ العظيم بـ(تريم) سنة (١٢٥٧ هـ) كما كانت وفاته بها سنة (١٣٣١ هـ) .

وكان ـ رضي الله عنه ـ حبراً نحريراً ، فقيهاً صوفياً ، وأديباً نحوياً . أخذ عن شيخه العلامة الحبيب ، عبد الله بن أحمد بلفقيه ـ الآنف الذكر ـ حتىٰ تخرج به .

وكان له الأخذ والإجازة والاتصال بمشايخ آخرين كثيرين ، عظام أجلاء كرام ، من علماء عصره وعارفي وقته ؛ كالحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، والحبيب الحسن بن صالح البحر ، والحبيب أحمد بن علي الجنيد ، والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس ، وغيرهم ممن يعسر حصرهم ، ويتعذر عدهم من كبراء العارفين بالله ، رضي الله عنهم وعنا بهم .

ورحل - رضي الله عنه - إلىٰ (الحجاز) وجاور بـ(الحرمين الشريفين) وجبال (الطائف) نحواً من أربع أو خمس سنين ، داعياً إلىٰ الله من في البوادي وجبال (الطائف) بأمر شيخه السيد أحمد زيني دحلان في حدود الثمانين - أو التسعين - والمئتين والألف .

وقد حج نحواً من ثلاثين حجةً غير حجة الإسلام ، وزار (المدينة) في حياة شيخه الشيخ محمد العزب تسع مرات ، فضلاً عما بعدها .

وبعد عودته إلىٰ (حضرموت) تصدىٰ للتدريس ونشر العلم .

وكان الغالب عليه الميل إلىٰ الخمول والتواضع .

وممن تخرج به :

ابنه الشيخ أبو بكر بن أحمد الخطيب . وهـٰذا الشيخ ممن أخذ عنه سيدي علوي وقرأ عليه ، وهو من أعيان علماء (تريم) المبرزين . تخرج وتلقىٰ العلم من فقه ونحو وغيرهما عن أئمة وشيوخ عديدين بـ(حضرموت) و(الحجاز) وغيرهما ، وفي مقدمتهم :

الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي بـ(الغرفة) ،

والحبيب الإمام علي بن محمد ، بن حسين الحبشي بـ(سيؤن) .

والإمام أحمد زيني دحلان بـ(مكة) .

والحبيب عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور بـ(تريم) .

وجد واجتهد في طلب العلوم حتىٰ صار أحد الفقهاء الأفذاذ الذين أنجبتهم (حضرموت) في العصور الأخيرة ، المشهود لهم بسعة العلم والورع .

تلقىٰ علوماً شتىٰ ، وتصدر للإفتاء قبل أن يبلغ العشرين من العمر ، وانتهىٰ إليه مقام الفتيا عقيب وفاة شيخه العلامة مفتي الديار الحضرمية ، الحبيب عبد الرحمـٰن المشهور .

وكان علىٰ جانب عظيم من التواضع والزهد ، والعبادة والتقشف . وحج بيت الله الحرام مراراً .

وقد جمع من فتاويه الجليلة النفع القيمة الفائدة ما تم العثور عليه ، وذلك في أواخر أيام حياته ، وقوبل عليه ، رحمه الله ، وأثابه رضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه .

وكانت وفاته بـ(تريم) في محرم سنة (١٣٥٦ هـ) كما كان ميلاده بها سنة (١٢٨٦ هـ) .

ومنهم : الإمام العالم العلامة ، ذو المآثر العلمية والدينية ، والمنشآت الخيرية ، والناشر الدعوة المحمدية في البرية ، السيد الحبيب علوي بن عبد الرحمـٰن ، بن أبي بكر المشهور .

فإنه أخذ عنه وصحبه ، وحضر مجالسه ودروسه التي يعقدها لتلامذته ، تارةً في بيته وتارةً في مسجد الشيخ عمر المحضار ، وتارةً في مسجد بني حاتم المعروف الآن بمسجد عاشق .

ونكتفي هنا في حق هـٰذا الإمام بما ذكره في حقه الإمام العلامة المؤرخ ، السيد عبد الله بن حسن بلفقيه ، في كتابه « تذكرة الباحث المحتاط » ؛ فقد ذكر أنه ولد بـ(تريم) سنة (١٢٦٣ هـ) ، وتوفي بها في محرم سنة (١٣٤١ هـ) .

وهو من مشاهير علماء (حضرموت) وفقهائها ، حفظ القرآن العظيم علىٰ المعلم عوض بكران عوض بـ(تريم) ، ثم أمره والده بالرحلة إلىٰ (الخريبة) بـ(دوعن) مع بعض إخوانه ؛ لتلقي العلم بها علىٰ العلامة الفقيه ، الشيخ محمد بن عبد الله باسودان ، ومكث بها نحو سبع سنين ، ثم رحل إلىٰ (الحجاز) فتلقىٰ عن شيوخ العلم هناك ؛ كالشيخ العلامة الشهير أحمد زيني دحلان .

والسيد العلامة النحرير حسين بن محمد الحبشي .

وكذلك رحل إلىٰ (اليمن) ورحل أيضاً إلىٰ (مصر) مرتين واتصل بعلمائها ؛ كالسيد العلامة الشهير ، أحمدبك الحسيني ، شارح كتاب « الأم » للإمام الشافعي ، وتزوج بها .

ثم بعد أن تضلع من العلوم . . نصب نفسه للتدريس ونفع الطلبة بـ(تريم) بمسجد عاشق المعروف سابقاً بمسجد بني حاتم ، وبمعهد الرباط .

وله رحلات للتذكير والدعوة إلىٰ الله ، إلىٰ (أفريقيا الشرقية) و(ملايا) و(أندونيسيا) و(سيلان) و(الهند) وكثيراً ما كان يسافر للبوادي بـ(حضرموت) وغيرها لهداية البادية وإرشادهم ، وأحياناً يستصحب معه العمال لحفر الآبار في المناطق التي تشح فيها المياه .

وقام ببناء وتأسيس بعض المساجد المعروفة بـ(تريم) و(المكلا) وغيرهما .

وممن تلقىٰ عنه وتخرج به :

السيد العلامة ، عبد الله بن عمر الشاطري .

والشيخ العلامة ، محمد بن أحمد الخطيب .

والشيخ الفقيه ، فضل بن عبد الله عرفان .

والسيد العلامة ، عيدروس بن محمد ، بن هارون ، بن شهاب . وغيرهم .

وكان ـ نفع الله به ـ من نوابغ المدرسين ، الممتازين بالحذق في جودة التقرير وحسن الإلقاء وسهولة التعبير .

ومما يؤثر عن أحمد بركات الشبامي ، ذي المفاكهات اللطيفة والنكات البديعة ، وقد سأله بعضهم عن مشاهداته ومن لقيه في خلال زيارة قام بها حينئذ إلىٰ (تريم) ماراً بحوطة آل أحمد بن زين الحبشي ، و(الغرفة) و(سيؤن) وكان طوافاً في أثنائها علىٰ مواضع التدريس ومجالس العلم بالمعاهد والمساجد التي يتولىٰ التدريس فيها علماء هـٰذه البلدان ، فقال :

لقد حضرت تدريس العلامة فلان ، والحبيب فلان ، والشيخ فلان ، فلم أخرج بطائل ولا فائدة ؛ لأن أحدهم قد جعلني أضيع بين الحجر والرمل ، قال ابن حجر ، قال الرملي! وكثير لم أدر ما يقولون ، لـٰكن الحبيب علوي بن عبد الرحمـٰن المشهور ، الذي كنت قد حضرت تدريسه في مسجد عاشق ، هو الذي كنت قد استفدت من تقريره ؛ إذ كان ينشر ويوضح لك المسألة من جميع جوانبها ، بحيث يصورها لك في طولها وعرضها ؛ ليقرب فهمها إلىٰ ذهنك ، وإلىٰ حد في إفادته للطالب كأنه يأخذ المسألة بعد وعي الطالب لها فيلفها له في غلاف لينصرف بها في جيبه ، وهكذا لا ينصرف المرء من تدريسه إلا وهو قد وضع يده علىٰ ما يكون قد احتواه من مسألة أو مسألتين ، أو ثلاث مسائل من العلم .

ويؤثر عن هـٰذا الحبيب ـ نفع الله به ـ أنه كان يقول : إنني أقرر عبارة « فتح الجواد » للعلامة ابن حجر بنفس العبارة التي كان يقرر بها شيخنا محمد بن عبد الله باسودان ، وكان شيخنا محمد المذكور يقرر أيضاً بنفس

عبارة شيخه الحبيب العلامة عبد الله بن عمر بن يحيىٰ .

ومما لا يفوتنا إثباته بهـٰذا التعليق هو : ما منح الله هـٰذا الحبيب من السمت الحسن والبسطة في العلم والجسم ، فكان كما وصفه أحد علماء المغاربة الجامعين بين العلوم القديمة والحديثة ممن ساح في مختلف الأقطار ، وهو السيد محمد بن صالح الباجي التونسي ، المعروف بالشواشي ، من أقران الشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ حافظ وهبه ، فقد لقي السيد محمد المغربي هـٰذا الحبيب علوي المذكور أثناء رحلة الحبيب علوي الأخيرة إلىٰ (جاوه) بـ(قرسي) فقال من أثناء حديث دار بيني وبينه :

إن هـٰذا الحبيب علوي والحبيب محمد بن أحمد المحضار كانا بين من لقيتهم من أكابر وعلماء السادة الحضرميين ، ممن لا أقول عنهما أنهما يملآن العين فقط ، لـٰكن أقول : يملآن العين حتىٰ تفيض .

ومما يتسم به هـٰذا الحبيب من صفات جليلة وأخلاق عالية : أنك تجده أشد الناس عزوفاً عن مواقف الضِّعة ، وترفعاً عن التملق للكبراء من أغنياء وأمراء ، تلقاه جم التواضع عظيم الحفاوة في مقابلة أهل الفضل والدين ، وتكريم العلماء ، وإظهار العطف والاحترام لطلبة العلم ، حتىٰ أنه عندما يلاقىٰ في الطريق العام وهو راكب كثيراً ما يترجل فينزل لملاقاته ومصافحته ، يرىٰ أن ذلك حق التكريم للعلم في شخصية هـٰذا الطالب ، وحافز يزيد من إقبال طلاب العلم واهتمامهم في التحصيل ومن معرفتهم بمكانته بين الناس . اهـ .

ومما يؤثر عن هـٰذا الحبيب : أنه أوصىٰ بحمل نعشه من بيته إلىٰ مسجد جده الشيخ عمر المحضار ، المجاور لشمال منزله ، ووضعه في موضع تدريسه من المسجد بين العشاءين في الفقه والحديث ، والتفسير

والنحو والصرف والتصوف ، وغير ذلك ؛ كطلب الرحمة من الله تعالىٰ .

ومن هناك شيعته الجموع المجتمعة من (تريم) وحواليها إلىٰ الجبانة للصلاة عليه ، ثم إلىٰ مدفنه بمقرة زنبل الشهيرة ، حيث أجداث أهله وعشيرته .

ونبش له قبر جده الداعي إلىٰ الله ، السيد علوي بن محمد المشهور . وقبره معروف يزار .

وأمه : الشريفة شيخة بنت الحسين ، بن عبد الرحمٰن ، بن سهل .

ومنهم : الإمام العالم العامل بعلمه ، الصوفي الناسك ، المتبتل إلىٰ الله تعالىٰ ، السيد الشريف الحبيب ، علي بن عبد الرحمٰن ، بن محمد ، بن حسين المشهور .

فإن سيدي علوي أخذ عنه ، وقرأ عليه في الفقه والنحو والتصوف ، وغيرها من فنون العلم . ولقنه شيخه المذكور الذكر ، وصافحه وشابكه ، وألبسه وعمل معه كل ما يعمله الشيخ لمريده .

وكان ميلاد السيد علي هٰذا بمدينة (تريم) في (٢١) ربيع الثاني سنة (١٢٧٤ هـ) ، ووفاته بها في (٩) شوال سنة (١٣٤٤ هـ) .

وأمه : الشريفة علوية بنت محمد بن عبد الله ، بن محمد الكاف .

وكان عظيم المجاهدة في الله ، كثير الصيام والقيام ، والأذكار والأوراد والصلوات ، آناء الليل وأطراف النهار ، لم يفتُر عن ذلك حتىٰ في أيام اشتداد مرض موته ، بل وفي اليوم الذي توفي فيه فإنه صلىٰ فيه نحو مئة ركعة ، كما أخبر بذلك الثقات .

وكان ـ رضي الله عنه ـ ممن يتغذىٰ بالعبادة ، وقد يستغني بها عن الطعام والشراب ، فهو أشبه بالروحانيين من الملائكة وغيرهم ، ويؤيد هٰذا : ما أخبر به العلامة الثقة ، السيد عمر بن محمد ، بن إبراهيم عنه

أنه نزل عليه ضيفاً ذات ليلة ببلدة (قسم) فلما حضر العشاء . . قال ـ نفع الله به ـ : إذا سمحتم لي ، فإني لا أرغب في الطعام ، وأريد أن أجعل عشائي هـٰذه الليلة صلاةً .

ومضىٰ في صلاته ليلاً طويلاً ، ثم أخذ راحته ونام قليلاً ، إلىٰ حين قيامه في السحر .

قال السيد عمر : والغريب أنه ـ نفع الله به ـ كان عندما أصبح ـ وقد بات طاوياً ـ كان أوفر نشاطاً منا نحن الذين تناولنا العشاء .

وكان له ـ رضي الله عنه ـ منامات ومرائي صالحة ، واتصالات بأهل البرزخ ومحادثتهم ، يقظةً ومناماً .

وذكر الحبيب العارف بالله ، محمد بن حسن عيديد ، في كتابه « إتحاف المستفيد » أن السيد علياً هـٰذا كان لا يرىٰ رؤيا إلا وأراها أنا غالباً ، وكذلك أنا لا أرىٰ رؤيا إلا ويراها هو غالباً ، وكان لا يخبرني بشيء إلا ويقع .

قال : وكانت له كشوفات عظيمة وكرامات خارقة ، منها :

أنني رأيته ليلةً في الجامع وبجانبه والده ، وكان مع الحبيب جراب ، وفي الجامع خلائق لا يحصون ؛ منهم من عرفته ، ومنهم من لم أعرفه ، وكل من أتىٰ طرح شيئاً في ذلك الجراب ، إلىٰ أن انتهوا ، ثم عصب والده الجراب وقال له : قم ، الذي معك يكفيك .

ثم أتيت إليه لأقص عليه ما رأيت ، فقص علي الرؤيا المذكورة بعينها ، قبل أن أقصها عليه ، ثم قال لي بعد ذلك : إنني الآن صاحب الوقت . اهـ .

ويحدثنا السيد العلامة ، عمر بن أحمد بن سميط ، في كتابه « النفحة الشذية » عنه أنه أجازه في صيغة كما تلقاها عن النبي ﷺ يقظةً .

وذكر صاحب « التعليق » علىٰ « الأشواق القوية » من أوصافه المجيدة وخلاله الحميدة أشياء كثيرةً ، منها :

عزوفه عن الدنيا ، وعظيم تواضعه ومسكنته ، وكريم أخلاقه ، وعفة نفسه ويده ولسانه ، وموت نفسه ، ونسكه ، وورعه ، وقناعته إلىٰ حدود الاكتفاء بلقمة واحدة إلىٰ خمس لقيمات فقط من لون واحد ، مهما تعددت الألوان وطاب الطعام ، ولو عُمِل من أجله .

وغاية ما يقال فيه أنه لم يكن له شيء من حظوظ الدنيا إلا الطيب والملبوس النظيف ، وقرة عينه في الصلاة .

وأما زياراته القبور : فليس له مثيل في هـٰذه العاطفة ، لا سيما زياراته الأسبوعية الجُمَعية لمقابر (تريم) من بعد صلاة الصبح إلىٰ أن يمضي ثلث النهار .

وتمتاز زياراته بتطويل الفواتح إلىٰ ساعة ، بل وإلىٰ ساعات لو ترك له العِنان ، كما يعرف ذلك عنه الذين حضروا زياراته .

ومما يؤسف له : ذهاب بصره آخر عمره .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا بعضاً من مشايخه علىٰ كثرتهم وانتشارهم في الأقطار والبلدان :

فمنهم : السيد العلامة ، عمر بن حسن الحداد .

والعلامة السيد محمد بن إبراهيم بلفقيه .

والعلامة السيد علوي بن عبد الرحمـٰن المشهور .

والعلامة السيد علي بن عبد الله ، بن علي ، بن شهاب الدين .

والعلامة أحمد بن محمد الكاف .

وهـٰؤلاء كلهم من مشايخه في العلوم الظاهرة والباطنة ، وله شيوخ

آخرون في الصفات الصوفية ، ومن أجَلِّهم :

العلامة السيد ، عيدروس بن عمر الحبشي .

والعلامة السيد ، علي بن محمد ، بن حسين الحبشي .

والعلامة السيد ، عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف .

والعلامة السيد أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس . .

والعلامة السيد ، علوي بن عبد الرحمٰن ، بن علوي السقاف .

وأما والده : فهو محور مداده ، ومنمي أشجاره ، ومروي أغصانه ، وكان له عليه موفور مقروءاته ومسموعاته ، في حياة طويلة ، وملازمة غير منفكة ، ومتابعة تلمذة ، حتىٰ تم له الاهتداء بهديه ، والخطو علىٰ قدمه ، والسلوك في مسالكه ، وصار نسخةً منه في الهيئة والرسم ، والعلم والدين والأخلاق ، وكان من النادر جداً أن لا يكون موجوداً في مدارسه وصلواته ، وروحاته وزياراته ، وإقامته بـ(تريم) وعند قبر نبي الله هود عليه السلام في الأشهر الثلاثة : جمادىٰ الثانية ، رجب ، وشعبان .

حتىٰ إذا سكنت رُفات والده مقبرة زنبل . . أحيا معالمه ورسومه ، كنائب عنه في دروسه وروحاته ، وزياراته ورحلاته السنوية المعتادة إلىٰ قبر النبي هود عليه السلام ، وكان خير خليفة خلفه في عاداته وعباداته .

ولم تزل هٰذه حالاته إلىٰ أن توفاه الله تعالىٰ في التاريخ المذكور ، وفي مقبرة زنبل ضريحه مشهور ، واقع غربي قبر سيدنا علي ، والد سيدنا الفقيه المقدم ، وشرقي قبر سيدنا علي بن الشيخ عبد الله باعلوي ، وبينه وبين قبر والده واحد ، رحمهما الله تعالىٰ .

ومنهم : الشيخ المفضال محمد بن أحمد الخطيب . المولود بـ(تريم) سنة (١٢٨٤ هـ) ، والمتوفىٰ بها سنة (١٣٥٠ هـ) .

وكان هـٰذا الشيخ علامةً نحريراً ، وفقيهاً مدرساً ، ومفتياً حاذقاً .

وهو ممن أخذ عن السيد العلامة ، عبد الرحمـٰن بن محمد ، بن حسين المشهور .

وعن السيد العلامة ، علوي بن عبد الرحمـٰن ، بن أبي بكر المشهور .

وعن مشايخ آخرين كثيرين ؛ كالسيد العلامة ، عيدروس بن عمر الحبشي .

والعلامة الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي .

والعلامة الحبيب أحمد بن حسن العطاس ، وغيرهم .

وقد تلقىٰ الفقه عنه كثيرون خلال تدريسه في زاوية مسجد الأوابين ، ثم في رباط (تريم) ثم في زاوية مسجد سرجيس ، ثم في زاوية مسجد بروم .

وكان يحضر دروسه كثير من أعيان الطلبة من أهالي (تريم) وغيرهم .

وممن لازم التلقي عنه : صاحب هـٰذه المناقب ـ رضي الله عنه ـ وكذا السيد الفقيه العلامة ، عمر بن محمد بن إبراهيم السقاف .

والسيد العابد الصالح ، أبو بكر بن محمد بن عمر بلفقيه .

والسيد الأديب العلامة ، حسن بن عبد الله الكاف .

والسيد العلامة ، علي بن زين الهادي .

والسيد الأديب ، الأستاذ اللطيف ، محمد بن هاشم ، بن طاهر .

والسيد الفقيه العلامة ، سالم بن سالم ، بن علوي السري .

والشيخ الفقيه الصالح عبد الرحيم بن عبد الله ، بن سالم الخطيب .

والسيد العلامة الفقيه ، أبو بكر بن محمد ، بن أحمد السري .

والشيخ الفاضل ، عبد الرحمـٰن بن محمد ، بن فضل بافضل .

والسيد محمد بن حسن ، بن علوي ، بن شهاب ، وغيرهم .

وقد تولىٰ الخطابة يوم الجمعة بجامع (تريم) مدةً طويلةً ، وكان يخشع ويبكي أثناء الخطبة حتىٰ لا يكاد يبين كلامه ، لا سيما عند المواعظ وتلاوة الآيات القوارع والزواجر .

وذهب في آخر حياته لزيارة قبر نبي الله هود عليه السلام فسقط من فوق البعير ، فمالت رجله من مفصل الورك ، فكان ذلك سبب تركه للخطبة .

وأصابه بعد ذلك خرف قليل ، فمكث ببيته إلىٰ أن وافاه الأجل ، وانتقل إلىٰ رحمة الله عز وجل .

ومنهم : السيد الصفوة القدوة ، المحدث المسنِد الرحالة ، العلامة الولي ، ذو السر الذي يسري ، جمال الدين محمد بن سالم ، بن علوي ، ابن أحمد السري . المولود بمدينة (سنقافورة) سنة (١٢٦٤ هـ) المتوفىٰ بـ(تريم) في (١٣) جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٤٦ هـ) .

فقد أخذ عنه صاحب هـٰذه المناقب ، وصحبه ، وألبسه وأجازه إجازةً عامةً وخاصةً ، ولقنه الذكر وألقمه .

كما أجازه أيضاً في ثبته ومروياته التي يرويها بسنده المتصل إلىٰ النبي ﷺ ، وأذن له أن يجيز في ذلك من أراده .

وكان ـ رضي الله عنه ـ رجلاً كريماً سخياً ، مقرياً للضيف ، مأوًى للغرباء ، محباً للصالحين محبوباً لديهم ، وله دربة في الإدلال عليهم .

وقد نوه به وبمكانته في علم الحديث علامة الغرب ، السيد محمد

عبد الحي الكتاني الفاسي ، في كتابه : « فهرس الفهارس والأثبات » حيث عبر عنه بأنه مسنِد (تريم) بل مسنِد (اليمن) .

ومعلوم أن ذلك يرجع إلىٰ ما لهـٰذا السيد من الإسناد العالي والتقدم في علم الحديث .

وأخذ عنه جماعة الأسانيد العالية في المسلسلات وأمهات كتب الحديث .

وكان متمكناً في علوم أخرىٰ ، ويقصده العلماء والطلبة في بيته ، إما للأخذ ولطلب الإلباس والإجازة ، وإما للتبرك والقراءة عليه .

حكىٰ أحد الأدباء النابهين أنه في أوائل نشأته كان عندما أخذ في القراءة عليه في بعض الكتب جاهداً أن تكون قراءته معربةً ، وكان ـ رحمه الله ـ يلحظ أن ذلك مشوب بشيء من التصنع ، فأشار إليه بترك التكلف .

قال : ولـٰكني أظهرت أن في وسعي التزام القراءة المعربة ، فانبرىٰ لي ـ نفع الله به ـ حينئذ ، ولم ينفك يتعقبني في أغلاطي في هـٰذه القراءة ، حتىٰ رأيت أن الانصياع للنصيحة هو الأولىٰ والأسلم في الموقف .

روىٰ هـٰذه الحكاية السيد العلامة المؤرخ ، عبد الله بن حسن بلفقيه ، في كتابه « تذكرة الباحث المحتاط » .

وروي فيه أيضاً عن بعض الثقاة ، عن السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد : أنه وقع للسيد محمد هـٰذا بـ(سنقافورة) في بعض مجالس الدروس التي كانت تعقد هناك لقراءة بعض كتب الفقه الشافعي ، واحتيج لمراجعة كتاب « فتح الجواد » للشيخ ابن حجر أثناء البحث في بعض المسائل ، وأنها عرضت في هـٰذه المراجعة عبارة اعتاص علىٰ الحاضرين فهم المقصود منها ، وفيهم أمثال السيد العلامة محمد بن عقيل بن

يحيىٰ ، وبالرغم من إطالة التأمل ومعاودة النظر في هـٰذه العبارة تفرقوا عند انتهاء الدرس وقد كلت الأفهام بدون طائل .

وحدث أنه لما نام المترجَم له السيد محمد المذكور للقيلولة ، أنه رأىٰ الشيخ ابن حجر مؤلف « الفتح » فقال له لما عرفه : مالك يا شيخ عقدت العبارة في « الفتح » حتىٰ أنَّا قرأنا عبارةً وعجزنا في محاولة فهم المراد منها .

فقال له : اقرأ العبارة ، فقرأها ، فقال : أخطأت ؛ لأنك جعلت هـٰذه الكلمة من العبارة فعلاً ماضياً ، وهي مصدر .

قال : فلما قرأتها مصدراً . . تبين المقصود وانحلت المشكلة .

فأخبر عقيب ذلك أقرانه بهـٰذه الرؤيا ، واتضح لهم الأمر جلياً من حيث فهم المراد من العبارة . اهـ .

ولم يزل هـٰذا السيد بـ(تريم) مواظباً علىٰ الطاعات والعبادات ، وعلىٰ صلاة الجماعة ، وحضور المدارس والمجامع الخيرية ، إلىٰ أن انتقل إلىٰ رحمة الله عز وجل في التاريخ المذكور .

وأمه : الشريفة زينة ، بنت السيد الشريف المثري الكريم ، عمر بن علي ، بن هارون الجنيد . المتوفىٰ بـ(سنقافورة) سنة (١٢٦٩ هـ) .

ومنهم : شيخنا الإمام ، الحبيب عبد الله بن عمر ، بن أحمد ، بن عمر الشاطري .

فقد أخذ عنه أخذاً تاماً ، وتلقىٰ عنه فنون العلم حتىٰ صار من أكبر مساعديه في نشر العلم برباط (تريم) صباحاً ومساءً ، وضحىً وعشيةً ، ولازم ذلك معه ملازمةً طويلةً حتىٰ تخرج علىٰ أيديهما الجم الغفير من طلبة العلم من (تريم) وسائر بلدان (حضرموت) بل ومن كثير من الأقطار الأخرىٰ كـ(اليمن) و(جاوه) و(ملايا) وغيرها .

وقد كان الحبيب عبد الله هـٰذا يحب الحبيب علوي محبةً شديدةً ، وكثيراً ما يقول :

يا بختنا بعلوي بن عبد الله بن شهاب .

ويقول : إن من تنفسات الزمان أن أتىٰ لكم بهـٰذا الحبيب .

ويقول : إن حاله حال الشيخ عمر المحضار بن عبد الرحمـٰن السقاف .

وكان يستشيره في كثير من مهماته .

وقد أفرد لترجمة السيد عبد الله هـٰذا تلميذه ، السيد العلامة ، محمد بن سالم ، بن حفيظ ، ابن الشيخ أبي بكر ، بن سالم ، كتاباً سماه : « نفح الطيب العاطري من مناقب الإمام عبد الله بن عمر الشاطري » ، كما عمل له ترجمةً أخرىٰ مختصرةً ، رقمها بآخر كتاب « العقود اللؤلؤية في علم العربية » للسيد عبد الله المذكور . وها أنا أنقل هنا شيئاً من ذلك ، فأقول :

ذكر السيد محمد المذكور أن الحبيب عبد الله المذكور ـ رضي الله عنه ـ ولد بمدينة (تريم) بـ(حضرموت) في شهر رمضان من عام تسعين ومئتين وألف هجرية ، ونشأ نشأةً صالحةً .

وحينما بلغ سن التمييز التحق بالمتعلمين بعلمة بارشيد ، الشهيرة بعلمة باحرمي ، فقرأ القرآن العظيم علىٰ المعلِّمَين الشيخين : محمد بن سلمان باحرمي ، وابنه عبد الرحمـٰن .

ثم انتظم في سلك المتعلمين بمدرسة الحبيب عبد الله بن شيخ العيدروس ، القائم بالتدريس فيها وقتئذ الحبيب أحمد بن محمد الكاف ، والحبيب شيخ بن عيدروس العيدروس ، فقرأ عليهما في مبادىء الفقه والتصوف ، وحفظ عندهما عدة أجزاء من القرآن العظيم .

ثم أقبل إقبالاً كلياً علىٰ اكتساب العلوم الشريفة ، ولازم شيخه العلامة ، مفتي الديار الحضرمية ، الحبيب عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور ، وشيخه القائم بنشر الدعوة المحمدية ، الحبيب علوي بن عبد الرحمـٰن بن أبي بكر المشهور ، وغيرهما من علماء (تريم) .

فقرأ عليهم في التفسير والحديث ، والفقه والنحو ، والتصوف وغيرها من العلوم .

ثم رحل إلىٰ بلد (سيؤن) ومكث برباطها نحو أربعة أشهر ، وقرأ علىٰ شيخه علي بن محمد بن حسين الحبشي ، وتتلمذ له وأخذ عنه .

كما أخذ عن جملة من علماء (سيؤن) وصلحائها :

كالحبيب محمد بن حامد السقاف ، وأخيه عمر .

والحبيب عبد الله بن محسن السقاف .

والحبيب هادي بن حسن السقاف .

والحبيب علوي بن عبد الرحمـٰن السقاف ، وغيرهم .

وأخذ أيضا عن الإمام العارف بالله ، الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ، وقرأ عليه ، وحصل له منه الإلباس والإجازة في جميع مروياته ، والتلقين والمصافحة ، والمدد الظاهر والباطن .

كما أخذ عن شيخه الحبيب أحمد بن حسن العطاس ، المتوفىٰ بـ(حريضه) في شهر رجب سنة (١٣٣٤ هـ) وانتفع به وزاره في بلده (حريضه) مرتين ، وانتفع به انتفاعاً تاماً ، ولاحظته عنايته ، ورعته رعايته .

وله ـ رضي الله عنه ـ مشايخ كثيرون غير من مرت إليهم الإشارة ، منهم :

الحبيب محمد بن سالم بن علوي السري .

والحبيب حسن بن محمد بلفقيه .

والحبيب عمر بن حسن الحداد .

والحبيب أبو بكر بن عبد الرحمـٰن بن شهاب الدين .

والحبيب عيدروس بن علوي العيدروس .

والحبيب عبد الله بن حسن بن صالح البحر .

والحبيب عبد الله بن محمد الحبشي .

والحبيبان : محمد وعمر ، ابني صالح بن عبد الله العطاس .

والحبيب حامد بن أحمد بن محمد المحضار ، وغيرهم .

ورحل ـ نفع الله به ـ إلىٰ الحرمين الشريفين مع والده سيدي عمر بن أحمد الشاطري ، وأدىٰ حجة الإسلام في سنة (١٣١٠ هـ) هجرية ، وبقي هناك ، وشمر عن ساق الجد في الطلب والتحصيل ، وعكف علىٰ كسب العلوم الدينية والعربية والعقلية ، مع ضبط المسائل وتقييدها ، والاحتفاظ الكامل بوقته النفيس .

وكان هناك يتلقىٰ عن مشايخه فيما بين اليوم والليلة ثلاثة عشر درساً ، ويطالع قبل الدرس موضوع كل درس من هـٰذه الدروس .

ومن مشايخه الذين تلقىٰ عنهم هـٰذه الدروس بـ(مكة) المكرمة :

العلامة الحسين بن محمد الحبشي .

والشيخ العلامة محمد بن سعيد بابصيل .

والفقيه النحرير عمر بن أبي بكر باجنيد .

والشيخ العلامة أبو الهدىٰ ، وغيرهم .

وكانت مدة إقامته بـ(مكة) نحواً من ثلاث سنين وبضعة أشهر ، وقد تحصل فيها علىٰ نصيب وافر من تلك العلوم .

وبالجملة : فقد احتوت معارف هـٰذا الإمام علىٰ قراءة الكتب العديدة والمجلدات الضخمة ، التي كان كثيراً ما يتجول بين رياضها ويجني من ثمارها ؛ كـ« المنهاج » للنووي ، وشروحه وحواشيه ، و« الإرشاد » وشروحه وحواشيه ، في الفقه . وكـ« ألفية ابن مالك » وشروحها وحواشيها ، و« مغني اللبيب » وحواشيه ، و« الشذور » وحواشيه ، و« القطر » وشروحه وحواشيه ، في النحو . وكـ« الجوهرة » وشروحها وحواشيها ، و« السنوسية » في التوحيد .

وكـ« السُّلَّم » وحواشيه في المنطق .

وكـ« التلخيص » وشروحه ، وحواشي « السعد » في المعاني والبيان والبديع .

وكـ« السمرقندية » وحواشيها في الاستعارات .

وكـ« جمع الجوامع » وحواشيه في « الأصول » .

إلىٰ غير ذلك من التفاسير والمسانيد ، والتواريخ ، وكتب التصوف ، مما لا يحتمل المقام تعداده .

ولما عاد من (مكة) المكرمة في سنة (١٣١٤ هـ) إلىٰ وطنه (تريم) قام بالتدريس الخاص في رباط (تريم) وتولىٰ إدارته العلمية ، وبترتيب الطلبة به ، وتنظيم حلقاتهم ، وبذل جهده في ترقيهم وفي كل ما يعود عليهم بالنفع .

وكان يشرع في تدريس العلم كل يوم بعد صلاة الفجر إلىٰ أن تمضي بعد الإشراق ساعة فأكثر ، ثم يعود إلىٰ البيت ، وبعد تناول طعام الفطور يعقد جلسةً للتدريس في الرباط إلىٰ أن يضحي النهار ، ثم يعقد جلسةً

أخرىٰ بين العصرين إلىٰ حوالي الساعة العاشرة قبل الغروب ، ثم يعقد جلسةً رابعةً بعد صلاة المغرب إلىٰ حوالي الساعة الثانية بعد العشاء .

وقام بالدعوة إلىٰ الله كل ليلة جمعة بجامع (تريم) بين العشاءين من سنة (١٣٤١ هـ) بعد وفاة شيخه الحبيب علوي بن عبد الرحمٰن المشهور ، كما أنه كان يخلفه في ذلك في حال حياته ، إذا غاب عن البلد أو قام به عذر .

وقد تخرج بالمترجم ـ نفع الله به ـ خلائق لا يحصون ، وانتشر النفع بتعليمه انتشاراً عظيماً ، فما من صقع من الأصقاع ولا ناحية من النواحي إلا وتجد هناك من تتلمذ له ، بنفسه أو بواسطة .

وكان ـ رضي الله عنه ـ متحلياً بشريف الصفات وسني الأخلاق ، فقد عهدناه نبيلاً ، لين الجانب ، بعيد الهمة ، كثير الخشية ، غزير الدمعة ، رقيق العاطفة ، حسن الطوية ، صافي السريرة ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وكان جم التواضع ، كثير الاعتراف .

وكان من المنصفين لمعاصريه من العلماء والصلحاء ، يَقْدُر كلامهم قدره ، ويعرف لكل منهم حقه .

وكان يتحرىٰ الصدق في جميع خلاله ، وكان كريم النفس عظيم الثقة بالله تعالىٰ ، وكان علىٰ غاية من الورع واجتناب الشبهات ، محافظاً علىٰ الأوامر الشرعية في الحركات والسكنات .

وكانت وفاته ـ رضوان الله عليه ـ ليلة السبت ، الموافق في (٢٩) شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٦١ هـ) ودفن بمقبرة زنبل بـ(تريم) الغناء ، وقيلت فيه مَرَاثٍ عديدة ، نظماً ونثراً .

رضي الله عنه وأرضاه وجمعنا وإياه في دار رضاه ، مع أنبياه وأصفياه ، آمين . اهـ بتصرف وحذف قليلين .

ومنهم : الإمام العلامة ، الحبر الفهامة ، الداعي إلىٰ سبيل السلامة ، والسالك في منهج الاستقامة ، الحبيب حسين بن أحمد ، بن محمد الكاف .

فقد أخذ عنه صاحب هـٰذه المناقب ، وقرأ عليه في الفقه والتصوف ، وانتفع به انتفاعاً تاماً .

وكانت له به محبة شديدة ورابطة متينة ، وهو الذي أشار عليه بأن يخلفه في القيام بجلسة التذكير والوعظ ، وقراءة قصة المولد النبوي التي كان يعقدها السيد حسين المذكور كل ليلة جمعة بين العشاءين في مسجد الزاهر بنويدرة (تريم) .

فصار يخلفه فيها إذا غاب عن البلد أو قام به عذر ، كما قام بها بعد وفاته ، إلا أنه نقلها فيما بعد إلىٰ مسجد شهاب الدين بالنويدرة ؛ لكثرة الجمع فيه .

واستمر علىٰ ذلك إلىٰ ما قبل وفاته بنحو سنتين ، حينما ضعف عن الإتيان إلىٰ ذلك المسجد لبعده ، فأناب منابه في ذلك ابنه العالم اللوذعي ، السيد محمد بن علوي ، فقام بها أتم قيام ، واستمر علىٰ ذلك إلىٰ اليوم ، كان الله في عونه .

وكان السيد حسين المذكور عظيم القدر ، جليل المقدار في العلم والعمل والسيرة الحسنة . تولىٰ القضاء بمدينة (تريم) مرتين .

قال في حقه شيخه العلامة الحبيب ، عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور ، في « الشجرة العلوية » ما نصه :

كان سيداً ذكيّاً ، نبيهاً ، فقيهاً ، رضياً . اهـ .

وأمه : الشريفة زهراء بنت أحمد ، بن علوي ، بن أحمد الكاف .

وكانت وفاته بـ(تريم) في (٢) شهر شوال سنة (١٣٣٣ هـ) رحمه الله رحمة الأبرار ، وأسكنه وإيانا جنات تجري من تحتها الأنهار . ودفن بمقبرة زنبل .

ووالده : السيد الحبيب أحمد بن محمد ، سبق أنه من شيوخ صاحب هـٰذه المناقب ، وأنه انتفع به وقرأ عليه في مدرسة آل عبد الله بن شيخ العيدروس ، في مبادىء الفقه والتصوف ، كما حضر مجالسه ودروسه في أماكن أخرىٰ .

وكان السيد أحمد هـٰذا من الصور العلمية الكبرىٰ ، والشخصيات الصوفية العظمىٰ ، وكبار الأئمة المرشدين ، والعباد الزاهدين المتقين ، لا يشبه إلا بأصحاب « الرسالة القشيرية » زهداً وورعاً ، وقناعةً وتقشفاً ، وعبادةً ، وخشونة معاش وملبس .

لا يزال مشتغلاً بطاعة الله ، إن لم يكن في علم . . ففي صلاة ، وإن لم يكن في صلاة . . ففي ذكر وتسبيح . . وهـٰكذا ، من طاعة إلىٰ طاعة .

أضف إلىٰ ذلك أنه كان ذا أخلاق ناعمة ، وحياة علوية ، واستقامة نبوية ، وتواضع إلىٰ أقصىٰ الحد ، لا يمشي في الطريق إلا متطيلساً ، فهو ممن ينطبق عليهم قوله تعالىٰ : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] إلىٰ آخر الآيات .

وفي « الشجرة العلوية » مكتوب عند اسمه بقلم العلامة الحبيب ، عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور ، ما لفظه : كان سيداً فاضلاً ، عالماً عاملاً ، داعياً إلىٰ الله بقوله وفعله ، باذلاً نفسه لنفع الناس وتعليم العوام ، لا يَفتُر ، ولا يرىٰ نفسه ، مرغِّباً في الخير محباً له ، مقبولاً عند الناس ، سليم البال ، ملحقاً بالرجال .

ولد بـ(تريم) وتوفي بها عشية الخميس ، في شهر (٢٠) شعبان سنة (١٣١٧ هـ) .

وأمه : الشريفة رقية بنت محمد ، ابن الحبيب طاهر ، بن حسين ، بن طاهر . وأمها : الشريفة نور بنت الحبيب عبد الله ، بن حسين ، بن طاهر ، كما في « الشجرة » أيضاً ، رضي الله عنهم أجمعين .

وبالجملة : فقد انتفع سيدنا صاحب هٰذه المناقب بجميع مشايخه ، مَن ذكر منهم هنا ومن لم يذكر ، وحضر مجالسهم والتقط نفائسهم ، ولاحظته عناياتهم ورعته رعاياتهم ، وعمرته بركاتهم ، وحصل له من أكثرهم الإجازة ، ومن البعض منهم مع الإجازة والتلقين ، والإلباس والتلقيم ، والمصافحة والمشابكة ، والإذن له في أن يجيز ويلبس . إلىٰ غير ذلك مما هو مصطلح عليه عند أهله . نفعنا الله بهم ، وأعاد علينا من بركاتهم وأسرارهم وأنوارهم ، آمين .

* * *

ذِكر بعض الآخذين عنه من أقرانه وممن دونهم

حضر تدريس سيدي ـ رضي الله عنه ـ ومذاكراته مرات عديدة من أقرانه ، بل وأشياخه ، خلق كثيرون ، أذكر منهم الآن :

الإمام العلامة ، أحمد بن عبد الرحمٰن ، بن علي السقاف .

والإمام العلامة ، محمد بن هادي ، بن حسن السقاف .

والعلامة عبد الرحمٰن ، بن عبيد الله ، بن محسن السقاف .

والعلامة عبد الله بن طاهر الحداد ، وأخاه الإمام العلامة ، علوي بن طاهر الحداد .

والعلامة سالم بن حفيظ ، ابن الشيخ أبي بكر بن سالم .

والعلامة الحسن بن إسماعيل ، بن الشيخ أبي بكر .

والإمام عمر بن أحمد بن أبي بكر ، بن سميط .

والإمام الحسين بن عبد الله ، بن علوي الحبشي .

والحبيب الداعي إلىٰ الله ، علي بن عبد الرحمـٰن الحبشي .

والحبيب علوي بن محمد ، بن أحمد المحضار ، بن الشيخ أبي بكر بن سالم . وغيرهم كثير .

وممن أخذ عنه وانتفع به أيضاً :

ابنه محمد بن علوي ، وأولاده الثلاثة : عبد الله ، وعلي ، وأبو بكر .

ومنهم : السيد الفاضل ، عبد القادر بن أحمد ، بن محمد بلفقيه .

والسيدان : محمد وعبد الرحمـٰن ، ابني الحسن بن علوي ، بن شهاب الدين .

والسيد الفاضل أبو بكر بن محمد ، بن أحمد السري .

ومنهم : الفقيه السيد الفاضل ، عبد الله بن علي المشهور .

والسيد الفاضل ، محمد بن سالم بن حفيظ . وهو الذي جمع كلامه في ستة مجلدات ، وقد قرأها عليه في حياته .

ومنهم : السيد الفاضل ، عبد الرحمـٰن بن حامد السري .

والسادة الفضلاء : علي ، ومحمد ، وعبد الرحمـٰن ، بني عبد الله بن علي بن شهاب الدين .

والسيد محمد المهدي والحسن ، ابني عبد الله بن عمر الشاطري .

والشيخ محفوظ بن سالم ، بن عثمان .

والشيخ عبد الله بن محمد بازغيفان ، وجمع من كلامه عشرة مجلدات ، وقرأها عليه في حياته .

وغير هـؤلاء ممن يطول ذكرهم ويتعذر حصرهم ، وهم يبلغون المئات بل الألوف ، إذ أن منِ المعلوم أنه لكثرة الدروس التي كان يلقيها ، وكثرة المحتشدين لحضورها يكون له العدد الوافر من التلاميذ الحاملين عنه العلوم بأنواعها .

* * *

الفصل الرابع

في ذكر قيامه بنشر الدعوة والإرشاد ، وتصدره في الدروس العامة بـ(تريم) وذكر استقامته ومجاهداته ، رضي الله عنه

أما قيامه بنشر الدعوة إلىٰ الله : فكان من ريعان شبابه .

وكان يتألف بالدعوة العوام وبعض الطلبة ، ويجلس معهم المجالس الخاصة ، فيذكرهم بأيام الله ، ويعظهم ويعلمهم أمور دينهم وما مشىٰ عليه السلف الصالح ، وكان محبباً لديهم .

ولا يزال مستمراً كذلك حتىٰ شاءت الأقدار الإلـٰهية أن يعقد شيخه العلامة القاضي ، حسين بن أحمد ، بن محمد ، بن عبد الله الكاف ، جلسةً بين العشاءين كل ليلة جمعة بمسجد الزاهر بـ(تريم) بالنويدرة ؛ للتذكير والوعظ وقراءة قصة المولد النبوي للديبعي .

واستمر علىٰ ذلك مدةً طويلةً ، ثم إنه لما اشتغل بأمور القضاء والفتيا ، ورأىٰ من نفسه أنه ربما يتأخر بسبب ذلك عن تلك الجلسة . . أخذ يفكر في تحصيل شخص كفؤ يقوم مقامه فيها ، فخطر علىٰ باله صاحب هـٰذه المناقب ـ رضي الله عنه ـ ورأىٰ أن فيه الكفاءة التامة لذلك ، ولـٰكنه أخذ يفكر كيف يقتنصه ؛ لما يتخيله من أنه لا يطيعه في ذلك بسبب عدم محبته للظهور والشهرة ، .

فلما ابتدأ الناس يجتمعون في ذلك المسجد ليلة جمعة في أحد شهور سنة (١٣٣٠ هـ) جاء إليه وهو بمسجد الماس ، وقال :

إن الناس مجتمعون هناك ، وهم ينتظروني ، وقد قام بي الآن عذر يمنعني من الحضور هناك ، فأرجو منك أن تقوم مقامي هـٰذه الليلة ، ولك من الله الأجر والثواب الجزيل .

فأخذ يعتذر إليه بقصورهِ وعدم كفاءته لذلك ، وبأن هناك من هو أسن منه وأعرف ؛ كأولاد السيد زين بن محسن الهادي وغيرهم .

فلم يقبل اعتذاره ، وكلف عليه في الذهاب ، وقال له : ليس الآن الوقت متسع لتحصيل غيرك . فلم يسعه إلا امتثال أمره .

فذهب وأقام المولد تلك الليلة ، وذكَّر الناس ووعظهم بمواعظ خشعت لها القلوب وذرفت منها العيون ، وكان ذلك بمسمع من شيخه الحبيب حسين المذكور ؛ إذ كان جالساً مختفياً في إحدىٰ زوايا المسجد يستمع . كذا في بعض الروايات .

وفي رواية أخرىٰ : أن شيخه المذكور ذهب في تلك الليلة إلىٰ مسيلة آل شيخ ، ومكث أسبوعين أو ثلاثة أسابيع ، فأقام صاحب المناقب المولد في تلك الأسابيع بالرغم من تمنعه من ذلك ، ثم عاد شيخه في ليلة جمعة ، فجاء إلىٰ المسجد ومكث في إحدىٰ زواياه مختفياً يسمع المذاكرة . . إلىٰ آخر الرواية التي أعلاه . ولم يذهب إلىٰ مكان آخر ، وإنما ورَّىٰ له بوجود العذر له في وقت ضيق لكي يجيبه إلىٰ ذلك ، حتىٰ يتمرن علىٰ الوعظ والتذكير .

فلما رأىٰ شيخه جودة إلقائه وحسن تذكيره ووعظه ، وشدة وقعهما في قلوب السامعين . . دخل عليه وهو في حالة الوعظ ، فأراد أن يسكت خجلاً من شيخه ، فقال له : علىٰ رسلك .

فلما انتهىٰ من ذلك ، وصليت العشاء ، وانفض الناس . . طلب منه شيخه أن يخلفه في ذلك ويستمر في كل ليلة جمعة ، فأخذ يعتذر إليه ، فلم يقبل له عذراً ، ولم يسعه حينئذ إلا الامتثال ، فأقام المولد بذلك المسجد مدةً ، ثم نقله إلىٰ مسجد دحمان ، ثم إلىٰ مسجد شهاب الدين بالنويدرة أيضاً ؛ لكثرة الجمع فيه ، واستمر علىٰ ذلك إلىٰ ما قبل وفاته ـ رحمة الله عليه ـ بنحو سنتين ، فإنه لما ضعف عن الذهاب إلىٰ ذلك المسجد لبعده . . صار يخلفه في ذلك ابنه العالم العامل ، الولي محمد بن علوي ، فكان في ذلك مثل والده .

أما المولد الآخر الذي كان يقيمه صاحب المناقب ـ رضي الله عنه ـ ليلة الثلاثاء من كل أسبوع . . فكان سبب إقامته أن الناس لما أعجبوا بكلامه ووعظه وتذكيره الذي يلقيه إليهم بمسجد شهاب الدين ، ووقع موقعاً في قلوبهم . . طلب منه البعض ممن كان يحضر المولد والتذكير في تلك الليلة بمسجد الجامع أن يعقد لهم جلسةً أخرىٰ في ليلة أخرىٰ ، حرصاً علىٰ سماع كلامه ووعظه وتذكيره ، مع ما لهم به من حسن الظن والاعتقاد التام والمحبة القوية .

فأجابهم إلىٰ ذلك ، وصار يعقد جلسةً أخرىٰ لقراءة قصة المولد والتذكير بمسجد باهارون بالنويدرة كل ليلة ثلاثاء ، فأقبل الناس علىٰ الحضور ، وأخذوا يتزايدون من كل الحارات ، بل ومن خارج البلد ، حتىٰ ازدحم بهم المسجد فنقل ذلك إلىٰ مسجد الشريف سرور بالنويدرة ، فازدحم بهم أيضاً .

واستمر علىٰ ذلك إلىٰ أن ضعف وصار لا يستطيع الخروج من بيته إلىٰ المسجد ، فنابه في ذلك ابنه محمد .

وقد جُمِعت مواعظه وتذكيراته التي كان يلقيها في تلك الجلسات

وغيرها من المجالس العامة فأشغلت كثيراً من المجلدات الضخمة .

جزىٰ الله جامعيها خيراً ، فقد خلدوا لنا ولجميع الخلق شيئاً عظيماً .

وحضر مرةً إحدىٰ هـٰذه الجلسات السيد العلامة ، الحبيب أحمد بن عبد الرحمـٰن ، بن علي ، بن عمر السقاف ، فقال مخاطباً لصاحب هـٰذه المناقب :

إنني حضرت مجالس المتقدمين من شيوخنا ، فلم أجد من السكينة والهيبة والجلال مثل ما وجدته منها في هـٰذه الجلسة ، وما هـٰذا إلا دليل علىٰ أنها خالصة لوجه الله الكريم .

قال صاحب المناقب : ففرحت بكلامه هـٰذا ، وسررت به سروراً عظيماًوشكرت الله تعالىٰ ، وقلت في نفسي : الحمد لله إن هـٰذا الكلام شهادة من عارف بالله تعالىٰ .

وكان صاحب المناقب ـ رضي الله عنه ـ يثني علىٰ من يحضر تلك الجلسات ثناءً جميلاً ، ويقول : حسرةً كبيرةً علىٰ من لم يحضرها .

ويقول : إنها من الأعياد والحبشات التي تكون بـ(تريم) .

وكان ـ رضي الله عنه ـ ليلة المولد يتغذىٰ بالمذاكرة وبما يحصل في الجلسة من الهيبة والجلال ، فلا يذوق في تلك الليلة عشاءً ولا أي ذواق آخر حسي ، إستغناءً بما يحصل له في الجلسة من الذواق المعنوي .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يعقد جلسةً عشية كل يوم ، عدا يومي الاثنين والخميس ، يحضرها كثير من الناس ، يقرأ عليه الطلبة في كتب شتىٰ من كتب التصوف وكلام السلف الصالح ، ويتخلل القراءة بشيء من كلامه القيم في سير الصالحين وأخلاقهم ، ويكثر من الحكايات عنهم ، حتىٰ تود أنه لا يسكت .

وكان أهل هـٰذه الجهة يسمون الجلسة التي تعقد في العشية « الروحة »

إلا أن أهل (سيؤن) يمدونها إلىٰ وقت العشاء ، فيصلون المغرب في أثنائها ويختمونها بصلاة العشاء .

وكان ـ رضي الله عنه ـ أول ما بدأ هـٰذه الجلسة في بيته ، فتسامع الناس بها وأخذوا ينثالون إليها زرافات ووحداناً ، حتىٰ كثروا وضاق بهم المنزل .

وكان من بينهم السيد الأديب ، النجيب الفقيه ، العلامة محمد بن حسن ، بن علوي ، بن عبد الله ، ابن شهاب الدين .

فأشار علىٰ صاحب المناقب أن ينقل تلك الجلسة إلىٰ أحد المساجد الواسعة ، فنقلها إلىٰ مسجد سرور الواقع قرب بيته ، وذلك في أجواء عام بضع وأربعين وثلاث مئة وألف للهجرة ، واستمرت إلىٰ ما قبل وفاته بنحو سنتين ، حينما شاخ وضعف عن الخروج إلىٰ المسجد ، فتولاها ابنه محمد ، وقام بها أتم قيام .

وقد قرأ فيها عديد الكتب ، في علوم التصوف والسير والأخلاق ، وجمع من جواهر كلامه فيها ما ملأ المجلدات الضخمة ، فرضي الله عنه وعنا به ، آمين .

وأما تصدره في المدارس العامة بـ(تريم) :

فأول ذلك : تصدره التدريس بزاوية مسجد جده الشيخ علي بن أبي بكر السكران بـ(تريم) يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع ، بين الظهر والعصر .

وكان ذلك بعد وفاة المتصدر قبله ، وهو السيد العلامة ، علي بن زين بن محسن الهادي سنة (١٣٤٦ هـ) ، علىٰ أنه قد كان يخلفه في حياته إذا قام به عذر ، وقد سبق أن هـٰذا الدرس لا يتولىٰ التصدر فيه عادةً إلا من كان متأهلاً له من أولاد الشيخ علي نفسه ، سواء كان من

السادة آل شهاب ، أو آل المشهور ، أو آل الهادي ، أو غيرهم ممن ينتسب إليه .

والدرس غالباً يكون في الفقه في كتب شتىٰ متعددة ، إلا أن « المنهاج » و« الإقناع » و« فتح المعين » كثيراً ما تكرر قراءتها ، ويختم الدرس بالقراءة في شيء من كتب التصوف ، كـ« الإحياء » ونحوه ، ثم يصلي بهم ذلك المتصدر العصر في المسجد .

ويزدحم المسجد بالمصلين غالباً ، لا سيما في أيام تدريس صاحب المناقب ؛ لوفور اعتقاد الناس فيه ، وحرصهم علىٰ سماع تقريره ، وإيضاحه المسائل الغامضة ، وتبيينه الخلاف الواقع بين العلماء في بعض المسائل ، لا سيما الخلاف الواقع بين الأئمة ابن حجر والرملي ، والخطيب وبامخرمة .

وطبعاً ، إن من كان تقريره بهـٰذا الوصف لا بدع أن يحتشد التلامذة حوله من مختلف الجهات ويكثر الآخذون عنه ، كما هو الواقع في صاحب هـٰذه المناقب ، فإن تلاميذه الذين أخذوا عنه وانتفعوا به لا يعلم عددهم وحصرهم إلا الله تعالىٰ .

بسبب ذلك ، وبسبب مساعدته لشيخه العلامة الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري المدة الطويلة في تعليم الواردين إلىٰ الرباط من داخل (حضرموت) وخارجها ، كشرقي (اليمن) والقبلة ، وكـ(الشحر) و(المكلا) والشرق الأقصىٰ ، و(أفريقيا) و(الهند) وغيرها . . فقل أن يوجد طالب علم في هـٰذا العصر ـ وخصوصاً بداخل (حضرموت) والقبلة ـ ليس من تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه ، رضي الله عنه وعنا به ، آمين .

ثم إنه لما عزم شيخه الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري علىٰ أن يغادر

(تريم) في إحدىٰ رحلاته إلىٰ (دوعن) أو (الغيل) حوالي سنة (١٣٤٦ هـ) لنشر الدعوة إلىٰ الله هناك . . طلب من سيدنا صاحب هـٰذه المناقب أن ينوب عنه في التصدر في مدرس الرباط العام الذي يعقد صباح يومي السبت والأربعاء من كل أسبوع ، فامتنع من ذلك معتذراً له بعدم أهليته لذلك ، وبأن في البلد من هو أسن منه وأعز ؛ وكالحبيب عبد الله بن عيدروس العيدروس ، وكالحبيب عبد الباري بن شيخ العيدروس ، وغيرهما ممن هو أهل لذلك .

فلما علم بامتناعه ناظر الرباط السيد عمر بن أحمد الشاطري ، والد الحبيب عبد الله المذكور . . عزم علىٰ أن يعطل المدرس طيلة غيبة ابنه عبد الله ، فرأىٰ صاحب هـٰذه المناقب في المنام الحبيب العارف بالله شيخ بن عيدروس العيدروس يقول له : أقم مدرس الرباط ، وأنا أطلب من الشيخ عبد الله العيدروس الأكبر أن يبصق في فمك حتىٰ يفتح الله عليك وينطلق لسانك في الكلام .

فلم يسعه بعد ذلك إلا الامتثال ، فأقام المدرس مدة غيبة شيخه المذكور ، وصار يخلفه في ذلك كلما قام به عذر .

ولما سمع بإقامته للمدرس شيخه الحبيب العارف بالله ، عبد الله بن عيدروس ، بن علوي العيدروس . فرح بذلك فرحاً شديداً ، وسر سروراً عظيماً ، وقال : الحمد لله ، لقد بُني لنا حصن بـ(تريم) ، وهو قيام علوي بن عبد الله بن شهاب بمدرس الرباط .

ولما توفي الحبيب عبد الله الشاطري سنة (١٣٦١ هـ) ناب منابه في التصدر في المدرس صاحب هـٰذه المناقب نفع الله به ، واستمر علىٰ ذلك إلىٰ ما قبل وفاته بنحو سنتين ، حينما شاخ وضعف وجلس في بيته .

وكان هـٰذا المدرس يعقد في بدء الأمر يومي الأحد والأربعاء ، ثم

حول إلىٰ السبت والأربعاء ؛ لكثرة ما يصادف صبيحة الأحد من ولائم الأعراس . والقراءة فيه تكون في التفسير والحديث ، والفقه والتصوف ، والمدوَّن من كلام ومذاكرات أئمة العلم والصلاح من مشاهير (حضرموت) في العصر ، ويختم الدرس بقراءة سورتي الفاتحة ويس ، ثم الإنشاد بشيء من نظم العارفين بالله ، فقراءة الفاتحة ثانياً ، فالدعاء ، ويختم الدعاء بقول سيدنا الحبيب أحمد بن عمر بن سميط ـ رضي الله عنه ـ :

ربنـــا انفعنـــا بمـــا علمتنـــا رب علمنـا الـذي ينفعنـا . إلـخ

ويستمر الدرس قدر ساعتين أو ساعتين وربع ، ويعطل في الأيام التي تصادف المناسبات ، من الأعياد ، وشهر رمضان ، وزيارة نبي الله هود عليه السلام ، أو التي يتفق فيها وجود عائق ، من نحو تشييع جنازة من يهتم بحضور جنازته أو جمهور الحاضرين بهـٰذا المدرس .

والصدارة فيه تكون لمن يكون بمثابة عين العلماء بـ(تريم) إذ يحضر الدرس فيه غالباً علماء وطلبة العلم بـ(تريم) ونواحيها ، كما يحرص علىٰ شهوده القصاد لزيارة (تريم) .

وكان أول المتصدرين فيه عقب فتح الرباط للتعليم سنة (١٣٠٥ هـ) : الحبيب العلامة عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور ، بصفته عين العلماء بـ(تريم) في ذلك الوقت ، واستمر علىٰ ذلك إلىٰ أن توفي سنة (١٣٢٠ هـ) ، فخلفه في ذلك ابنه الإمام العارف بالله ، الحبيب علي بن عبد الرحمـٰن ، واستمرت صدارته وامتدت نحو ربع قرن إلىٰ حين وفاته في شوال سنة (١٣٤٤ هـ) .

ثم تولىٰ الصدارة بعده : الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري المذكور ، وبقيت له إلىٰ أن توفي سنة (١٣٦١ هـ) ثم تولاها صاحب هـٰذه المناقب ـ رضي الله عنه ـ كما سبق .

ما كان المعتصم به هكذا مستخفاً عند ذلك به هو يتشوق إلى
الصداقة العلمية ، مما كان أحد القدماء يتأسى بالحال أو
غيره من المتأخرين الثالث .

وقد كان الناس في هذه الساعة يحتاجون إلى
قدر معلوم من الأدب ، فإن لم يكن في هذا فقد
ضاعت العلوم - ولا سيما هذه النعمة التي الله
بها على الشاهد بعلمه هذه الأمة - وإذا كان العالم ،
والمتعلم كالمتنازعين فإن الأدب يحتاج إلى
قدر معلوم ، وإن كان الناس في هذا الزمان
يختارون القدر اليسير من الأدب ، وهو
الذي يتعلق بالمعاش ، وإن كان الأدب في
العلم أكثر ، فإن الأدب في العلم بالنسبة إلى
الأدب في المعاش كالقمر بالنسبة إلى
الشمس .

فإن قال : إن العادة جارية بين العلماء
بأن يكون في مجالسهم : قلت إن هذا
العلم ليس مما كان أكثر العلماء
يتعاطونه ، وإنما كان يتعاطاه الأفراد
منهم ، وإنما كان يتعاطاه الأفراد
منهم لأنه كان يتعلق بأمور دينية
وأمور دنيوية ، فكان يحتاج إلى
جميع الأدب ، فإن هذا الأدب يختلف بحسب
اختلاف الأحوال ، فمنه ما يتعلق بحال
السلطان والعمال ، ومنه ما يتعلق بحال
العلماء والمتعلمين ، ومنه ما يتعلق بحال
العامة ، وهذا كله في زمان كان
كذلك .

* * *

ذكر استقامته ومجاهداته رضي الله تعالىٰ عنه

كان ـ رضي الله عنه ـ في الاستقامة والمجاهدة في النسك بالمحل الأعلىٰ والمكان الأسمىٰ ، فكان إذا قام لأداء الصلاة ودخل فيها . . يتغير لونه ، حتىٰ تظن أنه خرج من عالم إلىٰ عالم .

وللواصف أن يقول : إنه يصلي كل صلاة فكأنها صلاة مودع . ويطيل القراءة فيها ، لا سيما في النافلة ، ولا بدع في ذلك ولا عجب ، فقد كان له النصيب الأوفىٰ والحظ الأوفر من ميراث جده الأعظم سيدنا محمد ﷺ ، الذي يقول : « **وجعلت قرة عيني في الصلاة** » والشيء من معدنه لا يستنكر ، نفعنا الله به .

وكان ـ رحمه الله ـ محافظاً علىٰ جميع الرواتب ، وعلىٰ الوتر والضحىٰ ، وصلاة التهجد ، وعلىٰ تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار ، وعلىٰ الأذكار والأوراد .

وكان موزعاً جميع أوقاته علىٰ العبادات وأنواع الطاعات ، وكان اعتناؤه بالنفع المتعدي واشتغاله به أكثر .

وكان مقبلاً بكليته علىٰ الله عز وجل ، حتىٰ إن المتكاسل عن الطاعة إذا رآه عند قيامه للعبادة . . زال عنه الكسل ، وازداد همةً ونشاطاً ، وسرىٰ من إقباله ـ نفع الله به ـ فيه سر يحس به الرائي في نفسه .

وكان يستيقظ آخر الليل فيتهجد ، ثم يخرج إلىٰ مسجد سرور ويقرأ القرآن إلىٰ أذان الفجر ، فيشتغل بالأذكار الواردة وبالراتبة حتىٰ يمضي من الوقت قدر قراءة نصف جزء من القرآن العظيم ، فيقوم لأداء الفريضة ، ثم يذهب إلىٰ بيته فيتلو الأذكار الواردة بعد الصلاة ، ثم أوراد الصباح .

هـٰذا دأبه في غير شهر رمضان ، أما فيه : فإنه لا ينام إلا غفوةً من أول الليل ، ثم يذهب إلىٰ مسجد جده الشيخ عمر المحضار للاعتكاف وتلاوة القرآن فيه ، حتىٰ إذا حان وقت الصلاة آخر الليل . . قام فصلىٰ العشاء والتراويح والوتر ، إماماً في العشاء ومأموماً في الباقي .

ولا تسأل عن حسن صلاته وقراءته ؛ فإنه يؤدي ذلك بغاية الحسن والإتقان .

ثم يجلس لسماع المدائح النبوية التي تقرأ عادةً في ذلك المسجد وغيره من مساجد (تريم) بعد صلاة التراويح والوتر حتىٰ إذا ختمت الجلسة بالدعاء وقراءة الفاتحة . . ذهب إلىٰ بيته لتناول طعام السحور ، ثم يخرج إلىٰ مسجد سرور لأداء فريضة الصبح ، ثم يرجع إلىٰ البيت مشتغلاً بالأذكار والأوراد ، ولم ينم إلا بعد الفراغ من ذلك وبعد أن تشرق الشمس ويركع ركعتي الإشراق .

ولا يستغرق في نومه إلا نحو ساعتين أو ثلاث ، فإذا انتبه فلا يمكث في البيت إلا قليلاً ، ثم يذهب إلىٰ مسجد الماس ، فيتوضأ ويصلي الضحىٰ ، ثم يشتغل بتلاوة القرآن إلىٰ وقت صلاة الظهر ، فيصلي بالناس .

وبعد صلاة الراتبة يرجع إلىٰ تلاوة القرآن العظيم ، حتىٰ إذا حان وقت صلاة العصر . . صلىٰ الراتبة ، ثم صلىٰ بالناس . ثم يزدحم المسجد بالواردين لحضور جلسة الروحة التي كان يعقدها فيه ، وتحتوي تلك الجلسة علىٰ القراءة في كتب القوم ، وعلىٰ مذاكرات تخرج من قلب مملوءة حكمةً وإيماناً ، فتنتعش الأرواح وتفتح لها أبواب الفلاح والنجاح .

وكان يخرج من هذه الجلسة قبل المغرب بنحو ساعة ، فيذهب لتناول

طعام الإفطار ، وهناك يؤدي فريضة المغرب ، ثم يتحدث مع أولاده وأهله ساعةً .

هٰكذا كان دأبه ـ رضي الله عنه ـ كما شاهدناه ورأيناه لا يتأخر عنه إلا لقيام عذر شرعي .

وبالجملة : فإنه كان علىٰ غاية من الاستقامة ، فلو لاحظ أوقاته ملاحظ لم يجدها إلا موزعةً في أنواع العبادات ، من صلاة إلىٰ تلاوة إلىٰ تدريس إلىٰ أمر بمعروف أو نهي عن منكر . . إلىٰ غير ذلك من أنواع القربات والطاعات .

ومن المعلوم أن قرب الإنسان من ربه بقدر أعماله الأخروية ، التي أعظمها ما يتعدىٰ نفعه إلىٰ الغير ، ولسيدنا صاحب هٰذه المناقب من تلك الأعمال الحظ الأوفر منها ، كما عُلم مما سبق ، وكما سيُعلم مما يأتي .

وقد ذكر العلماء ـ نفع الله بهم ـ في مضاعفة الأعمال أنها تتكرر المضاعفة دائماً كلما زاد عمل عامل لمن كان السبب في هدايته ولو بوسائط متعددة .

ومن هنا نعرف أن فضائل سيدنا صاحب هٰذه المناقب ـ رضي الله عنه ـ لو كان يكتبها أحد غير ملائكة الله تعالىٰ لما استطاع ؛ إذ كم من غاوٍ وكم من ضال ، وكم من جاهل وكم من ظالم رجع واهتدىٰ ، وفهم وانثنىٰ عن ظلمه ، وتاب إلىٰ ربه وأناب إليه بواسطة هٰذا الحبيب ، أو بواسطة أحد ممن أخذ عنه وانتفع به ، أو بواسطة من أخذ عمن أخذ عنه . . وهٰكذا ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

* * *

الفصل الخامس

في ذكر خلقه وأخلاقه وأحواله رضي الله عنه

أما خلقه : ـ نفع الله به ـ فقد كان مربوع القامة ، لا بالطويل ولا بالقصير ، بل إلىٰ الطول أقرب . سبط البدن ، ليس بالبدين ولا بالنحيف بل إلىٰ النحف أقرب . نشيط الحركة في توءدة ووقار .

يعلو وجهه هيبة وجلالة ، يميل وجهه إلىٰ الطول ، في أنفه قنىً واحديداب قليل ، ضليع الفم ، نقي الصوت ، إذا قرأ في الصلاة فجهر . . نفذ صوته وتغلغل إلىٰ المكان البعيد في غير إزعاج .

وكان له في القراءة نغمة معتدلة غير متكلَّفة ، مع الوقوف مع مقاطع الآيات والجمل ، بحيث أن كثيراً من العوام تلوح لهم معاني ما يقرأ من حسن إلقائه .

وأما لونه : فكان فيه أدمة قليلة تميل إلىٰ حمرة خفيفة ، يكتسي وجهه ألواناً تناسب وجده وتأثره الباطني . وقد كان لطيف الإحساس ، يشعر بما لا يشعر به كثير من الناس .

وقلما يستعمل المسهلات ، ولا يميل إلىٰ استعمال الأدوية التي من الخارج ، ولا سيما الحادة منها .

وكان نومه قليلاً ، سريع الإفاقة بأدنىٰ حركة .

وإذا كان بمحفل . . جلس متربعاً ، وقلما يتكىء ، إلا إذا خلا المجلس أو كان به عدد قليل من الخواص .

وإذا تكلم . . رتل كلامه وأوضحه . وكان إذا حضره ذوو النفوس لاطفهم في أول كلامهم وسرهم ، ثم محض لهم النصيحة في غير عنف . وإذا رأىٰ من مبطل تمادياً . . زجر وتكلم من غير رفع صوت ، وبدون تجاوز للمعهود من كلامه ، مع بيان أن ذلك أصلح له وأحمد عاقبةً .

وما كان يفحش إذا غضب علىٰ أحد ولا يذمه ، ولٰكنه ينبهه علىٰ العدل وموضع التقصير ، ويحدوه إلىٰ الإنصاف ، كل ذلك في معرض النصيحة والمطالبة بإصلاح النفس .

وكان قوي الفراسة ، يفهم أغراض الناس ولو بعدوا في سترها بحجب المواربة وعرضها في صورة بعيدة عن المقصد ، فيجتذبهم إلىٰ الصواب بلطف ، ولا يصرح لهم بما يخفون .

وكان شأنه في أمر دنياه مبني علىٰ الاقتصاد ، في عدل يميل إلىٰ السخاء من غير إسراف ، وأخذ بالاقتصاد من غير إجحاف ، أمره في ذلك مبني علىٰ ملاحظة زمانه ومكانه وإمكانه ، مع الاعتماد علىٰ الله في ذلك ، والتجمل كل التجمل ، فما رئي يشكو ضيقاً أو حاجةً لأحد ، ولا يتحدث في شؤونه المعاشية إلا قليلاً .

ولا كان يتشوف إلىٰ مثل حالة أحد الدنيوية ، ولا يغبطه عليها ، ولا تعجبه مظاهر الترف والتأنق ولا تلائمه ، ولا يقدر علىٰ الصبر عليها وإنما يميل إلىٰ التوسط بل والتقشف ، وقد تمد لأجله المائدة ـ إذا دعاه أحد ـ مملوءةً بأصناف الأطعمة ، فلا يميل إليها ولا يشتهيها .

بل وقد كانت تَعرِض له ـ ولا سيما في بدايته ـ ضوائق فلا يضيق بها ذرعاً ، ولا يشغل بها وقتاً ولا فكراً ، ولٰكنه يتدرع لها الصبر ، ويستبطن الرضىٰ ، وينتظر الفرج .

حكي أنه قال : لما مات والدي بـ(جاوه) وكان هو الذي يواسيني

ويرسل إلي بعض النفقه ، فأخذني شيء من التجمل بسبب انقطاع ذلك عني بموته ، وقلت : من يواسيني بعده ، مع أني في غاية الفقر علىٰ باب الله لا أملك شيئاً إلا قليلاً ، فمرضت بألم العينين مرضاً شديداً فرأيت في بعض الليالي أحداً من السلف يقول لي : لا تتحمل ولا تهتم ، وسيأتيك كل ما تحبه . فكان الأمر ـ والحمد لله ـ كما قال ، فقد زال عني كل ما أجد من التحمل والضعف والفاقة ، ولم يتخرب علي بعد ذلك شيء من الأحوال .

وقد ظهر ـ رضي الله عنه ـ بعد ذلك في هـٰذه الأوساط فقيهاً مرشداً ، وواعظاً يعظ الناس في المجامع والمحافل وبين ظهراني شيوخه ، وصار صيته ينتشر ويزداد تناثراً ، شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً إلىٰ أقاصي المعمورة ، وإذا بالدنيا تقبل عليه ـ بدون طلب منه ـ بمنهمرات خيراتها ، ومغدقات مادياتها ، من كل مكان في فيضان متواتر إلى حين مماته ، رضي الله عنه .

وأما أخلاقه الشريفة وشمائله المنيفة : فقد كان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ متحلياً بسني الأخلاق وشريف الصفات ، فقد كان ـ رضي الله عنه ـ لين الجانب ، بعيد الهمة ، كثير الخشية ، رقيق العاطفة ، يصدع بالحق ويجهر به للسلطان فمن دونه ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وكان جم التواضع ، كثير الاعتراف محاسباً نفسه متهماً لها ، حسن الطوية ، لا يضمر لأحد غشاً ولا ضراً .

وكان من المنصفين لمن في عصره من العلماء والأولياء ، يَقْدُرُ كلَّ واحد منهم قدره ، ويعزو لكل منهم حقه ، وليس هو ممن يبخس الناس أشياءهم ، بل كان يمدح من يستحق منهم ، ويثني علىٰ من هو أهلٌ للثناء .

وكان من شدة دماثة أخلاقه وحسن ملاطفته لمن يتصلون به يظن كل واحد منهم أنه المقرب عنده .

وكان يتحرىٰ الصدق في جميع أموره ، فإذا قال . . صَدَق ، وإن قيل . . صَدَّق .

وكان كريم النفس ، عظيم الثقة بالله والتوكل عليه . يبذل النصيحة لمن استشاره في شيء من أموره ، فيجد المستشير نصيحته هي الصواب .

وكان ميالاً للنظافة ، جمالياً في ثيابه وبدنه ومكانه .

وكان رقيق الفؤاد ، رحيم القلب ، سليم الصدر ، كثير المداراة لأهل وقته وزمانه .

وكان عظيم الهيبة في القلوب ، له دربة في استجلاب النفوس إليه ، وإلىٰ استماع مواعظه وأحاديثه .

وكان علىٰ غاية من الورع واجتناب الشبهات ، محافظاً علىٰ الأوامر الشرعية في الحركات والسكنات ، محبباً عند جميع الناس ، ولهم فيه حسن الظن والاعتقاد التام ، لم يختلف في فضله وورعه وإخلاصه وولايته منهم اثنان ، نفع الله به ، آمين .

* * *

الفصل السادس

في ذكر بعض المرائي الصالحة التي رآها لنفسه ، والتي رُئِيَتْ له ، والمبشرات التي وقعت له من غيره . وذكر شيء مما مدحه به علماء عصره وفضلاء دهره ، شفهياً وكتابياً

قد سبق ذكر البعض من مرائيه الصالحة المنامية فيما مر ، ومنها :

ما أخبر به حفيده عبد الله بن محمد ، من أنه سمعه ـ رضي الله عنه ـ يقول : إنني رأيت النبي ﷺ ينثر علي وعلىٰ الحاضرين شمائله ﷺ ـ وأمرهم بكتابتها ، وذلك في شهر صفر سنة (١٣٦٤ هـ) وكان الناس في ذلك الوقت في غاية الجوع والفقر بسبب الحرب وانقطاع المواصلات من الخارج ـ فلما انتبهت استبشرت بهٰذه الرؤيا ، وأولتها بقرب الفرج للمسلمين ، فكان الأمر كذلك .

ومنها : ما حكاه عنه حفيده المذكور ، أنه قال : رأيت كأنني في جمع عظيم من الرجال في محضرة بيتي ، وكان كل واحد منهم يقول : أنا أريد أن أحلق رأس الولد علوي بن عبد الله ، ثم أجمعوا علىٰ أن يحلق رأسي الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي ، فقام وحلق رأسي .

فاستيقظت مستبشراً بهٰذه الرؤيا ، وأولت الحلاقة بإزالة الرعونات عني وإعطائي شيئاً من أسرار الحبيب علي المذكور .

ويحكىٰ عنه أيضاً أنه قال : رأيت ليلةً كأنني ببلدة (سيؤن) أنا وجماعة من السادة آل الجنيد ، فدخلوا علىٰ الحبيب علي ودخلت

معهم ، وجلست في أخريات المجلس ، فلما رآني الحبيب علي أمرني أن آتي إليه ، فأتيت وأجلسني بجنبه وأخذ بخاطري كثيراً ، وأعرض عن الحاضرين ، وأخذ يلاطفني بالكلام ، فلما انفض المجلس أمرني بالمكث عنده ، ثم أعطاني تيساً سميناً جميلاً ، مبقعاً بالسواد ، ثم طاف بي في جميع منازل بيته ، ورأيت في كل منزل نخلةً مغروسةً ، وأدخلني علىٰ جميع أهل بيته حتىٰ النساء .

فلما استيقظت استبشرت بهـٰذه الرؤيا ، وفرحت بالهدية التي أعطانيها .

ويروىٰ عنه أنه قال : كنت يوماً أقرأ في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم ، وقرأت أن من كلامه قوله : « من يوم وُجِد هيكلي لم يكتب ذنب علىٰ مسلم » .

فقلت في نفسي : يا ليتني حضرت وقت هـٰذا الحبيب . ثم نمت قليلاً ، فرأيت في منامي هـٰذا بعض الأكابر يقول لي : إن في هـٰذا الوقت من يقول مثله ، وهو الحبيب علي بن محمد الحبشي ، فاستبشرت وحمدت الله تعالىٰ حيث جعل في هـٰذا العصر من يقول مثل ذلك .

وبعد مضي مدة من الزمن جاء إلي أولاد الحبيب عبد الله بن علوي بن زين الحبشي ، فأخبرتهم بالرؤيا ، فلما ذهبوا إلىٰ (سيؤن) ـ أو هو جاء الحبيب علي إلىٰ (تريم) ـ فأخبروه برؤياي هـٰذه ، وصادف إخبارهم له بها انقباضه بسبب فتنة وقعت بين السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم والسادة آل العيدروس ، فلما أخبروه بها . . سري عنه وفرح بها ، وزال عنه ما يجد من الانقباض ، رضي الله عن الجميع .

ومما رُئِيَ له من المبشرات والمنامات الصالحة : ما حكاه حفيده عبد الله المذكور : أن الحبيب عبد الله بن عمر بن أحمد الشاطري ، رأىٰ

في المنام جمعاً من الناس مجتمعين بساحة مسجد الشيخ عبد الله بن شيخ العيدروس بـ(السحيل) وحولهم قبر ، فسألهم عنه ، فقيل له : هو قبر السيد علوي بن عبد الله بن شهاب . فانتبه مرعوباً ، وخاف أن تتحقق الرؤيا فكتمها ، حتىٰ إذا مضىٰ نحو ثمانية أيام . . قصها علىٰ الحبيب عبد الله بن علوي بن زين الحبشي ، فقال له : يا عبد الله ، أما علوي بن عبد الله . . فقد أمات نفسه ، والقبر الذي رأيته هو نفسه التي أماتها ، وأما أنا وأنت . . فلا تزال نفوسنا حيةً ، ونسأل الله تعالىٰ أن يميتها .

ومنها : ما حكاه حفيده المذكور ، عن رجل صالح من سواحل (أفريقيا) ، اسمه عباس بن أحمد الجهضمي ، قال : كنت بـ(مقدشوه) أسمع بذكر الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب ، وما له من الفضل الرفيع الشأن ؛ إذ كان ذكره منتشراً في السواحل كلها ، فقلت في نفسي : متىٰ أرىٰ هـٰذا السيد ، وأنىٰ لي برؤيته وأنا بأرض بعيدة عن (تريم) التي فيها ذلك السيد ؟ وكان عندي من الشوق لاتصالي به ما لا مزيد عليه ، حتىٰ رأيت ليلةً من الليالي كأني في جمع عظيم ، وإذا رجل يتكلم مع الناس ، فسألت عنه من بجنبي ، فقال لي : إنه السيد علوي بن عبد الله بن شهاب ، يحبه النبي محمد ﷺ مثل محبته للحبيب علي بن محمد الحبشي . فانتبهت من نومي .

وحينئذ عزمت علىٰ السفر ، وأخذت أتهيأ للرحيل إلىٰ الحرمين لأداء النسكين وزيارة سيد الكونين ﷺ ، ثم لزيارة ذلك السيدبـ(حضرموت) فلما وصلت إلىٰ (تريم) بلدة ذلك السيد العظيم ، كان أول رؤيتي له في الروحة بمسجد سرور ، فقلت في نفسي : هـٰذه الصورة وهـٰذا الجسم اللذين رأيتهما وأنا في السواحل .

وكان وصول هـٰذا الرجل إلىٰ (تريم) في شهر محرم سنة (١٣٦٦ هـ) ، فنزل عند السيد محمد بن علي بن أحمد بلفقيه مدة إقامته

بـ(تريم) ولازم مجالس صاحب هـٰذه المناقب صباحاً ومساءً ، حتىٰ مجلس الحزب بين العشاءين في مسجد الماس ، ثم عاد إلىٰ وطنه بالسواحل .

ومنها : ما وجد بخط الحبيب العلامة ، خليفة السلف الصالح ، السيد عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط ، قاضي (زنجبار) بأرض سواحل (أفريقيا) قال :

رأيت ليلة الخميس (٢٥) محرم الحرام سنة (١٣٦٩ هـ) الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب دخل علي ومعه جماعة لم أعرف أحداً منهم ، وأسرع بالجلوس ، ولم أدرك مصافحته إلا وقد جلس وكفي بكفه ، وخُنِقْتُ بالعبرة ، ولا أقدر أن أنظر إليه ، ولا أن أكلمه ، وبعد مدة استطعت أن أكلمه ، وجعلت أكرر قول سيدي العدني :

هـٰذا اللقاء ما كان بالخواطر .

وبعد ذلك شرع في ترتيب الفاتحة وأنا مقابله ، فقال لي رجل كان بجانبي : قل له بالذي تطلبه ، فقلت له : لا أقول له شيئاً .

ثم انتبهت وأنا أبكي مع تأثري برؤية وجهه الشريف ، وأقول يا بخت الذين اتصلوا بهـٰذا الحبيب ، وما كان عند ذلك أحد يجول بخاطري غير الولد محمد بن عبد الله بن محمد الشاطري والشيخ عامر بن نهيد ، ونظرت في الساعة فإذا هي الساعة السابعة وربع بالليل .

ومنها : ما أخبر به الحبيب الفاضل ، صالح بن عبد الله ، بن عقيل ، بن سالم ، ساكن القرية ، أنه رأىٰ الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي يقول له : سلم علىٰ ابني علوي بن عبد الله بن شهاب ، وأخبره بأنه قرت به عين النبي محمد ﷺ .

ثم إن الحبيب صالحاً المذكور جاء إلىٰ الحبيب علوي وقبل رأسه ،

وأخبره بهـٰذه الرؤيا وأقسم له أنها صدق ، ففرح بها الحبيب علوي رضي الله عنه .

ومنها : أن صاحب هـٰذه المناقب قال مرةً : لو خيرت أن أموت في مدينة رسول الله ﷺ أو أموت بـ(تريم) لاخترت الموت بـ(تريم) . وكان في المجلس حاضراً السيد علوي بن عمر بن عيدروس العيدروس ، فاستعظم هـٰذه القولة من سيدي وأضمر في قلبه منها شيئاً ، فلما كان الليل رأىٰ عمه الحبيب عبد الله بن عيدروس العيدروس ، وقال له : يا علوي ، كل ما يقوله عمك علوي حق وصدق .

فجاء السيد علوي بن عمر المذكور إلىٰ سيدي في اليوم الثاني وأخبره بما أضمره من الإنكار عليه وبالرؤيا ، ففرح سيدي من ذلك .

وكان سيدي يميل إلىٰ السيد علوي المذكور ويحبه ، وكان له ادلال علىٰ سيدي ، فيخرج للناس الكثير من البشائر .

توفي السيد علوي بن عمر المذكور في شهر رجب سنة (١٣٧١ هـ) بـ(تريم) رحمه الله تعالىٰ .

ويحكىٰ عن السيد الفاضل عبد الله بن حسين بن عبد الله الكاف ، أنه قال : حضرت الروحة عند الحبيب علوي بن عبد الله يوماً من الأيام كعادتي ، وأضمرت في نفسي أن الناس في هـٰذا الزمان لا يستطيع أن يردهم إلىٰ الطريق إلا ذو كرامات وخوارق عادات أو برهان حاضر ، وعسىٰ هـٰذا يؤثر فيهم .

فلما كان الليل رأيت في المنام الحبيب علوياً هو والسيد علوي بن أبي بكر الخَرِد ، والحبيب علوي ليس بالهيئة التي أعرفها فيه ، وإنما هو بهيئة أخرىٰ عظيمة ، فقال لي : ما الذي أضمرته في قلبك البارحة يا عبد الله ؟

فقلت له : أضمرت كذا وكذا .

فقال السيد علوي الخرد لي : يا عبد الله ، عمك علوي مأذون له من سلفه في الكلام ، الذي تسمعونه منه فقط ، أما الكرامات . . فليس مأذوناً له فيها .

قال : ثم انتبهت .

ويحكىٰ عن ابنه محمد أنه قال : أخبرني بعض من أثق به ، أنه رأىٰ رجلاً علىٰ صورة الوالد علوي ، فقلت لشخص أعرفه بجانبي : من هـٰذا الرجل ؟ فقال لي : هـٰذا هو محمد الهادي . والمعروف عند أهل السر أن من يُرىٰ النبي علىٰ صورته يكون هو قطب الوقت .

هـٰذه بعض المبشرات التي رُئِيَتْ له في المنامات ، وأما التي وقعت له في اليقظة . . فكثيرة ، وقد سبق البعض منها في الفصل الثاني .

ومنها أيضاً : ما رواه الثقات عن الحبيب أحمد بن محسن الهدار ، بن الشيخ أبي بكر بن سالم ، قال : إن حال الولد علوي بن عبد الله بن شهاب حال الشيخ عمر المحضار .

ويروىٰ عن الحبيب علوي ـ صاحب هـٰذه المناقب ـ أنه حينما بلغته هـٰذه القولة شكر الله تعالىٰ وفرح ، وقال : هـٰذه شهادة من عارف بالله .

ومنها : ما أخبر به صاحب هـٰذه المناقب نفسه ، أنه قال : كنت أذهب إلىٰ الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله الخرد مرات لزيارته في بيته ، وإذا جئت إليه . . يقول لي : اقرب إلي ، ويجلسني إلىٰ جنبه ، ويضع يده علىٰ رأسي ويقول : إن جدك الشيخ علي بن أبي بكر السكران يقول : إن سري كل يوم في واحد من أولادي . وأنا أرجو أن يكون سره اليوم فيك .

ومنها : ما يحكىٰ عنه ـ نفع الله به ـ أنه قال : جاء إلىٰ (تريم) مرة العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس ، ونزل ببيت أولاد العم عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن شهاب بـ(النويدرة) فدخل الناس يصافحونه

ويرحبون به ، وكل من دخل عليه وصافحه . . يقبض يده ، ويستشهد له بشاهد من القرآن ، أو من كلام السلف الصالح ، ولما دخلت أنا عليه وصافحته . . قبض يدي ، وقال : علوي بن عبد الله بن شهاب أنت ؟

فقلت : نعم!

فاستشهد بقول الإمام الحداد :

فهم الكثير الطيب المدعو لهم من جدهم حين الزفاف ألا تعي

إلىٰ آخر الأبيات .

فقال لي الحاضرون : فزت بها يا علوي . ففرحت بذلك ؛ لكونه جرىٰ من لسان عارف بالله تعالىٰ .

ومنها : أن الحبيب الإمام أحمد بن عبد الرحمـٰن بن علي السقاف ، لما زار نبي الله هود عليه السلام ، وكانت آخر زياراته له ، وقد سار في هـٰذه المرة محمولاً علىٰ أعناق الرجال ، ولما وصل (تريم) عائداً من الزيارة . . جاء إلىٰ بيت صاحب هـٰذه المناقب ـ رضي الله عنه ـ وطلب منه أن يخرج إليه لكونه لا يستطيع الصعود إلىٰ المحضرة ، فخرج إليه ، فقال له :

إنا نبشرك بعافية الزوار وسلامتهم ، والآن نبغا الضمانة بالجنة ، مثل ما يقول جدك شهاب الدين : من بشرنا بسلامة ولد سالم بن عبد الله والزوار . . فأنا أضمن له بالجنة . والآن يا علوي نحن نعتقد أن ما في شهاب الدين فيك وزيادة .

فاعتذر له ـ رضي الله عنه ـ تواضعاً منه ، وقال له : يا سيدي أحمد نحن أولادك والضمانة إنما تكون منك فقال له السيد أحمد : لا نحن جئنا علىٰ نية . وكلف عليه ، فضمن له ـ رضي الله عنه ـ بالجنة ، وقال له :

أنت وأولادك وأهل (سيؤن) كلهم لا تخف ، نحن بانحول علىٰ شهاب الدين .

ففرح سيدي أحمد بذلك .

ثم ذهب إلىٰ (سيؤن) رضي الله عنه ، ومدح صاحب هـٰذه المناقب هـٰذا السيد مدحاً عظيماً ، وأثنىٰ عليه ثناءً جميلاً ، ثم قال : سمعت من السيد الإمام الحبيب علوي بن عبد الرحمـٰن المشهور ، يقول : ما عاد أحد عالم حقيقة في (حضرموت) في هـٰذا الوقت إلا أحمد بن عبد الرحمـٰن السقاف في (سيؤن) والشيخ أبو بكر الخطيب في (تريم) .

ثم عتب ـ رضي الله عنه ـ علىٰ الذين يتصدرون في المجالس التي تعقد في شعب نبي الله هود عليه السلام ، ويتقدمون عليه وهو حاضر ، ثم قال : هل أحد يقدر يتقدم علىٰ ذلك الحبيب وأحب أن يجعلون له الأمر في كل حال ؟ لأنه سيد علوي حاذق ، عالم فقيه ورع ، جمع الخصال المحمودة كلها . أو كما قال ، نفع الله به ، آمين .

ذكر ما جاء علىٰ لسانه ـ رضي الله عنه ـ علىٰ سبيل الكشف والإخبار بالمغيَّبات ، مما وقع بعضه في حياته وبعضه بعد وفاته ، ومما سيقع لا محالة ، وغير ذلك مما له تعلق بأحواله رضي الله عنه .

وكل هـٰذه القطعة أخذتها مما كتبه عنه سبطه النجيب النبيه ، عبد الله بن عمر ، بن أبي بكر بن محمدٍ بلفقيه ، حفظه الله تعالىٰ .

فمن ذلك : ما قاله عندما استشاره أحد السادة في أخذ أمواله من (سنقافورة) إلىٰ (عدن) خوفاً من وقوع منع من إخراج الدراهم إلىٰ (حضرموت) مثل ما وقع بـ(جاوه) ، فقال له سيدي : الأحسن تبقىٰ أموالك بـ(سنقافورة) وأنا أخاف علىٰ (عدن) أكثر من (سنقافورة) .

قال مرةً أخرىٰ : عادكم باتوَكّلون كافر ، الكافر يرده قانونه ، وهـٰذا مسلم ما يرده شرعه ؟ وأنتم تخافون من وقوع حرب (روسيا) شفوا الوكلاء هم (روسيا) هم الذين بايأكلونكم .

وقال مرةً عند ذكر حجاز وسفر الأولاد إليه : أنا أخاف أن (الحجاز) يحجز عليكم مثل (جاوه) وكم من ولد أرسل لوالده مئة شلن ، لـٰكن بعد أن عصىٰ الله ألف معصيه . اذهبوا اسألوا عنهم ، ولـٰكن ما أحد يسأل عن دين ولده وما يفعله هناك ، ولا يسأل إلا بقوله : عسىٰ الولد حصل شغيل ، ولو مَخَضوا نحن يا أهل الزمان هـٰذا . . بانتمخَّض كلنا دنيا .

وإن أحدكم لو خُيِّر بين القرب من ربه ، أو القرب من نبيه ، أو القرب من سلفه ، أو القرب من بن لادن . . لاختار القرب من بن لادن .

ولو قالوا لأحد : إن ولدك تنصر هناك ـ والعياذ بالله ـ ولكنه يرسل له فلوس ما باتتحرك لوالده شعره .

ولو خير الولد بين سر من أسرار أهله وسلفه ، وبين شيء من المال . . لاختار المال علىٰ السر .

وقال مرةً : إن المعاصي تظهر علىٰ الوجه ، وشُفونا قد التقي ببعض الأولاد في الطريق وهم ـ والعياذ بالله ـ مجنبين من زنا ، وأود أن أصيح منهم ولو أردتم أن أميزهم لكم لميزتهم ، وبعضهم ألاقيهم وهم بلا طوال ولا عمائم ، ويمزون الدخان ، وإذا رأوني شردوا مني ، قايسوا شي خافي علي ، إنني أقرأ الورقة من وراها ، لا يقولون عمي علوي مغفل ، ما دروا من المغفل .

ومن تأدب في هـٰذه البلاد وسار بالسيرة الحسنة . . باتجازيه هـٰذه البلاد بكل خير ، وأما من أقل الأدب فيها . . يستعد بظهره لصميل الفقيه ، سواء كان سيداً أو شيخاً ، أو مسكيناً أو عبداً ، البلاد بلاد

الفقيه ، وروح الفقيه والسلف تدور في شوارعها ، ومن رأوه سلفه بسيرة حسنة . . بايدعون له بطول العمر ، وأما من رأوه بزي آخر وسيرة أخرىٰ . . بايدعون له بإحدىٰ خصليتن : إما يقصر عمره ويموت ، وإما يسافرون عن هـٰذه البلاد ويبهذلون به .

ولا شيء يسيء السلف مثل التشبه بمن لا خير فيه ، وما دمنا مطيعين لربنا ونبينا وسلفنا . . ما بايخرب الله علينا حال ، وأنا أضمن لكم أن أموالكم بايحفظها في الجهات هـٰذيك .

ارجعوا ، أقبلوا ، وإلا . . نخاف أن ينزل عليكم فقر بسبب هـٰذه السير ، أو ينزل الله علينا شيء ما نطيقه .

وياكَمْ من فرد من أسلافنا يدعي الله أن ينقطع نسله بسبب ما يراه في أولاده من تنكر السِّيَر ، وإنني نذير لكم من قبل سلفكم . ولو خاطبكم الفقيه المقدم ، أو السقاف ، أو المحضار . . ما بايخاطبكم إلا بالخطاب هـٰذا ، بل لو ظهر بينكم محمد سيد الوجود . . ما بايخاطبكم إلا بهـٰذا الخطاب ، وأنتم يشق عليكم بعض الكلام مني لكم ، ولـٰكن . . ما باتدرون بكلامي هـٰذا إلا إذا متم ، وعندما أجتمع أنا وإياكم عند الفقيه بايقول لكم : ماذا عملتم في بلادي ؟

وكان سيدي يحكي : أن الحبيب أحمد بن عمر بن زين بن سميط ، ذكر في كلامه أن آل (حضرموت) ما جاءهم المكرمي وحصل ما حصل لهم منه ، من إيذائهم وتكسير قببهم وقبورهم ، إلا لما أنهم لم يجيبوا دعوة الحبيب عبد الله الحداد ، والحبيب علوي بن محمد المشهور .

ثم قال : وأنا هـٰكذا ، فإنني أخاف إن بقيتم علىٰ حالتكم هـٰذه أن يجيء إليكم وهابي ويطرح كل اثنين في شوكة . لا تخلونا اشخط حلقي معكم بلاش ، ولا أنا منتظر جزاء من أحد ، لا من زيد ولا من عمرو ،

وما أنا منتظر الجزاء إلا من الفقيه المقدم ، ومن محمد سيد الوجود ﷺ .

وقال رضي الله عنه : إننا لا نختار البقاء في الدنيا إلا لتعليم أولادنا ـ أو قال : لأولادنا ـ أو لأن تهب علينا رياح طيبة من قبل أهلنا وسلفنا ، وتنقلنا من الحالة التي نحن فيها .

ولما سمع في سنة (١٣٦٩ هـ) بالرياح الشديدة التي هبت علىٰ أهل الموقف بـ(عرفات) في تلك السنة ، والأمطار والبَرَد الذي وقع عليهم . . قال سيدي : إنما وقع بهم ما وقع بسبب أنهم ما تأدبوا في (عرفات) وقلوا الأدب ، حتىٰ الرادويات ذهبوا بها معهم إلىٰ ذلك المكان الشريف ، وما وقع لهم من ذلك إنما هو موعظة لهم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥] .

وقد ضج أهل الموقف كلهم مما وقع بهم ، ولا نفعهم أحد ، لا من ملوكهم ولا علمائهم ولا كبارهم .

وقد حج في هـٰذه السنة الإمام العارف بالله ، الحبيب محمد بن هادي ، بن حسن السقاف ، وكان من كلامه لبعض خواصه : إنني رأيت الأخ علوي بن عبد الله بن شهاب في مواقف الحج ثلاث مرات ، من غير كلام وقع بيني وبينه .

وفي (١٢) ربيع الثاني سنة (١٣٧٧ هـ) قال من أثناء مذاكرته بمسجد سرور ليلة المولد : إن بعض الأولاد يتمنون موتي ، وأنا عادنا لا أموت ، عاد عمري طويل ، وعادنا باأؤمن عليهم ـ أي : سأصلي عليهم صلاة الموتىٰ ـ مقصودهم بايغيِّرون (تريم) وبايغيرون أهلها ، يقولون : عاد هـٰذا السيد نحاذره ، وبعد إذا ذهب بانلقي الذي في رأسنا ، وشُفونا أعرفهم وميِّزهم الذين يقولون هـٰذا وأَرْوَحُهم ، وحقيق فيكم من يتمنىٰ موتي ، ولـٰكن لا أخاف وفي صفي المحضار والسقاف

وأبو النوب الفقيه المقدم ، وأعرف من جاء إلىٰ عندي وأعرف قصده ونيته ، ومن بغيناه . . قربناه ومن لا بغيناه . . أبعدناه .

والحاضرون في المسجد ساكتون منصتون كأنما علىٰ رؤوسهم الطير ، حتىٰ صاح أحد الحاضرين بأعلىٰ صوته بسبب ما داخله من الخوف والفزع من ذلك الكلام .

وجاء إليه ـ رضي الله عنه ـ يوماً السيد الصالح عبد الرحمٰن بن حسن بن علوي بن شهاب ، وذكر له المولد واجتماع الناس فيه وكثرتهم ، ومجيئهم له من أماكن بعيدة ، فقال الحبيب علوي من أثناء كلام : وشفهم مستفيدين هم أكثر مني ، كما قال الحبيب عبد الله الحداد : وقع بخت الناس بي أكبر من بختي بهم .

وكان سيدي إذا جاء إليه السيد عبد الرحمٰن المذكور . . يفرح به وينبسط ، ويزول بسببه ما كان عنده من كضم وقبض ، وكان كثيراً ما يوجه إليه الخطاب في المجالس والروحة ، وكان في المحبة عنده في الدرجة الأولىٰ بعد ابنه محمد ، حتىٰ إنه يشير إليه ويقول : هٰذا ولدي وأخي وصاحبي .

وكان يقول في حق ابنه محمد : محمد ولدي أحسن مني . وكان ابنه المذكور باراً به لا ينام كل ليلة حتىٰ يفرش لأبيه ويكبِّس رجليه ، ويغطيه ، ويدهن له في بعض الأحيان ، ويعتني بأثوابه وتغسيلها وتنظيفها ، وربما غسلها بيده ، وخدمه خدمةً كاملةً ، وجالَسَه وصاحَبَه في جميع حالاته وتقلباته ، وجلوسه ومسيره ، وكان هو العضو الأيمن لوالده في أمور البيت ومقابلة الناس ، وكتابة العزائم والتمائم ، وكان والده يقول في حقه : إن معه سراً ليس معي ، وقد تبين فيه سر أبيه وما قاله فيه ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله من جهله .

وكان لا يفارقه ولا يرخِّص له يذهب إلىٰ مكان إلا زيارة نبي الله هود عليه السلام فقط .

وكان سيدي في آخر عمره لا يتكىء إلا علىٰ يد ابنه محمد المذكور ، أو السيد عبد الرحمـٰن بن حسن فقط دون غيرهما ، إلا نادراً .

وكان لا يحب المظلة ، ولا الثياب الملونة ، والرادي الأخضر ، ولا يلبس إلا الثياب البيض .

ولم يخرج من (تريم) لا سيما في آخر عمره ، ولم يركب في (تريم) لا علىٰ سيارة ولا دابة ، تأدباً منه لـ(تريم) ، وكان إذا مشىٰ . . أسرع في مشيته من غير توقف ولا تلفت ، كما قال صاحب المولد في حق النبي ﷺ : (وكان سريع المشي من غير خبب) . فكان سيدي يُتعِب من يمشي وراءه وهو يمشي بسرعة من غير تكلف ، حتىٰ إن السيد عبد الرحمـٰن ابن حسين بن عبد الله الكاف قال يوماً حينما أتعبه المشي خلفه : نحن ما نقدر نسير مع الوالد علوي ، ولـٰكن بغينا خلفه في الآخرة .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يهابه السلطان فمن دونه ، وكان له التصدر والتقدم في جميع المجالس ، ولا يطيب المجلس وبزين إلا بحضوره .

وهو الذي يصلي إماماً علىٰ أموات بلدة (تريم) ونواحيها ، ويعقد عقد النكاح لمن يريد التزوج من أهلها ، لا سيما السادة الأشراف والمشايخ ، وكان يجهر بتلقينهم العقد حتىٰ يسمعه جميع من في المنزل ، بل ومن في خارجه ، وقد سمع ذلك منه يوماً السيد العلامة عبد الرحمـٰن بن عبيد الله السقاف ، فأعجبه وأثنىٰ عليه وشكره .

وقال له مرةً السيد عبد الرحمـٰن بن حسن بن شهاب في معرض كلام : يا عم علوي ، بنيت الدار وأخذت العقار وعندك رطوبة ظاهرة وباطنة ؟

فقال له : يا ولدي ، أنا ما عصيت الله .

وقال أيضاً : إني صحبته مرةً من الجبانة بعد الصلاة علىٰ جنازة ـ أو من التربة ـ بعد ختم ، ودخلت معه علىٰ المعلم أحمد بن عبيد بن مبارك باعوضان لعيادته ، وكان مريضاً مرض الموت بالفالج والارتعاش ، وكان جالساً في أعلىٰ قصر في بيته ، وتعب سيدي في درج بيته وصعوده إلىٰ ثلاثة قصور ، فقال السيد عبد الرحمٰن له وهو آخذ بيده : قد أتعبوك يا عم علوي ، ما هٰذه الأخلاق!

فقال : أنا ـ يا ولدي ـ ولايتي ولاية نبوة .

وكان سيدي إذا جاء عنده أحد العلماء أو الظاهرين يخرج بنفسه إلىٰ دهليز بيته للقائه والترحيب به ، ويأمر أولاده بذلك ، تعظيماً للعلم وأهله .

ولما جاء الخُدَّام لِشَبْح الخيمة للعواد في سطح بيته ـ رضي الله عنه ـ وقد شَبَحُوها ، وقد بقي مكان قليل من الجانب البحري من السطحة مكشوفاً ، فسمع الخدامين يقولون : عاد المكان ذا ماله شيء يستره .

فقال لهم : إن شاء الله يطلع سحاب يمنع الشمس . يا محضار ، ويا شهاب الدين .

فقدر الله أن طلعت سحب في صبيحة يوم العواد ، وحجبت الشمس عن الناس وقت العواد ، فلما خرج الناس . . تقشعت السحب وأشرقت الشمس .

وجاء إليه ـ رضي الله عنه ـ السلطان جعفر بن منصور بن غالب الكثيري في سنة (١٣٦٦ هـ) ، فلما جلس بين يديه طلب من سيدي أن يختلي به ، فخرج من في المنزل إلا الخواص ، فبكىٰ السلطان بكاءً شديداً .

فقال له سيدي : ما الذي شق عليك ؟

فقال له : يا سيدي ، أنا اليوم جئت إليك مستشيراً ، وسآخذ بما تشير به علي .

جاءت حكومة ـ يا حبيب علوي ـ ولم تبق لنا أمراً ولا نهياً ، ونرىٰ المناكر بين أعيننا ولا نستطيع ننكرها ، وصرت الآن سلطاناً صورةً فقط ، وأنا الآن أحببت أن أعزل نفسي عن السلطنة ، وجماعتي بصرهم بأنفسهم .

وبعد أن تم كلامه قال له سيدي : لا لا . . لا تعزل نفسك وأنت عادك أحسن من غيرك ، وأطلب منك أن تبقىٰ في السلطنة سنةً كاملةً إن رأيت الأشياء صلحت . . فيا حبذا ، وإلا . . رخصةً اعزل نفسك .

فقال له السلطان : مرحباً شوركم المبارك .

فلم تتم السنة إلا وفاجأَت السلطان جعفر المنية ، وذلك سنة (١٣٦٧ هـ) . وكأن سيدي ـ رضي الله عنه ـ اطلع علىٰ أجله ، والله أعلم .

ومرةً جاء إليه السيد العلامة عبد الرحمـٰن بن عبيد الله السقاف ، وقال له : أنا جئتك اليوم لاستشيرك في مكان معي بـ(سيؤن) في عَلَم بدر وقد دعتني الحاجة إلىٰ بيعه ، فهل ترىٰ الصالح لي في بيعه ، أو عدم بيعه ؟

فقال له سيدي : إن كان هـٰذا المكان ورثته من أهلك وأجدادك . . فلا خير لك في بيعه ، وغاية الأمر ترهنه فقط .

وإن كنت أنت اشتريته ، أو أحد وهبه لك . . فلا بأس أن تبيعه عند الحاجة .

فقال له : لا ، بل ورثته من أهلي .

فقال له : لا تبعه ، والأحسن أن ترهنه .

فامتثل إشارته ولم يبعه ، فشكر علىٰ ذلك شكراً كثيراً .

وجاء إليه مرةً أخرىٰ السيد عبد الرحمٰن ـ المذكور ـ وطلب من سيدي أن يدعو لأحد أولاده .

فقال له بعد كلام طويل : إن الإمام السبكي قيل له : إن ابنك أحمد تقريره وتعبيره أحسن منك! فسجد شكراً لله ، وأنشأ يقول :

دروسُ أحمدَ خير من دروس عليْ وذاك عند علي غاية الأمل

فبكىٰ ابن عبيد الله بكاءً شديداً ، واستمر يبكي حتىٰ جيء بالبخور والقهوة ، وشرب القهوة ، وانتهت الجلسة ورتب سيدي الفاتحة ، وودعه إلىٰ أن وصل به إلىٰ مسجد سرور ، وهو لا يزال يبكي ، وقد أثر معه كلام سيدي علوي تأثيراً شديداً .

ولما وقعت الحرب في (فلسطين) سنة (١٩٤٨ م) جاء إلىٰ سيدي بعض المأمورين ، وطلب منه أن يخرج بالناس إلىٰ مسجد الجامع ويصلي بالناس ركعتين بنية النصر للمسلمين .

فقال له سيدي : ليست عادة أهلنا يفعلون هٰكذا ، وإنما عادتهم إذا نابتهم نائبة يخرجون لزيارة أبيهم الفقيه المقدم .

فوافق المأمور علىٰ الزيارة ، فنودي بالزيارة ، فخرج سيدي إلىٰ التربة وخرج معه غالب أهل البلد ، فزار بهم ، ثم تكلم تجاه قبر الفقيه بكلام طويل ، ومنه أنه قال لهم : لا تظنوا أن ما حل بأهل (فلسطين) بسبب خفيف ، وإنما وقع بهم بسبب أعمالهم السيئة ؛ فإن أكثرهم ما يصلون ولا معهم إلا اسم الإسلام ، وَلُّوا اسألوا عنهم .

فقال بعضهم : أنا رأيتهم ، ثلثاهم أو أكثر ما يصلون تصديقاً لكلام سيدي رضي الله عنه .

وقال مرةً ـ لما قام بعضهم لطلب معونة من الناس لأهل (فلسطين) ـ : أهل (فلسطين) عندنا هنا ؛ فإنكم تجدون هنا شرائف من بني الزهراء وآل علي أفواههن منتنة من الجوع ، ما يجدون من يواسيهن ـ أي : فهن أولىٰ بجمع الصدقة لهن ـ ما حد يلقي سقاية وأهل بيته ظماء .

وكان ـ رضي الله عنه ـ كثيراً ما يقول : إنني أخاف عليكم أن يقع لكم يا أهل (حضرموت) مثل ما وقع لأهل (جاوه) فإنه يصدق عليهم قول الله تعالىٰ : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] وأهل (جاوه) هٰكذا وكُلٌّ وَطَّا رأسه منهم ، لا نَفَعَهم لا ولي ولا غيره ، ولا نفعهم إلا محمد سيد الوجود ﷺ ، وقال : « **أنا لها** » ولو ما هو . . لكنتم تصلون علىٰ موتاهم من أقاربكم إلىٰ اليوم . أو ما هٰذا معناه .

ومن كلامه ـ رضي الله عنه ـ : أن أهل زماننا هٰذا انقسموا إلىٰ أربعة أقسام :

قسم مننا يحبون ما عليه النصارىٰ ويريدون أولادهم ـ والعياذ بالله ـ أن يكونوا مثلهم .

والقسم الثاني : يحبون ما عليه أهل العراق ، وأهل مصر ، وأهل سوريا ، يقلدونهم في أمورهم كلها .

والقسم الثالث : إذا جاؤوا إلىٰ عند هٰؤلاء وملؤوا بطونهم من عندهم . . قالولهم : أنتم المصيبون وإذا جاؤوا عند الاخرين قالوا لهم أنتم المصيبون .

والقسم الرابع : يبكون مما يرونه من تغيير السير والأخلاق ، وإننا نحن منهم ، ولا ندري علىٰ من منهم تدور الدائرة .

وقال مرةً ابنه محمد بن علوي : أريدك تذهب لزيارة هود عليه السلام هـٰذه السنة ، وكرر عليه هـٰذا الطلب .

فقال له : يا ولدي ، إن هوداً حاضر عندي ، وكذلك الحج ، وهو أقرب إلي من هـٰذه الوسادة . أو ما هـٰذا معناه .

ومن كلامه حول زيارة النبي هود عليه السلام :

يا إخواني ، الزوار كلهم بايصلون إلىٰ القبر الشريف ، صاحب الموتر بايصل ، وصاحب الراحلة بايصل ، وصاحب الدابة ـ أي الحمار ـ بايصل ، والذي يسير علىٰ عصاته بايصل ، ولـٰكن . . بايكون التفاوت في العطاء عند صاحب الضريح عليه السلام ، ربما صاحب العصا يسبق مولىٰ الموتر .

وهـٰذه القولة لسيدي تشبه القولة التي كثيراً مايأتي بها وهي :

كم من واحد يموت في الغُلْب ـ أي أعلىٰ داره ـ ويخرجون به من الدار الزين ، والذِّكْر قبله والجمع العظيم .

وواحد يموت في المقصورة ، ما معه ما يُجَهَّز به ، فيتصدق أهل الحارة بتجهيزه ، ولـٰكنه . . ربما يسبق صاحب الغُلب في العطاء الإلـٰهي . أو ما هـٰذا معناه .

وكنا إذا رجعنا من زيارة نبي الله هود عليه السلام وحضرنا الشعبانية نعرف قبول الزيارة وعدمه من كلامه حينما يذاكر عند ضريح سيدنا الحبيب عبد الله الحداد ، ففي سنة (١٣٦٩ هـ) قال سيدي في أثناء المذاكرة : إن من العناية التي لكم جاءكم بن هادي وحضر الزيارة ، عادُهْ نسخة سلفية ، وإلا . . بغاكم لاه هود .

وفي سنة (١٣٧٠ هـ) قال :

هـٰذه الزيارة ما وقعت مثلها من منذ سنين ، حتىٰ إن بعض المتصلين

بالبادية سمعته يقول : إن في هـٰذه السنة حتىٰ شرح البدو المعتاد ما استقام .

وفي سنة (١٣٧١ هـ) التي زاروا فيها المحاضير قال :

لا يغركم كثرة الناس ، ينفع من آه ؟ المواتر جاءت لكم غبران وحمران ، وشفوكم تشتافون من هنا ، لا تقايسون شيء خافي ، يذاكر تحت الناقة ، وفي العشية قده بباكورته في السوق .

ومن كلامه :

ما حدث بنا يا أهل (حضرموت) ، وما حدث بأهل (جاوه) كله بسبب الجمعيات هـٰذه ، شتت الله شملنا ، وفرق الله جمعنا .

وكان يقول سيدي :

ما بكم يا السادة العلويين إلا هـٰذه الجمعيات والاستحسانات فقط ، يقولون : فلان عصري ، إلىٰ أن عصر الله سر أسلافنا منا .

تربون أولادكم علىٰ قل الأدب وعلىٰ الجراءة ، يقولون للولد : قم اخطب ، إلىٰ أن جاءتهم حطبة ؛ لأنهم ما هم مقلدين سلفهم ، بل مقلدين أهل الجهات الأخرىٰ .

ومن يوم جاءت الجرائد هـٰذه جَرَّدكم الله من أسرار أهلكم ، يطالع الواحد منكم الجريدة ولا يطالع القرآن ، كتاب الله ، يكاد يستحيي عند مطالعته .

ومما من الله به علي أني ما طالعت في جريدة ، ولا دخلت جمعية ولا مدرسة .

وبعد في البرزخ با أقول للفقيه : بصرك بهم شفنا ماسيبي فيهم . أو كما قال .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يذم من يتعاطىٰ الدخان ، ويقول : أنا أعرف صاحبه وأميزه من بين مئة نفر ، أولاً : إحدىٰ شفتيه مرتفعة علىٰ الأخرىٰ ، وأسنانه محروقات .

وكان إذا ذكره . . أطال الكلام في ذمه وذم متعاطيه ، كما يذم أيضاً من يتداخل في أمور الحُوَف وشؤونها ، ثم قال : إن أمورهم من بقايا الجاهلية .

ويحكي عن الحبيب عبد الرحمٰن المشهور أنه يقول : إن التداخل في أمور الحُوَف والقنبوس تذر الديار بلاقعاً .

وذكر مرةً عن الإمام محمد بن علي الخَرِد صاحب « الغُرَر » أنه يقول : كانت بـ(تريم) ثلاث حبشات : زيارة الفقيه المقدم ، وحضرة السقاف ، وزيارة نبي الله هود عليه السلام .

قال الحبيب أحمد بن علوي باجحدب : والرابعة صلاة العصر في مسجد بني علوي .

وكان الشيخ محمد بن عوض بافضل حاضراً ، فقال له : ونحن الآن عندنا حبشات : فمولد سرور حبشة ، ومدرس الرباط حبشة ، وعصر مسجد الشيخ علي يومي المدرس فيه حبشة .

ومما يحكيه عنه ابنه محمد أنه كان يقول لهم :

يا أولادي ، شفوا نحن كنا في قِلّ وفي بخص كبير ، كنت أتمنىٰ أن أشبع صبوح فضلاً عن الغداء والعشاء ، وصبرت حتىٰ يسر الله علينا ، ولا شيء يجي إلا بالصبر .

وكنت أنا وبنات عمي محمد بن عيدروس ، وهن أربع ، ما لنا العشاء في الدار ، وربما تعشينا فحِيْط .

ونهار مات عمي محمد بن عيدروس ما معنا شي عشاء تلك الليلة ،

فقلت : كيف أعمل الدار خلي ؟ وعمي مات ، بماذا أجهزه ؟ وإذا برجل يناولني خط من والدي يقول لي : أرسلنا لك أربعة ريال .

وفي الحال ذهبت إلىٰ شخص يقال له : الغندور ، وأطلعته علىٰ الخط ، وقلت له : عمي محمد مات ، وقصدي تعطيني المتيسر لتجهيزه ، فأعطاني ذلك .

قال سيدي : ولما مات أبي ما خلَّف لنا شيئاً ، ولما قسمنا الماعون الذي معه في (حضرموت) خرجت عندي صفرية كبيرة ما يتأتىٰ لي استعمالها لكل يوم ؛ لأنها كبيرة ، وقطيفة رومية دويلة نفرشها إذا جاء أحد إلىٰ عندنا ، وإذا خرجوا من عندنا . . طويناها ومتحفظين عليها .

قال : وكنت أخرج مع عمي محمد آخر الليل إلىٰ سرور ، والمذكور يقوم قبل ساعتين ونصف من الفجر ، وإن لا قمت وغلبني النوم يُكَرْمِعْ أصابعي بإقليد الضيقة الأعوج .

ومرة قلت له : يا عم محمد ، أريد لي رادي . ما جاء لي بشيء ، ثم أعطاني رادي مخطط مثل الخلعة ، لو لبسه أحد اليوم بايضحك الناس عليه .

قال : وليلة زواجي قال لي أخدام السقاف : بانجي للحراوة من شأنك لأنك تحضر الحضرة في مسجد السقاف . وكان سيدي لا يتركها في بداية أمره ويواظب عليها ، وقد يخرج من الحضرة المذكورة إلىٰ التربة للزيارة ولا يرجع إلا قريب الفجر .

قال : وكنت أطلع بعد الظهر إلىٰ الرباط لتدريس بعض الحلقات ، وعند خروجي أرىٰ الحمول يحط تحت مسجد بابطينه رز وغيره لخرج آل الرباط وقوتهم ، فأقول : لا إلـه إلا الله ، ولك الحمد يا رب ، هـؤلاء آل الرباط غداهم وعشاهم قده راسخ ، وأنا أخرج إلىٰ السوق بعد القراءة

دَوِّرْ لي عشاء . وقال : ومرة جَرَّيت لعمي عبد الرحمٰن المشهور طعام دُخن من بيت الشيخ محمد بافضل ، وقلت : لعل عمي عبد الرحمٰن يعطيني شطراً منه عشائي ، ما أعطاني شيء! اهـ .

قال : ومرةً وقعت أمطار غزيرة بالليل ، وكنا عندنا مسرجة انطفأت لفراغها من القاز ، ولا عندنا قاز في الدار والمطر تمطر أمطاراً قوية ، وبقينا في الظلمة ورأينا شدة عظيمة ، ولٰكن ثاني يوم تسهلت لنا قليل عدي ، أخذنا تنكة كاملة قاز ، عبرت نحن سنة وثلاثة أشهر .

وكان سيدي إذا وقعت الأمطار وحن الرعد . يتلون وجهه ، ويدخل ويخرج ، ولا يُسَرَّىٰ عنه إلا بعد أن يقف الغيث . وحال المطر يأمر أهل بيته ، الصغار والكبار ، بالجلوس في منزل واحد معه ، ويسأل عن من غاب منهم ، ويعتب علىٰ من قام أو أراد فتح نافذة ليرىٰ الغيث حتىٰ تكف المطر ، فينبسط وقال :

ما ندري باتمطر علينا بأي شيء ؟ البعر تحت الذيل .

ولما عزم علىٰ السفر للحج السيد عبد الرحمٰن بن حسين بن عبد الله الكاف . . جاء إلىٰ سيدي وطلب منه الفاتحة والدعاء ، فأسعفه بذلك وبَدَّا له بوجهه بالعودة والرجوع إلىٰ وطنه (تريم) ، فذهب للحج ، ولما عاد إلىٰ (تريم) جاء إلىٰ سيدي ، فصاح بأعلىٰ صوته وبكىٰ ، وقال : والله ما شفنا مثل هٰذه العينة ، لا في (مكة) ولا في غيرها ، لا مالكيّهم ولا مَشّاطهم . وبكىٰ بكاءً شديداً ، وقال : بيض الله وجهك يا عم علوي .

ويروىٰ عن ابنه محمد بن علوي ، أنه قال له يوم حراوة السيد عباس بن حسن بن شيخ الكاف في الصباح : أنا ما أريد أذهب للحراوة يا ولدي .

قال : فقلت له : لماذا ؟

فقال إن خاطري ما انشرح ولا نفسي بها مُولِّىٰ .

فقلت له : الأحسن تولِّي تجبر خاطرهم .

فذهب إلىٰ الحراوة تكلفاً ، وكأنه كُشف له عما سيقع في الحراوة من القتل والخوف ؛ فإنه قتل تحت البيت ثلاثة نفر ، وماج الناس وخافوا ، وقَرَّ الأكل في أفواه الخلق، وهـٰذه الواقعة كانت في آخر سنة (١٣٦٠ هـ) .

وكان كثير من الناس الذين لا ذرية لهم يأتون إليه ـ رضي الله عنه ـ ويطلبون منه أن يدعو لهم بالذرية المباركة ، فيدعو لهم ، وربما ضرب علىٰ ظهر بعضهم ، ويقول : إن شاء الله تأتيك الذرية الصالحة والأولاد المباركين ، قل : يا محضار ، يا شهاب الدين ، يا علوي بن عبد الله .

فيمن الله عليهم بالذرية ببركته .

وبعضهم يأتي إليه فيشكو إليه فتوره عن الجماع ، فيدعو له ويعطيه عزيمةً ، فيذهب عنه الفتور وترجع إليه شهوته كما كانت .

وقال ـ رضي الله عنه ـ من أثناء كلام : أنتم معكم راديو يخبركم ببعض الأشياء التي تقنطكم ، أما أنا معي ردايو ما يتغير .

وقال مرةً : أنتم في مناخركم زكمة ، أميلوا العكوس من مناخركم ، شفوا البلدان تَرْتَوِحْ ماشي كما (تريم) ولا باتعرفون قدر كلامي إلا إذا رحت .

وكثيراً ما نسمع سيدي يقول لكثير من الناس : أنت في الوجه . ويقول لآخر : أنت في الغُدفة .

ويقول لبعضهم : لا تخف .

وربما طلب منه بعض الناس أن يدعو له بالذرية ، فيدعو له وتأتيه الذرية .

ولما طلب منه ابنه محمد الرخصة في الذهاب إلىٰ الحج وألح عليه في ذلك . . قال له :

ما أريدك تسير ، ولا أقدر أفارقك ، وإذا مت . . بايقدر لك الله الحج .

فحج حجة الإسلام بعد وفاة والده بسنة ، وذلك سنة (١٣٨٧ هـ) تصديقاً لكلام والده .

وكان سيدي حليف القرآن ، فكان ملازماً لتلاوته في أكثر أوقاته ، فكان يأتي من مدرس الرباط ويحمل المصحف ، ويأتي من مدرس الشيخ علي ويحمل المصحف مع ما به من التعب ، ويقرأ الشيء الكثير منه حتىٰ كاد يحفظه كله .

وكان كثيراً ما يستشهد به في مذاكراته كأنه نصب عينيه ، ويأتي بالآية حينما يستشهد بها كاملةً ، وذلك مما يعجز عنه كثير من الحفاظ .

وحَسَبَ بعضهم الآيات التي استشهد بها في مذاكرة واحدة فكانت أكثر من خمسين آية .

وكانت تلاوته ـ رضي الله عنه ـ عن ذوق وطعم يجده معنوي ، حتىٰ كان من شدة استغراقه في التلاوة يميل عن الجدار والوسادة والفرش الذي كان متكئاً عليه في ابتداء القراءة ، من شدة ذوقه وحلاوة القراءة لديه .

وقال مرةً : إن جامع (تريم) تتبارك فيه القراءة أكثر من غيره .

وقال مرةً للسيد عبد الرحمٰن بن حسن بن شهاب ، حينما قال له : كيف حالكم ، عساكم بخير ؟ قال :

ما بي شيء ، ولا بي هم ولا غم وأنا عندي القرآن ، وتثبيت الفؤاد . . للحبيب عبد الله بن علوي الحداد .

ومرةً جاء إليه بعض الناس أيام الحرب في (سنقافورة) وانقطاع المواصلات ، وكانت عنده بيوت هناك ، فقالوا له : إن السيد أبا بكر بن شيخ الكاف يقول للناس : إن البيوت هناك تهدمت بالقنابل ، ولا عاد باتنالون منها شيء . وقالوا له : ادع الله أن يحفظها .

فقال لهم سيدي : بيوتكم محفوظة ، ولا عليها شيء .

فلما انتهت الحرب ، واتصل الناس بـ(سنقافورة) وجدوا بيوتهم محفوظةً لم يصلها من الخراب شيء ، كما قال سيدي رضي الله عنه .

وجاء إليه أحد السادة آل شهاب ، وقال له : سأسافر إلىٰ (جاوة) مدة ستة أشهر .

فقال له سيدي : ما عادلك حاجة بالسفر وأنت شايب ، وضجعة عند المحضار أحسن من (جاوة) كلها .

فقال : إلا لمدة ستة أشهر .

فقال له : ما هي ستة أشهر ، قل : ست سنين .

وجاء إليه آخر وقال له : أريد السفر إلىٰ (سنقافورة)

فقال له سيدي : مالك صالح في السفر ، والأحسن تبقىٰ هنا في (حضرموت) .

ولٰكنه ما سمع النصيحة ، فسافر ومات هناك .

ولما جاء خادمه يعلم سيدي بوفاته . . قال له : قد قلت له لا تسافر ، ما سمع الكلام .

وجاء إليه أيضاً شخص ثالث من السادة أيضاً ، وقال له : أريد السفر إلىٰ (سنقافورة) ، فقال له سيدي :

رخصة لك تسافر وباترجع ، وسيقع موتك بـ(تريم) .

فكان كما قال ، سار ورجع ، ومات بـ(تريم) وصلىٰ عليه سيدي .

ومما يخبر به ابنه محمد عنه ، أنه قال مرةً حين ما أنشدت بين يديه قصيدة جده شهاب الدين الأكبر ، التي مطلعها :

يا محمدْ أرىٰ سري ظهر ما تخفَّىٰ كلما جئت بَاكْتُمْ زاد فوقي وطَفَّا

قال سيدي : أنا سر شهاب الدين . أو ما هـٰذا معناه .

وقال مرةً من أثناء مذاكرة :

شُفونا خائف أن أولادكم يضربونكم ، وخائف أنكم تجيئون إلىٰ بعض مساجد ما تحصلون فيها ماء ، وخائف أنكم تتنازعون أنتم وعيالكم علىٰ زيارة الفقيه ، ولو أحد طلع من البرزخ . . بايقول لنا : ما المشقة التي بنا إلا من عيالنا ـ يعني عيال السادة ـ ويمكن الواحد منكم عادة بايمر علىٰ المقبرة وبايقول : ليتنا فيها ، مما سيراه في أولاد الزمان من التنكر .

وكان يقول : شُفوانحا محفوظين ومصانين بالمجالس هـٰذه التي نعقدها لكم ، حتىٰ أهل البرزخ يغبطونكم عليها .

وشُوْا الفقر ما هو فقر الرز ، الفقر فقر الرجال . والزيبق شُفوه عند أهلكم عادهم باينقدون القروش مَن بغوه وشافوا فيه أهليه . . بايولونه وبايدنونه ، ومن لا بغوه . . باينفونه وإن تطاول لها .

وقال : أخاف أن الأولاد عادهم يمشون بلا كوافي ، وأخاف أن النساء يشربن التنباك ، ولو صاح الصايح : والنار . باقول في النساء ، وعاد

الواحد الداخل إلىٰ (تريم) يسأل عن مسائل طلاق وعدة ونكاح ما يجد من يفتيه فيها .

ولو عندك ولد بايتعلم ومعه رغبة وعشقة ما يجد من يرقّيه حقيقة .

و(تريم) بغت أدب كبير ، شفوها مثل (مكة) و(المدينة) يقول الله فيهما : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] . ولا تقيسون (تريم) بغيرها من البلدان .

وقال مرةً في مذاكرة أيام الأزمة والمجاعة ، عند ضريح سيدنا الفقيه المقدم ، بحضور الجم الغفير من أهل (تريم) الذين خرجوا في ذلك اليوم لزيارة التربة بنية الفرج للناس ، قال مخاطباً لسيدنا الفقيه خطاب حاضر لحاضر :

يا أبانا الفقيه ، انظر إلىٰ بلادك ، أنت تقول : أنا لأهل بلدي كالغيث المخصب . والآن ، انظر إلىٰ بلدك ، وانظر إلىٰ أولادك وبناتك ، ولما حل بهم وبأهل هـٰذا البلد من المجاعة والفقر ، انكشفت عوراتنا وهـٰذا عيب عليكم ، ارحموا أولادكم وارحموا بلادكم ، وانظروا إليهم ، شفوا لكم وجاهة عند الله .

فهاج الناس بالبكاء والدعاء والابتهال إلىٰ الله حينئذ .

وكان سيدي إذا ذكر سيدنا الفقيه . . يطنب في ذكره ومدحه ويقول : شفوا ما حد له تصرف في البرزخ ، لا سقافهم ، ولا محضارهم ، ولا عيدروسهم ، إلا بإذن من الفقيه . ومن بايَرْوَح العرف المحمدي . . يخرج إلىٰ عند الفقيه ، يا بختنا بالفقيه ، لو عرفتموه حق معرفته . . لمشيتم إليه حبواً .

وقال مرةً في الروحة : شفونا إذا ذكرت أسلافي أشبع ، لو بغيتونا أجلس علىٰ ذكرهم من دون أكل حتىٰ ثمانية أيام .

وكان إذا ذكر (تريم) مدحها كثيراً ، ويقول : أنتم نويتم الاعتكاف بـ(تريم) وأنا نذرت الاعتكاف بها .

وقال : كتبت للوالد عبد الله مرةً ، وقلت له : إنني أطلع إلىٰ المحضار في رمضان كل ليلة ، وأحضر الحزب فيه .

فجوب علي ، وقال لي : ما قصدك بمطلع المحضار ؟ هل للمفاخرة ، أو لتعدد الخُطىٰ ، أو لكون السلطة فيه لآل شهاب ؟ فإن كنت تطلع لكذا . . فأنت كذا ، وإن كنت تطلع لكذا . . فأنت كذا . ووبخنا كثيراً .

وكتبت له مرةً ، وقلت له : عساك لقيت لك شيء من المال ، أو أخذت لك بيوت .

فجوب علي ، وقال لي : يسرني منك أني من منذ سافرت لم يبلغني خبر منك يسؤني ، فأنت إذاً أحسن لي من البيوت والعقار .

وأما قولك : ما القيت لك بيوت ، فأنت عندي أحسن من البيوت ، وأنت إن بغيت لك بيوت . . فالعامة تقول : من بغا الحرفوف . . يركض .

انتهىٰ ما أردت نقله من الكراسة التي جمعها فيه سبطه عبد الله بن عمر بلفقيه المذكور ، وقد كتبته هنا باللغة الدارجة تبعاً لما كتبه ، خوفاً من التحريف في كلام ذلك الإمام .

ومن أعظم وأشهر كراماته الباهرة ـ رحمه الله تعالىٰ ، ونفع به وبأسراره ـ : واقعة مرض السيد سالم بن أبي بكر بن حسين الكاف ، الذي أصيب بمرض في كبده علىٰ غاية من الخطورة ، نتج عنه تعويق مجرىٰ الدم إلىٰ الكبد ، وكان ذلك في أيام وجود الطبيب الإيطالي « مروشو » بـ(تريم) وكان الطبيب المذكور بسبب حصول النزيف الذي أحدثه هـٰذا المرض قد حمله علىٰ العلاج بحقن الدم للمريض من بعض

الأَشخاص مراراً ، وعجَّل بالسفر بالمريض أولاً إلىٰ (عدن) ولما عجز الأطباء بعدن في النهاية عن العلاج عاد به الطبيب المذكور إلىٰ (تريم) .

وبعد أن أيس الطبيب من إمكان علاجه بـ(حضرموت) و(عدن) لم ير بداً من الاقتراح علىٰ والده بإحالة علاجه إلىٰ مستشفىً خاص بهـٰذا المرض بـ(لندن) وقد أخذت الحَيرة والده السيد أبا بكر بن حسين ، وهو يرىٰ أن حالة ابنه يكاد يغلب فيها اليأس من حياته ، فاتصل بالحبيب علوي بن عبد الله ، صاحب هـٰذه المناقب ـ رضي الله عنه ـ بأخذ رأيه وإشارته في أمر السفر والعلاج بـ(لندن) وقال له :

إن حالة الولد تكاد تدعو إلىٰ اليأس .

فقال له الحبيب علوي المذكور : اسمح له بالسفر للتداوي ، وإن شاء الله سيعود بالشفاء والعافية ، وسترىٰ أولاده بنفسك . وكان موجوداً بـ(تريم) إذ ذاك السيد الجليل ، علوي بن محمد ، بن أحمد المحضار ، ابن الشيخ أبي بكر ، بن سالم ، فقال في نفسه : إن تأكيد الحبيب علوي المذكور بهـٰذه الصورة ، مع الحالة المدنفة التي بلغ فيها المرض إلىٰ الحد المشاهد تكاد تكون ضرباً من المحال .

واتفق أن رأىٰ السيد علوي الذي خطر له ما تقدم في ليلته من اليوم المذكور سيدنا الشيخ الإمام عمر المحضار ، ابن سيدنا الإمام عبد الرحمٰن السقاف ، وقال له في هـٰذه الرؤيا : يا غريب . . كن أديب .

فلما أصبح الصباح ، ووجل السيد علوي الرائي للرؤيا المذكورة من كلام سيدنا المحضار . . ذهب إلىٰ الحبيب علوي صاحب هـٰذه المناقب ، واعتذر إليه عما خطر له ، وقال له : سامحني في ذٰلك وتوجه إلىٰ الله أن لا ينالني سوء مما وقعت فيه من سوء الأدب بسبب هـٰذا الخاطر .

فقال له الحبيب علوي صاحب هـٰذه المناقب : لا بأس عليك ، وأريد أن أذكر لك أنني لا أشير علىٰ أحد بشيء إلا بعد أن تظهر لي إشارة وإذن .

وقد سافر الطبيب المذكور بالمريض المذكور إلىٰ (لندن) بتاريخ جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٧٣ هـ) . وحكىٰ السيد أبو بكر بن حسين لبعضهم قائلاً : عندما كنت أودع الولد عند ركوبه الطائرة بمطار الغرف ، كنت أشعر كأني أودعه الوداع الأخير ، كتوديع المرء الميت عندما يوضع في لحده .

ولما وصل إلىٰ المستشفىٰ بـ(لندن) للعلاج كانت العملية هي أنهم فتحوا جوفه ، وبلغ إلىٰ حد أنهم وضعوا بعض أحشائه علىٰ سرير العملية ، ووجدوا الكبد قد بلغت إلىٰ حالة كبيرة من النشوفة واليبوسة ، بسبب تعوق وصول الدم إليها .

ثم بعد انتهاء العملية ـ التي تمت بهـٰذه الحالة الشديدة الخطورة ـ بنجاح تام ، وقد ذكر أطباء المستشفىٰ المذكور للمرافقين في الذهاب بالمريض المذكور ، أن هـٰذا المستشفىٰ قد عالج المئات من المرضىٰ في هـٰذا المرض ، ولم ينجح إلا في عددٍ قليل لا يكاد يبلغ السبعين من الأشخاص ، وأن غاية من يعيش بعد هـٰذه العملية لا يعيش أكثر من خمسة أعوام .

وقد عاد السيد سالم بن أبي بكر المذكور والمرافقون إلىٰ (تريم) بعد الشفاء التام بتاريخ (٢٤) رجب سنة (١٣٧٣ هـ) .

ولما كان في سنة (١٣٨٤ هـ) عندما بلغ أرباب المستشفىٰ المذكور بـ(لندن) أن السيد سالم لا يزال يعيش ، وأنه قد تزوج وأنجب أولاداً . . استغربوا هـٰذا الخبر ، وبهرهم الأمر ببقائه بعد مرور أكثر من عشرة أعوام . . كتبوا للسيد سالم المذكور مذكرةً بواسطة السيد سالم بن علوي

الكاف بـ(عدن) يلتمسون منه أن يأتي السيد سالم بن أبي بكر المذكور إلىٰ (لندن) علىٰ نفقة المستشفىٰ ذهاباً وإياباً ، فاعتذر إليهم مع تكريرهم هـٰذا الطلب مرتين وشدة إلحاحهم عليه .

ولم يزل بحمد الله السيد سالم المذكور يعيش علىٰ أتم ما يكون من الصحة إلىٰ عامنا هـٰذا سنة (١٣٨٩ هـ) .

* * *

الفصل السابع

في ذكر شيء من كلامه المنثور ، الذي وفقني الله تعالىٰ لجمعه وكتابته حينما سمعته خلال برهة قصيرة من الزمان في بعض مجالسه ومدارسه الخاصة والعامة ، مع ضم شيء إليه مما جمعه وكتبه عنه ابنه محمد

فأقول : قال ـ رضي الله عنه ـ لما قرىء عليه من « الجوهر » ترجمة الشيخ علي بن محمد الخطيب صاحب مسجد الوعل :

كان كثير من السلف يجيء للفطر في المسجد المذكور طلباً لأن يكون فطره بتمر حلال ، وذٰلك لأنهم كانوا يأتون بتمر الإفطار فيه من بئر خلعها الشيخ المذكور بنفسه ، تسمىٰ بئر الإبل .

ثم قال : وكان الشيخ علي المذكور يحب الضيوف ، ولا يأكل كل يوم في الغالب إلا مع ضيف . ومثله الحبيب أحمد بن علي الجنيد ، فكان لا يأكل كل يوم إلا مع ضيف .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ذكر في « روض الرياحين » أن بعض العارفين لحد ميتاً ، فلما فرغ من لحده : سمع في القبر ضربةً عظيمةً ، وخرج منه كلب ، فقال في نفسه : ما هـٰذا ؟ فأنطق الله ذٰلك الكلب ، وقال : أنا عمله السيء . وأما الضربة التي سمعتها فإنها لم تقع فيه ، وقد حال بينه وبينها مواظبته علىٰ قراءة سورة يس .

ثم قال الحبيب علوي : ولهٰذا كان السلف ـ رضي الله عنهم ـ يكثرون من قراءتها ويختمون بها في مجالسهم .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : لما توفي الإمام السري السقطي رُئِيَ في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟

فقال له : غفر الله لي ، وغفر لمن صلىٰ علي ، وأعطاني ورقةً فيها أسماء الذين صَلَّوا علي .

فقال له الرائي : أنا ممن صلىٰ عليك . فأراه تلك الورقة ، فرأىٰ اسمه مكتوباً في الحاشية .

ثم قال : وكذٰلك الحبيب عبد الرحمٰن بن علوي صاحب البطيحاء رئي في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟

فقال له : غفر الله لي ولمن صلىٰ علي .

وقد أخذ عن الحبيب عبد الرحمٰن المذكور العبادلة وغيرهم ، وكان مهاباً ، حتىٰ إن تلامذته يدخلون عليه كل يوم في محل تدريسه فكانوا من هيبته ، لم يستطيعوا النظر إلىٰ ما في المنزل ، من أبواب وخزائن وسرر وغيرها ، ولا يزالوا ناظرين إليه ، صاغين لما يقوله ، ولم يعرفوا أن في ذٰلك المنزل خزائن كتب إلا بعد موته .

وكان كثيراً ما يسمن ثلاثة رؤوس غنم ، أو أكثر ، فإذا كمل سمنها . . ذبحها وأهداها لجيرانه وأقاربه ، فسأله مرةً الحبيب أحمد بن عمر بلفقيه : ماذا عندكم يا عبد الرحمٰن ؟

فقال له : إنَّا قد خَتَنَّا للهر . وكان يعني بالهر النفس .

وأوصىٰ أن تخرب داره بعد موته مخافة أن يسكنه أحد من الظلمة من بعده .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الحبيب علي بن عبد الله السقاف لما زار مرةً تربة (تريم) ووصل قرب قبر الشيخ عمر المحضار ، أو الشيخ العيدروس . . خرج له المحضار من القبر ، ورحب به وخاطبه .

وزار مرةً الحبيب عبدُ الله الحداد ، فلما كان بحضرة الفقيه المقدم . . قال أحد الحاضرين في نفسه : كيف الدخول علىٰ هـٰؤلاء السادة ؟ فكاشفه الحبيب عبد الله ، وقال : أنا الدرب الخارجي عليهم ، فلا وصول إلىٰ الفقيه إلا بواسطتي .

وكان يقول : إن الله بسط بساطاً للشيخ الجيلاني وطوي ، ثم بسطه للشيخ العيدروس وطوي ، ثم بسطه لي .

ثم قال : الحبيب عبد الله الحداد دعا الناس إلىٰ الله بفمه وقدمه وقلمه ، وكتابه « النصائح » حوىٰ جميع ما في « الإحياء » ، وكذٰلك قصيدته التي أولها :

عليك بتقوىٰ الله في السر والعلن

حوت ما في « الإحياء » وزيادةً .

ويقال : إن الشيخ الغزالي غزل الشريعة ، والشيخ الشعراني نسجها ، والحبيب عبد الله الحداد حَظاها وقصَّرها .

وقال الحبيب حامد بن عمر : من باينظم . . ينظم ، ومن بايسكت . . يسكت ، هل أحد بايجي لنا بكلام مثل كلام الحبيب عبد الله الحداد ؟

ولما أنشد المنشد بقصيدته البائية ، التي أولها :

تفيض عيوني بالدموع السواكب وما ليَ لا أبكي علىٰ خير ذاهب

فبكىٰ حتىٰ احمر وجهه ، قال له : احفظ من كلامنا ، فإنك إذا مت يسألك أهل البرزخ أن تنشد بقصائدنا .

فقال له أحد الحاضرين : هـٰذا لكل الناس ، أم لكم خاصةً ؟

فقال : لنا خاصةً ؛ لأن الناس في الدنيا ما عرفوا حقنا ولا حملوا بكلامنا رأساً .

ثم قال الحبيب علوي : وقد كان الشيخ الحساوي من خواص تلامذة الحبيب عبد الله الحداد ، وقد تخرج عليه وتأدب معه ، وأخذ عنه ، ومكث عنده نحو سبع عشرة سنةً ، وقد يعاتبه إذا رأىٰ منه شيئاً ، فرآه مرةً لما سلم الإمام من ثالث ركعة من صلاة الوتر . . قام ليأتي بركعة رابعة ، فعاتبه وقال له :

مرادك يعرف الناس أنك تصلي الوتر إحدىٰ عشرة ركعة ؟

ولما توفي الحبيب عبد الله المذكور ظهر لهم طائر في المنزل ، وسمعوه يقول : أجزنا الحسن من أبي الحسن .

ويقال : إن ذٰلك الطائر هو روحه .

وشيعت جنازته بعد العصر ، وفرغ من لحده قريب المغرب . ورأىٰ بعض العارفين قبره قد اتسع مد النظر من كل جهة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : تزوج الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس السيدة عائشة بنت الشيخ المحضار في حياة أبيها ، وأما السيدة فاطمة أختها . . فقد تزوجت الشيخ علي بن أبي بكر بعد موت أبيها ، ولـٰكنه رآه بعض العارفين حاضراً حين العقد .

ثم ذكر أن الشيخ أبا بكر العدني أراد السفر مرةً ، فجاء إلىٰ أمه السيدة عائشة بنت الشيخ المحضار ، فقال لها : إني أريد السفر ، ولـٰكني أخاف أن تموتي وأنا غائب .

فقالت له : إني رأيت أني أموت وأنت في (زيلع) فكان الأمر كما ذكرت ، رضي الله عنها .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : لما توفي الشيخ معروف الكرخي . . رفع الله العذاب عمن كان بقربه من أهل المقبرة ، فغفر لعشرين ألفاً ممن عن يمينه ، وعشرين ألفاً ممن عن شماله . وكذٰلك لما توفي أحد المشايخ آل باقشير ودفن بتربة المصف بقسم . . رأىٰ بعض الفضلاء في المنام قريباً له مقبوراً بقرب الشيخ باقشير بحالة طيبة ، بعد أن رآه مرةً قبلها بحالة سيئة ، فقال له : ما لي أراك قد تحسنت حالتك ؟

فقال له : رفع الله عني العذاب بواسطة هـٰذا الشيخ لما قبر بالقرب مني .

ثم قال له : ولما قبر بهـٰذه المقبرة السيد محمد بن أحمد جمل الليل ، المعروف بمقدم تربة المصف . . رفع الله العذاب عن أهل المقبرة جميعهم .

ثم قال الحبيب علوي : إن مقاماً للأولياء يقال له : مقام الكنزية ، إذا مات من أعطي هـٰذا المقام ودفن بمقبرة . . يرفع الله العذاب عن جميع أهل المقبرة . بل قال الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي : لو سقطت شعرة ممن هو في ذٰلك المقام علىٰ مقبرة . . لرفع الله العذاب علىٰ أهلها .

وقد أعطي هـٰذا المقام : الشيخ سعد بن علي مدحج ، والشيخ عمر بن عبد الله باغريب ، وكذٰلك الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه ـ رضي الله عنه ـ فإنه أعطي ذٰلك المقام ويستأهله ، ويكفيه فخراً كون الشيخ أبي بكر بن سالم ممن قرأ عليه وأخذ عنه ، وكان لا يرخص لأحد يقرأ عليه حتىٰ يختبره ، فإن رآه متأهلاً . . أمره بالقراءة ، وإلا . . منعه ، إلا الشيخ أبا بكر بن سالم ، فإنه رخص له في القراءة عليه في « الرسالة القشيرية » من غير اختبار .

وكان الحبيب علوي بن عبد الله العيدروس صاحب ثبي ، إذا طلب

أحد منه عزيمةً . . كتب له بيتاً من ديوان الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه ، ويقول له : هـٰذه العزيمة ، ويشفيه الله .

وأما الحبيب أحمد بن عمر المشهور ، إذا طلب أحد منه عزيمةً . . يقطع له قطعةً من أوصال العزام التي في جيبه ، المكتوب فيها : مرادنا بوصولك إلىٰ بيتنا .

ويقول له : هـٰذه العزيمة ، ويشفيه الله .

والمدار كله علىٰ العقيدة وحسن الظن ، أو كما قال .

وتكلم ـ رضي الله عنه ـ في فضل (تريم) فقال : بلاد زينة ، يا خير بلاد ، بلاد مطهره ، شوارعها شيخ من لا له شيخ ، قال العدني :

شوارعها دبغت بأقدام سادة بدورِ الهدىٰ أنوارِ كلِّ دُجُنَّة

وقال الحبيب عبد الله الحداد :

منازل خير ساده ، لكل الناس قاده ، محبتهم سعاده .

وقال الشواف :

ما هي من الدنيا البُوسْ بل من جنان الفردوس
روضه جعلها القُدُّوس فيها جلالات الله

قال بعضهم : جلالات الله هم أهل البيت .

وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد : فهي لَمِن بعد المساجد الثلاثة لَمِن خير بلاد الله .

والمحضار يسميها بلاد الطب ، فقال :

أَلاَوانازحاً عن بلاد الطب مالَكْ
ورح وارجع إليها واجعلها حِلالَك
تراك إن رحت منها فلا ترزق كمالك

وقد كان الوالي يفتخر بكونها فاقت غيرها من البلدان بثلاث خصال :

كونها لا يوجد فيها حرام .

ولا يوجد فيها سارق .

ولا يوجد فيها محتاج ؛ لكثرة ما يبذله أغنياؤها لفقرائها .

ويقال : إنه دخل داخل في وقت الشيخ السقاف ، فمر في طريقه بأربعين دار ، كلها قد شرع أهلها في قراءة سورة يس ، هـٰؤلاء الذي شرعوا فيها ، وكم الذي هم في أثنائها ، وكم الذين قد أكملوها ؟

ويمر المار في السوق فيجد أهلها كلهم يذكرون الله ولا يوجد فيهم غافل ، وأما اليوم! فقد انعكست الحالة فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ : أن الحبيب عبد الله الحداد يقول : وددنا المُتعة إلىٰ خروج المهدي ، ولـٰكن قالوا : إنها باتقع فتن قبله ، فأحببنا النقلة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر قال له أولاده : إلىٰ من نرد أمرنابعدك ؟

فقال لهم : إلىٰ علوي بن زين الحبشي .

فقالوا له : ثم إلىٰ من ؟

فقال : إلىٰ محسن بن حسين العطاس .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الحبيب أحمد بن محمد الحبشي ، صاحب الشعب يقول : اختص المتأخرون بثلاثة أشياء :

ديوان بامخرمة .

و« شرح الحكم » لابن عباد .

والقهوة البنية .

قال الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي : والرابعة كتب الحبيب عبد الله الحداد .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : اجتمع عيسوي ومسلم ، فقال العيسوي : نبينا عيسىٰ أفضل من نبيكم .

وقال المسلم : بل نبينا محمد أفضل .

فمر بهما الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وسمع كلامهما ، فقال للعيسوي : لماذا قلت : إن نبيك أفضل ؟

فقال : لأنه يبرىء الأكمه ويحيي الموتىٰ .

فقال له : أنا أحيي الموتىٰ مع أني لست نبياً ، ولـٰكن واحد من الأمة المحمدية . وذهب به إلىٰ مقبرة ووقف علىٰ قبر داثر ، وقال : هـٰذا قبر شخص مغن ، ثم قال : ماذا يقول نبيكم إذا أراد أن يحيي الموتىٰ ؟

فقال : يقول له : قم بإذن الله .

فقال الجيلاني لذلك الميت : قم بإذن الله ، فقام من قبره وهو يغني .

ثم قال الحبيب علوي : وقد كان كثير من سلفنا أحيوا الموتىٰ ، فمنهم : الشيخ سعد بن علي مدحج ، واستشهد بقول الشواف :

سَعْدُ الذي لُهْ لآيات ، أحيا الذي هُوْ قد مات ، خَلاَّه حَيّاً يقتات .

والسيدة عائشة بنت المحضار ، ماتت وأُحيِيَت مرتين : مرةً أحياها الشيخ سعد ، ومرةً أحياها زوجها الشيخ العيدروس .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : جاء شخص إلىٰ الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس ، وقال له : أوصني بوصية واكتبها لي .

فقال له : لا حاجة إلىٰ الكتابة ، ولـٰكن الوصية هي قوله تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

وجاء آخر إلىٰ أحد الأكابر ، فقال له : أوصني ، فأوصاه بآخر آية في النحل ، وهي : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

وتكلم سيدي ـ رضي الله عنه ـ في الليث ابن سعد ، فقال : كان ذا مال كثير ، وكان يتصدق كل يوم بثلاث مئة وستين صدقةً ، وكان غايةً في العلم ، ويقال إنه قال : لو أمليت ما في صدري من العلوم . . لأشحنت مركباً .

وذهب أصحابه إلىٰ الإمام مالك ، فلم يقابلهم مقابلةً حسنةً ، فقالوا : هـٰذا ما هو مثل صاحبنا الليث .

فبلغ الخبر إلىٰ الإمام مالك ، فدعاهم وقال لهم : من هو صاحبكم ؟

فقالوا له : الليث بن سعد .

فقال لهم : صدقتم ، ليس أنا مثله ؛ لأَنَّا مرةً طلبنا منه صبغاً فأعطانا شيئاً كثيراً منه ، صبغنا منه ثيابنا وثياب أولادنا وأخدامنا وجيراننا ، وبعنا الباقي بألف درهم .

وجاء إليه شخص مرةً ، وطلب منه قليلاً من العسل للتداوي به ، فأعطاه مئةً وعشرين رطلاً ، فقالوا له : أعطيته كثيراً ، وإنما طلب منك قليلاً .

فقال : طلب هو علىٰ قدر حاله ، ونحن أعطيناه علىٰ قدر حالنا .

ثم قال الحبيب علوي : انظروا إلىٰ هـٰذا الكرم العظيم ، واليوم الواحد تجده يملك مئتي ألف ، ولم تجد له صدقة حتىٰ علىٰ أقاربه ، وإن تصدق . . تصدق بشيء لا له ولا عليه ، نعم! لو طلبوا منه الرابطة وإلاَّ خابطه . . أعطاهم ؛ لأجل يشهرون اسمه ويذكرونه في الجريدة .

وقرىء عليه ـ رضي الله عنه ـ كلام في الحث علىٰ إكرام الضيف ، فقال :

قال الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : حبب لي من دنياكم ثلاث : إكرام الضيف ، والصوم في الصيف ، والضرب بالسيف .

وكان أحد الصالحين معه شاة فيها لبن يقوت به أولاده ، وأقبل عيد الحج ، فأراد أن يضحي بالشاة ، فقالت له زوجته : لا تذبح الشاة ؛ لأن التضحية سنة وقوت العيال واجب .

ومر عليهم العيد ولم يذبحوها ، فنزل بهم يوماً ضيف ، ولم يكن عندهم ما يكرمونه به إلا الشاة ، فقالت له زوجته : اذبح الشاة ، والعيال رزقهم علىٰ الله . وقالت له : اذبحها تحت الدار لئلا يراها العيال .

فذبحها ، وأحست المرأة بحركة في سقف البيت فظنته زوجها ، ولـٰكنها أشرفت عليه فوجدته يسلخ الشاة ، ثم طلعت إلىٰ السطح فوجدت فيه شاةً تسير ، فقالت لزوجها : أبدلنا الله عن شاتنا بشاة أخرىٰ ، فحلبوها ، فوجدوا في أحد ثدييها لبناً والآخر عسلاً ، وهتف بهم هاتف فقال لهم : هـٰذا مقابل إكرامكم للضيف .

ثم استشهد الحبيب علوي لهـٰذه الحكاية بقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩] .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان سيدنا الحبيب عبد الله بن أبي بكر العيدروس يقول : أتاني جدي رسول الله ﷺ في هـٰذه الغرفة بالحلوىٰ والبلوىٰ ، فأطعمني الحلوىٰ وجنبني البلوىٰ .

وقال أحد المشايخ آل باكثير : لو كان أهل « الرسالة القشيرية » في جانب من الحرم وأنا في جانب.. لما اهتززت ؛ لما ملأني به العيدروس .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان الشيخ عمر المحضار بن الشيخ السقاف

إذا احتبىٰ . . يدعو أصحابه ويقول لهم : ادعوا ربكم فإنه يستجيب لكل واحد منكم ثلاث دعوات .

وقال بعضهم : رأيت قبةً من نور ، فيها الشيخ المحضار وبناته ، وعندها بركة ماء ، يصب عليهم أبيض من اللبن ، وله ريح أطيب من ريح المسك .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : عادة السلف إذا ختم أحد أولادهم القرآن . . يسوُّون له ختماً ، فيأتون إلىٰ مسجد باعلوي ويخلونه يقرأ بين يدي منصب السادة آل العيدروس ، والمنصب مستند بالعود الذي في الصف الثالث من المسجد المذكور ، ويقرأ الولد من سورة الكوثر إلىٰ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم يقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

ولما ختم القرآن أحد أولاد السيد زين العابدين . . قال لهم : ما بغيت ولدي يقرأ إلا علىٰ الحبيب عبد الله الحداد ؛ لأن الحبيب زين كان شيخه الحبيب عبد الله الحداد ، حتىٰ إنه يقول فيه وفي السيد عبد الله بن علوي العيدروس : إنهما ولدا روحي .

فلما علم السادة آل العيدروس بذلك رجعوا من تحت المسجد وساروا إلىٰ مسجد العيدروس . أو كما قال .

ولما قرىء عليه من « الجوهر » حكاية الشيخ أحمد بن علي الخطيب مع أهله لما قال لهم : إنها ستعتريني حال من الأحوال ، والحذر يظنون أن بي مرض الفالج ، قال ـ رضي الله عنه ـ :

الشيخ محمد مولىٰ الدويلة لما حضرته . الوفاة اعترته الفهقة وكان ابنه السقاف حاضراً ، فقال في نفسه : ما هـٰكذا موت الصوفية !

فأفاق مولىٰ الدويلة ، وكاشفه وقال : ما هٰذه فهقة يا عبد الرحمٰن ، وإنما هو ذكر أورده الله علىٰ قلبي .

والوقت هٰذا ، لو اعترىٰ أحداً حال من الأحوال . . بايقولون : هاتوا الطبيب ، وآه بايعرفه الطبيب فيه ؟ غايته يقول : بااطعزه . وذا يقول لهم : هاتوا له ليداويه ، وذا يقول لهم : به كفحة ، وذا يقول لهم : أحد ألقىٰ له شيئاً ، وذا يقول لهم : باأكوي له ، وذا يقول لهم : بااتفل عليه . . . بعد ما مَزّ ، وَهُم ناس عقال يقبلون هٰذا الكلام من هٰؤلاء الجهال الذين لا معرفة لهم بالطب وما مقصودهم إلا أخذ الأجرة والفتنة بين الناس ؟! فتراهم يقولون للمريض : بك صرف من فلان ، يفتنون بينه و بين إخوانه ، وبينه وبين أقاربه ، وقد يداوونه بأدوية مضرة له ، كيف هٰذا الأمر ؟ الشبلي لما مرض أرسل له الملك طبيباً كافراً ليداويه ؛ فبذل غاية ما عنده في مداواته ، فلم يشف حتىٰ إنه قال : لو كان دواؤك في لحمي . . لبريته ، أو في تقطيع أعضائي . . لقطعتها لك .

فقال الشبلي : دوائي في إخراج هٰذا الزنار الذي عليك . فأخرجه وأسلم .

فقال الملك : أرسلنا الطبيب ليداوي المريض ، فصار المريض يداوي الطبيب .

والحبيب أحمد بن حسين العيدروس أصيب بجراحة في يده ، فجاؤوا له بطبيب بانيان ، ولم يخبروه أنه كافر ، فداواه ، ولما برئت يده واغتسل من المرض . . قالوا له : عادك بغيت الطبيب يجيء إليك ؟

فقال لهم : نعم .

فقالوا له : ولٰكنه كويفر!

فقال لهم : هاتوه . فلما جاء إليه . . نظر إليه نظرةً فجثا بين يديه ،

وقال : أشهد أن لا إلـه إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

فقـال الحبيـب أحمـد : هـو داوانـا مـن المـرض ، ونحـن داوينـاه بالإسلام .

وقرىء عليه ذم الرشوة وتحريم أخذها ، وعدم جواز قبول القاضي للهدية ممن لم يعتادها منه قبل تولية القضاء ، فقال ـ رضي الله عنه ـ :

كان أحد قضاة (تريم) أرسل له أحد من أهل البلد لحمةً ، فلم يجده الرسول ، فأعطاها أهله ، ففرح بها أهله وأولاده وطبخوها ، فلما جاء بعد العِشاء من المسجد . . قالوا له : إن فلاناً أهدىٰ إليك لحمةً ، فأخذناها وطبخناها .

فقال لهم : فلان هـٰذا لم أعرفه ، ولم يسبق لي منه إهداء قبل أن أتولىٰ القضاء ، ولعل بينه وبين أحد دعوىٰ ؟

فقالوا له : إنا قد طبخناها ، والأولاد فراحىٰ بها ، ولنا مدة من اللحم .

فقال لهم : وإن كان . ودعا الخدام وأمره يأتي بحوية ومحفر ، فوضع الحوية في أسفل المحفر ، ثم وضع الصفرية بمرقها ولحمها ، وقال له : اذهب بها إلىٰ فلانٰ ، وقل له : يقول لك حبيبي خذ الهدية التي أهديتها له ؛ لأنه ما يعرفك ولم يسبق منك إهداء قبل أن يتولىٰ القضاء .

وكان أحد السادة آل بن سميط تولىٰ القضاء في الوقت الأخير ، فجاء إليه شخص بورقة وكالة ، مراده يطرح الشابّ عليها ، وأعطاه ريال ، فرده إليه ، وقال له : ما استحقه! فراجعه أن يقبله ، فأبىٰ ، وبعد طول المراجعة أخذ منه أوقية وربع فقط .

وأما اليوم . . ما بايطرح شابّه علىٰ الورقة إلا والريال حاضر ، وزاد في هـٰذا الوقت الدولة بغا أجرة ، والكافر بغا أجرة ، إلىٰ أن صارت إلىٰ

ريالات كثيرة . والآن ، قالوا : حيل بينكم وبين (جاوه) ، وانقطع الأمر بالكلية ، لا عاد وكائل ولا شابّ .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : طلب الحبيب عبد القادر بن قطبان من الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي أن يقرأ في أحد الكتب ، فأشار عليه بالقراءة في كتاب « رسالة المعاونة » فاستصغر الكتاب ـ الحبيب عبد القادر ـ وظنه يقول له : اقرأ في « العوارف » للسهروردي ، أو « قوت القلوب » لأبي طالب المكي .

فقال له الحبيب عيدروس : لا تنظر الكتاب ، ولـٰكن انظر إلىٰ مصنفه الحبيب عبد الله الحداد ، وإلىٰ من صنفه له الحبيب أحمد بن هاشم الحبشي .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان الحبيب حامد بن عمر حامد إذا انقطع المطر أو نزلت بالناس نازلة يطلع إلىٰ السطح ويقول : يا رب إن كان انقطاع المطر أو نزول النازلة بسببي . . فاقبضني إليك .

وكان إذا جلس مع أبيه لا يطرد الذباب عن وجهه ، تأدباً لأبيه .

ووقعت قتلة تحت مسجد باعلوي ، ما درا بها ولا سأل عنها .

ودخل مرةً إلىٰ باعلوي ، فرأىٰ الجوابي ، ثم قال للساني : انشط الماء حالاً .

فقيل له في ذلك ، فقال : إني رأيت الماء وقعت به جنابة من حرام ، أو ما هـٰذا معناه .

ويقال : إنه خرج إلىٰ عند شيخه الحبيب حسن بن عبد الله الحداد ، وقال له : مرادي تخرج الخساسة والرياسة من رأسي .

ويقال : إن كل داخل إلىٰ مسجد باعلوي يتشرف بدخوله فيه ، إلا حامد بن عمر ؛ فإن المسجد تشرف به .

ويقال : إن رجلاً من السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم جلس في محل السادة آل العيدروس في باعلوي عند العود ، فخاف الحاضرون أن يحدث نزاع بينهم ، وكان الحبيب حامد بن عمر حاضراً ، فلما داروا الماء علىٰ أهل المسجد . . أخذ الحبيب حامد الدن من الذي يدير ، فقرأ عليه ونفث فيه ، وقال له : أعطه السيد المستند بالعود ، فلما شرب منه . . قام حالاً من محله وخرج تحت المسجد فما جاء السادة آل العيدروس إلا والمحل فارغ .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان الحبيب محمد بن علوي صاحب (مكة) إذا دخل عليه الداخل . . يذكر الله ، ويقول : لا إلـه إلا الله .

والحبيب أحمد بن محمد الحبشي صاحب الشعب مكتوب علىٰ ظهره بقلم رباني : لا إلـه إلا الله . ثم استشهد بقول الحبيب عبد الله الحداد فيه :

وكصاحب الشِّعب المهيَّب أحمدٍ مَـن بـالجـلالـة صـار كـالمُتَـدَرِّعِ

ثم قال : كان الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس لا يكثر النظر في الحبيب أحمد المذكور ، فسئل عن ذلك ، فقال : لأن النظر فيه يغزز العيون .

ويقال : إن سيدنا المهاجر أحمد بن عيسىٰ مد له بفنجان ، وقال له : من زارك فزيارتك تغنيه عن زيارتي ؛ أي : فكأنما زارني .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الحبيب عبد الرحمـٰن بن شيخ عيديد كان يقول : نظر إلي الشيخ أبو بكر بن سالم نظرةً ما عرفتها إلا بعد أربعين سنةً .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ السيد أحمد بن زيني دحلان ، فقال : كان له

تعلق بالسادة العلويين ومحبة فيهم ، حتىٰ إنه إذا خاطب العلويين يقول : يا سيدي فلان .

قال الحبيب علي بن محمد الحبشي : إن السيد أحمد المذكور صنف في خمسين علماً .

وقال الحبيب أحمد بن حسن العطاس : سألت عنه الحبيب أبا بكر بن عبد الله العطاس ، فقال : ما فيه منقط الشوكة خالي من العلم ، بل كله من رأسه إلىٰ قدمه ملآن علماً .

وكان يدرس في التفسير ، فيُحضِر اثني عشر تفسيراً ، ويعلق في ذهنه جميع ما فيها مما له تعلق بالدرس .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ الحبيب محمد بن عمر أبا مريم ، فقال : كان الحبيب محمد بن حسن جمل الليل يقول : إني صحبته أربعين سنةً ما رأيته غضب فيها . ولما مات ألحده السيد محمد بن حسن المذكور فسمعه يقول حين وضعه في القبر : ساعة العون يا باحسن .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : سبب إنشاء الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر هـٰذا البيت :

مسكين عثمان له حاله وللناس حالْ حالتُهْ زينهْ وحال الناس فيها مقالْ

أنه وقع زواج في (المسيلة) والناس ساروا عند أهل الزواج ، والحبيب عثمان بن عبد الله بن يحيىٰ ما سار معهم ، بل جلس يكنس المسجد ، وكان الحبيب عبد الله بن حسين يراه وهو في الخلوة التي في سطح المسجد وهو لا يشعر به ، فرمىٰ إليه من الخلوة بدومة وأخذها وأكلها ، ثم رمىٰ إليه بالثانية فأخذها وأكلها ، ثم رفع رأسه فرأىٰ الحبيب عبد الله شارفاً من الخلوة ، فقال له : يا عثمان ، ما سرت عند أهل الزواج؟

فقال له : لا . وبقي يكنس المسجد ، فأنشأ فيه ذٰلك البيت المذكور .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان السلف ـ رضي الله عنهم ـ يتوضؤن في الديار ثم يخرجون إلىٰ المساجد للصلاة . ، وكان الحبيب عمر بن حسن الحداد مثلهم ، يتوضأ في البيت ، وكان وضوؤه يستغرق ساعةً كاملةً ، يأتي بجميع السنن التي في الوضوء .

وقال أحد الأكابر : إني أرىٰ علىٰ رأس الحبيب عمر المذكور نوراً ممتداً إلىٰ عَنان السماء ، يسير حيث سار ، ويقف حيث وقف ، وكنت أتوسل به وهو ابن ثلاث سنين .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ذكر الحبيب أحمد بن عمر بن سميط : أن الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس كان يقول : كل قصيدة من قصائد الشيخ عبد الرحمٰن بن علي علىٰ حدتها موصلة إلىٰ الله .

قال الحبيب علوي : وكان الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر لا يفارق ديوان الشيخ عبد الرحمٰن بن علي أبداً .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان الحبيب عبد الله الحداد إذا نظم قصيدةً لا يثبتها إلا بعد ثمانية أيام ، فإذا مضت الثمان ولم ينس منها شيئاً . . أثبتها ، وإن نسي منها شيئاً ولو كلمةً . . تركها ، وقال : لعلها لم تكن خالصةً لوجه الله .

وقال ـ رضي الله عنه ـ مخاطباً بعض الحاضرين في الروحة : قَرُّوا الأولاد في الكتب التي يحبها السلف ، مثل « السفينة » و« الرسالة » و« المختصر » والحذر تعلمونهم علىٰ طريقة السؤال والجواب ، ما كذا ، ما كذا ؟ والخطط الجديدة التي جاؤوا بها من الجهات الأخرىٰ ، إما من مصر أو عراق أو حراق ، فهٰذه الخطط كلها ما تفيد ولا تنفع ،

ولا باتكسب العلوي شيئاً من سر أهله وسلفه ، وغايته يحرر جريدة أو يقول قصيدة يمدح فيها من لا يستحق المدح ، أو يقول قولة يصلِّحها وهو في الطهارة .

ولا نحبكم تمشون إلا علىٰ طريقة السلف ، وتهتدون بهديهم ، وتتخلقون بأخلاقهم ؛ لأنكم ما باتحصلون أخلاق مثل أخلاقهم ، ولا طريقة مثل طريقتهم ، ولا سيرة مثل سيرتهم ، ولا بلد مثل بلدهم .

وقال لي المنصوري المصري الذي نزل عند السيد أحمد بن عمر بن يحيىٰ : إن أهل مصر اليوم الخَيِّر منهم من يطلب العلم ويقرأ كتب الفقه لتتبع الرخص .

وسمعت عمي أحمد بن حسن العطاس يقول : ندمت كثيراً علىٰ سفري إلىٰ مصر ؛ لأنني فقدت شيئاً كثيراً مما كنت أعرفه قبل سفري إليها ، فكنت إذا مررت تحت دار . . أعرف من بها من ولي أو عالم ، حتىٰ الحائض ، إن كانت فيها حائض ، وأما اليوم . . فلا أعرف شيئاً من ذلك .

وسمعته أيضاً يقول : إن حَشّاً في (حضرموت) ولو في (الخُوْن) خير من (مصر) وما فيها ، أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان أحد السادة آل ابن محسن ، من سكان (تريم) ، إذا كتب له وصيةً ومضت عليه سنة من كتابتها . . نفذها وفرق ما فيها من الوصايا علىٰ أربابها ، ثم يكتب له وصيةً أخرىٰ ، وإذا مضت عليه سنة . . نفذها ، وهكذا يفعل كل سنة ، ثم قال :

والأولىٰ والأحسن ، سيما في هـٰذا الزمان ، إذا أراد الإنسان أن يتصدق أو يفعل شيئاً من أمور الخيرات . . أن يفعل ذلك وهو في الحياة وفي حال الصحة ، ولا يتكل علىٰ ما يكتبه في وصية ، وما مثل من يكتب

له وصية ويقول : ألقوا لي كذا وألقوا لي كذا ـ كما قال العم عبد الرحمٰن المشهور ـ إلا مثل من يسافر بلا زواد ، ويقول لأهله : أرسلوا زوادي قفاي ، فيمكن يرسلونه ويمكن لا يرسلونه ، وإذا أرسلوه ربما يُغتار في أثناء الطريق يظن أهله أنه وصله ، ويبقىٰ هو متحيراً بلا زواد .

وكذلك الوصية التي تكتبها وتضمها في الصندوق وتتكل علىٰ ما فيها ، ربما يبطلها وارثك وأنت عادك في الدار ، فيذهب إلىٰ عند طالب علم ، فيقول له : عليك العوين وأنا أبطلها من أولها إلىٰ آخرها ، كما هو الواقع اليوم ، لا إله إلا الله! وصية ألقاها أبوك أو أخوك بغاك تساعده علىٰ الخير بتنفيذها تروح تسعىٰ في إبطالها ؟ أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان الحبيب عبد الرحمٰن المشهور يقول : لا معرفة للإنسان بربه إلا بمعرفة نبيه ، ولا معرفة له بنبيه إلا بمعرفة سلفه .

ثم قال : ومعرفة السلف إنما تكون بمطالعة كتبهم ، فإذا طالعتموها . . تعرفون أن فلاناً ولد بـ(تريم) وحفظ القرآن العظيم ، وفعل وفعل ، وتعرفون أن فيهم من يقول : حفظت أعضائي السبعة ما صرفتها إلا في طاعة ، وأن فيهم من يقول : ما فعلت مكروهاً ولا هممت بمكروه ، ومن يقول : إذا رأيتموني ضاحكاً . . فكبروا علي .

ومن يقال فيه : صحبته أربعين سنة ما رأيته فيها غضب ، ومن يقال فيه : لو فرقت أعمالي علىٰ أهل الدنيا لكفتهم ، ومن يقول : إن رجلاً بين أظهركم إذا جاء وقت الحج . . تطير به سجادته إلىٰ عرفات .

طالعوا « المشرع » و« الجوهر » و« أنس السالكين » و« فيض الأسرار » و« شرح العينية » فإنكم تجدون فيها من أخلاق السلف ما لا تجدونه في غيرها . يا خير كتب صَنَّفوها ، ويا خير أخلاق تخلقوا بها ،

ويا خير صفات اتصفوا بها . لا أحد يختار غير أخلاقهم ولا صفات غير صفاتهم والأولىٰ للشخص إذا بايختار طريقةً غير طريقتهم ، أو عقيدةً غير عقيدتهم ، أن يجعل ذلك لنفسه ولا يضر الناس بها ، كما قيل : إذا لم تنفع . . فلا تضر ، وتكون مثل كلب السوق ، جالس بين الناس لا ينفعهم ولا يضرهم .

قال الشيخ المحضار :

ومن جانا وبايخضع حمانا نُكَثِّرْ في بلده الصائبات

قال الحبيب عيدروس : نكثر في بلده ؛ يعني : قلبه .

وقال الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في « فيض الأسرار » المراد بحماهم : طريقتهم .

انظروا « فيض الأسرار » هل بدا طالعتم فيه ؟ يا خير كتاب محشو بأخلاق الرجال ، حتىٰ إن بعضهم قال : إن « المشرع » بالنسبة لـ« فيض الأسرار » ما يقع « المشرع » إلا في ضِبْرة منه .

و« المشرع » علىٰ عظمته كان بعض السلف ما يستحسن فيه بعض أشياء ، ولعلها ما فيه من تكلف السجع ، وذكر قتل الحسين ، وغير ذلك مما يَكره السلف سماعه والخوض فيه ، حتىٰ إن الحبيب عبد الله الحداد إذا مر في القراءة عليه ذكر الوقائع . . يأمر القارىء أن ينتقل منه إلىٰ ما بعده . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان الحبيب عبد الله الحداد ـ وهو صغير ـ بعد خروجه كل يوم من العلمة يذهب إلىٰ مسجد باعلوي فيركع فيه مئتي ركعة ـ وفي رواية مئة ركعة ـ وما من مسجد في (تريم) إلا ركع فيه ، وبعضها كان مسدوداً فيأمر أحداً يحمله حتىٰ يدخله ويركع فيه ، ومن جملتها : مسجد باسويدان بالقرب من دار الشيخ عبد الرحمٰن باحرمي .

وكان يجي هو والحبيب عبد الله بن أحمد بلفقيه بالليل إلىٰ مسجد باعلوي أيضاً ، يطلب حال الحبيب عبد الله بن أبي بكر العيدروس ، والحبيب عبد الله بن أحمد يطلب حال مولىٰ الشبيكة ، فأعطاهما الله ذلك .

وكان يأتي إلىٰ قبر العيدروس يقول له : قد سبقتمونا بدرجة والآن سبقناكم .

فقيل له في ذلك ، فقال : لأن الله شفعه في نصف أهل عصره ، وأنا شفعني الله في أهل عصري جميعهم .

وكان يقول : وقع لي شق الصدر والعروج إلىٰ السماء كما وقع لجدي رسول الله ﷺ ، وقد وقع لي شق الصدر في مسجد باعلوي ، والعروج إلىٰ السماء في مسجد الهجيرة .

ثم ذكر الحبيب علوي ـ رضي الله عنه ـ مسجد الهجيرة ، فقال : هو مسجد قديم ، وليس هو من مساجد الحبيب عبد الله الحداد التي بناها ، وإنما قد تولاها آباؤه من قبله .

وكان الشيخ عمر المحضار يقول : ما بنيت مسجدي في هـٰذا المحل إلا لكونه بقرب الهجيرة وعاشق .

ومر في القراءة عليه الكلام علىٰ صلاة الوتر ، فقال ـ رضي الله عنه ـ : الأفضل فعلها آخر الليل ، هـٰذا لمن وثق من نفسه أنه يقوم آخر الليل ، وأما من خاف أنه لا ينتبه إلا بعد الفجر . . فليصلها أول الليل .

وكان سيدنا أبو بكر وسيدنا عثمان يصليانها أول الليل ، فيأخذان بالحزم ، وسيدنا عمر وسيدنا علي يصليانها آخر الليل ، فيأخذان بالقوة .

والجماعة فيه مخصوصة بشهر رمضان فقط ، والقنوت فيه مخصوص

بالنصف الآخر منه ، ولـٰكن عمل كثير من السلف القنوت فيه ولو في غير رمضان .

وسمعت أن بعضهم كان يصليها في مسجد السقاف جماعةً في غير رمضان .

ثم قال : ودعاء القنوت دعاء عظيم ، وكان الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس قد يكرره طول الليل .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : قصرنا كثيراً في حفظ القرآن ، وكان السلف ـ رضي الله عنهم ـ يحفظونه ، وتجد في غالب تراجمهم : ولد بـ(تريم) وحفظ القرآن العظيم ، وما رسخت ورجحت عقولهم إلا لما حفظوه .

قال الحبيب عمر بن حسن الحداد : ما ندمت إلا علىٰ خصلتين ؛ عدم حفظي للقرآن ، وسفري إلىٰ (جاوة) .

والحبيب حسن بن صالح البحر مثله ، لم يحفظ القرآن ، ولـٰكن قيل : من عناية الله بالناس عدم حفظه له ، وإلا لترك الناس وذهب مع القرآن .

ومن فَوَّت حفظ القرآن فلينبغي له يتحفَّظ السور التي ورد الحث ومزيد الفضل في قراءتها ؛ كـ« الكهف » و« طه » و« الدخان » و« يس » و« الرحمـٰن » و« الواقعة » و« تبارك المُلك » .

ولا يندم الإنسان علىٰ عدم حفظه للقرآن ، إلا إذا ذهب بصره وأراد أن يقرأ منه فلا يستطيع ، أو كما قال .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ السيد شيخ بن عبد الرحمـٰن الكاف ، فقال : إنه كان ولياً من الأولياء ، وكان علىٰ غاية من موت النفس والتواضع ، ومحبة الخير وأهله ، ويحب العلم وأهل العلم ، ويحضر المدارس ومجالس الصالحين .

ومعه المال الكثير ، ينفق ويتصدق ، فهو تاجر في الدنيا وتاجر في الآخرة ، ولو وضعناه في كفة وأولاده كلهم ـ الذي يتصدق منهم والذي لا يتصدق ـ في كفة . . لرجح بهم .

قال له الحبيب علي حبشي : تصدق يا شيخ ، وقدم شيئاً لآخرتك ، وإن الناس ما بايتخبرون عليك ويجيئون إليك إلا في الدنيا ، وأما إذا مت . . ما عاد أحد بايسأل عنك ولا عن قبرك ، بايسألون إلا علىٰ قبر الفقيه والسقاف والمحضار .

فامتثل الأمر ولا قصَّر ، فعمل الخيرات والصدقات العظيمة ، وكلها في صحيفة الحبيب علي الحبشي والحبيب أحمد بن حسن العطاس ؛ لأنهم هم الذين حثوه علىٰ التصدق بتلك الصدقات ورغبوه فيها .

ويقال : إن أحد الفضلاء رأىٰ بعد موته كأن شخصاً فرش بساطاً وقال لأهل البرزخ : من بغا شيئاً لشيخ الكاف . . يطرحه علىٰ هـٰذا البساط . فكانوا يطرحون فيه ، ولعل ذلك جزاء الصدقات التي تصدق بها ، أو كما قال .

وقرىء عليه في بداية « الهداية » فقال ـ رضي الله عنه ـ : كان الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي يقول : التقوىٰ في « بداية الهداية » والعلم في « الإحياء » والنور في « قوت القلوب » لأبي طالب المكي .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : جاء درويش مرةً إلىٰ (المسيلة) ولازم روحة الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر أياماً ، فقال الحبيب عبد الله لأولاده : اسألوا هـٰذا الدرويش عما رأىٰ في الروحة ؟ فسألوه فقال لهم : إني كنت أرىٰ نوراً عظيماً ينزل علىٰ رأس هـٰذا الشيبه ـ يعني الحبيب عبد الله ـ ثم يمتد حتىٰ يعم الحاضرين جميعهم .

ثم قال ـ رضي الله عنه ـ : وكان جلساء الحبيب عبد الله بن حسين

المذكور يقولون : ما عرفنا أنَّا في الدنيا إلا لما مات ولد حسين . وكذلك الحبيب علي الحبشي ؛ فإنه إذا جلس الإنسان في مجلسه ينسى أهله وأولاده ولا يمل مجلسه ، قال له الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس : باتكون مغناطيس القلوب .

وكان الحبيب أبو بكر بن عمر بن يحيىٰ إذا سئل عن الحبيب عبد الله بن حسين . . يقول للسائل : قف ، فيتوضأ ويلبس ثيابه وعمامته ، ويستاك ويتطيب ، ثم يقول : كان الحبيب عبد الله بن حسين كذا وكذا ، ويذكر أخلاقه وأعماله وصفاته ، ثم يرجع إلىٰ مناقب جده الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ ، ثم إلىٰ مناقب الحبيب طاهر بن حسين ، ثم بعد أن يفرغ يقول : أولـٰئك آبائي .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان أحد سادة (سيؤن) مسافراً بـ(جاوة) وكان يرسل لقرابته رسالاً وبناكس كل سنة . فقدم من السفر فجاء قرابته يرحبون به ، فقال لهم : عساكم فرحتم بقدومي إليكم؟ فقالوا له : فرحنا بك من جهة كوننا اتفقنا بك ورأيناك ، ومن جهة أخرىٰ ما فرحنا لأن المدد الذي كان يصلنا منك وأنت مسافر باينقطع . فقال لهم : لا تخافون ، جميع ما تعتادونه من الدراهم والبناكس بأعطيكم إياه وباسَبِّره علىٰ العادة . فكان كل سنة يعرِّف إلىٰ جاوة فيرسلون له القماشات والدخون فإذا وصلت إليه فرقها وجعلها في بناكس وكتب علىٰ كل بنكس اسم صاحبه ثم يفرق ذلك عليهم كأنها جاءت من جاوة مبنكسة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : دخل شخص مرةً إلىٰ (شبام) في وقت الحبيب أحمد بن عمر بن سميط ، فجاء إليه ليطلب الفاتحة منه ، ويتبرك بمصافحته ، وكان ذلك الشخص مستوفزاً عازماً علىٰ الرجوع إلىٰ بلده ، فوجد الحبيب في الضيقة وطلب منه الفاتحة والدعاء ، فألزمه أن يطلع إلىٰ فوق ، فقال له : إني مستوفز .

فقال له : لا بد أن تطلع ونعمل لك قهوةً .

فطلع وجلس معه ، فجرىٰ ذكر الحبيب عمر بن سقاف ، وكان شيخ الحبيب أحمد ، فأخذ يذكر مناقبه وجميع أوصافه ، واستغرق في ذلك حتىٰ أديرت القهوة وشربوها ، ثم عملوا قهوةً أخرىٰ وأديرت وشربوها ، وهو لا يزال مستغرقاً في ذكر مناقب الحبيب المذكور ، ثم قال الحبيب علوي : انظروا إلىٰ حافظة هـٰذا الحبيب ، وما هـٰذا إلاّ في مناقب واحد من مشايخه ، فكيف لو تكلم في بقيتهم ، كم بايستغرق من الوقت ؟ أو ما هـٰذا معناه .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ثلاثة من الأولياء أظهر الله منصبهم بسبب تواضعهم ، وهم : الشيخ العيدروس ، والشيخ الرفاعي ، والحبيب سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم . أو قال : الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : أعظم منقبة للحبيب عبد الله بن علوي الحداد راتبه الذي جمعه ؛ فإنه انتشر في جميع البلدان والفواتح باتصله ممن يقرؤه من (الهند) و(السند) والبر والبحر هدايا عظيمة باتصله بسببه .

وكان الحبيب عمر بن حسن الحداد يأمر من سمعه يقرأ إذا وصل : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، يقول له : قل بقلبك : وبعبد الرحمـٰن السقاف شيخاً .

وإذا وصل : يا ذا الجلال والإكرام أمتنا علىٰ دين الإسلام ، يقول له : قل بقلبك : في (تريم) عند قولك : أمتنا .

فقال له بعضهم : إذا مات الإنسان علىٰ « لا إلـٰه إلا الله » لا فرق مات في(تريم) أو غيرها .

فقال له : فرق في ذلك كبير ، آه قياسك : أحسن لك يوم تحشر مع

مسلمين خالصين ، أو يوم تحشر مع شِينِه وهندوة وغيرهم ؟ أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : قيل للشيخ السقاف : ما تنام ؟

فقال : كيف ينام من يرىٰ الجنة عن يمينه والنار عن شماله ؟

ويقال : إن والده الشيخ مولىٰ (الدويلة) لما توفي . . رئي أنه وقف بين يدي الله ، فقال له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦] فلم يرد جواباً ، والملائكة محيطة به ، وإذا النداء من قبل الحق سبحانه وتعالىٰ يقول للملائكة : اذهبوا بعبدي إلىٰ أي مكان شاء .

ووالده الشيخ علي بن علوي بن الفقيه المقدم رآه بعضهم بعد وفاته كأنه بين السماء والأرض ، فقال له : ما فعل الله بك ؟

فقال : المحبوب لا يضره شيء .

ويحكىٰ أنها دخلت قافلة في البلد فحطت كَمَّهْ أحمال تحت داره ، فقال علي بن علوي : ودنيا! يا رب انقلها عني أو انقلني عنها ، فمات بعد ذلك بشهرين أو ثلاثة أشهر .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ : الحبيب محمد بن علوي صاحب (مكة) فقال : كان أصله من (الشحر) فجاء إلىٰ (تريم) وأخذ عن من بها من الرجال ، وذهب إلىٰ (عينات) ورجع ، فأشار عليه بعضهم أن يجلس في زاوية الشيخ علي أربعين يوماً فجلس ، ففتح عليه ، ثم سار إلىٰ (الشحر) ثم إلىٰ (عدن) ثم إلىٰ (الوهط) ونزل بها عند الحبيب عبد الله بن علي بن حسن بن الشيخ علي ، ومكث عنده مدةً وكانت وظيفته عنده أنه يروِّح بالمروحة علىٰ الحبيب ويملي حوضاً عنده ، وكان يقول له : لو أدركت شيئاً من القرن العاشر . . لأدركت مطلوبك في أسرع وقت .

ثم زوجه بنته ، وذهب بعد ذلك إلىٰ (مكة) وكان له بها المقام

الكبير . ويكفيه فخراً طلب الحبيب عبد الله بن علوي الحداد منه الإجازة ، والإلباس ، وفيه يقول :

مثل الجمال نزيل مكة شيخِنا والفخر والصوفي عقيل المِصقَع

ومراده بالفخر في هـٰذا البيت : الحبيب أبو بكر بن عبد الرحمـٰن بن الشيخ شهاب الدين .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ الشيخ عمر بامخرمة ، فقال : إنه أعطي مقام الكنزية ، وهو مقام عظيم .

ثم قال : كان الحبيب علوي بن عبد الله العيدروس صاحب ثبي يقول : أود أن القيامة تقوم وأرىٰ حال ابن الفارض وعمر بامخرمة ، أيهما أرفع ؟

فسمع بقولته هـٰذه الحبيب عبد الله الحداد ، فقال : لو قال : لأرىٰ حال بامخرمة والسودي ، وأما ابن الفارض . . فهو أرفع ومقامه عظيم جم .

وكان الحبيب علوي المذكور يرسل خَدَّامه إلىٰ (سيؤن) ويأمره أن يدخل قبة بامخرمة ، ويقول له : قال حبيبي علوي بن عبد الله : شف ، ما عاد له سلوة اليوم إلا بكلام الله وكلامكم .

فيجيبه من القبر ويقول : قل لحبيبك : أما كلام الله . . فما فوقه كلام ، وأما كلامي . . فمن أنا ، ومن أكون ؟!

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ـ أو الحبيب علي بن عبد الله السقاف ـ : كلام الشيخ عمر بامخرمة جواهر في خُلْقان . فقيل له في ذلك : لأنه لَفْظه بكلام العامة ، ومعناه جزل ، وكان يعرف أحوال مَن قبله في وقته ومَن بعده من الرجال ، وقد أشار إلىٰ ذلك بقوله :

أهــل وقتــي وذي بعــدي وذي مــن زمــن عــاد
أعــرف أنســابهــم وألقــابهــم يــا ابــن حمــاد

ساعه اجمعْ وساعهْ جيك باسماهم أفراد .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : أعظم نعمة ساقها الله لنا القرآن ، فينبغي منا تلاوته وتدبره ، قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ١ـ٥] .

وقال الحبيب عبد الله الحداد :

وواظب علىٰ درس القرآن فإن في تلاوته الإكسير والشرح للصدر
ألا إنــه البحــر المحيــط وغيــرَه من الكتب أنهار تُمَدُّ من البحر

مَن حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه ، وكان السلف أكثرهم يحفظ القرآن، وفي أكثر تراجمهم : ولد بـ(تريم) وحفظ القرآن العظيم .

ويقال : إنه اصطاح صائح بـ(تريم) فاجتمع من حفظة القرآن ألف نفر .

قال بعضهم : إنك تثاب علىٰ قراءته وإن لم تكن تعرف معناه ، بخلاف غيره .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ الحبيب أبا بكر بن محمد المشهور ، فقال : كان باراً بوالده ، وكان وهو مسافر يرسل لوالده الكساء ، فيرسل له كساء البرد لنفسه ، وكساء الحر لنفسه .

ولمــا كــان الحبيــب محمــد زاهــداً ، إذا وصلــه الكســاء . . يضمــه ولا يستعمله ، فلما قدم الحبيب أبو بكر من السفر وجد صندوق والده ملآن بالثياب التي يرسلها له ، فقال له : لماذا لم تستعمل الثياب التي أرسلتها لك ؟

فقال له : أنا ما أستعمل ثياب شغل الكفار ، وأنا ما أستعمل إلا شغل الحويك عندنا ؛ لأن التي تغزل تذكر الله ، والذي يحوك يذكر الله .

وكان الحبيب محمد المذكور يسني ويتلو القرآن وهو في المَقُوْد المَنْدَر بمُقرا والمَطْلَع بمُقرا .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الشيخ السكران أورثهُ الله حال سيدنا أبي بكر الصديق ، فكان في طبعه الشفقة والرحمة والرأفة مثل الصديق ، والشيخ المحضار أورثهُ الله حال سيدنا عمر بن الخطاب ، فكان في طبعه الشدة والغَيرة للدين ، والشيطان يفزع منه مثل سيدنا عمر « ما سلك عمر فَجّاً . . إلا سلك الشيطان فَجّاً غيره » .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : أول من قيل له : الشيخ فلان ، من العلويين الشيخ عبد الله باعلوي ، وإذا قيل له : يا شيخ . . يقول للقائل : أبوك الشيخ ، تواضعاً منه ـ رضي الله عنه ـ .

وقال ـ رضي الله عنه ـ من أثناء كلام له : الإنسان إذا فتش في أمره وشاف أخلاق أهله وسلفه ، ينظر يشوف ، شيء فيه من أخلاقهم؟

قال الحبيب عبد الله الحداد :

مقرين بالتقصير عن شَأْوِ مجدهم وحسن مساعيهم بكل مقام

الله يرد ما ضاع ، من لا عنده شيء من حق أهله وسلفه بايقعد إلا في غوضه ، ما أحد بايسأل عليه .

قال عمي عبد الله بن عيدروس : الزيبق حق أهلنا ، هل أحد معه شيء منه بايهرعون إليه الناس كلهم ؟ خلونا نفتش عليه ، لو شيء آخر في الجهات ذيك . . جابوه ، وأما زيبق أهلنا . . ما باتدركه إلا في مساجدهم وفي معابدهم ، ما هو الزيبق حقكم يا أهل الزمان الذي في السِّتَر قال : حر ، قال : برد ، قال : شفه طلع النَّمُور ، قال : شفه نزل ، آه فضولك

زاد الحر أو نقص ؟ مالك اعتراض علىٰ ربك ، لا تقدر علىٰ دفع الحر ولا علىٰ جلبه .

الله يردنا إليه مردٌّ جميلْ ، شُفوا أهلنا بغوا الولد يتأهل ، وبايعطونه وبايمدونه ، ولا عطاء إلا عطاهم ، ولا مدد إلا مددهم .

قال بامخرمة :

ما العطاء مكتسب هيهات ما البخت يُكسَب
من بغوا له سُحِب وآخر من الباب يُجذب
خذ عطانا بلا مِنَّهْ وذا طبع مَن حَب

الشيخ يقول : وآخر من الباب يجذب ، والحبيب علي الحبشي يقول : أبدلوها وآخر إلى الباب يجذب . وقال رضي الله عنه : أهل الأسفار اليوم في حالة ما هم داريين كيف بايكون الأمر ؟ التهديدات بهم كل يوم ، والواحد منهم لو بايعلم أخبار أهله بـ(حضرموت) ما هو داري كيف هم ؟ وأما نحن ما عندنا من هـٰذه الأمور شيء نعمة عظيمة ، والفضل في هـٰذا كله للمهاجر إلىٰ الله أحمد بن عيسىٰ ، يحتاج إذا أويتم إلىٰ فراشكم ترتبون له فاتحة .

قال الحبيب عمر بن حسن الحداد : إن المهاجر قد عرف الأمور التي باتقع كلها .

قال الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ : إنه أفضل من في الوادي علماً وعملاً وعقلاً ، وقرباً من النبي محمد ﷺ ، جزاه الله عنا خيراً ، واجب نمشي ولو علىٰ عيوننا لزيارته .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ الحبيب عيدروس بن عمرَ الحبشي ، فقال : إنه خضعت له رقاب العلماء والأولياء أهل عصره ، لا يفترق فيه اثنان ، فهو مثل الجيلاني حيث يقول : قدمي هـٰذا علىٰ رقبة كل ولي لله .

ثم قال : يستأهل ، رَبَّوْه رجال ونظروا إليه ، مثل الحبيب أحمد بن عمر بن سميط ، والحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه ، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، والحبيب حسن بن صالح البحر . . وغيرهم ، جاء إليهم وتملق لهم وأخذ عنهم ، فصار خليفتهم .

قال الحبيب حسن بن صالح : عيدروس خليفتي .

وكذلك الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ذكر في الدوائر التي يكتب فيها : « فلان خليفة فلان ، فلان خليفته فلان » : عيدروس بن عمر الحبشي خليفة حسن بن صالح البحر .

ومن جملة تملقه بمشايخه : أنه جاء إلىٰ الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه وقال له : أريد منك أن تقول لي : أنت منا ، كما قالها النبي ﷺ لسلمان .

فقال له : أنت منا صلةً متصلةً إلىٰ يوم الدين .

وما كفاه ذلك حتىٰ ذهب إلىٰ الحبيب حسن بن صالح البحر ، فطلب أن يقول له : أنت منا . فقال الحبيب حسن : إن كان لنا شيء هناك . . فنحن مشتركون فيه وإياك .

وجاء إلىٰ الحبيب عبد الله بن علي بن شهاب ، وطلب منه أن يلقنه الذكر ، فلقنه ، ثم أخذ بإذنه وقال له : يا عيدروس ، الله الله في الورع ، احذر يقمرك الشيطان .

قال العم أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب : الأوصاف والأخلاق التي نسمع بها في أهل الرصة نراها الآن محققةً في الحبيب عيدروس بن عمر .

وكان الحبيب عبد الرحمٰن المشهور لا يخضع ولا يسلم لأحد غير الحبيب عيدروس ، وأذكر أنه دخل عليه مرةً الشيخ أبو بكر بن أحمد

الخطيب بعد رجوعه من (علوىٰ) فقال له : الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي يسلم عليك .

فقال : هل نص علىٰ اسمي ؟

فقال : نعم ، نص علىٰ اسمك .

فبكىٰ الحبيب عبد الرحمٰن ، ثم أعاد السؤال ، فقال له : هل نص علىٰ اسمي ؟

فقال له : نعم ، نص علىٰ اسمك ، وعلىٰ اسم السيد عيدروس بن علوي العيدروس ، فبكىٰ .

ويقال : إنه دخل رجل من (حضرموت) (الهندَ) فسأله أحد أهل (الهند) عن الحبيب عيدروس بن عمر ، هل يعرفه ؟ فقال له : نعم ، وأنا من بلده .

فقال : كم مرات تراه في اليوم ؟

فقال : أراه من الجمعة إلىٰ الجمعة .

فقال له : وهل تصافحه ؟

فقال : قد أصافحه ، وقد لا أصافحه .

فقال الهندي : لو كنت ببلده . . با أجلس تحت داره أول النهار في الظل القبلي وآخره في الظل الشرقي ؛ لعله يَلُوح لي من خَلْفَة فأنظره .

ولما قرىء عليه من « مختصر مجمع الأحباب » قول محمد بن واسع : لو كان للذنوب ريح . . لما قدر أحدأن يدنو مني من نتن ريحي لكثرة ذنوبي .

قال ـ رضي الله عنه ـ : كان الحبيب أحمد بن حسن العطاس يقول : إني أجد ريح الذنب من الإنسان إذا أذنب وأعرفه .

وكان الحبيب أحمد بن عمر الهندوان يرىٰ ذنوب الناس مكتوبةً علىٰ جباههم ، وقد كشف الله له عن صاحب قبر كان يمز التنباك ، فرآه يمص ذكره بدل قصبة الرشبة التي كان يمصها وهو في الدنيا .

ويقال : إنه مر بدار يقال لها : دار آل الصليبية ، فجلس عندها يرىٰ المارين في الطريق ، فكشف له الله عن بواطنهم ، فكان يرىٰ بعضهم علىٰ صورة كلب ، وبعضهم علىٰ صورة خنزير ، فدعا الله أن يستر عنه ذلك وكان عظيم الحال ، قال الحبيب عبد الله الحداد : إن الله أورثه مقام الصديقية الكبرىٰ . وقال له يوماً : خاطرك ياالهندوان ، فقال له : ما يُصلِح الهندوان إلا الحداد .

وحث ـ رضي الله عنه ـ علىٰ التبكير للجمعة والغسل لها ، وبعد أن ذكر الأحاديث الواردة في فضلها قال :

كان الحبيب عبد الله الحداد لا يترك غسل الجمعة ، لا في حضر ولا في سفر ، ولا في حر ولا في برد . وكان يقول : ما من سنة سنها النبي ﷺ إلا وأرجو أني قد عملت بها .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الشيخ عبد الله باعلوي إذا زار الفقيه . . يندهش ويقول : الصيد كل الصيد في جوف الفِراء .

والحبيب عبد الله الحداد قد يطلع إلىٰ التربة ويزور الفقيه فقط ، ويقرأ ثلاثاً من الإخلاص والمعوذتين ثم يرتب الفاتحة ويرجع ، وربما سئل وقيل له : لماذا لا تكمل الزيارة ؟

فقال : الحج عرفة ؛ يعني : إن زيارة الفقيه كافية ؛ لأن أرواح البقية حاضرة عنده .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان الحبيب عبد الله الحداد إذا دخل وهو

صغير علىٰ الحبيب عبد الرحمـٰن بن شيخ مولىٰ عيديد يقول : يا حيا بشيخ الجماعة ، يا حيا بسيد الجماعة . ثم يقول :

ومن رعته العنايهْ في المَجيْ والذهابْ فلا يبالي ومن خانتة الأقدار خابْ

وكان الشيخ عبد الرحمـٰن بن شيخ ـ المذكور ـ يقول : نظر إلي الشيخ أبو بكر بن سالم نظرةً ما ميزتها إلا بعد أربعين سنةً . وكان يجلس علىٰ كرسي ويقول : انظروا إلي ، فإني نظرت الشيخ أبا بكر بن سالم وهو يقول : ناظري وناظر ناظري في الجنة .

ثم قال الحبيب علوي : وقد قال هـٰذا الكلام كثير من الأولياء ، فمنهم : الحبيب عبد الله الحداد .

والحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس ، قالها إلىٰ أن انقطع نفسه .

والشيخ الجيلاني قالها إلىٰ خمس وعشرين مرةً .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : سار الشيخ العدني مرةً إلىٰ (مكة) للحج ، ومعه الشيخ عبد الرحمـٰن بن علي ، فمرض العدني بـ(مكة) وأراد الرجوع بعد الحج إلىٰ (عدن) وطلب من الشيخ عبد الرحمـٰن بن علي أن يرجع معه فأبىٰ ، وقال له : لا بد أن أزور المصطفىٰ ﷺ .

فقال العدني للبدو : من سار بابن عمي بايمرض ؟

ثم خرج الشيخ عبد الرحمـٰن بن علي إلىٰ الكعبة يطوف ، فرأىٰ والده الشيخ علي في المطاف ، فقال له : اخرج مع ابن عمك واترك الزيارة .

فخرج معه وهو آسف علىٰ الزيارة ، فلما وصلا إلىٰ (عدن) رأىٰ الشيخ عبد الرحمـٰن بن علي النبي ﷺ ، فشكره علىٰ مساعدته لابن عمه في الرجوع ، وبشره بأنه يزوره في المستقبل . وكان الشيخ عبد الرحمـٰن لا يحتلم في الغالب ، وفي تلك الرؤيا احتلم بسبب لذة الخطاب مع النبي ﷺ .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان الحبيب عبد الله الحداد يقول : أهل الأحوال الكبيرة ما تطول أعمارهم ، مثل الشيخ العيدروس ، والشيخ النووي ، والسهروردي .

وأما هو : فقد طال عمره إلىٰ نحو التسعين ، وسلمان الفارسي عاش مئتين وخمسين سنةً ، والطبري عاش مئةً وستين سنةً ، وأبو شجاع عاش مئةً وستين سنةً ولم يختل عضو من أعضائه ، فسئل عن ذلك فقال : حفظناها في الصغر ، فحفظها الله لنا في الكبر .

ونحن نطلب طول العمر ؛ لأنه ما عندنا استعداد للموت .

يقال : إن رجلاً تمنىٰ الموت بحضرة الحبيب عبد الله الحداد ، فزجره وقال له : آه معك له من استعداد ؟ ربما تقع سباطة هناك . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ثلاثة من العلويين لهم مِنَّة كبيرة علىٰ الناس : المهاجر بخروجه من البصرة ، والفقيه بكسر السيف ، والشيخ علي بن أبي بكر بجمع الشجرة .

قال بعضهم : والرابع الشيخ سالم بافضل ؛ فإنه أحيا كثيراً من السنن بـ(حضرموت) وأمات كثيراً من البدع ، ولهـٰذا يقول فيه الشيخ عبد الرحمـٰن بن علي :

والشيخ سالِمْ سَيِّدي ... محيي السنن والواجباتْ
ما ضل من به يقتدي ... مبدي العلوم الدارساتْ

وذكر ـ رضي الله عنه ـ الحبيب حسن بن الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف ، فقال : كان لا يدخل مسجده الشيطان . ويقال : إنه دخل عليه مرةً رجل مذبذب ، فقال له : اخرج ؛ فإنك أدخلت الشيطان معك .

وقال يوماً : إن رجلاً بـ(تريم) بين أظهركم ، إذا خطر بباله الحج . . طارت به سجادته .

ثم قال : يا خير طيارة معه ، ما بغت سليط ولا تسقط ، ما هي مثل الطيارة حقكم ، إذا غلق سليطها . . سقطت وأهلكت من فيها .

والشيخ عبد الرحمٰن السقاف ما حج في الظاهر ، ولٰكنهم يرونه في الحج مرات كثيرة . ثم ذكر الحكاية لعبد الله بن المبارك ، فقال : إنه عزم علىٰ المسير للحج ، فخرج إلىٰ السوق ليشتري راحلةً ليركب عليها للحج ، ومعه كيس فيه خمس-مئة دينار ، مراده [أن] ينفقها في الحج ، فمر بامرأة علىٰ مزبلة تنتف ريش دجاجة ميتة ، فسألها عن فعلها هٰذا ، فقالت له : سر في طريقك .

فقال : لا بد أن تخبريني ، وكلف عليها .

فقالت له : أنا شريفة معي بنات ، ولنا ثلاثة أيام من القوت ، والآن حلَّت لنا الميتة .

فأعطاها ابن المبارك جميع ما في الكيس من الدنانير ، وترك الحج . فلما قدم الحُجاج من الحج ذهب إليهم ، فقال لهم : حج مبرور وسعي مشكور .

فقالوا له : وأنت كذلك ، حج مبرور وسعي مشكور .

فقال لهم : أنا ما حججت هٰذه السنة!

فقالوا له : إنا رأيناك هناك .

فتعجب من قولهم ، فلما كان الليل رأىٰ النبي ﷺ يقول له : دعوت الله أن يسخر ملكاً علىٰ صورتك يحج عنك كل سنة ، جزاءً لك علىٰ ما صنعت مع الشريفة المسكينة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : لما اطلع بعضهم علىٰ « روض الرياحين » لليافعي قال : أنا أستطيع أن أصنف مثل هٰذا الكتاب ثلاث مرات في الأولياء من أهل (دوعن) فقط .

قال بامخرمة : كل من قال : (مصر) أحسن . . فقل : (دوعن) أحسن .

وعاتب ـ رضي الله عنه ـ علىٰ من يدخل جبانة (تريم) أو التربة بالنعال ، فقال : ما أحد ينقد أحداً ، كان سلفنا ـ رضي الله عنهم ـ يعظمون البلاد كلها ولا يلبسون النعال فيها .

وجاء الحبيب شيخ بن سقاف إلىٰ عند عمي عبد الرحمٰن المشهور ، فسأله : لماذا لا تلبس النعال ؟

فقال له : لا أستطيع أن ألبس النعال في هٰذه البلاد ، وقد أخرجت نعالي من عند علب العيدروس .

ودخل رجل قريب مرةً إلىٰ الجبانة ، فمكث فيها مدةً ما خرج منها ، فسئل عن ذلك ، فقال : رأيت النبي ﷺ يدخلها في كل يوم اثنين وخميس .

ودخل الشيخ باعباد إلىٰ (تريم) يحبو ، تأدباً منه لـ(تريم) فلما وصل إلىٰ التربة . . قال سيدنا الفقيه لأهل البرزخ : قوموا أكرموه .

وقيل للحبيب عمر بن حسن الحداد : فلان يطلع من (دمون) إلىٰ (تريم) وهو راكب .

فقال لهم : يطلع إلىٰ (تريم) وهو راكب ؟!

فقالوا له : إنه سمين ما يستطيع المشي .

فقال لهم : قولوا له يجوع نفسه . أو كما قال .

ولما قرىء عليه من « الجوهر » حكاية الشيخ أحمد بن علي بن محمد الخطيب مع أبي بريري لما جاء إليه وقال : إن الوالي يريد هدم داري ، فقال له : إن هدم دارك . . هدمنا حصنه ، فصمم الوالي علىٰ ذلك وأرسل

الخدامين ليهدموه ، فجاء أبو بريري إلىٰ الشيخ أحمد وأخبره بذلك ، فتوجه إلىٰ ربه فزلزل الله علىٰ السلطان حصنه وحركه حتىٰ سقط جانب منه ، ولم يزل يتحرك حتىٰ أرسل للخدامين وأمرهم أن يكفوا عن هدم دار أبي بريري ، فقال الحبيب علوي :

ومثل هـٰذه الحكاية ، أو قريب منها جرت للحبيب علي بن عبد الله السقاف ؛ فإنه جاء إليه أحد أصحابه وشكا إليه ما جعله عليه السلطان من الدفعة ، فقال : قولوا لمقطوب الحبل ـ يعني السلطان ـ يرفع ما جعله علىٰ ذلك الرجل ، وأَخبِروه بأنه لا يقدر علىٰ تسليم ما ألزمه به ، فأخبروه ، فصمم علىٰ ذلك وألزمه بالتسليم .

فلما علم الحبيب علي بذلك . . دخل المسجد وكبر علىٰ السلطان أربع تكبيرات ، فأخرجت من دار السلطان في أسبوع واحد سبع جنائز .

ثم قال : وجاء أبو الحسن الشاذلي ـ أو غيره ـ إلىٰ سيدي حبيب العجمي ، فقال له : إن الوالي يسأل عني ، وأنا أكره لقاءه .

فقال له سيدي حبيب : إن ترد أن لا يراك رسول الوالي . . فأتني . فأتاه وأجلسه إلىٰ جانبه ، فدخل رسول الوالي وفتش عنه في المسجد فلم يره ، فقيل له : في أي مكان أجلسته ؟

فقال : أجلسته في حضرة الله .

ثم استطرد ـ رضي الله عنه ـ إلىٰ ذكر حكاية الحبيب أيضاً ، فقال : دخل أبو الحسن الشاذلي مرةً إلىٰ المسجد فرآىٰ حبيباً يصلي فيه ، فأراد أن يقتدي به ، فسمع في لسانه لثغةً فخرج ولم يأتم به ، فهتف به هاتف : لو اقتديت به . . لغفرت لك . فأسف أبو الحسن وندم علىٰ فعله .

ثم قال الحبيب علوي : حبيب العجمي محبوب عند الله ، والمحبوب يكون خطاه صواباً .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ بعض كرامات الحبيب عبد الله الحداد ، ومن جملة ما ذكره :

أنها جاءت مرةً ريح عظيمة من الجانب البحري ، ووقفت فوق الرميلة قريب الحاوي ، وخرج منها طائر أسود ، ففزع الناس وهرعوا إلىٰ الحبيب عبد الله الحداد ، فسألوه عن تلك الريح وعن الطائر الذي خرج منها .

فقال لهم : إنه روح شخص عاص جيء بها لتطرح في برهوت ، فطلبوا مني أن أشفع فيها ، فشفعني الله فيها .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : جاء إلىٰ الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي رجل قد قدم من سفر ، فأخذ يصف الرجال الذين لاقاهم بـ(جاوه) وأخذ يكثر في وصفهم ، فقال له : لا تُكَثِّر علينا ، أما من كان مثل شيخ بافقيه . . فنضعه علىٰ رؤوسنا ، ومن لا . . فلا .

وقال له بعضهم : إنا إذا كنا في السفر تسهل علينا الأعمال ، فنكثر من الأذكار والأوراد ، والتلاوة وغيرها ، بخلاف ما إذا كنا في بلدنا .

فقال لهم : انظروا إلىٰ هـٰذه الشجرة ، فإنها كثيرة الأغصان والأوراق ولـٰكن ما فيها ثمر ، وأعمال هناك مثل هـٰذه الشجرة ، فإنها كثيرة الأغصان ولـٰكنها قليلة البركة أو الثواب . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ من أثناء مذاكرة له في المولد بمسجد سرور ، بعد أن أنشد المنشد بقصيدة الحبيب علي بن محمد الحبشي ، التي أولها :

بـالفتـح والإرشـاد والإمـداد ثبتـت قـواعـد شيخنـا الحـداد

الله يردنا مرداً جميلاً ، شفوا هـٰذا الحبيب توجه إلىٰ أهله وسلفه! خَلُّونا نتوب ونستغفر مما جنيناه ، كل داري بغدراء بيته .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢ـ ٤٣] ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

وَشُوْا ، ربي بايخاطب كل فرد منا مع حضور الأنبياء والرسل والملائكة ، شفوا ذا يوم عظيم ، سماه الله يوم الطامة ، يوم الصاخة ، يوم الراجفة ، يوم التناد ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١ـ٢] .

فكيف بالشخص إذا حل به العذاب ؟ أي إنسان باينفعه ، وأي كهف بايضمه ؟ يا كم من ذنب تُخفيه بايظهره ربك ، الإنسان يَدَّارَك نفسه بغينا فيين المرجع إلىٰ فيين ، شفك علىٰ إحدىٰ خصلتين : إن كنت خَيِّر . . يا بختك ، وإن كنت شَرِّي . . يا ويلك ، بايشلونك من بين أمك وأبيك وأولادك ، مع أنهم كانوا يحبونك ويتحننون عليك ، وأما يوم القيامة . . ما أحد باينفع أحد ، خلونا نرجع ، خلونا نتوب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التحريم : ٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى: ٢٥] .

آه معنا من أعمال ؟ شفونا بانموت كلنا ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨] .

امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه ، هل شيء معكم تقوىٰ ؟ يا إخواني ، لا فخر لعالم ولا لفقير ولا لغني إلا بتقوىٰ الله ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ

يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] قيل لبعضهم : مَن آل محمد ؟ قال : مؤمن تقي .

ومن ضيع التقوىٰ وأهمل أمرها تغشته في العقبىٰ فنون الندامة
ومن كانت الدنيا قُصارىٰ مراده فقد باء بالخسران يوم القيامة
ومن لم يكن في طاعة الله شغله علىٰ كل حال لا يفوز ببغية

* * *

تقوىٰ إلٰه العالمين فإنها عز وحرز في الدنا والمرجع
فيها غنىٰ الدارين فاستمسك بها والزم تنل ما تشتهيه وتدعي

التقوىٰ ضيعناها يا إخواني ، سودتنا المعاصي والذنوب ، شُوْا ذا محمد يخاطبه ربي ويقول له : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] كم من شخص بايضيع بسبب مخالفته لربه ومخالفته لنبيه ؟ تغانموا أعماركم ، تغانموا شبابكم ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] .

امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه ، شفوا الله فرض علينا فرائض من جملتها الصلاة ، يتعلم الإنسان شروطها ، يتعلم أركانها ، يتعلم سننها ، ولٰكن ما بايعرفها ويميزها إلا إذا سأل عنها العلماء ، شفوا ما بايقبل الله صلاتنا ولا دعانا إلا بالعلم :

وكل من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تقبل

والإنسان ما بايعرف يفرّق بين الواجب والسنة ، ولا بين الصحيح والباطل إلا بالعلم ، فينبغي للإنسان أن يعطي نحره ملاه في العلم ، ويكفينا ما قاله الله فيه : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ

قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران : ١٨] . أعطوا نحركم ملاه في طلب العلم ، حتىٰ يكون الوادي ملآن بالعلم ، رُحْنا مع الدنيا وتركنا العلم ، نظن أن العلم بايجي إلينا بلا تعب :

علىٰ قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي علىٰ قدر الكرام المكارم

كان هـٰذا الوادي ملآن بالعلماء ، والآن صرنا علىٰ جهل ، ما ينبغي لنا هـٰكذا ، احضروا مدارس العلم ، قال رسول الله ﷺ : « **حضور مجلس علم أفضل من ألف ركعة وعيادة ألف مريض وتشييع ألف جنازة** » .

إلىٰ أن قال : آمنوا بالله وبما جاء عن رسول الله ، شفوا ذولا البعداء ، شتت الله شملهم ، وأهلك بعضهم ببعض ، شفوهم يموتون بالنار وبايدخلون النار ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر : ٢٢] ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة : ٩١] ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۖ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح : ٢٦] قال بعضهم : كلمة التقوىٰ هي لا إلـه إلا الله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر : ١٠] هو لا إلـه إلا الله .

فكن من الإيمان في مزيد وفي صفاء القلب ذا تجديد
بكثرة الصلاة والطاعات وترك ما للنفس من شهوات

ارجعوا إلىٰ ربكم ، شفوا الإسلام يأمرنا وينهانا عن نواهي ، خلونا نرجع حتىٰ يحفظ أموالنا ويحفظ الله إخواننا ، شفوها قامت قيامة عليهم .

ومما أمرنا الله به : المحافظة علىٰ الصلاة ، فقال تعالىٰ : ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] خلونا نؤدي الصلاة في أوقاتها ، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤] . قال بعض

العلماء : الحسنات الصلوات ، « **إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان** » .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾ [الأنفال : ٢٧]

زوجتك أمانة عندك ، وابنك أمانة عندك ، وخدامك أمانة عندك ، واجب عليك أن تسألهم عن صلاتهم « **يا أبا هريرة ، مر أهلك بالصلاة ويأتيك الرزق من حيث لا تحتسب** » .

شفونا إذا أدينا الصلوات وأمرنا أولادنا بها وأديناها في المسجد . . بايحفظ الله أموالنا ، بايحفظ الله أولادنا ، بايحفظ الله أهلنا ، وباننال البركة في جميع الأمور .

فينبغي لولي الصبي أن يأمره بالصلاة لسبع ويضربه علىٰ تركها لعشر سنين ، ويعلمه حتىٰ السنن ؛ مثل السواك والمضمضة والاستنشاق ، ويعرِّفه أن الزنا حرام ، والسرقة حرام ، واللواط حرام .

وينبغي لنا أن نؤدي الصلاة في جماعة ، قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

وأوصيك بالخمس التي هن يا أخي عماد لدين الله واسطة الأمر
وحافظ عليها في الجماعة دائماً وواظب عليها في العشاء وفي الفجر

« **من صلىٰ العشاء في جماعة . . فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلىٰ الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله** » ، « **من صلىٰ العشاء في جماعة . . بات في ذمة الله إلىٰ أن يصبح ، ومن صلىٰ الصبح في جماعة . . ظل في ذمة الله إلىٰ أن يمسي** » .

الحجاج ملك جائر ، جيء إليه برجل يستحِق القتل ، ولٰكنه علم أنه صلىٰ الصبح في جماعة فتركه ، وقال لهم : لا أُقدر أن أخرم ذمة الله .

والجمعة كذلك ، لا تتركوها « **من ترك ثلاث جمع . . طبع الله علىٰ قلبه** » قال الفقهاء : يُقتل وإن قال : أنا أصلي الظهر ، آه مع الإنسان من عذر يترك الجمعة ؟ إن كان من الشمس . . فينبغي لك أن تبكر « **من راح في الساعة الأولىٰ . . فكأنما قرب بدنةً ، ومن راح في الساعة الثانية . . فكأنما قرب بقرةً . . .** » إلىٰ آخر الحديث .

قال الشيخ الخطيب : أول بدعة حدثت في الإسلام : عدم التبكير للجمعة .

كان سلفنا ـ رضي الله عنهم ـ يبكرون ، وكل يحرص علىٰ الصف الأول ، وكان يباع المحل في الصف الأول في جامع (تريم) بقهاول طعام بر ، وكانوا كلهم علماء ملآنين من العلم ، كل واحد يفيض العلم من فوق رأسه ، والآن . . لو أحدث الإمام في الصلاة ربما لا نجد من يعرف مسائل الاستخلاف!! العلم رحل عنا ، والفقه رحل عنا « **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** » ومفهومه : من لم يرد الله به خيراً لا يفقهه في الدين .

لِآه تتأخرون عن الجمعة وقد ألقوا لكم مدفع يرج البلاد ، الديار التي بجانبه لو باتعمر خمسين سنة . . باتعمر عشرين سنة من رجته ، ومع ذلك شرعوا لكم أذانين ، الأول شرعه سيدنا عثمان أو معاوية ، والثاني لدخول الوقت ، والعبرة بالثاني .

ويسن للإنسان إذا أراد الجمعة أن يغتسل ، اغتسلوا ولو كأساً بدينار .

غسل الجمعة واجب علىٰ كل محتلم ، الحبيب عبد الله الحداد ما تركه لا في حضر ولا في سفر ، ولا في حر ولا في برد .

ويسن أن يتطيب ويلبس الثياب البيض ، وينبغي له أن يقرأ سورة الكهف والدخان وتبارك الملك ، والكهف تسن قراءتها ثلاث مرات ،

والآن . . ما يقراها الواحد ولو حتىٰ مرة واحدة! شفوا (تريم) ما افتخرت إلا بالرجال الذي كانوا فيها ، ما افتخرت بالخربان ، تنظر الدار منوَّر ومزوَّق ما شاء الله ، ولـٰكنك اسأل عنه ، هل أحد فيه عالم ، هل أحد فيه عامل ، هل أحد فيه تقي ؟ أو فائدة منه ؟! ما عذر ما يخرج صاحبه ويتركه .

نهاية المذاكرة .

إلىٰ أن قال : ومما أمرنا الله به : أداء الزكاة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة : ٤٣] وقال ﷺ : « **ما أهلك الله مالاً في بر أو بحر إلا بمنع الزكاة** » « **داووا مرضاكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة** » « **إذا كثر الزنا . . كثر موت الفجاء ، وإذا منعوا الزكاة . . حبس الله عنهم القطر** » .

فمن عنده ثلاث أواق ذهب ، أو واحدة وعشرون أوقية صافية من الفضة وحال عليه الحول . . وجب عليه يزكيه ، وزكاته ربع العشر إلا إذا كان حلي مع الإنسان ومقصوده أن يستعمله استعمالاً مباحاً . . فلا تجب فيه الزكاة . وأما الحلي الذي تشترونه وتضمونه في الصندوق لأجل ادخاره ، لا تظنون أن ما فيه زكاة ، شفوه واجب زكاته إذا حال عليه الحول .

وتجب الزكاة حَتىٰ في مال الصبي ، فمن عنده صبي وله مال هنا أو في الجهات ذيك . . واجب عليه يزكيه .

والأموال التي هناك شفوها علىٰ خطر ، فمن عنده مال هناك ووجبت فيه الزكاة . . يزكيه ؛ لأجل ربي يحفظه له ، وإلا يخاف أن يهلك .

خلونا نمتثل ، كيف بغيتوا الله يرحمنا ونحن كَذَب ، وحقوق لربي ما نوديها ، وإلا حقوق بين الإنسان وإخوانه ظالمهم فيها ولا أحد ينصف لهم منه ، شفوا الرعايا ، أمانة عند كل من له نفوذ إذا ما عدل ولا أنصف

بينهم.. كيف بايكون حاله ، ارحم إخوانك « **الراحمون يرحمهم الرحمٰن** » « **ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** » شفونا مُغَيّرين ، الله يردنا مرداً جميلاً .

شفوا لو كان مظلوم واحد في البلاد.. ما بايرحمنا ربي ، كم من واحد بخطوطه وحججه وبينته ولا يجد من ينصف له ، شفونا في أمور خطرة ، انظروا شُفوها تقلَّدَتْ علينا من كذا ومن كذا ، من آه هٰذا ؟ من الأمور الخطرة لي نسوِّيها ، إذا جاء المظلوم إليهم.. يسخرون به ويضحكون عليه!! ذا شرع محمد بن عبد الله ، تنتقلون منه وتقلدون إما عُدول أو غيرهم ، سَمَّوهم عدول! فين العدالة ؟

يا إخواني ، قال الفقهاء : العدل من لم يرتكب كبيرة ، ولم يصر علىٰ صغيرة ، وغلبت طاعاته معاصيه... إلىٰ آخر ما قال ـ رضي الله عنه ـ .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ذكر في « السلسلة العيدروسية » أن أحد العارفين بالله دخل إلىٰ بلد ، فكبر علىٰ أهلها أربع تكبيرات فأخذ بخاطرهم ، فقال لهم بعض العارفين : إنما كبر علىٰ أربعة أشياء :

الدنيا ، والنفس ، والهوىٰ ، والشيطان .

ومثل هٰذه الحكاية جرت للحبيب علوي بن محمد المشهور ، فإنه دخل إلىٰ جامع (تريم) وقلَّد أبوابه وكبر علىٰ من فيه أربع تكبيرات ، وقال لهم : من أراد أن يحاجَّنا باأحاجُّه من القرآن .

وكان الحبيب علوي المذكور أكثر جلوسه في مسجد باهارون ، ولا زال ملازماً له ، وبيته بالقرب منه قبلي جرب السيد عمر بن حسين الكاف وبحري دار السيد مرتضىٰ بن عمر المشهور ، وكان يقول : الصدقة علىٰ مسجد باهارون بخُمْسِيَّة أفضل من الصدقة علىٰ غيره بمئة .

قال العم عبد الرحمٰن المشهور : إنما قال هٰذه القولة لكونه وقع له الفتح في ذلك المسجد .

وكان كريماً يتصدق بكل ما يجد ، حتىٰ إن أهله لا يتركون له شيئاً طارفاً من ثياب وغيرها ؛ لأنه إذا وجد شيئاً من ذلك . . أخذه وتصدق به .

وكذلك الحبيب حامد بن علوي الحداد ، أخو الحبيب عبد الله الحداد ، لما حضر قراءة فضائل عاشوراء بمسجد باعلوي ، وسمع فضل الصدقة في ذلك اليوم . . خرج إلىٰ بيته فلم يجد ما يتصدق به ، فأخذ ثياب أهله وتصدق بها .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : دخل الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي مرةً لحضرة الشيخ عبد الرحمٰن السقاف ، وحين دخوله من الباب سمع أخدام السقاف قد ابتدأوا في قصيدة الشيخ شهاب الدين ، التي أولها :

الحمد لله نفسي قد عرفت لها .

فوقف في محله يستمع القصيدة ، ولم يدخل إلىٰ داخل المسجد حتىٰ أكملوها ، وفي ثاني يوم قال للحاضرين عنده : لا تظنون أن التبجح هو الواقع في قصائد الشيخ أبي بكر والشيخ الجيلاني ، وإنما التبجح الحقيقي هو قول الشيخ شهاب الدين :

الحمد لله نفسي قد عرفت لها .

وقوله : قد كنتُ عبدَ الهوىٰ واليومَ مالكهْ .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الحبيب عمر حامد والحبيب عمر بن عبد الرحمٰن البار كانا ممن لازم الحبيب عبد الله الحداد ومن خواصه ، حتىٰ كانا يجلسان معه في منزل ويقلدون الباب علىٰ أنفسهم في بعض الأوقات ، وكان يقرر لهم « الإحياء » كتقرير مسائل الفقه .

وكان الحبيب عمر البار يقول للحبيب عمر حامد : أين الناس من هـٰذا السيد ؟

فقال : آه بغيتِهْ ، خَلُّه لي ولك ، ولو عرفه الناس . . ما عاد حصلنا لنا عنده محل . أو ما هـٰذا معناه .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : جاء إلىٰ الحبيب عبد الله الحداد زوجة ابنه الحسن بن عبد الله وهي حامل بالحبيب أحمد بن حسن ، فشكت إليه ما تجده من ثقل الحمل ، فبشرها بأنها حامل بعالم (تريم) فقالت له : أخاف أن يكون قاضياً لَمَّا قلت أنه عالم (تريم) ؟

فقال لها : لا تخافي ، أنا قد سألت الله أن لا يتولىٰ القضاء أحد من ذريتي . وقال لها : سيكون ابن حجر زمانه ، أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : يقال : إن السيد محمد بن أحمد ، بن جعفر ، بن أحمد ، بن زين الحبشي رآىٰ الشيخ بن سُمَير يكثر الصيام ، فسأله عن ذلك ، فقال له : لما دخل الإفرنج مصر . . نويت إن خرجوا منها أن أصوم عاماً كاملاً ، فلما خرجوا منها . . شرعت في الصيام .

فقال له الحبيب محمد المذكور : ما أصبت ، لو جعلت صيامك بنية أن الله لا يجعل للنساء صولةً علىٰ الرجال بـ(حضرموت) لكان أولىٰ .

قال ـ رضي الله عنه ـ : خرج وهابي إلىٰ (حضرموت) وأظهر للناس أنه عادل ويقيم الشريعة ، فكتب الحبيب سقاف بن محمد للحبيب محمد بن زين بن سميط يخبره به ، وطلب منه الدعاء له ، فكتب له : إن كان صادقاً فيما يدعيه . . فالمنابر كلها تدعو له ، ولا عاد حاجة من دعائي له .

ثم بعد مدة تبين أمره ، وفر من (حضرموت) .

ويقال : إنه قد علق بأهلها شيء من عقيدته الفاسدة ، ولـٰكن أزال الله ذلك منهم فيما بعد .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : شفوا ذا الزمان خطر ، ما عاد شيء خوف من الله ، ولا عاد أحد يقول الحق . « **الراحمون يرحمهم الرحمـٰن** » « **ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** » ومن الرحمة قول الحق ، فتراهم يعرفون أن الحق مع هـٰذا وحجته واضحة ومعه خطوطه ، ولـٰكنهم يحكمون للآخر ، الشرع طارحينه في الطاق ، إن وافق ما بغوه ، وإلا . . قالوا : روحوا إلىٰ عند سالم سعيد أو هاتوا البشعة ، يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت ، وقد أُمروا أن يكفروا به . وإلا قالوا : هاتوا العدول ، يسمونهم عدول! فين العدالة ؟

يا إخواني ، إذا قد العالم والوالي هـٰكذا ، بغوا الناس يولون لمن ؟ الشرع ما شيء مثله ، لآه ما يحكمون بالأقوال المعتمدة فيه ، ويتركون الأقوال الضعيفة ؟ أو ما هـٰذا معناه .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : مر الحبيب أحمد بن زين الحبشي ـ وهو راكب علىٰ دابته ـ علىٰ ولد صغير من آل العيدروس آل المعيقاب ، فنزل من أعلىٰ دابته وقال للولد : من أنت ـ وهو يعرفه .

فقال : أنا فلان بن فلان .

فقال : من ؟

فقال له : فلان بن فلان .

فقال له : أبوك عالم ، وجدك عالم ، وأبوك عامل ، وجدك عامل ، وأبوك خائف ، وجدك خائف . والحذر يقولون فيك كما يقول العوام : انقصعت في خريق الصغيِّر .

فوقع ذلك الكلام بموقع من ذلك الولد ، فجد واجتهد حتىٰ صار مثل أبيه وجده وتحققت فيه العدرسة بمعناها .

ويقال : إن رجلاً أخذ يصف أباه بحضرة الحبيب عبد الله الحداد ، ويقول : كان أبي كذا وكان كذا .

ففال له الحبيب عبد الله : إن كان فيك شيء مما في أبيك ، وإلا . . فأنت عمامة وصورة ولا شيء في المقصورة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : وكان السلف ـ رضي الله عنهم ـ لا يأخذون إلا عمن تحققوا طريقته وعرفوها ، أما أهل جهتنا . . فطريقتهم معروفة وغير خافية ، وأما الطرق الثانية . . فهي التي تحتاج إلىٰ التفتيش . وعلىٰ بالكم الحكاية التي ذكروها ، أنه لما دخل الرجل الغريب إلىٰ (تريم) في وقت سيدنا عبد الرحمٰن ابن الفقيه . . عزمه سيدنا عبد الرحمٰن فذهب ليصلح داره ويهيء له الضيافة ، وبقي منتظراً الرجل المذكور ، فعزم ذلك الرجل شخص آخر ، فذهب إليه وترك سيدنا عبد الرحمٰن ، فلما علم به . . سار إليه وسبه وشتمه ، فلم يغضب ذلك الرجل ولم يتغير وجهه ، وطلب منه العفو ، فلما رآه لم يغضب . . اغتبط به وأحسن الظن فيه وأراد أن يتحكم له ، فرآىٰ ذلك الرجل سيدنا الفقيه يعاتبه ويقول : أردت أن تفتن أولادي بأخلاقك ؟

ويقال : إن أحد السادة العلويين قد مال إلىٰ الطريقة السنوسية وأراد الدخول فيها ، فرآىٰ كأن القيامة قد قامت ، ورآى أهل الطريقة السنوسية بجانب الفقيه المقدم وأهل طريقته بجانب ، فجاء إلىٰ أهل السنوسية فردوه ، وجاء إلىٰ أهل طريقة الفقيه فردوه ، فلما انتبه . . رجع عما عزم عليه .

ولما سمع بعضهم بالفضائل التي يذكرونها في تربة الفريط . . قال

لهم : إذا مت فادفنوني في الفريط . فرآىٰ في منامه كأن عند أهل الفريط بساتين وأشجار ، وعند أهل زنبل رؤية المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، فلما انتبه . . قال لهم : ادفنوني في زنبل .

ثم قال الحبيب علوي : رؤية المولىٰ سبحانه وتعالىٰ أعظم من الجنة ، واسشهد بقول الحبيب عبد الله الحداد :

وأكبر من هـٰذا رضىٰ الرب عنهم ورؤيتهم إياه من غير حاجب

وقال ـ رضي الله عنه ـ : يا إخواني ، إذا طعنتم في السن . . ما عاد باتحصلون سلوة لكم إلا كلام أهلكم ، ولو كان حتىٰ معكم ألف قصة في غيرهم ، فكل ما معكم بايحترق ، ولا بايبقىٰ لكم إلا حق أهلكم ، احفظوا من كلامهم ، ما زلتم صغاراً ؛ فإن الحفظ علىٰ الصغير يكون أسهل .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : دخل رجل حضرمي علىٰ الحبيب محمد بن علوي صاحب (مكة) فقال له : يسلم عليك حبيبي عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس .

فقال له : من ؟ ـ برفع صوت ـ وسكت .

ثم أعاد الحضرمي كلامه ، فقال : يسلم عليك حبيبي عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس .

فقال له : من ؟ ورفع بها صوته ، وسكت .

ثم أعاده ثالثاً ، فقال له : من ؟ ثم قال : والله ما تحت أديم السماء أفضل من عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس .

ثم قال ـ رضي الله عنه ـ : ولما طلب الحبيب عبد الله الحداد من الحبيب محمد بن علوي المذكور الإجازة والإلباس . . كتب له الإجازة

وأرسلها إليه ، وأما الإلباس . . فقال له : لا يكون حتىٰ يحصل لي فيه إذن من النبي محمد ﷺ .

ولما سار الحبيب محمد المذكور إلىٰ (المدينة) ومعه الحبيب أحمد بن هاشم الحبشي وكان تجاه الحضرة المحمدية . . أخذته حالة شديدة حتىٰ إنه ليتصبب عرقاً ، ثم خلع الثوب الذي عليه ، وقال : هل أحد كاتب ؟

فقال له الحبيب أحمد بن هاشم : أنا الكاتب .

فأملىٰ عليه كتاباً للحبيب عبد الله الحداد ، وذكر فيه أنه أصدر إليه اللباس الذي يطلبه سابقاً .

فقال له : ليس هـٰذا إليَّ ولا إليك ، وإنما كان ذلك لعبد الله الحداد بأمر وإذن من النبي ﷺ .

ويقال : إن الوقت الذي وصل فيه اللباس إلىٰ الحبيب عبد الله الحداد ولبسه فيه توفي فيه الحبيب محمد بن علوي المذكور ، وكأن الحال الذي كان معه تحول إلىٰ الحبيب عبد الله الحداد ، وإلىٰ ذلك يشير بقوله :

وهم خلفوني في الحمىٰ بعد ما ساروا .

قال العم عبد الرحمـٰن المشهور : لـٰكن الحبيب عبد الله اختص بخصوصية زائدة أشار إليها في القصيدة نفسها بقوله :

ولي من رسول الله جدي عناية ووجـــه وإمـــداد وإِرْثٌ وإيثـــار

وذكر ـ رضي الله عنه ـ الحبيب حسن بن عبد الله الحداد ، فقال : كان ملآن من العلم ، يقال : إنه قرأ « التحفة » لابن حجر أربع مرات .

قال الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي : دخل الحبيب حسن بن عبد الله مرةً إلىٰ (عينات) ليزور سيدنا الشيخ أبا بكر بن سالم ، فقال

بعض العارفين من أهل (عينات) : إني رأيت رجلاً دخل اليوم إلىٰ (عينات) إن الملائكة لتضع أجنحتها له . فخرجوا يفتشون عنه ، فوجدوه الحبيب حسن المذكور .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس كان يوصي الحبيب عبد الله الحداد بالظهور ؛ لأنه كان خاملاً ، وأما الحبيب محمد بن علوي صاحب (مكة) فكان يوصيه بالخمول ؛ لأنه كان ظاهراً وقد تأذىٰ بالظهور ، فلهـٰذا أحب له الخمول .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الأولياء علىٰ ثلاثة أقسام :

فمنهم من يعرف نفسه أنه ولي ، ويعرفه الناس .

ومنهم من يعرفه الناس ، ولا يعرف نفسه .

ومنهم من لا يعرف نفسه أنه ولي ، ولا يعرفه الناس .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : أنا أخاف من التربية التي يربون بها الأولاد اليوم ، يلعبون بهم لعب الصبي بالكرة ، ساعةً يقولون للولد : اخطب ، وساعة يقولون له : اطلع فوق كرسي ، ما هـٰكذا! كان الحبيب عبد الله الحداد يقول : وددت أن أجلس علىٰ كرسي للدعوة إلىٰ الله ، ولـٰكن فكرت فلم أجد أحداً من السلف قد سبقني إلىٰ ذلك .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان السلف ـ رضي الله عنهم ـ يشاركون أهلهم في أعمال البيت ، وقد قال الحبيب عبد الله الحداد لأهله : اجعلوا لي وظيفةً من الوظائف التي تعملونها في البيت ، فجعلوا عليه طي القرب ، فكان ـ رضي الله عنه ـ يأتي كل يوم إلىٰ القرب الفارغة فيطويها .

ونرىٰ كثيراً من شبابتنا يعشي الغنم كل ليلة ويلقِّط الضدح مع الخدامات ، ويكنس بيته .

وكان العم عبد الرحمـٰن المشهور يقول : كنت أدخل المطبخ أساعد

أخواتي في الطبخ ، وإذا دخلت المطبخ . . كانت أمي تستأمن علي أكثر من أخواتي .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : جاء الحبيب علي بن شيخ بن شهاب ليقرأ علىٰ الحبيب عبد الله بن أحمد بن عمر الهندوان ، فقرع الباب ، وكان عنده بعض الطلبة ، فقال لهم : من بالباب ؟ فأخبروه به ، وقالوا له : إنه ذكي ، ووصفوه له .

فقال لهم : اتركوه ، هـٰذا ولد غني فيه نخوة الأغنياء .

ثم فتح له ، فقال له : ما تريد ؟

فقال : أريد أن أقرأ عليكم .

فقال له : لا تصلح للقراءة ؛ لأن فيك نخوة الأغنياء .

ثم قال له : أريد أن أوصيك إلىٰ السوق تأخذ لنا كذا وكذا ، فذكر له بعض حاجات ، ومن جملتها اللحم ، فقال له : هات وعاءً للحم ، فقال له :

ماشي وعاء ، ولـٰكن اجعله في كمك .

فذهب إلىٰ السوق وأتىٰ بالمطلوب ، وجعل اللحم في كمه .

فقال له : أنت الآن صالح للقراءة .

وجاء أحد السادة آل العيدروس إلىٰ الشيخ أبي بكر بن سالم ليقرأ عليه ، فقال : عاد فيك نخوة آل العيدروس ، لا بد أن ننزعها منك أولاً .

والشيخ أبو بكر نفسه جاء إلىٰ الشيخ معروف باجمال للأخذ عنه ، فتركه تحت الدار ثلاثة أيام ، وكان عنده ضيوف ، فأمر أن يلقىٰ علىٰ رأس الشيخ أبي بكر نفض التفال وما في المغسال من الماء ، فألقي عليه ولم يذهب من تحت الدار حتىٰ فتح له .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : أرسل الدوله إلىٰ الشيخ بامختار ملحفةً ليصبغها ، فلما رأته زوجته . . قالت له : اقطع لي منها برقعاً ، وكانت لها صولة عليه .

فقال لها : إنها حق الدوله .

فقالت له : لا بد أن تقطع لي برقعاً منها .

فقطعه لها ، وكان ذلك بحضرة عبد الدوله الذي جاء بالملحفة ، فذهب وأخبر سيده ، فأرسل له الدوله وأمره أن يأتي بالملحفة ، فجاء بها وهي كاملة كأن لم يقطع منها شيء ، فلما رآها كاملةً ، أراد أن يضرب العبد وظنه يكذب علىٰ الشيخ بامختار ، فقال له : لا تضربه ، والأمر كما ذكر ، ولٰكن جئت بالملحفة بعد أن قطعتها وبسطتها ثم توسلت بالنبي ﷺ ، وقلت : « يا مساوي ساوها ، يا محمد داوها » فصارت الملحفة كاملةً كعادتها .

وكان الشيخ بامختار المذكور له زوجة قد ماتت وبقي مشغوفاً بها ، فمر بالشيخ عمر بامخرمة وقال له : يا عمار آه ، ما طِبُّ القلوب المراضِ ؟

فقال له الشيخ عمر :

طِبُّه العذب لي ينزح علىٰ بير راضي .

فذهب إلىٰ بئر في الغرفة تسمىٰ بير راضي ، فوجد امرأةً تنزح عليها ، فخطبها وتزوجها ، فذهب ما كان يجده من الشغف علىٰ زوجته الأولىٰ .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان الحبيب عيدروس بن أحمد بن علي ، بن شهاب يقول : ومما أخبرني شيخي وملاذي عبد الله بن أحمد باسودان : أن الفقيه المقدم طلب من ربه لأولاده ثلاثة أشياء :

أن لا يموت أحدهم إلا وهو عند رأسه .

وأن لا يموت أحدهم إلا وهو مستور .

وأن تقبل توبتهم ولو في القبر .

فأجاب الله طلبه .

ثم قال الحبيب علوي : وكنا نسمع من العم أبي بكر بن عبد الله الخَرِد أنها تقبل توبتهم ولو في القبر ، كما ذكر الحبيب عيدروس بن أحمد المذكور .

وقرىء عليه سُنِّية تخليل اللحية الكثيفة ، فقال ـ رضي الله عنه ـ :

الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس ، لما حضرته الوفاة أمرهم أن يوضئونه ، وضَّأَه أحدهم ، وترك تخليل لحيته ، فأشار إليه أن يخللها ، فخللها .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : كان السلف ـ رضي الله عنهم ـ يعلمون أولادهم النية كما يعلمونهم الفاتحة ، وكانت لهم نيات صالحة ، ينوونها عند التزوج .

وقال ابن رسلان :

فصحح النية قبل العمل وائت بها مقرونةً بالأَوَّل

ولما عزم أحد السادة علىٰ التزوج . . جاء إلىٰ العم عبد الرحمٰن المشهور ، وقال له : الشيخ علي له نيات مدوَّنة ، تنوىٰ عند التزوج ، أريد أن تنويها لي .

وجاء إلىٰ الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر رجل وأعطاه أوقيةً وربع ، وقال أريد أن تتصدق بها عن أمي ، فسخر منه بعض الحاضرين! فقال الحبيب عبد الله : هٰذا الرجل عاقل ؛ فإنه أراد أن أنوي له نيات صالحةً عند التصدق .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الشيخ ابن حجر كان يقول : تأملت أهل (حضرموت) فوجدتهم فاقوا علينا لخصلتين كانتا عندهم : طيب المطعم ، وقلة الخلطة ، بالغير .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ الحبيب عمر بن حسن الحداد ، فقال : كان علىٰ غاية في العلم والعمل .

قال أحد السادة آل حامد : كنت أرىٰ علىٰ رأس الحبيب عمر بن حسن عموداً من نور ، ممتداً من رأسه إلىٰ عنان السماء ، يسير معه إذا سار ، ويقف إذا وقف ، وكان وضوؤُه يستغرق ساعةً كاملةً ، يأتي بالسنن التي ذكروها في الوضوء جميعها .

وأراد مرةً أن يصلي الصبح ، فطلب من يصلي معه جماعةً من أهل بيته فلم يجد أحداً ، فدعا برجل من خارج البيت ليصلي معه ، وكان ذلك الرجل له أشغال يعتاد فعلها بعد صلاة الصبح ، فقال في نفسه : إذا كان وضوء الحبيب يستغرق ساعةً . . فكيف الصلاة ؟ وإن عاده إلا قرأ : ﴿الم تنزيل﴾ و﴿هل أتىٰ﴾ باتشرق الشمس ونحن في الصلاة .

ولم تسعه إلا إجابته ، فصلىٰ خلفه ، وأطال الصلاة ، وقرأ السورتين المذكورتين .

فلما فرغ . . التفت إلىٰ ذلك الرجل ، فقال له : ما طلعت علينا ونحن غافلون .

وجاء إليه بعض الفضلاء يوم الجمعة ، ليزوره ، فقرع عليه الباب ، فقال لهم : انظروا من بالباب ؟

فقالوا له : إنه فلان الفاضل .

فقال : هل أحد يجيء إلىٰ عند أحد يوم الجمعة ؟ هـٰذا اليوم الخلق مشتغلين فيه بالقراءة والصلاة علىٰ النبي ﷺ ، والأذكار ، ولا يجيء في

هـٰذا اليوم إلا شيطان ، ورد ذلك السيد العظيم القدر ومنعه أن يدخل عليه .

وجاء إليه بعضهم بثلاث مئة ريال ، وكان قد سعىٰ له فيها من (جاوة) فردها إليه ، وعاتبه وقال له هل :

قلت لك اجمع لي شيئاً ، أو شكيت حالي إليك ؟ ولـٰكن أعرفك ، تدخل القضايا والرزايا ، بغيتنا مثلك .

ودخل ـ رضي الله عنه ـ مرةً إلىٰ السوق وأخذ سمناً ووضعه في عيار ، فرآه أحد أعوان الدولة ، فقال له : أعطني العيار لأحمله لك إلىٰ البيت ، وكان لا يعرف ذلك الرجل ـ فأعطاه إياه وحمله له ، فلما وصل إلىٰ البيت . . قالوا له : إن الذي حمل لك السمن هو أحد أعوان الدولة .

فقال : والله لا أطعم سمناً حمله بعض أعوان الدولة . وتصدق به حالاً ، ولم يطعم منه شيئاً .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : سمع بعضهم في (سيئون) كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي في الصدقة ، فنوىٰ أن يتصدق ، فلما كان في البيت ، وأراد التصدق . . قالت له زوجته : كيف تتصدق وأنت معك أولاد ؟ ومنعته من الصدقة .

فذهب إلىٰ الحبيب علي ، فقال له : أنتم تقولون : إن الصدقة ما تخرج حتىٰ تفك لحي سبعين شيطاناً ، وأنا عندي الشيطان في البيت ؛ فإن زوجتي منعتني من التصدق ، وقالت لي : كيف تتصدق وأنت عندك أولاد ؟

وقال ـ رضي الله عنه ـ : خرج بعض تلامذة الحبيب عبد الله الحداد لحضور مدرس الحبيب أحمد بن عمر الهندوان ، فسألهم الحبيب أحمد ، وقال لهم :

ماذا يقول الحبيب عبد الله الحداد في معنىٰ الفقر الذي استعاذ منه النبي ﷺ .

فقالوا له : الفقر قلة ذات اليد .

فلما رجعوا سألهم الحبيب عبد الله عما حصل لهم في مدرس الحبيب أحمد بن عمر ، فأخبروه بسؤاله لهم ، عن معنىٰ الفقر ، وبما أجابوه به ، فعاتبهم ، وقال لهم :

إذا خرجتم ثانياً إلىٰ عنده وسألكم عن شيء . . فقولوا : الله أعلم حتىٰ تعرفوا ما يفهمه الحبيب .

ثم إنهم خرجوا إليه ثانياً ، وجرىٰ بينهم الحديث ، حتىٰ أعاد السؤال الأول ، فقالوا له : الله أعلم ؟ فقال لهم : الفقر هو خوف الفقر .

ثم قال الحبيب علوي : والغالب أن من كان غنياً وهو يخاف الفقر ، يكون عائناً ؛ أي : يصيب الناس بالعين .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ : الشيخ عبد الرحمٰن باجلحبان ، فقال :

كان السلف يكثرون الزيارة له ، والشيخ السقاف كان كثير الزيارة له ، وكان يقول :

ما عاد نفضل عليه أحداً بعد الفقيه المقدم .

والحبيب عبد الله بن علي بن شهاب ، كان يزوره في كل يوم ثلوث .

ويقال : إنه خرج يوماً لزيارته ، ومعه بعض أصحابه ، فلما كانوا عنده . . جاء إليهم بدوي ، ومعه رأس غنم ، فاشتروه منه ، وأوعدوه بالثمن إلىٰ الثلوث الثاني ، وذبحوه وفرقوه علىٰ أنفسهم ، فمنهم من أخذ ربعاً فيه ، ومنهم من أخذ ثميناً ، ومنهم من أخذ نصف ثمين .

فلما كان الثلوث الثاني خرجوا كعادتهم ومعهم ثمن الرأس ، وبقوا

منتظرين البدوي ليعطوه دراهمه ، فلم يأتهم . فلما رجعوا وكانوا بالمخرج لاقَوْه ، فقالوا له : انتظرناك فلم تأت! وخذ هٰذه الدراهم ثمن رأس الغنم الذي اشتريناه منك في الأسبوع الماضي .

فقال لهم : ما رأيتكم ، ولا أخذتم مني رأس غنم ، ولا غيره! فعرفوا أن ذلك كان كرامةً لهم من صاحب القبر ، وأسف بعضهم فقال : ليتني أخذت من اللحم كثيراً . وقد وضع الحبيب عبد الله بن علي ثوبه في فمه من شدة الضحك عليهم .

وفي « الفوائد السنية » أن الحبيب عبد الله بن أحمد بلفقيه ـ أو غيره ـ خرج يوماً لزيارة باجلحبان ، وكان تعتريه الشرقة وهو عند القبر وحده ، ولم يكن عنده ماء ، فدخل عليه رجل وأعطاه شراباً أبيض مثل اللبن ، فشربه وذهبت منه الشرقة ، وابيضَّ من شعر شاربه ولحيته ما أصابه شيء من ذلك الشراب ، بعد أن كان أسود .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : جاء أحد الصالحين إلىٰ الحبيب عبد الله الحداد ، فقال له : إني أرى إذا كنت تدرس في الهجيرة شخصين جالسين ، أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك ، فمن هما ؟

فقال له : إن الذي عن يميني الشيخ عمر المحضار ، والذي عن شمالي الشيخ الغزالي .

ثم ذكر قضية الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ مع الشيخ عبد الرحيم باوزير ، فقال : سار مرةً الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ إلىٰ (الغيل) وحضر الحضرة في مسجد الشيخ عبد الرحيم باوزير ، فسمعهم يَلْحنون ، ويمططون القصائد ، فانتقد عليهم ، فلما كان آخر الليل . . خرج كعادته إلىٰ المسجد ودخل في الصلاة ، فرأىٰ شخصاً جاء إليه وخط عليه دائرةً ، ثم ذهب .

فخرج الشيخ باوزير من قبره ، وجاء نحو الحبيب عبد الله ، فلما وصل إلىٰ الدائرة . . وقف ولم يستطع أن يتجاوزها ، فأخذ يعاتب الحبيب عبد الله بن عمر علىٰ انتقاده علىٰ أخدامه ، وقال : لابد أن تتحكم لي .

فاستغاث الحبيب عبد الله بخاله الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، فإذا بشخصين جاءا ووقفا إلى جانبه ، أحدهما وقف عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فلما رآهما الشيخ باوزير . . تصاغر حتىٰ صار كالعنقود ، ثم هرب ورجع إلىٰ قبره .

فلما رجع الحبيب عبد الله إلىٰ المسيلة أخبر الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر بالواقعة ، فقال له : إن الرجل الذي خط عليك الدائرة هو الشيخ عمر المحضار ، وهو الذي وقف عن يمينك ، وأنا الذي وقف عن شمالك .

ولما قرىء عليه ـ رضي الله عنه ـ من « الجوهر » ما يحكىٰ عن الشيخ أحمد بن علي بن محمدٍ الخطيب ، من أنه كان يؤتىٰ له بالتمر المشبوه أو الحرام ، فيأكله ، وإذا أرادوا أولاده أن يأكلوا معه يمنعهم ، ويقول لهم : هو حلال لي حرام عليكم . .

قال كان الحبيب عبد الله بن محمد المشهور من أهل الجذب ، وكان يأتي إلىٰ العسكر ، فيحضر زواجاتهم ويأكل من طعامهم ، وقد يستصحب معه منه شيئاً .

ومرةً جاء إلىٰ حلقة الحبيب عيدروس بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه في حالة الدرس ، فقالوا له : من أين جيت يا عبد الله ؟

فقال : جئت من عند فلان العسكري ، أكلت عنده ، وأخرج لهم شيئاً من الطعام الذي أخذه من عنده وقال لهم : بغيتوا شيئاً منه ؟

فقالوا له : لا ، هو حلال لك وحرام علينا .

وكان يقول لهم : إني أسمع المنادي في السماء ، فهل يسمعه منكم أحد ؟

وذكر الحبيب أحمد بن علي الجنيد في « شرح قصيدة مدهر » : أنه كان أحد من مناصب الشيخ أبي بكر بن سالم تأتيه الأموال من كل جهة ، وفيها الحلال والحرام والمشبوه ، فيأخذ الجميع ويخلطه ويجعله للضيوف الذين يردون إليه .

وكان له وكيل فقيه من المشايخ آل باوزير ، وكان ذلك الشيخ يتورع عن الأكل من مائدة الحبيب المذكور ؛ لما يعلمه فيها من المال الحرام والمشبوه .

فحضر مرةً الحبيب طاهر بن محمد بن هاشم وقدمت إليه المائدة ، فأكل منها أكلاً كثيراً ، وبقي الشيخ باوزير يلاحظه لَمَّا يأكل ، فلما فرغ من الأكل . . اختلىٰ به الشيخ وقال له :

لا يخفاكم ما يَرِد إلىٰ الحبيب من الأموال وفيها الحرام والمشبوه ، فيخلط ذلك ويجعله للضيف ، وقد رأيتك تأكل منه ، مع أني لي زمن عند الحبيب وكنت لا آكل من مائدته ، لأجل ذلك! فقال له : إن في هـٰذا الحبيب خصال حميدة ليست فيّ ولا فيك ، منها :

أنه ما بدا صلىٰ منفرداً ، ولا بدا نام علىٰ جنابه ، ولا يأكل إلا مع ضيف . .

ولاشك أن ما يدخل إليه من الأموال يصير حلالاً ، بعد أن كان حراماً . أو كما قال .

ومن مذاكرة له ليلة المولد قوله ـ رضي الله عنه ـ : الله يردنا مرداً جميلاً ، خلونا نقبل علىٰ مولانا . شفوه ، يا خير رب ، ويا خير نبي ، ولـٰكننا أعرضنا .

خلونا نتوب ، ونستغفر ونقبل علىٰ ربنا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التحريم : ٨] .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[النساء : ١١٠] .

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون : ١٠-١١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾

[الأنفال : ٢٤] .

نبينا يدعونا وسنته تدعونا ، فزعانين يأتينا الموت ونحن غافلون ، شفونا كلنا علىٰ رحيل من هٰذه الدار ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾

[آل عمران : ١٨٥] .

﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] .

وما الدنيا بباقية ولٰكن نفارقها بموت وانتقال

ومثل ما جرىٰ أمر ربي علىٰ آبائنا وأمهاتنا بايجري أمره ربي علينا ، كونوا علىٰ بصيرة ، بايندم الإنسان ولا باينفعه الندم ، وبايبكي ولا باينفعه البكاء .

يا كم من ولد شوه يصيح ، ما أحد لبى به ، لا تقولون : من مات استراح ، كيف يستريح وهو مقبل علىٰ أهوال عظيمة ، وكُلٌّ بايقدم علىٰ

ما عمله ، ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ [الإسراء: ٧] .

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

كيف بايكون حال العبد إذا وقف بين يدي الله وقيل له : اقرأ الفضائح لي عملتها .

﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ ﴾ [غافر: ١٦] .

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨] .

شفوا ، ربنا أنذرنا ، فقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٥-٦] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١] .

فكيف بالعبد إذا حل به العذاب يوم القيامة ؟ شفوا ذا يوم عظيم ، سماه الله يوم الطامة ، ويوم الصاخة ، يوم الراجفة ، يوم التناد ، يوم المعاد .

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ [عبس : ٣٤-٣٦] .

العبد إذا افتضح بايشلونه من بين أبيه وأمه وأولاده ، وبايطرحونه في النار .

وكيف به إذا قيل له : قم ، مِن يوم نشأ يعصي ربه . شفوا ، ربي ما هو غافل عما ترتكبه من المعاصي ، ولا ينسىٰ كمانا ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾

[إبراهيم : ٤٢] .

﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ ﴾ [المجادلة : ٦] .

بايروح العبد فيين ، ومع ذلك يقول الله : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ [الإسراء: ١٣ـ١٤] اقر الفضائح التي عملتها .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥] أعضاؤك باتشهد عليك ، يدك باتقول : سَوَّىٰ بي كذا وكذا ، ورجلك باتقول : سَوَّىٰ بي كذا وكذا .

أبو مريم يقول : كان جدي محمد بن أحمد بن الفقيه المقدم يقول : ملكت أعضائي السبعة ، ما صرفتها إلا في طاعة .

وكان يقول : إذا رأيتموني ضاحكاً فكبِّروا عَلَيّ . ونحن فيين نُدَوِّر إلا لمجالس اللهو واللعب والضحك ، والواحد مننا من حين تشرق الشمس يحمل راديه ويتخيَّر الجلسة ، فيين الجلسة ، عند من ؟ مجالس نجلسها كلها ما فيها فائدة ، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

أقبلوا وارجعوا إلىٰ مولاكم ، ودكُّوا علىٰ بابه ، عسىٰ يفتح لنا الباب حتىٰ نذوق ما ذاقوه أهلنا ، ونشوف ما شافوه .

كان الواحد منهم ما يحمم شاربه إلا وقده مكاشف ، ونحن فيين ؟ كُلٌّ جاثم علىٰ كذا كذا ذنب ، ولا بايدرىٰ به إلا بعد إذا مات . ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ـ٨] ، وكل داري بغَدْراء بيته .

شفوا ، لا شرف لنا إلا بالتقوىٰ ، ومن هو مفلس منها . . بايولون به من وادي إلىٰ وادي في النار ، ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [المدثر: ٤٢ـ٤٦] .

إلىٰ أن قال : وينبغي لكل إنسان أن يقدم شيئاً لآخرته ، بأن يتصدق ويعمل الخير ، قال الله تعالىٰ :

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٠] .

الليث بن سعد كان لا يتكلم كل يوم حتىٰ يتصدق بثلاث مئة وستين صدقةً ، ويقال : إنه كان يدخِّل كل يوم ألف دينار ، ولا وجبت عليه زكاة ؛ لأنه كان كل ما يدخِّله ينفقه ولا يبقي منه شيئاً .

والحبيب أحمد بن عمر بن سميط ذكر أنها كانت امرأة تعطي كل يوم لأول من تلاقيه حسنةً ، ففي يوم خرجت كعادتها وأول من لاقته عفوة ، فأعطتها الحسنة ، فلما ماتت . . رأوها تتبسم وهي علىٰ المغتسل ، فسارَّتها المغسِّلة ، وسألتها عن سبب ضحكها ، فلما كان الليل رأتها في المنام ، فقالت لها : إن أول ما لاقاني من أعمالي : ثواب الحسنة التي أعطيتها العفوة ، فلهـٰذا رأيتموني أتبسم .

ثم قال : والسلف كانوا يتحرَّون الصدقة في الأشهر الحرم ، قدموا لأنفسكم ، شفوا ذا رجب مقبل وفيه فضائل عظيمة ، سيما أول ليلة منه ؛ فإنه يقال : إنها من الليالي التي يستجاب فيها الدعاء ، وكان بعضهم يتمنىٰ أن يكون موته فيها ؛ لما فيها من الفضل .

ويقال : إن امرأةً كان ينفق عليها ولدها ويعطيها نفقةً كل شهر بوجهه ، فلما كان منتصف جماد آخر . . أعطاها تمراً نفقة شهر رجب ، فجزأته ثلاثين جزءاً ، وكانت تتصدق كل يوم بجزء منه ، فلما كان آخر الشهر . . دخل عليها ولدها فرآها مهزولةً ، وعليها آثار الجوع ، فسألها ، فقالت : إني تصدقت بالتمر الذي أعطيتني إياه جميعه رجاء الثواب الجزيل في هـٰذا الشهر .

ونحن فيين ؟ كم من واحد يدخل الشهر ويندر ما يخرج فيه صدقة واحدة .

قال بعضهم : رجب شهر الزرع ، وشعبان شهر السقي ، ورمضان شهر الحصاد . وشُفوا أهلنا ، ما زانت هـٰذه البلاد إلا بهم ، ولا كان لها الشرف إلا بهم .

قال الحبيب عبد الله الحداد :

وقد درج الأسلاف من قبل هـٰؤلاء وهمتهم نيل المكارم والفضلِ
لقد رفضوا الدنيا الغَرور وما سعوا لها والذي يأتي يبادَرُ بالبذل
فقيرهُمُ حر وذو المال منفق رجاء ثواب الله في صالح السُّبْلِ

الحبيب عبد الله باعلوي كان ينفق علىٰ غالب أهل تريم ، وكان يضع يده علىٰ بطن إخوانه وأقاربه وجيرانه ويقول : غير ما بكم شيء جوع؟ شفوا سلفنا بلغوا الغاية في كل شيء

ثبتوا علىٰ قدم الرسول وصحبه والتابعين لهم فسل وتتبع

* * *

لمواريث الرسول حَوَوْا وأمير المؤمنين عليْ

ولا وصلوا إلىٰ هـٰذا المقام إلا لما جاهدوا أنفسهم وعملوا الأعمال العظيمة .

المحضار كان يأتي في النَّفَس الواحد بألف من « يالطيف » وكان يزور هوداً .

ويمكث شهراً علىٰ رطل سمك ، ومع ذلك يقول : لو علمت أن الله قبل مني تسبيحةً واحدةً . . لضيفت أهل (تريم) بالبر واللحم .

وكان بعضهم يقوم آخر الليل ويرفع صوته بـ « لا إلـه إلا الله » حتىٰ يسقط مغشياً عليه .

والحبيب محمد بن حسن جمل الليل كان يكرر الآية من القرآن طول الليل .

ونحن آه سَوَّيناه ؟

مقرين بالتقصير عن شأو مجدهم وحسن مساعيهم بكل مقام

الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر يقول :

يا رب ما معنا عمل وكسبنا كله زلل
لكن لنا فيك أمل تحيي العظام الرامه

حاشاه ، نحن لي ما معنا عمل ، وأما هو . . قال الحبيب علي بن محمد الحبشي : لو أراد أحد بايكتب أعمال الحبيب عبد الله بن حسين . . ما بايقدر يحصيها . كيف ذا الكلام ؟ رحنا مع حب الشهوات ، رحنا مع حب الدنيا ؟

وذه دنيا دنيه حوادثها بَوَادي
تضيِّع عمر من حَبَّها في كل وادي

لا يظن الإنسان أن الشرف في الدنيا ، ما الشرف إلا في التقوىٰ ، وأما الدنيا . . باتغلِّق ، وبايسيرون بنا إلىٰ البرزخ .

ياخزوتك إذا وقفت بين أيدي سلفك ، بايقولون لك : ضيعت نفسك . شفوهم واقفين في حضرة الله ، وبايطلعهم الله علىٰ أعمالنا .

اللهم ولا تبلِّغهم من أخبارنا ما يسوؤهم ، ولا تحمِّلهم من أوزارنا ما ينوؤهم ، ولا تُخزِهم بنا في عسكر الأموات بما نُحدث من المخزيات

ونأتي من المنكرات ، وسُرَّ أرواحهم بأعمالنا في ملتقىٰ الأرواح ، إذا سُرَّ أهل الصلاح بأبناء الصلاح .

شفوهم ، مابايفرحون منا إلا إذا سرنا في طريقهم ، واتبعناهم في كل شيء . الزوايا التي عمروها خَلُّونا نعمرها ، والمساجد التي صَلَّوا فيها خلونا نصلي فيها ونقوم في محاريب العمل .

شفوا الزوايا خلية والمساجد خلية ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة : ١٨] والمسجد بيت كل تقي « **إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان** » مابانحصل مساجد كما مساجدهم ، ولا معابد كما معابدهم ، ما من مسجد إلا ودخله كذا كذا عالم ، كذا كذا عامل ، كذا كذا عارف ، كذا كذا خاشع .

خلونا نرجع عما نحن عليه ، الزاني يتوب عن زناه ، والمرابي يتوب عن رباه ، والبياع المشتري لا يغش الخلق ، ولا يطفف في كيل ولا وزن ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [المطففين: ١-٥] وقال ﷺ : « **من غشنا فليس منا** » لِأه تغش إخوانك ، وإلا إذا جاءك الواحد بوصل من تاجر ولا هو مُصَدِّق يُخَرِّج حقه من عنده . . تقصِّر عليه وتعطيه في قرشه نصف قرش ، من أين يجوز لك ؟ شفوا ، ذا رب فوق الخلق باينصف لهم يوم القيامة .

تورعوا فيما بينكم وبين الله ، وفيما بينكم وبين الناس ؛ فإن مَلاك دينكم الورع : « **يا أبا هريرة ، كن ورعاً تكن أعبد الناس** » .

لو صليتم حتىٰ تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتىٰ تكونوا كالأوتار . . لم يتقبل الله ذلك منكم إلا بورع حاجز : « **إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً** » « **كل لحم نبت من حرام فالنار أولىٰ به** » .

إن الورع ساس هـٰذا الدين فاحكم بناه .

وطـاعـة ممـن حـرامـاً يـأكـلُ مثـل البنـاء فـوق مـوج يُجعَـلُ

شفوا ، الإنسان لو صلى في ثوب بعشرة دراهم ، وفيها درهم من حرام . . مابايقبل الله صلاته مادام في ذلك الثوب . لا أحد يستحل مال مسلم ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً﴾ [النساء : ٢٩] .

آه التجارة ؟ البيع والشراء ، ولـٰكنها ما هو يقمر الإنسان صاحبه ، ويغشه . شُفْ ربك كما يوم غشيته . . بايطرحك في تابوت من نار . ارحموا أنفسكم! شفوا ما أحد بايدخل معكم قبوركم ، وكل بايدخل قبره وحده .

كونوا علىٰ بصيرة ، شفوا أهلنا ، ماتوا ولا درينا : قابلهم ربي بآه ؟ ولا حَصَّلنا خبر منهم ، لا من راديو ولا من غيره ، ما درينا ما صاروا إليه ، هم في نعيم أو في نكال ؟

خلونا نقبل علىٰ مولانا ونمتثل أمره ؛ بأن نؤدي الصلاة بأركانها ، وشروطها ، وسننها وأبعاضها ، ونعرف مكروهاتها ، ومن لا يعرف . . يولِّي يسأل أهل العلم .

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] .

والعالم إذا سأله الجاهل . . لازم عليه يفهمه الحق ، ما هو يعرض عنه ، أو يستسخر به .

وقوموا علىٰ أولادكم ، وقوموا علىٰ أخدامكم ، وقوموا علىٰ الصغير والكبير ، كفىٰ بالمرء إثماً أن يضيِّع من يعول .

يجب علىٰ الإنسان أن يأمر ولده بالصلاة لسبع سنين ويضربه علىٰ

تركها لعشر ، ويعرفه أن الزنا حرام ، واللواط حرام ، والسرقة حرام ، والكذب حرام ، والغيبة حرام . . خلوا نحا نتواصىٰ بالخير .

شفوا ، ربي أنعم علينا بنعم كبيرة ، وأكبرها نعمة الإسلام :

نعمـــــة الإســـــلام أعلـــــىٰ نعمـــــة حلـــــت بِســـــاحَـــــهْ

لـٰكننا خائفين أن تروح هـٰذه النعمة عند الموت .

قال العم عبد الرحمـٰن المشهور : خاف يأخذونك من الطريق . شفوكم مقبلين علىٰ أهوال عظيمة ، هل معكم استعداد لها ؟

يقال : إن واحداً سمع خبباً تحت الدار ، فشرف من الخلفة ، فقال له والده : هل أعديت جواباً لربك إذا سألك لماذا شرفت ؟ ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] .

شفوه ، مقبل عليكم شهر رجب ، شهر الفضل والعطاء ، كل ينتهي من الأعمال السيئة والمعاملات الفاسدة ، ما عاد فوق لي بنا .

يا إخواني : فقدنا علمانا ، فقدنا رجالنا ، فقدنا إخواننا ، فقدنا طريقة أهلنا ، فقدنا ولاتنا الذين كانوا يحكمون بالحق وينصفون بين الناس . وأما دُوَل الوقت ذا . . كم من مظلوم يقصدهم ما ينصرونه ، ولا يخرجون له الحق ، ولـٰكن دَرَوْا بها اليوم لما تولى عليهم الكافر .

شفوا ، الرعايا أمانة الوالي والعلماء ، خلونا نقول الحق ونصدق فيما بيننا وبين الله ، وفيما بيننا وبين الخلق . شفوا ربي مطلع علينا :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنـــت المُعَـــدُّ لكـــل مـــا يُتـــوقـــع

شفوا ، ما أحد باينفع أحد ، النبي ﷺ قال لبنته فاطمة : « **اعملي لنفسك ؛ فإني لا أغني عنك من الله شيئاً** » كل بايقدم علىٰ ما عمل :

وكل زارعْ سيحصد في غدٍ ما ذراه فمَن ذرىٰ بُرّْ جَالُهْ بُرّْ أو شَوْكْ جاه

وما يحوكه فَهُوْ يوم القيامة كساه .

شفو نا ، جاهرنا ربي بالمعاصي ، الواحد مننا يعصي ربه من حين يصبح ويقوم من نومه ؛ لأنه يستنجي بفقاش الغير ، ذكر ذلك الشيخ عبد الله بامخرمة في « فتاويه » .

وأما اليوم : ديارنا كلها نَجُرّ طينها من حق الغير ، من ذبور المساجد ، ولا نتخبر هي موقوفة أو غير موقوفة ؟ والذبر حق الدار ، تجده يقدم مع أنه يعرف أن فيه شبهة أو أحد يدعي فيه ، وإن نصحته . . قال لك : إنَّ بقَشِيْ حلال . كيف حلال ؟ شفوا (حضرموت) صارت قفر ، وهـٰذا كله من قل الورع .

الإنسان إذا أراد أن يبني داراً يتورع في ذبره وفي طينه ، وإذا رآىٰ شبهة في الذبر ، يروح إلىٰ غيره ، لِآه يقدم عليه وهو فيه شبهة ؟

شفوا ، الدار الحقيقية إنما هي دار الآخرة ، وأما دار الدنيا . . ما عذر ما تخرج منها ، وعسىٰ ما تقع عليك بعد تابوت من نار ، إذا ما تورعت في ذبرها ، وفي طينها وفي عودها ، وربما يسكنها بعدك ظالم ، أو شيطان ، وتكون أنت السبب .

الشيخ عبد الرحمـٰن بن علوي مولى البطيحا أوصى أن تخرب داره بعد موته ، مخافة أن يسكنها أحد من الظلمة ، بعده!! إذا كانت هـٰذه غَيرتهم علىٰ سِتَر فكيف غيرتهم على سِيَرهم ، وكيف غيرتهم علىٰ أولادهم ، إذا حادوا عن الطريق ؟

شفوا ، قد كان في هـٰذا اله ادي رجال ملانين بالعلم ، وكان علمهم مصحوب بالعمل ، مصحوب بالورع ، مصحوب بالخشية ، مصحوب بالإخلاص :

وقد كان بالوادي وبالربع والحمىٰ رجال مصابيح الوجوه نجوم
لهم من شراب القوم شرب ومن حديـ ـث نجدٍ حديث طيب وقويم

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٧] .

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] .

﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ﴾ [التوبة: ١٠٨] .

(تريم) ما تشرفت إلا بهم ، ولا تظنونها تشرفت بالخربان لي نعمرها ونبنيها ، ما العمارة الحقيقية لهٰذه البلاد إلا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وأن نرجع إلىٰ الله ونتوب ، ونتواصىٰ بالخير ، ونتأدب في هٰذه البلاد . شفوها ، بغت منا أدب جم ؛ وهو : أن لا نخترع خطة ما اخترعوها أهلنا ، ونترك التقاليد التي تجي من الجهات ذيك ، ولا نسوي شيئاً ما يحبونه .

شيابتنا كانوا إذا سمعوا أحد حتىٰ يسمِّع ينهونه ، مع أن التسميع مباح ، وأما ذا الحين : إذا كان هناك زواج عند أحد . . نبيت في حالة ما يجي نحن النوم ، يبيتون يشترحون ، هٰذولا إذا بيتوا . . بهٰذه الحالة ناموا . . عادهم بايقومون لصلاة الصبح ؟ حاشا الله ، ما بايقومون .

وياليته شرح فقط ، ولٰكنهم قالوا : يشترحون مع امرأة أ. بية! لا إلٰه إلا الله!! شفوه ، بايقع بعد الشرح زنا . صرنا مثل أهل الخليان .

قال الله تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠] ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١] .

كيف عادكم تقولون : نحن مؤمنين ، وأنتم بهٰذه الحالة ؟ هل يصلح منا نسوي هٰذا في (تريم) ، بين المساجد الزينة ، والأماكن الشريفة ؟

شفونا ، حدينا كلنا عما كانا عليه أهلنا ، وعَمِلْنا أمور ما كانوا

يحبونها . حتىٰ نحن ـ يالسادة ـ إذا كان عندنا زواج . . نسوي عراض ، وبنادق وشبواني ، ما هـٰكذا كانوا أهلنا ، شفونا تغيَّرنا ، وكُلٌّ حاد عن طريق أهله ، سادتنا ومشايخنا ، وعبيدنا ومساكيننا .

الإنسان لابأس في الزواج يلقى قليلاً فرح ، لـٰكن ما هو هـٰكذا تروحون تجيبون بدوية ، نعوذ بالله من هـٰذا الأمر ، أجنبي يمشي مع أجنبية! يقولون : العبيد يسَوُّون هـٰذا ، والعبيد ما بَغَوا قسمتهم في الخير؟

شفوا ، كانوا جنود في هـٰذه الأرض ، أبادهم الله بسبب خصلتين ، فيهم الزنا والربا .

ورا الزواج مابايصلح إلا بالشيطنه هـٰذه ، شفوا تريم خطرة :

كل من عادىٰ تريم يندم ومن جميع الخير يعدم

قال الحبيب عمر بن حسن الحداد : يصدق فيها ما قاله الله في (مكة) : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥] .

ويصدق فيها ما قاله النبي ﷺ في (المدينة) : « **المدينة تنفي خبثها كما تنفي النار خبث الحديد** » .

هـٰذه بلاد الطب ، كان يدخل فيها الداخل فيمر من (الخليف) إلىٰ (السوق) علىٰ خمسة عشر حلقة من أهلها كلهم يذكرون الله .

خلوا نحانتوب مما جنيناه ، شفوا ذي الأمور خطره ، خائفين ينزل علينا نازله من الأمور لي نسويها ، ما هـٰكذا ، تَواصَوْا بالخير ، لا تخلونها تتقلد علينا ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] ، ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠] .

إلىٰ متىٰ ؟ لا تخلون الشيطان يلعب عليكم . شُفونا ، شخطنا

حلوقنا ، بغيناكم تقعون زيان ، ولا بغينا شيئاً منكم ، بغينا الجزاء من محمد والسلف .

خلونا نرجع إلىٰ سيرة أهلنا ، ولا ينبغي للسيد إلا أن يسير في طريق أهله ، ولا ينبغي أن يدخل في أمور حُوَف أو قبائل .

خلونا نعمر المساجد والزوايا ، ونسلك مسلك من تقدم حتىٰ يكشف الله بنا ، وننال الرحمة . ونتعاون كلنا علىٰ الخير ، ما هو واحد يصلِّح وعشرة يخربون! شفونا ، شخطنا حلوقنا ، ولا ندري أنتم راضين عنا أم لا ؟ إلىٰ آخر ما قال .

وفي (٢٥) شهر شوال سنة (١٣٦٣هـ) قرىء عليه في الروحة من كتاب « نشر محاسن الأوصاف في مناقب الحبيب سقاف بن محمد السقاف » ما حكي عن الحبيب جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، من أنه كان يقول :

إن المتنعمين والمترفهين في الدنيا ما تطول أعمارهم في الغالب .

وذكر دول بني أمية ، ومناصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم ، ثم قال : ذلك حقيقة . رَأَينا في جملة علىٰ هـٰذا .

فقال سيدي علوي ـ رضي الله عنه ـ بعد أن تبسم متعجباً من هـٰذه القولة :

هـٰذا الكلام ما بغوه مناصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم ولا بغيناهم يسمعونه ، وفي الحقيقة الذين أدركناهم من مناصبهم ما طالت أعمارهم . ثم انجر به الكلام إلىٰ ذكر الحبيب أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم ، فقال :

إنه كان عظيم الحال ، وكان لا يؤبه له ، وإذا جاء إلىٰ (تريم) ينزل

عند آل شامي ، وفي العشية يزور مولىٰ العرض ويدعو أخدام السقاف للزيارة .

وكان العم أحمد الكاف له تعلق تام به ، ويحضر مجالسه بـ(تريم) وكان يقول فيه : من أراد أن ينظر إلىٰ النبي محمد ﷺ . . فلينظر إلىٰ الحبيب أحمد بن سالم .

ثم قال سيدي علوي : وكان مناصب آل الشيخ أبي بكر علىٰ غاية من التنعم والترفه ؛ لأن جاه الشيخ وسيع وتأتيهم الأموال من كل جهة .

وجاء أحدهم إلىٰ الحبيب عبد الله الحداد وأضافه علىٰ الخمير الحامض ، كما هي عادة الحبيب عبد الله ؛ فإنه يقدم لأضيافه في الغالب الخمير ، فقال المنصب في نفسه : نحن علىٰ غاية من التنعم والرطوبة في المأكل ، وهـٰذا الولي العالم الكبير ، يأكل هو وأضيافه الخمير! فنحن أولىٰ بالتقشف منه .

ومن ذلك الوقت ترك المنصب المذكور التنعم في المأكل ، وصار يأكل مثل أكل الحبيب عبد الله الحداد .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ الشيخ عبد الله بن مصلح الخراساني ، فقال : كان عظيم الحال ، وله محبة وتعلق بالعلويين ، وكان كريماً سخياً حتىٰ إنه يسمي الريال خُمْسيةً ، ويقول لمن يعارضه من الفقراء والمساكين : بغيت خمسية ؟ ويعطيه ريال .

وأتىٰ معه لما جاء من أرضه بكثير من الدراهم وأودعها أحداً من آل شامي ، وكان كل يوم يأخذ منها ويتصدق بها ، حتىٰ غلقها في مدة قريبة .

وكان يأتي بعدد من أقراص الخبز ويقطعها قطعاً صغيرةً ، ويحملها في ثوبه ، وكل من عارضه في الطريق من الجيعان ، يعطيه منها حتىٰ يغلقها ، فصاروا يضربون بها المثل مثل كرم عبد الله .

وكان يخرج إلىٰ التربة ويقصد قبر أحد من آل العيدروس ، صاحب المدفع أو غيره ، ويقول له : بغينا والياً عادلاً لـ(تريم) .

فيقول له صاحب القبر : بايأتي لها المنصور .

فلما ملك (تريم) آل عبد الله وكان الوالي عليها غالب بن محسن ، خرج الشيخ عبد الله إلىٰ صاحب القبر المذكور ، فقال له : أوعدتم بوالي اسمه المنصور ، وهـٰذا الوالي اسمه إلا غالب . فقال له : إن غالب هـٰذا بايأتي بالمنصور .

قال سيدي علوي : فكان الأمر كما قال ؛ فإن غالب بن محسن أتىٰ بمنصور ومن هـٰذه الحكاية تعرف إنَّ لمنصور المذكور عناية ومدداً من السلف ، حتىٰ إنك إذا نظرت إليه . . ترىٰ ملامح الخير والسعادة ، ويدل علىٰ ذلك : موته في الحج وهو واقف بعرفات .

انتهىٰ ما وفقني الله لجمعه من كلامه ـ رضي الله عنه ـ .

وأما ما كتبه من كلامه ـ رضي الله عنه ـ ابنه الناسك العالم ، الولي محمد بن علوي فهو كما يلي :

وتكلم ـ رضي الله عنه ـ في الروحة بمسجد سرور في شهر ربيع الثاني سنة (١٣٤٧ هـ) ، فقال :

شوا أهلكم من تحرِّيهم إذا كان بينهم دعوىٰ هم وأحد وأحوجتهم إلىٰ الذهاب إلىٰ السلطان . . لا يطعلون إلىٰ بيته ، ويطلبون منه أن يكون بمكان آخر ، مسجد أو غيره . وكذلك خطيب الجمعة مع ذهابه لا يمر في ظل الحصن .

ثم قال : نحن ـ يالمتأخرين ـ نظن أن نحن أحسن من المتقدمين في عقلنا وتدبيرنا ، انظروا آه لَقَوْه المتأخرين ؟ دعوىٰ بلاش ، إن عملنا شيء الصبح . . نُقِض عشية .

قال سيدي عبد الله بن علوي الحداد : [إن] المتأخرين ادعوا كل شيء وفاتهم كل شيء ادعينا العلم وهو مُحِي من قلوبنا .

قال سيدي الحبيب محسن بن علوي السقاف : العلم قدهم إلا يقطرون له في هـٰذا الزمان ، قال الوالد : هو إلا زماننا ما هو زمان محسن بن علوي ؛ لأن عاد في زمانه رجال .

ثم قال : الحمد لله ، معنا الوسيلة العظمىٰ ، سيد الوجود ﷺ .

قال الحبيب علي :

معنا قمر ما بدا غابت ولا باتغيب معنا الذي حين ندعي به سريعاً يجيب

معنا محمد حبيب الله نعم الحبيب هو ذخرنا للنوائب والوسل والطبيب

قال بعضهم للحبيب علي الحبشي : إني رأيت الفقيه المقدم والسقاف والمحضار ، فقلت لهم : تريدون إلىٰ أين ؟

قالوا : نريد نحضر مجلس علي بن محمد الحبشي .

لماذا يا حبيب ؟

قال الحبيب علي : أنا قبضت بالحيد الكبير محمد سيد الوجود ، لهـٰذا جاء بالسلف .

ثم قال : شُوْا الحبيب يقول : كنت في زمان محنة جم ، وفتنة جم ، كيف إلا لو شاف زماننا هـٰذا ؟ بايحيرو بايبكي جم .

الواحد منا ـ يا إخواني ـ يعد نسبه من عند أبوه إلىٰ النبي ﷺ يجدهم ما أحدخن قرشه ، وقعت الخنة إلا عنده . شف نفسك ، فيك شيء مما في أجدادك ؟ وإلا . . فأنت كما قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد لبعضهم : عمامة وصورة ، ولا شيء في المقصورة .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس ،

عن الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس أنه يقول : ما زال العلم في آل علي بن أبي بكر . . الناس علىٰ خير .

تحركوا ، شُوْكُم أغلبكم ـ يالحاضرين ـ جدكم علي بن أبي بكر (شيخ المهيع) زوروه وتملقوا له . أو كما قال .

وكان يحكي عن الحبيب عبد الرحمـٰن بن علوي صاحب البطيحاء ، أنه كان من تواضعه يخرج بقَرْن الخُبَز علىٰ رأسه من (تريم) إلىٰ (الجرب) وكان يأخذ كل سنة كَمَّه رؤس غنم ويسمِّنها ، وإذا كَمُل سِمَنها . . ذبحها وفرقها علىٰ أقاربه في غير عيد ، في أيام الفاقة للحم ، فيسأله بعض السادة يقول : آه عندكم يا عبد الرحمـٰن ؟ فيقول : خَتَنَّا للهر . يعني بها النفس وكان ـ رضي الله عنه ـ من هيبته وجلالته تلامذته ما يعرفون الطيقان التي بمنزل الدرس .

ومن تلاميذه : أكثر العبادلة ، ومما يدل علىٰ عظم حاله عظم تلامذته أو كما قال .

ومن أثناء مذاكرة بمسجد سرور قال ـ رضي الله عنه ـ : نطمع في شيء بانفارقه ، لا يغتر الإنسان ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠] .

قال الحبيب عبد الله الحداد :

فذو الحماقة من قد ظل يجمعها يعانِيَ السعي من شام إلىٰ يمن

كيف بايقع حالنا في البرزخ ؟ شُوْا ما معنا عمل ، كونوا على بصيرة : إما جنة أو نار ، لا يتكل الإنسان علىٰ أحد ، شُوْا! ما أحد باينفعك ، لا ولد ولا غيره . قال ولد علوي :

وخَلَّفوكِ وما أسلفتِ من عمل فالمال مستأخِر والكسب مصطحَبُ

قال صاحب القوافي : وتنساك الأحبة بعد عشر .

وأما اليوم ، وأنت في الدار كل يفكر آه بايحصِّله من الورث ؟

ثم قال : شوا لو دخل علينا داخل ، أو شاف ما نحن عليه ؟ بايقول : ذولا ماعندهم إيمان بيوم الآخرة!

شوه بايقع خطاب علينا شديد من سيد الوجود ، ومن فاطمة الزهراء ؛ لأننا تعدينا طريقهم .

سودت وجوهنا المعاصي ، كم من واحد يملي عليه ربه ماشي أصابه في الدنيا ، وبعد بايروح فيين ؟ شوها حسرة إذا مر جيش الفقيه ، والسقاف وأنت خَلَفت بايأكلك الذيب ، لا تغيظون أهلكم .

قال سيدي أبو بكر العدني لسيدي عبد الرحمٰن بن علي ، لا تدنس قميصك بسليط أوباش (تريم) ، أهلنا إذا جنح الليل . . قاموا في محاريب الأعمال ، وأما نحن : إذا جنح . . القينا أشياء غير لائقة بسيادتنا ولا بإسلامنا .

خطة آبائنا ضيعناها ، عاد شيء نظرة باتقع ؟ خلوا نحن نبسط لأولانا بساط حسن . أباؤنا ربطوا نحن بخَلْق زيان ، قلنا : ما بغيناهم ، ولا بغينا طريقتهم . هل تظن أنه ما بايقع وقوف بينك وبين أجدادك ؟ بايقع ، وبايخاطبونك ، بايقولون لك : كدرت بلادنا . آه بايكون الجواب؟

ثم قال : شُوْا ، أحد نصح نحن مثل ولد علوي ، تفقدوا ديوانه ، شوه بايقع في صف محمد حقيقة ، من أحق بالبكاء ، نحن أو عبد الله حداد ؟ شوه يقول .

ولو أنني أبكي الدموع وبعدها الد ـدماء علىٰ ما فاتني يا معاتبي

آه من فوات وقع علىٰ عبد الله الحداد ؟

سار علىٰ سنن محمد ﷺ .

من كلامه يقول : من أراد أن ينظر إلىٰ صلاة محمد بن عبد الله . . فلينظر إلىٰ صلاتي ، وإذا أشكل عليَّ الحديث ، أهو صحيح أو غير صحيح . . آخذه من النبي يقظةً . وكان في صغره إذا أُدخل علىٰ الحبيب عبد الرحمٰن بن شيخ عيديد . . يقول له : يا حيا بشيخ الجماعة ، يا حيا بسيد الجماعة . ويتمثل بقول القائل :

ومن رعته العنايهْ في المجيْ والذهاب فلا يبالي ومن خانته الأقدار خاب

وكان الحبيب عبد الرحمٰن بن شيخ عيديد يجلس ويقول : انظروا إلي ؛ فإني نظرت [إلىٰ] الشيخ أبي بكر بن سالم ، والشيخ أبو بكر يقول : ناظري وناظر ناظري في الجنة .

ومن كلامه ، يقول : إن الشيخ أبا بكر نظر إلي بنظرة ما عرفتها إلا بعد أربعين سنةً .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : أعظم شيخ لسيد أحمد بن زين الحبشي : الحبيب عبد الله الحداد .

وكان يقول : عُرض علي حال الجيلاني فصرفته إلىٰ أحمد بن زين . وكان ـ رضي الله عنه ـ نسمع عن بعض شيابتنا أن الولد ما يكون طالب علم إلا إذا قرأ « الرسالة » للحبيب أحمد بن زين الحبشي ، ومختصري بافضل .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : من تواضع شيابتكم ، أنهم يقضون حاجاتهم بأنفسهم من السوق ، يحملون اللحم والطعام وغيرهما من الحوائج . كان سيدي الفقيه المقدم يحمل السمك من السوق . وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب علي بن شيخ بن شهاب أنه لما طلع لطلب العلم ،

والقراءة علىٰ الحبيب عبد الله بن أحمد بن عمر الهندوان ، إلىٰ السحيل ، فدك علىٰ باب الحبيب عبد الله والحبيب عنده تلامذته ، يقرؤون عليه ، فأمرهم أن لا يفتحوا للحبيب علي ، وهو يتردد حتى مضت ثلاثة أيام ، حتىٰ إن بعض تلامذة الحبيب عبد الله قال للحبيب : افتح له ، شفه علي بن شيخ بن شهاب ، فيه ذكاء .

فقال لهم : خلوه ، هـٰذا ولد تاجر ، فيه نخوة تجار .

ثم بعد أيام بعد خروج الطلبة فتح له فطلع الحبيب علي إلى الحبيب عبد الله ، فقال : إيش بغيته ؟ فقال الحبيب علي : أريد أن أقرأ عليكم .

فقال له الحبيب عبد الله : أولاً قبل القراءة باوصيك إلىٰ السوق ، أن تأتي بحاجة كذا وكذا ، ومن جملة ذلك أن يأتي بلخم .

فقال الحبيب علي : هاتوا وعاءً للخم .

فقال الحبيب عبد الله للحبيب علي : اطرحه في كمك .

فامتثل الحبيب علي كلام الحبيب عبد الله ، فخرج إلىٰ السوق وجاء بمطلوب الحبيب عبد الله ، واللخم طرحه في كمه . فلما رجع إليه ، قال له : الآن تصلح للعلم . فنظر إليه ومَلاَه حتىٰ صار علي بن شيخ جمع الله له العلم والمال ، والسبب : التواضع ، « **من تواضع رفعه الله** » أو كما قال ـ رضي الله عنه ـ .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن بعض السادة آل الجفري القاطنين بقسم أنه سافر إلىٰ الجهة الجاوية ودخل بلد (فليمباغ) فطلبوا منه أن يدرِّس ، فاعتذر فكلفوا عليه حتىٰ ابتدأ يقرىء بعض الأولاد في « الرسالة » و« السفينة » فبقي علىٰ ذلك مدةً ، ثم جاء إليه بعض أهل البلد لامتحانه ، فحصل مع الحبيب تحمل ، فلما نام بالليل رآى الحبيب

عبد الله الحداد ، فقال له : لا تخاف ، عليك بالورد الكبير لنا أن تقرأه صباحاً ومساءً .

فواظب الحبيب عليه ، فبعد مدة رجع في أي علم يسئل عنه يجيب حتىٰ المريض يعرفه إن كان بايموت . . يقول لهم : بايموت ، وإن كان بايحيا . . يقول لهم : بايحيا .

قال الحبيب أحمد الجنيد إني اتفقت به في بلد (قسم) وقلت له : عاد شيء معكم ؟

فقال لي : ذاك لما كنت بـ(جاوة) وأما الآن . . ما عاد شيء ، علىٰ سبيل الاعتراف .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ثلاثة من السلف من اهترىٰ بهم ثلاث مرات . . لازم ما يدركونه :

الشيخ المحضار ، والشيخ شهاب الدين ، والحبيب عبد الله الحداد .

وكان يحكي عن بعض أولاد الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير : أنه سار إلىٰ (جاوة) ، ففي بعض الأيام ضربه وجع في رأسه ، فأمروه أن يعرض نفسه علىٰ الطبيب ، فقال الشيخ : رأس وضع يده عليه حسن بن صالح البحر لا تمسه يد كافر .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : زماننا هـٰذا عيف قل فيه حسن الظن ، تجد كثير من الأولاد يشمئز حتىٰ من ذكر سير سلفه وأهله ، وأحوالهم شُوه يعترف من لا يحب أهله ، بعض الأولاد إذا حضر . . توَدّي تصيح مما في قلوبهم من الإنكار ، الله يرزقنا الأدب معهم .

وقال ـ رضي الله عنه ـ من أثناء مذاكرة بمسجد الماس بالروحة ؛ عاد شي رجولية معنا؟ الرجولية شلوها رجالنا ، عبد الله الحداد يخرج من العلمة يركع مئة ركعة ـ وفي رواية مئتي ركعة ـ وكان يقول : طلبت من

ربي ثلاثة أشياء : أن يشفعنا الله في أهل وقتي ، فقبل .

وأن يكون لأهل (حضرموت) والي عدل ، فأجابني ، وقال : أنا أرحم بهم .

وأن لا يحرق بر آل (حضرموت) البرد بل يحصلون شيء .

ثم قال سيدي : إن أحببنا الجلوس مع السقاف أو مع الفقيه . . نسأل عن طريقتهم ، وهـٰذا شيء ما هو بعيد ، عليك إلاَّ صَلّ جماعة ، واتل شيء من القرآن ، وسر بِسَيْرهم ، وباتجلس في المجلس الذي جلس فيه الفقيه والسقاف .

لسان السقاف ، لما ما عصت ربها . . سهلت عليها التلاوة ، كان يأتي بأربع ختم بالليل ، وأربع بالنهار ، الشرف معهم حقيقة .

أولاد سيدي أحمد بن الفقيه المقدم ، أربعة ، ما مات أحدهم حتى أراه الله منزله في الجنة وهو في الدنيا! آه هـٰذه المراتب العالية ؟

أطيعوا الله ، لا تخلون نِتَنَّا تَصعد علىٰ أهلنا ، أبوك ما عصىٰ ربه ، وجدك ما عصىٰ ربه ، والخنة ما وقعت إلا عندك .

تأهبوا للأعمال لاسيما في هـٰذا الشهر الليلة السابعة . ولا رأينا شيء ، ولاذقنا شيء ، حسرة كبيرة . نفرح بالليل إلا لأجل الأكل والسمرة ، الحجة قائمة علينا ، طرحوا لنا الفراش الزين ، والماء الزين ، والسراج الزين ، ذا الفرس وذا الميدان ، عليك إلاَّ قُمْ في محراب العمل ، واتل كلام الله ، ما عاد شيء أعظم من القرآن ، ما درينا آه هـٰذا الحجاب ؟ هل هو من الطعمة ، أو من الخلطة ؟

أعطوا الصيام حقه ، نكف ألْسُننا عن الغيبة والنميمة « **خمس يفطرن الصائم : الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، واليمين الكاذبة ، والنظر بشهوة** » قال حبيبكم محمد ﷺ : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتىٰ**

يفطر والإمام العادل ، والمظلوم » شُوْا ما عاد شيء عَدْل يَرْتَوِحْ لَعاد وُلاهْ فيهم رَقْعة ولا حبايب :

نخبِّط لا ندري الطريق إلى النجا وبالجور نمحو سنة البر والعدل

المظلوم يصيح ماله ناصر ، والظالم يظلم ولا له رادع! وعاد نحن إلا نؤيده علىٰ ظلمه ، شُوْا ، ما شيء فائدة بكثرة المدارس إذا ما باننصر الشرع .

ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

وقال ﷺ : « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » وقيامه بصلاة التراويح إذا لازمها من أول الشهر إلىٰ آخره ، ولم يترك منها شيئاً ، يقول الحبيب أحمد بن حسنٍ الحداد : تراتيب (تريم) في رمضان من القرن السادس من وقت الفقيه المقدم .

الحمد لله ، شوا هـٰذا شهر عظيم ، يحرق الذنوب ، اقصدوا مساجد أهلكم الذي بنوها بنيات صالحة ، ومال حلال .

قال الحبيب علي بن حسن العطاس : (حضرموت) فَضَلَت غيرها بأربعة أشياء : بزيارة نبي الله هود ، وبكثرة أهل البيت ، وقيام رمضان ، والرابع : الخريف . . إلى آخر ما قال .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن واحد من السادة أنه رأىٰ النبي ﷺ في مسجد الشيخ عمر المحضار ، ورآه علىٰ صورة الشيخ أبي بكر بن سالم ، فأصبح الرائي ، وأخبر الحبيب أحمد بن حسين العيدروس ، فقال الحبيب أحمد للرائي : ظننت أن الرؤيا إلا تكون لي ، لأني ما أرىٰ علىٰ وجه الأرض مثلي ، ولـٰكن هـٰذا جُعْلك ، ورُحْ أخبر الشيخ أبا بكر .

قال الوالد : إن الشيخ الشعراني ، ذكر في « الطبقات » أن الذي يُرىٰ النبي علىٰ صورته . . يدل علىٰ أنه قطب الوقت ، أو كما قال .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الله بن علي الحداد ، صاحب بانْقيل أنه أتىٰ إلىٰ عنده سيد من الحبايب آل السقاف زائراً ، فقال له : من أين جئت ؟

قال : كنت أزور مولىٰ الطوبان .

فقال له الحبيب عبد الله : من أفضل عندك ، مولىٰ الطوبان أو جدك محسن بن علوي ؟ فسكت الحبيب ، فقال له الحبيب عبد الله : جدك محسن أفضل ؛ لأن نحن شفنا علمه ، شفنا عمله ، شفنا سيرته ، ومولىٰ الطوبان ما نعرفه ؟ قالوا لنا : ولي . أو كما قال .

وفي (٤) شهر محرم الحرام سنة (١٣٥٧هـ) في الروحة بمسجد سرور حكىٰ سيدي الوالد حكايةً عن الحبيب شيخ الجفري : أنه كان بالحرم المكي رجل مقعد لا يستطيع القيام ، فطلب من سيدي شيخ الجفري أن يرتب له الفاتحة بنية الشفاء وحسن الخاتمة ، فرتب الحبيب شيخ الفاتحة علىٰ تلك النية ، فقرأها ذلك الرجل ، فقام في الحال ، وطاف بالبيت سبعاً وحصل له الشفاء التام بسبب النية الصالحة .

وحضر تلك الليلة الروحة السيدان : العم علوي بن عبد الله العيدروس ، والعم أحمد بن حسين العيدروس ، فطلب العم علوي من الوالد أن يرتب للحاضرين فاتحةً علىٰ هٰذه النية ، فقال الوالد : نحن ما معنا شيء ، ذا إلا شيخ الجفري ، له ادلال علىٰ الله . وأنشد قول الحبيب عبد الله الحداد :

إذا فاتني قرب الأحبة واللقاء ففي ذكرهم أنس لوحشة خاطري

فحث العم علوي الوالد علىٰ ترتيب الفاتحة ، فرتب الوالد الفاتحة علىٰ هـٰذه النية ، ففرح الحاضرون .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب شيخ الجفري أنه كان له صحن ، وما معه من أكل قليل أو كثير ـ يطرحه في ذلك الصحن ، ويأكل منه كل من حضر من أضياف الحبيب ـ قلوا أو كثروا ـ ولا يغلِّقون ما فيه ، ببركة الحبيب شيخ ، حتىٰ إن شريف (مكة) ، لما سمع بذلك الصحن . . أخذه من الحبيب وظن أن في ذلك الصحن شيئاً من الأسماء ، فطرح فيه الأكل ، فجلسوا عليه ، وغلقوا ما فيه من المطعوم ، فعرف الشريف أنها كرامة للحبيب شيخ المذكور ، أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الولد الذي يطالع الجرايد ، يستقبح طريقة أهله وسلفه ، ويُعرَف ، إذا حضر مجلس تُنشَر فيه شمائل أهله . . يضيق ويتقلقل ، لأن ما شيء مجانسة . ما من السِّكك هـٰذه خير ، غَيَّرنا هياكلنا ، انظر شف محرري الجرايد أغلبهم فسقه .

وإذا باتطالع . . طالع شيء من كتب السلف ، مثل « المشرع » و« السلسلة العيدروسية » و« العقد » وغيرها من الكتب التي باتعرِّفك بنفسك وقصورها ، أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : أولاد الزمان انحلت عقيدتهم ، ويرون أنفسهم أحسن من سلفهم في عقلهم وعلمهم ، والشَّوع بعيد جم ماجئنا حوله ، الله يعرِّفنا بعيوبنا .

وقال ـ رضي الله عنه ـ من أثناء مذاكرة في الروحة : تتشبه بمن ، لِآه ما تتشبه بأهلك ، تبيع نفسك علىٰ مَلا شهوة ، وتمحي نسبك من سيد الوجود . يابختنا بمحمد ﷺ لا تَسُوءُونه ، شُوْا قلبه مجروح مما يبلغه من سيرنا وأعمالنا غير المرضية .

ارجعوا إلىٰ الله شُوْا (تريم) مثل (مكة) و(المدينة) من ابتدع فيها شيء مخالف لما عليه السلف . . لازم ما تنفيه إن طال الزمن أو قصر ، قال المحضار :

ومن جانا وبايخضع حمانا نكثر في بلده الصائبات

(تريم) عجنت بأقدام الصالحين ، باتعصي في مطراق مر فيه كذا كذا ولي ؟! شوا نحن مغبوطين يا أهل (تريم) ، لكن إذا عرفنا قدر هٰذه البلدة .

قال القائل : شوارع تريم شيخ من لا له شيخ .

واحد خرج إلىٰ (تريم) في وقت الشيخ السقاف وهو منكر هٰذه القولة ، فلما وصل إلىٰ (تريم) سلب ، ولعاد دَرَىٰ يروح إلىٰ أين ؟ فشكا حاله علىٰ الشيخ السقاف ، فقال : إن بايرجع عما أضمره . . يذهب إلىٰ حش من حُواش (تريم) ، ويرجع إليه حاله .

الحمد لله ، يا خير ظرف معنا ظرف زين جم ، علمك بايتبارك ، وعملك بايتبارك ، باتحصل جامع مثل جامع (تريم) فيين . خرجت من الجامع . . دخلت مسجد باعلوي ، مسجد السقاف ، مسجد العيدروس ، مسجد الشيخ علي . . وكم وكم في (تريم) . قال القائل :

شوارعها دبغت بأقدام سادة بدور الهدىٰ أنوار كل دجنة

حتىٰ العمل يسهل علىٰ الإنسان ، ويتبارك في هٰذه المساجد ، تجدك تجي وأنت كسلان ، وإذا قبضت المصحف . . تقرأ الشيء الكثير ، مجرب .

خرجت إلىٰ زنبل ، زرت (أبو علوي) ، ثم علوي بن الفقيه ، ثم عبد الله باعلوي ، والسقاف ، وأسد الله ، عَدِّد . .

(تريمٌ) بها منهم ألوفٌ عديدةٌ . . إلخ .

دخلت إلىٰ الجبانة ، تجدها ملآنة ، الأنوار لائحة عليها .

يقال : إن سائح خرج إلىٰ (تريم) وزار المآثر كلها ، ودخل الجبانة ، وجلس فيها ، ولا عاد خرج منها ، فسئل ، فقال : إني أرىٰ النبي ﷺ يأتي كل اثنين وخميس إلىٰ هنا .

وقال ـ رضي الله عنه ـ بعد الإتيان بفصل من هدية الصديق ، فقال : هـٰذا ولد حسين يتهم نفسه ، وهو لا هم بمكروه ، ولا فعل مكروهاً .

لما طلع الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ إلىٰ (المدينة) سألوه علماء المدينة عن خاله ، وقالوا له : صف لنا خالك عبد الله بن حسين ، فوصفه ، فقال : تخلىٰ عن المهلكات ، وتحلىٰ بالمنجيات ، ووَصْفُه « الإحياء » وزيادة .

ثم قال سيدي : اسلكوا مسلك الرجال ، قال رسول الله ﷺ : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي** » وقال تعالىٰ : ﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٣] .

استعدوا بالأعمال الصالحة قبل أن يفجأكم الموت ، من جاء ووجهه أسود ، آه بايقع حاله ؟ ياكم من ذنب ارتكبناه ، وغفلنا عنه ، وهو محصي علينا ، قال تعالىٰ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ـ٨] .

تغانموا أعماركم قبل أن يفجأكم الموت ، قال النبي ﷺ : « **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » .

لا سرور لنا بولد ، ولا بمال ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ . . ﴾ [الحديد : ٢٠] الآية .

ثم قال سيدي : ما تعقد ولاية ولي إلا بقيام الليل ، كان مسجد باعلوي ما ينطفىء منه السراج الليل كله ، الراكع راكع ، والساجد ساجد ، ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨] . ما تعقد ولاية لولي إلا بقيام الليل ، لولا الليل . . ما أحببنا البقاء في الدنيا .

قال سيدي العيدروس الأكبر : الكنوز كل الكنوز في إحياء ما بين المغرب والعشاء ، أهلنا لما تحروا في مطعمهم ومشربهم حصلوا أشياء عظيمةً .

قال سيدي شهاب الدين :

حملوني من الأسرار فالكل دوني كل من حبني أوقد دخل في سدوني

قِـدُهْ آمـن بهـٰـذا القـول قـد أوعـدونـي

قال سيدي العيدروس : كانت أسود تنهم في (تريم) واليوم أنا الأسد . واليوم من مننا الأَسد ؟

ثم قال سيدي : نحن إذا متنا معاد أحد بايذكرنا ، وأما أسلافنا . . ذكرهم باقي إلىٰ يوم الدين . ارجعوا إلى الله خلوا نحن نتدارك ما فاتنا ، بانحب ما حبوه ، وبانقرر ما قرروه ، وبانترك ما تركوه . . إلىٰ آخر ما قال ـ رضي الله عنه ـ .

ومما يحكيه عن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ : أنه رأىٰ بنته تخيط ثوب لمسكين من مساكين المسيلة ، فقال لها : البارحة رأيت النبي ﷺ يقول : إن بنتك تخيط ثوب ولي من أولياء الله . فلما سمعوا أولاده تلك الرؤيا . . جلسوا مع ذلك المسكين ، فرآهم الحبيب عبد الله فعتبهم علىٰ مجالسته ، فقالوا له : ما جلسنا معه إلا لما سمعناك تقول :

إنه ولي لله ، فقال لهم الحبيب عبد الله : وأنتم ترضون إلا بولاية المسكين ؟ قولوا : بغينا كما عبد الله بن حسين ، وطاهر بن حسين ، أو كما قال .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر أنه يقول : ما أسفي إلا علىٰ أولاد السادة الذي ما رأونا . وكان يقبض علىٰ لحيته ، ويقول : خابت لحية ما شفعت لأهل عصرها .

وكان الحبيب عبد الله بن عمر يقول : إن خالي طاهر اجتمعت فيه شروط الإمامة العظمىٰ .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : زماننا هـٰذا إذا أردت أن تحكي حكاية أو تنشر قولة للسلف . . تخاف من الإنكار من أولادهم . مِن العقوبة كُذْ العلوي إلا يشمئز من ذكر سِيَر أهله ، والسبب : يوم ماشي مجانسة بيننا وبينهم ، تجد الدخان علىٰ وجوهنا لائح ، وإذا سمع شيء . . قال : هـٰذا ما يتمكن ، لِآه ما بايتمكن عندك ؟ انظر إلىٰ ربك ، هل هو قادر على ذلك أم لا ؟

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه : أن والده الحبيب العلامة حسين بن عبد الله كان يلقي درس في مسجد الشيخ حسين بـ(الرضيمة) فدخل عليهم ذات يوم رجل ، وهم في المدرس ، وقال لهم : فلان مات .

فقال له الحبيب عبد الله من دون الحاضرين : لا ، ما مات . فزجره والده الحبيب حسين ، فقال له : اسكت ، كيف ؟ هـٰذا جاء من عنده .

فخرج ذلك الرجل من المسجد ثم رجع ، فقال لهم : الذي أخبرتكم بموته ما مات ، عاده باقي في الحياة ، فسئل الحبيب عبد الله عن معرفته بعدم موته وهو جالس في المسجد عندَهم ، فقال الحبيب عبد الله :

إني رأيت روحه ما خرجت عن هـٰذا العالم ، أو كما قال .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور أنه إذا أراد أَن يزور الفقيه المقدم في الغالب . . يستصحب شيئاً معه ، تمراً أو غيره ، ويقول لمن معه : أعطوه مَن عرفت منه الحاجة ، ويتلو هـٰذه الآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة: ١٢] .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : عيب علىٰ طالب العلم أن يقرأ الكثير من كتب السلف أو غيرها ولا يحفظ شيء منها يبثه علىٰ إخوانه ويفيدهم به ، أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ بعد قراءتي عليه ، في « العقد » للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي : هـٰذا عيدروس بن عمر تملق وتواضع لأشياخه حتىٰ تحلىٰ بما تحلَّوا به ، ولو عرف الإنسان حقيقة ما فاته من أسرار أهله . . لبكىٰ الدم ، الله لا يحرمنا النظر فيهم ، ولا يحرمنا بركتهم .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : من أقامه الله في منصة يراقب الله ويصبر علىٰ أذية الخلق .

يحكىٰ أن الشيخ أبا بكر بن سالم دكت امرأة عليه الباب ، فكلمها خدام الشيخ أبي بكر ، فقال : آه معش؟ فناولته شطر كِنِب ، وقالت له : أعطه حبيبك .

فقال لها الخدام : روحي حبيبي ما هو محتاج لشطرش .

فسمعه الشيخ أبو بكر فخرج إليها وخذ بخاطرها ، وأخذ شطر الكنب ، وعاتب الخدام علىٰ فعله ، وقال له : لو ما شكرناالقليل ما أتىٰ الكثير . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ مخاطباً لأهل الروحة : يا إخواني ، بغينا محبة محمد ﷺ إذا أحبك محمد . . كل سلفك بايحبونك ، وإذا ما حبك سيد الوجود . . الله ، لا يبلي .

قال الحبيب علي الحبشي :

ربيعِي الزين ياما أحسنه يا ذا ربيعْ وكل من لاذ بِهْ لا تحسب أنه يضيعْ

وقال ـ رضي الله عنه ـ بعد القراءة عليه في « مكاتبات الحبيب عبد الله الحداد » بمدرس الرباط ، في (٢١) شهر ذي القعدة سنة (١٣٥٧هـ) فقال ـ رضي الله عنه ـ :

الخطاب إلا لنا ، ينبغي لنا أن نرجع إلىٰ ربنا ونسلك مسلك نبينا ؛ لأن نحن علىٰ رحيل من هـٰذه الدار ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد: ٢٠] إلخ الآية .

قال الحبيب عمر بن حسن الحداد : أحب أن « مكاتبات الحبيب عبد الله » تقرأ في الجامع يوم الجمعة . بغا الخلق يسمعونها ؛ لما احتوت عليه من الأمر والنهي ، إذا بايطالع الولد . . يطالع هـٰذه « المكاتبات » ، أو « مكاتبات الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه » أو « مكاتبات الحبيب حسن بن صالح البحر » لـٰكن تركوها وراحوا مع الجرايد وغيرها من الكتب التي لم نعلم بمحررها ، هل هو عالم أو فاسق ؟ وأغلبها كذب ، بغينا طريقة لأولادنا يسلكون عليها ، ما بغينا نموت ؟ وتبلغنا أخبار سيئة عنهم .

ثم قال سيدي : قال الحبيب عبد الله الحداد : أتىٰ إليَّ الفقيه المقدم ، وأقرني بالظهور ، فقلت : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦] ثم أتىٰ إلي العيدروس ، فقلت له : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

حتىٰ أتىٰ إلي النبي ﷺ ، بغا يطرح ساسه على جبل .

ومن كلامه : اليد لنا من أربعة من السادة : من الفقيه المقدم ، والسقاف والمحضار ، والعيدروس ، والآن ، اليد لنا من النبي ﷺ .

ويقول : إذا أشكل علي الحديث ، أهو صحيح أو غير صحيح ؟ آخذه من النبي ﷺ يقظةً .

والآن ، العلم قل والسير تغيرت :

فقدنا جميع الخير لما ترحلوا ومنهم خلا وعر البسيطة والسهل

والآن ، حِلَّها . مَن عنده شيء يقوم ينفع إخوانه ، ويقوم لله وللرسول ، ولٰكن يصدق علينا قول القائل :

تملكهم حب الحظوظ وشهوة النـ ـنفوس فقل يا رب عاف من الفتن

كل يرجع ويعمل ، عبد الله الحداد يقول : من بايضمن لي مدة إقامتي في البرزخ ؟

وهٰذا ولد علوي يخرج من العلمة يركع مئة ركعة ، وفي رواية مئتي ركعة ، وله من العلوم الشيء الكثير .

قال الشيخ عبد الله بن أبي بكر الخطيب لما خرجوا بعض الطوائف إلىٰ (حضرموت) : لوما عبد الله الحداد . . لافتضحوا علماء (حضرموت) كلهم .

ومن كلامه : يقول : عندي أمانة من العيدروس ، ما يطيق حملها إلا إن كان المهدي .

وفي رواية يقول : عندي أمانة أخذتها من الكتاب والسنة ، ما يطيق حملها إلا المهدي .

ثم قال سيدي : ما ضرت نحا يا أهل الزمان إلا الاستحسانات .

زماننا هـٰذا إذا مات واحد . . ما عاد تحصل مثله ، لا في الدين ولا في الدنيا . مرابعنا خلت عن الرجال ، تجد الإنسان لو معه وصية . . ما هو داري يجعل مَن وصي علىٰ أولاده ؟ ما يحصِّل أحد يثق به ، حتىٰ إن بعض الخلق في هـٰذا الزمان جعلوا أولادهم أوصياء ولم ينفذوا وصاياهم ، حتى فاتت الأموال ، وهـٰذا كله بسبب عدم امتثال أمر الموصي . أو كما قال .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور أنه يقول : الإنسان إذا مات علىٰ حسن الخاتمة . . مثاله كمن يأتي ومعه الإناء والشمعة عاد قاصر عليه إلا السليط ، فيأتي إلىٰ عند هـٰذا فيعطيه قليل ، ويأتي إلىٰ عند الآخر فيعطيه قليل ، فيمتلي وعاه ويأضي . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : إنه كان في صغره يأتي عند الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله الخرد ، فيجلسه بجنبه ويقول له : إن الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، يقول : إن حالي كل يوم في واحد من أولادي ، واليوم أرجو أنه فيك . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الإنسان يجعل له رابطةً بسلفه ، ولابد أن يظفر بسر من أسرارهم . قال القائل :

مَن رُوِحْ ريحهم دخل وَسْط لفكار واشتغل بالقراءة دائم والأذكار

بغينا ريح أهلنا تهب علينا ، الحمد لله باتطلب رب كريم بايعطيك مثلهم وزيادة .

قال الشيخ شهاب الدين :

ما تفرق في أجدادي وقعْ لي مُوَفَّىٰ موهبهْ لا بكسبي فضلْ مِنُّهْ ولُطْفا

ويقول الحبيب علي بن محمد الحبشي : جئت إلىٰ عند قبر الشيخ

شهاب الدين وقلت له : شفك بَرَّدت كبدي يوم أظهرت نعمة ربك والبقية كتموا

يقول الشيخ السقاف : إذا طاب أحدنا . . يكون ذهب خالص ، والمشايخ آل أبي فضل إذا طاب أحدهم . . يكون فضة خالصة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ابتلوا أهل الزمان بشيئين : الكلام في تفسير القرآن مع عدم اطلاع علىٰ التفاسير ، كلها كَوْريَّة .

وكذلك عند الإنشاد بكلام السلف تجده يفوِّت القصيدة ويروح مع كلمة ، إما من جهة إعراب أو لغة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : لو ما نطقت اللسان المحمدية بالقرآن . . لما قدر أحد أن يقرأ آية واحدة .

يابختنا بالقرآن ، قال الحبيب علي بن محمد الحبشي : أتعجب من الذي يقول : بي ضيق ، وعنده القرآن! قال رسول الله ﷺ : « **أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن** » .

شوها ، نعمتان ماشي يوازيهما .

الأولىٰ : جعلك الله مسلم .

والثانية : جعلك من أمة محمد ﷺ .

قال الشيخ أبو بكر بن سالم : وأشكر لنعمة ربي ، ولكن لا أُحصيها .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب محمد بن علوي صاحب (مكة) أنه لما خرج إلىٰ (حضرموت) وأتىٰ إلىٰ (تريم) سار في معابدها كلها ، فأمره بعض السادة أن يجلس أربعين يوماً في زاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، فجلس الحبيب محمد ، ففتح الله عليه في تلك الزاوية ، أو كما قال .

ومما يحكيه عن الحبيب محمد المذكور : أنه طلع رجل من (حضرموت) إلىٰ (مكة) فدخل إلىٰ حضرة الحبيب محمد ، وهو في مجلس عظيم وهو منقبض ، فقال له الحضرمي : يا حبيب محمد ، حبيبي عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس يسلم عليكم .

فقال الحبيب محمد : من ؟ برفع صوت .

فقال : حبيبي عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس يسلم عليكم .

فقال الحبيب محمد : من ؟ برفع صوت .

ثم قال الثالثة كذلك حتىٰ تنفس الحبيب محمد ، وقال : والله ما تحت أديم السماء في هـٰذا الوقت رجل مثل عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس ، وانبسط وذهب عنه القبض ، أو كما قال .

ومما يحكيه عن الحبيب علي بن حسن العطاس أنه يقول : يكفي الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم فخراً انتساب الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس إليه ، ويكفي الوالد عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس فخراً انتساب الحبيب عبد الله الحداد إليه ، أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : إن الحبيب أحمد بن عمر الهندوان ، يقول : من بايرضى . . يرضى ، ومن بايسخط . . يسخط ، أخذ السابقة علينا عبد الله الحداد .

وقال ـ رضي الله عنه ـ ليلة الثلوث بمولده بمسجد سرور في (٢) شهر محرم الحرام ، سنة(١٣٥٨هـ) فقال :

الله يمن علينا بالثبات في الدنيا والآخرة ، قال تعالىٰ : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] يحفظ الإنسان نفسه من المعاصي ، المعاصي تقلِّد عليك أبواب الخير ، المعاصي بريد الكُفر .

يخاطب الإنسان نفسه بالرجوع إلىٰ الله ، سودت وجوهَنا المعاصي ، الأمور كلها باتتضح ، كُلٌّ مقصوص بأثره ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ [الإسراء: ١٣-١٤] اقرأ الفضايح التي ألقيتها ، باتروح فيين ؟ الشردة باتقع إلىٰ أين ؟ فأما من ثقلت موازينه . . يا بشراه ، وأما من خفت موازينه . . بايصيح صياح كبير ، ولا أحد بايلبي به .

ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١] الآية . « **ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم** » ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠] . ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ [محمد : ١٥] الآية .

لا أحد يبيع قسمه في الجنة باتباع شيطانه وهواه ، انظروا إلىٰ من تقدم من الرجال جرىٰ أمر الله عليهم ، ونحن بانروح فيين إذا غلقت الأيام ؟

ذكر الحبيب علي بن محمد الحبشي في كلامه : أن سيدنا عبد الله باعلوي لما وضع في قبره وأتاه الملكان . . قال لهم : بااشوف النار .

قالا له : مالَك والنار ؟

قال : فذهبا به حتىٰ وصل إلىٰ النار ، فصاحت النار وقالت : مِيِّلوا عني هٰذا السيد ، شُوْه يايحرقني بنوره .

فقال الحبيب عبد الله : ما با اميل حتىٰ تخرجوا كل من هو من (تريم) يعذب فحذفت بهم كالكرايا إلا اثنين أو ثلاثة ، كلما خرجوا رجعوا ، ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٠] .

عمر الدنيا منقضي ، بانخرج إلىٰ البرزخ ونحن خليين من الأعمال ، ولد حسين اعترف وهو ملآن من الأعمال فقال :

كُلٌّ تزود وولى وين جاء بن حسين ما شوف شي زاد عنده وين زاده فيين
ما شوف عنده سوى ذنبٍ وغفلهْ ومَيْن أظنــه إلا إذا وَلَّــىٰ يقــل عيهــويــن

ومع ذلك : إن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ يقول : إن خالي عبد الله اجتمعت فيه أحوال أهل المشرع .

الحبيب عبد الله الحداد لما وصف أهلكم بالأوصاف العظيمة . . قال :

ولأقبضــن عِنــان قــولــي هـٰهنــا حسبي وفي تعدادهم لم أطمع

ونحن فروعهم ، خلوا نحن نسلك مسلكهم لا تخلون نحن نطيح ولا أحد يدرَىٰ بنا ، شُوْا واحد من أولاد السقاف لما قده محتضر . . بقوا من عنده يلقنونه لا إلـه إلا الله ، فتكلم فقال : هـٰذا شيء لا يفوتنا .

ثم قال : العلم شريف ، ينبغي لنا أن نجتهد في طلب العلم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] وورد : طالب علم كسلان أفضل من سبع مئة عابد .

لاه ما تقومون قومة للعلم ؟ شوه رحل من بلداننا ، خصوصاً الفقه ، أولاد الزمان راحوا مع القشور وتركوا اللب ، تجد الولد يمر نهاره ما اطلع علىٰ مسألة ولا علىٰ ترجمة من تراجم أهله ، نعم بغيته يطالع شيء من الجرايد ولا يسأم ، وهي لا تفيده لا دين ولا دنيا ، لهـٰذا ينظر الإنسان يمين وشمال ما يرىٰ أحد يسر قلبه .

وأكبر من ذلك أنهم يحسِّنون في قلوب الأولاد الجرايد ومحرريها ، وينشر له فضائل باشا وغيره ويترك أهله وأجداده ، يا حافظ يا حفيظ .

زينوا (تريم) بالعلم والعمل ، والدعوة إلىٰ الله ، والسيرة الحسنة ، شُوْا لا يهنانا صلاح الدنيا . . والدين منبوذ ، ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] والآن ، دخانات تعكر علينا من كل جهة ، الله يحفظ ويسلم .

أما نحن يا آل باخمسين سنة ريضين الخوف أكثر إلا على الأولاد الصغار ، آباؤنا ينهون نحن عن التشبه بالجنود ، فما بالك إلا بالتشبه بالنصارىٰ ؟ إذا شفت الولد لو ما تعرفه . . باتقول : نصراني ؛ مما عليه من لباس ، وحالق لحيته ، وملقي قصة وشارب نبزتين ، آه عاده معه ؟ عاد لا إلٰه إلا الله! الله يحفظ ما تنزع ، قال رسول الله ﷺ : « **من تشبه بقوم فهو منهم** » . إلخ ما قال .

ومما يحكيه ـ رضي الله عنه ـ عن الحبيب عيسىٰ بن محمد الحبشي صاحب خنفر : أنه لما حضرته الوفاة بكىٰ ، فقيل له : ما يبكيك ، هل فزعت من الموت ؟

فقال : لا ، ولٰكن أبكي لما وضعت عيالي في (خنفر) لا فيها عالم ، ولا فيها مذكر ، أو كما قال .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عمر بن حسن الحداد أنه ذات يوم خارج من السوق وحامل حاجة ، فعارضه بعض وزراء الدولة ، فكلف علىٰ الحبيب عمر في حمل الحاجة إلىٰ البيت ، فأعطاه إياها وحملها إلىٰ بيت الحبيب عمر ، فلما وصل الحبيب عمر إلىٰ بيته أمرهم أن يتصدقوا بتلك الحاجة ، ولم يطعم منها شيئاً تورعاً منه بسبب حمل ذلك الشخص لها . أو كما قال .

ومما يحكيه عن الحبيب عبد الرحمٰن بن علي بن أبي بكر السكران أنه يقول : كنا في أيام الصغر نطلع إلىٰ النعير ، نحن وأبو بكر العدني ،

بعد صلاة العشاء ، وكل واحد منا ينفرد بجانب ويقرأ عشرة أجزاء من القرآن العظيم .

ومما يحكيه عن الحبيب عبد الرحمٰن المذكور : أنه طلع إلىٰ الحج هو وسيدي أبو بكر العدني ، فمرض سيدي العدني بـ(مكة) وسيدي عبد الرحمٰن مكلِّف علىٰ زيارة جده عليه أفضل الصلاة والسلام ، فطلب سيدي العدني من سيدي عبد الرحمٰن أن لا يسير إلىٰ (المدينة) ويخرج معه ، حتىٰ إن سيدي العدني قال للجمالة : من شل ابن عمي بايصيبه شيء ، فخرج سيدي عبد الرحمٰن إلىٰ المطاف ، فرأىٰ رجلاً يطوف علىٰ صورة والده علي بن أبي بكر ، وقال له : لا تقاوي القدرة ، اخرج مع ابن عمك ، وستزور النبي ﷺ .

فخرج الحبيب عبد الرحمٰن مع العدني ، ولما وصل (عدن) رأىٰ النبي ﷺ ، وقال له : يا عبد الرحمٰن ، لا تحزن ، عادك تعود وتزورنا .

فقال سيدي عبد الرحمٰن : حتىٰ إني احتلمت تلك الليلة من لذة الرؤيا للنبي ﷺ ، مع أني قليل الاحتلام . أو كما قال .

وقال نفع الله به ـ : حسرة كبيرة علىٰ الإنسان إذا بَيَّضَتْ لحيته ولا رأى شيء ولا عرف شيء من حق أهله ، بغينا نذوق ماذاقوه ، ونشاهد ما شاهدوه ، ولٰكن . . ما يحصِّل الإنسان شيء إلا بالتعرض والتملق ، قال الله تعالىٰ لمريم : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم : ٢٥] ربي قادر أن يحني لها الجذع ، ولٰكن لابد من السبب ، أصل الإنسان يقبل علىٰ الله ، ويجعل نبيه وسلفه واسطة . يابخت الولد لي حَبَّهُ سيد الوجود ، وحَبَّه الفقيه ، الله يجعل لنا محل عندهم .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الله الحداد أنه لما ابتدأ

ظهوره . . حُسِد ، حتىٰ إن رجلاً سار إلىٰ (عينات) فدخل إلىٰ عند منصب الشيخ أبي بكر ، فقال له : إن عبد الله حداد بغا مثل الشيخ أبي بكر ، ألقى ديوان وتصانيف .

فلما دخل الحبيب عبد الله لزيارة الشيخ أبي بكر دخل إلىٰ عند المنصب ، فقال له المنصب في أثناء كلامه معه : سمعنا أنك بغيت مثل الشيخ أبي بكر ، ألقيت وألقيت ؟

فقال الحبيب عبد الله للمنصب : ومن الذي أعطىٰ الشيخ أبا بكر؟ فقال المنصب : الله ، فقال الحبيب عبد الله : باقي أو ذهب ؟

فقال المنصب : باقي ، باقي ، باقي .

وهل يعطيني أم لا ؟

فقال المنصب : يعطيك وزيادةً ، يعطيك وزيادةً ، يعطيك وزيادةً . ومع المنصب قَرْن زباد ، فعبق الحبيب عبد الله ، ورجع المنصب يسير من (عينات) يحضر مدرس الحبيب عبد الله بـ(السُّبَيْر) كل أحد .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب محمد بن علي خَرِد صاحب « الغُرر » أنه يقول : إن من الناس لم يكونوا كثيري أعمال ، ولـٰكن بسبب اعتنائهم ومداومتهم علىٰ زيارة (زنبل) يبلغون ما يبلغونه أهل الأعمال الكثيرة . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : لو سرت في (حضرموت) كلها . . ما باتجد برزخ مثل هـٰذا البرزخ ، باتحصل قبر مثل قبر الفقيه فيين أو قبر السقاف ؟ وكم وكم مقام عظيم جم .

دخل درويش إلىٰ (تريم) فسئل عن (تريم) فقال : كل بلدة دخلتها أجد النور إما عند قبر أو في مسجد ، وأما (تريم) وجدت النور عند قبورها ، وفي مساجدها ، وفي شعابها ، وفي طرقها . أو كما قال .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ أنه يقول : لو ما نهىٰ المصطفىٰ عن الدعاء بالموت . . لدعوت الله به .

وكان يقول : ما أحب البقاء في الدنيا إلا لثلاث خصال :

الصلاة ، وخصوصاً آخر الليل .

والدعوة إلىٰ الله .

ولتعليم أولادنا .

وكان الحبيب عبد الله بن عمر المذكور يقول أيضاً : زهدت في الدنيا من جميع الوجوه وإنَّ ألم الموت الذي يصفونه في الكتب لنا لا يزيد علىٰ هـٰذا الألم الذي بي .

ومما يحكيه عنه : لا أُفَضِّل أحداً في تربة (تريم) علىٰ سيدنا علي بن علوي خالع قسم .

قيل له : ولم ذلك ؟

قال : لأنه بلغ مرتبةً وخُصَّ بخصوصية لم نسمع بأن أحداً من المشايخ بلغها ، وهي : أنه إذا كان في الصلاة أو غيرها وسلم علىٰ الرسول ﷺ . . يرد عليه ، ويقول : وعليك السلام يا شيخ ، ويسمع الحاضرون صوت النبي ﷺ . أو كما قال .

ومما يحكي عنه أنه يقول : اجتمعَتْ في خالي طاهر شروط الإمامة العظمىٰ ، واجتمعت في خالي عبد الله أحوال أهل المشرع . ويقول : خالي عبد الله من العارفين .

ومما يحكيه ـ رضي الله عنه ـ عن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ أيضاً أنه قال : كنت في بعض البلدان عند بعض الأصحاب ، فقال لي : إن حاكم البلد ـ وكان ظالماً جائراً ـ يريد الاجتماع بك ، وإنه ممتثل لما

تأمره به ، فاعتذرت من ذلك ، فكلف عليَّ ذلك الصاحب وقال : لابد من اجتماعك به ، وإني قد أرسلت إليه أن يأتي بكرةً .

فبت تلك الليلة بعد أن أجبته للاجتماع به ، فرأيت سيدنا عبد الله بن أبي بكر العيدروس يقول لي : أنت وصاحبك فلان لا يصلح اجتماعكم بفلان ، وذكر ذلك الظالم ، فأيقظت صاحبي آخر تلك الليلة وخرجت من البلد في ذلك الوقت ، وبقي في خاطري من تلك الرؤيا وعدم بيان سبب النهي من سيدنا العيدروس شيء ، فرأيت الليلة الثانية خالي طاهراً ، فأخبرته بأني رأيت العيدروس وقال لي : لا يصلح اجتماعك بفلان ، ولم يبين لي ماالسبب في ذلك .

فقال لي : من اجتمعت فيه ثلاث خصال . . وجب علىٰ الناس إذا أمرهم بشيء أو نهاهم عن شيء امتثاله ، وإن لم يبين لهم السبب في ذلك .

فقلت له : وما هن ؟

فقال : علم كثير ، وعقل كبير ، وكشف غزير .

وقد اجتمعت تلك الخصال في العيدروس .

وذكر سيدي أحمد بن عمر بن سميط في كلامه : أن سيدي الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس ، لما رأىٰ أخاه سيدي الشيخ علي بن أبي بكر متعلقاً بالعلوم الظاهرة ولا له ميل إلىٰ علم التصوف . . كتب له جزء من « الإحياء » بالفارعة هي المسماة « بماء الذهب » ، فلما طالعه سيدي الشيخ علي . . مال إلىٰ علم التصوف ، وصار شيخ المهيع ، وجمع بين العلمين ، وصار حجةً كل ما ينقل عنه ؛ مثل الإمام النووي .

قال الحبيب عبد الله الحداد :

عليْ بْن أبي بكر الملاذ إمامنا وعمدتنا في نقل علم الحقيقة

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ومما نقل عن سيدي عبد الرحمٰن بن علي بن أبي بكر السكران ، أنه يغتسل لكل فرض ، وكذلك نسمع ممن يغتسل لكل فرض ، من المتأخرين : الحبيب حسن بن علوي الصليبية ، أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : قد يكون الإنسان ما هو كثير أعمال ولٰكن معه باطن صاف ، ما فيه حقد ولا حسد ولا رياء ، ولا غيرها من الرذائل الخسيسة ، فينال من الأسرار ما لا يناله صاحب الأعمال الكثيرة .

وسألني بعض الإخوان قبل الروحة في زيارة الوالد للسلف متىٰ تكون ، بالليل أو بالنهار؟ فقلت له : كان الوالد في ابتداء عمره كثير الزيارة لـ(زنبل) والآن صار قليل الخروج ، فلما جلس للروحة . . كاشفني علىٰ ما قلت ، وقال : تظنون الزيارة للسلف إلا بالخروج بالفعل ، لا بل خروجك زيارة ، وذكرك لهم زيارة ، والمقصود الأعظم : المحبة والرابطة بهم ، شُوْا ولد علوي قَيَّد :

الا يابخت من زارهم بالصدق واندر إليهم معتني كل مطلوبه تيسر

والصدق هو : أن تُصَدِّق بعلومهم وأعمالهم وكراماتهم .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : قد يكون الولد عنده شيء من العلم ، وله من الأعمال الشيء الكثير ، ولٰكن طريقة أسلافه ماله ميل إليها ، فيبقىٰ ظمآن ، مثاله كمن يَحُول بينه وبين الماء سَبُع ، ينظر الماء ولا يقدر عليه ، وهٰذا ما بايبارك الله في علمه ولا عمله ، إلا بمحبة طريقة أهله . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : أربعة من العلويين بلغوا الدرجة القصوىٰ في علم الظاهر والباطن ، وهم سيدي الشيخ علي بن أبي بكر .

وسيدي محمد بن عبد الله العيدروس ، صاحب « إيضاح أسرار علوم المقربين » .

والحبيب عبد الله الحداد .

والحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه .

وإذا باتعرف حقيقة ذلك . . شف كتبهم ، مثل « معارج الهداية » للشيخ علي ، شف « الحدائِق » لو دخل علينا داخل وقال : بينوا لي معاني هٰذه الحديقة ولو بيت واحد . . كلنا بانفقم ، غاية نحن نتكلم عليها من جهة إعراب أو لغة .

وكذلك « الرشفات » للحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله ، يقول الحبيب أحمد بن حسن العطاس ـ أو الحبيب علي بن محمد الحبشي ـ : ما يصلح لشرحها إلا ابن عربي .

و« الإيضاح » يقال : ما صُنف لآل عبد الله بن شيخ مثله .

و« ديوان ولد علوي » ، يقول الحبيب عبد الله : من عنده « الديوان » . . لا يحتاج معه إلىٰ كتاب غيره ؛ لأنا قد ضَمَّنَّاه من الأسرار والحِكَم ما لا يحصىٰ . ويقول : إن من مات وهو يحفظ شيء من نظمه . . يأتيه أهل البرزخ ينشدونه كلامه ؛ لمعرفتهم بما هنالك من مخبئات الأسرار وودائع الحِكَم والأنوار .

وقال بعضهم : إن (عليك بتقوىٰ الله . . إلخ) جمعت ما في « الإحياء » كله .

قال بعضهم : مما اختصوا به المتأخرون ثلاثة أشياء : القهوة البنية ، و« ديوان الشيخ عمر بامخرمة » و« شرح الحِكَم » لابن عباد .

وقال آخر : والرابعة : كتب الحبيب عبد الله الحداد . أهلنا كلهم رجال ، ما أحد خن قرشه . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : لو طلع الفقيه المقدم إلىٰ الجامع وطلب حضورنا ، وقال لنا : شوا الطريق الزينة كذا والعلم كذا والعمل كذا . . فأول مخالفة له باتقع من أولاده ، وأما لو جاء مصري أو عراقي أو غيره . . لتسابقنا علىٰ حضور مجلسه وقبول ما يقوله عيب علينا نخالف أهلنا ونحب طريقة غير طريقتهم .

ثم قال : والله إن سلفنا يئنون في قبورهم وأكثر . . من تَغيُّر السِّيَر ، تجد الولد يختار لباس ما أحبوه أهله ، يختار علم ما قرروه أهله .

وتمثل بقول الحبيب عبد الله الحداد :

وزمـــان عُكِّســـت أحـــوالـــه صـار فيـه الـوجـه فـي حـد القفـا

وقال ـ رضي الله عنه ـ بعد إنشاده بهـٰذا البيت للحبيب علي بن محمد الحبشي ، وهو قوله :

حَيَّر بعقلي وفي مثله تحير العقول مَيْلُ الفروع الزكيهْ عن طريق الأصول

شُوْا نحن ملنا عن الطريق ، جنينا جم ، جنينا علىٰ علومهم وعلىٰ أخلاقهم ، وعلىٰ محو عوائدهم ، ما هم داريين أن المحو إلا بايكون لهم ما هو لسلفهم ، ما نقدر نجازي المهاجر لما خرج بنا إلىٰ هـٰذه الأرض ، ولا خرج من (البصرة) إلا لما نظر لعاقبة الأمر .

الله يحفظ (حضرموت) ، واحد رأىٰ النبي ﷺ فقال : هل أنت فرحان بخروج المهاجر إلىٰ الله أحمد بن عيسىٰ إلى (حضرموت) ؟

فقال ﷺ : أنا أفرح بما يفرح به أحمد بن عيسىٰ .

الله يديم هـٰذه النعمة علينا ويرزقنا الشكر عليها ، ما هو نسعىٰ في زوالها . واختلاطنا بالأجانب نخاف منه جم ، الله يحفظ ويسلم .

ثم قال أحد الحاضرين : الله يطوِّل عمركم .

فقال الوالد : بركة يوم مضت من عمري خمسين بانخرج إلىٰ البرزخ بانشوف أهلنا ، آه نشوفه في الدنيا ؟ ما شيء يسر فينا . ثم أنشد قول الحبيب علي :

تنكـر وقتـي أورث الحـزن والهَمَّـا وكيف وأهل الوقت قد أهملوا العلما

أخلاق أولادنا تميت الخَيِّر العاقل ، ما من الجرأة خير ، تجد الولد يحب أن يكون جريء متكلم . . إلىٰ آخر ما قال .

ومن أثناء مذاكرة بمولده قال ـ رضي الله عنه ـ : الله يرد علينا بردِّه ، شُوْا ذا وادي ابن راشد كان مشحون بكل الفضائل ، والآن! ملیناه فضايح ، قال الحبيب علي :

فآنّ وادي ابن راشد كان مأوىٰ الفضائلْ كم وكم فيه من عالم وعارف وواصلْ

الله يبدل الحال بأحسنه . الحمد لله ، معنا رب ، خلوا نحن نقصده ، مناديه ينادي : هلِ من تائب ، هل من طالب حاجة ؟ قال تعالىٰ : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

أهلنا أصلحوا دينهم ودنياهم ، وأما نحن . . لا دين ولا دنيا حتىٰ مِنَّنَا مَن يخلِّفون له أهله مال وهو يضيعه ، وهـٰذا بسبب عدم العلم والسيرة الحسنة ، وعدم القناعة . ثم تمثل بهـٰذا البيت :

مَن تردَّىٰ برداء لم يرثه من أبيه سوف يأتيه زمان يتمنىٰ الموت فيه

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ما أحد معه شرف مثل شرف أهل البيت النبوي ، ولـٰكن يلزم نحن شكر هـٰذه النعمة ، وشكرها : عمارة أوقاتنا بالعلم والعمل ، والسَّيْر بسَيْر رجالنا . آه السبب أهلكم ذكرهم باقي إلىٰ الآن ؟ لما أنهم أعطوا الشرف حقه ، وأما نحن . . ما عرفنا قدر الخلعة

التي خلعها الله علينا ؛ ولهـٰذا شمتوا بنا وقالوا : ما كم سادة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : إذا باتعرف نفسك وقصورك . . اعرض نفسك علىٰ ترجمة من تراجم أهلك ، شف آه قالوا في الترجمة ؟ عمل كذا ، قرأ كذا ، وأنت خَلِيّ ما تبعتهم حتىٰ في خصلة واحدة ، ارجع خاطب نفسك قل با ألْحق بأهلي ، تنسب نفسك إليهم وأنت مباين لهم في الأقوال والأفعال ؟

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور أنه إذا كان ليلة ختم باعلوي ، أو ختم السقاف أو المحضار ، وأراد الذهاب لحضور الختم . . فيخرج من بيته ويبكي ويتوسل بصاحب المسجد ، هـٰكذا يقول : يا عبد الله باعلوي ، أو يا سقاف ، أو يا محضار . . إلىٰ أن يصل إلىٰ المسجد ، ويخرج وهو ملآن بهم ، حضرت مرات كثيرةً معه . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : إذا بغا الولد أَنْ يكون خليفة لأهله وسلفه . . يطالع في تراجمهم ، ويخاطب نفسه بأعمالهم ، السادة حقيقة إلا بالعلم والعمل ، لا بركوب المواتر وتحسين الملابس ، لا تغركم مظاهر الدنيا ، جدوا ، واجتهدوا في طلب العلم ، لا يقول الإنسان : ما عندي فهم ، شُوْا في الغالب إن كثير الفهم يستكفي بفهمه ، ويشوف نفسه أن ما أحد أرفع منه ، وقد يكون للسلف نظر علىٰ قليل العلم ويكون منه نفع كبير للأمة ، وكثير العلم يقل نظرهم إليه فيفوت ولا أحد ينتفع به . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الدنيا ما بها شرف ، حتىٰ إنا لما تمحضنا دنيا وعظمناها إذا متنا ما عاد بانذكَ ولا بانْزار ، وأما رجالنا . . ذكرهم باقي .

قال سيدي علي بن محمد الحبشي للحبيب شيخ بن عبد الرحمـٰن الكاف : يا شيخ تغانم الحياة ، شف عاد نحن نجيء إلىٰ عندك ونتخبر

عليك إلا لما عادك في الدنيا ؟ وأما إذا مت . . معاد أحد بايزور قبرك ، بانسأل إلا عن قبر عبد الرحمٰن المشهور وأحمد الكاف ، وغيرهم من الرجال .

ثم قال : وأين لنا مثل شيخ الكاف ؟ هو تاجر من تجار الدنيا والآخرة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : لا تَفَاضُل بيننا يا أهل البيت ، كل نحن سواء ، الشيء واحد ولٰكن من اختُصَّ مِنَّا بفضيلة ينبغي أن يفضَّل ويحتَرَم ، وأما الإنسان ما هو كبير يوم يفتخر بآبائه ، وتمثل بقول الحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

ثـــم لا تغتـــر بـــالنســـب لا ولا تقنـــع بكـــان أبـــي

شُوْا لا فخر ببيارق ولا بطيالة ولا بغيرهما من المظاهر ، بل الفخر إلا بالعلم والعمل والسيرة الحسنة .

ثم قال : ضيعنا أوقاتنا مع الراديو والجرايد ، وغيرهما من المُلْهيات التي ساقها الشيطان لنا من تلك الجهات ، الله يجعل العاقبة خير .

وكان يحكي عن الحبيب عبد الله الحداد أنه يقول : من أخذ مني الذِّكْر أو طلب مني الإلباس ، أو صافحني أو صافح من صافحني . . دخل الجنة . ويقول : من رآني أو رآىٰ من رآني . . دخل الجنة .

وقيل : إنه قالها حتىٰ انقطع نفسه .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : إذا تأمل الشخص كلام ولد علوي . . عرف أنه نائب عن جده ﷺ حقيقة . نَشَدَ المُنْشد عنده بقصيدته : (تفيض عيوني) ، فبكىٰ الحبيب عبد الله واحمر وجهه ، فلما غلَّق المنشد . . قال له الحبيب عبد الله : احفظ من كلامنا ؛ فإن أهل البرزخ يسألونك بعد إذا مت ، يقولون لك : هل تحفظ شيء من كلام عبد الله الحداد ؟

فقال له : لك خاصةً ، أو لكافة الأولياء ؟

قال الحبيب عبد الله : ليَ خاصةً ؛ لكون أهل وقتي ما حملوا بي رأس ، ولا يعرفون كلامي إلا أهل البرزخ . أو كما قال .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الله بن علي الحداد أنه قال : كنت بـ(الحاوي) وكان الإمام بالصلاة الحبيب عمر بن حسن الحداد ، فلما ذات ليلة أمرني أن أصلي بهم لعذر قام بالحبيب عمر ، فدخلت فصليت بهم ، فلما انقضت الصلاة قال لي الحبيب عمر بعد الصلاة : يا عبد الله ، صلاتك هـٰذه موافقة لما قرروه الفقهاء ، ولـٰكن تقدر تعرضها علىٰ جدك رسول الله ﷺ . قال الحبيب عبد الله : لما قيل لي : تقدر تعرضها علىٰ جدك . . تصببت عرقاً وارتعدت فرائصي ، ووقعت موقعاً في قلبي . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : لا تيأسوا من كرم ربي ، لا يقول الإنسان : ما شيء بايقع لي ، ويشوف أن الذي بلغوه أهله وسلفه من المقامات عسر ، ما هو عسر ، لـٰكن علىٰ من أقبل وقوىٰ الرابطة بربه ونبيه وسلفه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ لي بغيته اطلبه من ربك .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : واحد جاء إلىٰ عند الحبيب عبد الله الحداد وقال له : يا حبيب عبد الله ، بغيتك تدعي . فقال له الحبيب عبد الله : أما في الدنيا . . بصرك بنفسك ، وأما في الآخرة . . أنا لك .

فلما كان الليل نام ، رأىٰ رؤيا كأنه قد مات وطرح في المقبرة ، فأتىٰ إليه الملكان ومعهما همة عليه ، فخاف خوفاً شديداً ، إلا وقام بجنبه الحبيب عبد الله ، فأصبح أخبر الحبيب عبد الله ، فقال له : ما هو لك وحدك ، بل لكل من له تعلق ورابطة بنا نفعل له مثلك . أو كما قال .

وكان يحكي عن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي أنه يقول : إن

الحبيب حسن بن صالح البحر والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر لي كالجناحين للطائر .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : لما طلع الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ إلىٰ (المدينة) سألوه علماء (المدينة) عن خاله الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، فأجابهم بقوله :

تخلىٰ عن المهلكات وتحلىٰ بالمنجيات ، ووصفه « الإحياء » وزيادة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : وُلاتنا لما ضيعوا العلم وصاروا جهالاً ضاعوا الرعية وسَيَّبوا العلم ، لأن الوالي إذا كان عالماً بايحب لرعيته العلم .

والجهل مصيبة ، والرعية صاروا شبه الغنم لي بلا راعي ، معاد دَرَوْا يروحون فيين ؟ مُهمَلين ، من بغا شي . . ألقاه ؛ لأنهم تربَّوْا علىٰ عدم القهر وعدم الخوف حتىٰ سلط الله علينا كافر ، والسبب في ذلك ولاتنا ، لَمَّا ما عاد كانت منهم دلالة علىٰ الخير . . ضعنا .

ذكر سيدي أحمد بن عمر بن سميط ، أن والياً من ولاة (تريم) ورده كل ليلة مئة ركعة . والثاني يفتخر علىٰ سائر البلدان بثلاث خصال في (تريم) ما هي في غيرها :

الأولىٰ : أنه ما يوجد حرام في بلده .

[الثانية] : ولا يوجد سارق .

[الثالثة] : ولا يوجد محتاج ؛ بسببِ مواساة الأغنياء للفقراء .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ما تشتت أمور أهل الزمان إلا بعدم الاعتناء بحفظ القرآن ، شفوا تراجم أهلكم ، ولد بـ(تريم) وحفظ القرآن العظيم ، وفي زماننا هـٰذا تجدهم إذا قالوا لهم : فلان يتحفظ القرآن . . لا يعبئون به ، ولا يحثونه علىٰ الجد والاجتهاد ، بل ، الله يحفظ ما يثبطونه ويقولون له : حفظ القرآن تعب وانته ما باتقدر .

وإذا حفظ الولد قصيدة ، أو قام يخطب يقل الأدب علىٰ شيابته قالوا : هـٰذا ولد نجيب وشجعوه علىٰ ذلك حتىٰ يظن الولد أن ما عاد أحد كماه ، بل الكامل والسيد حقيقة هو الحافظ لكتاب الله ، العامل به ، « **من حفظ القرآن فقد أُدرجت النبوة بين جنبيه** » .

ثم قال : أولاد الزمان ابتلَوْا بدعاوي وبلاوي ، إذا كان الولي الحي يكرههم ويضيق منهم . . من باب أولىٰ أهلهم وسلفهم . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : بغيتوا تزورون نبي الله هود ، توجهوا إلىٰ الله في أن الله يرد ما ضاع من سير أهلنا وعلومهم وأحوالهم ، ما هو تسيرون إلا لأجل البسط والهدية والعادة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : واحد دخل إلىٰ (تريم) في وقت الحبيب عبد الله الحداد وقال : ما في الموتىٰ إلا الفقيه المقدم ، ولا في الأحياء إلا الحبيب عبد الله الحداد .

ثم قال سيدي : أخاف عليكم يا أهل (تريم) أن يدخل الداخل ما يجد أحد يطلب منه الإجازة أو الإلباس أو الدعاء ، والسبب : أنكم غيرتوا هيكل أهلكم ، معاد أحد بايحسن الظن فيكم . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : مما يحكىٰ عن الحبيب عبد الله الحداد مع تلميذه الشيخ حسين بافضل من الكرامة المشهورة في (المدينة) وذلك أنه أدنف الشيخ حسين وأشرف علىٰ الهلاك ، فوهب له سيدي عبد الله الحداد شيئاً من عمره ، واستوهب له من كل من حضر عنده كل علىٰ حسب قدره ، فجمع ذلك الحبيب عبد الله وكتب في ورقة ، وأخذها الحبيب عبد الله وتوجه بها مواجهة القبر الشريف ، وتوسل به إلىٰ الله تعالىٰ في أن يقبل ذلك . . .[1] . اللطيف ، فانصرف منشرحاً قائلاً :

---

(١) كذا بياض في الأصل .

قد قبل الله الشفاعة ـ بعدما كان علىٰ شفا ـ ببركة المصطفىٰ وآله أهل الكرم والوفاء . يحكي ذلك عن كتاب « بهجة الفؤاد » وهي منقولة منه .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : من أَلَّف نفسه الخير أَلِفته ، ومن ألفها الشر ألفته ، ولا ضَرَّ نحن إلا الخِلْطة ، شُوْا من أَلَّف نفسه إحياء ما بين المغرب والعشاء في مسجد ما عاد يقدر يتركه ، أو ألف نفسه الجلوس علىٰ دكة أو عصبي للخراط ، آه الأخبار . . باتألف ، وفطمها عسر جم :

والنفس كالطفل إن تهمله شب علىٰ حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وقال ـ رضي الله عنه ـ : إذا أحبوك أهلك بايتحفونك بمدد عظيم ، ولـٰكن لابد من التعرض ، أخذت الناس الغفلة ، راحت الأعمار في قيل وقال :

ما تسمع إلا غيبة أو نميمة وكل كلمة فاحشة عظيمة

عسى لنا ملاحظة من أهلنا ، وإذا ما حصلت ملاحظة فأنت خالي ، العلة الكبيرة الإعراض ، وأما إذا بقي الولد يتملق ويتردد . . لابد أن تكون له عناية :

وش يعذر الهيج من حِمْله إذا هو سمين .

إلا يالله بنظرة من العين الرحيمة .

تداوي كل ما بي من أمراض سقيمة .

الحمد لله ، ما أحد معه سلسلة مثل سلسلتنا ـ يا أهل البيت ـ تنتسب إلىٰ الفقيه المقدم ، واطلع إلىٰ سيد الوجود ما تجد أحد من أجدادك خن قرشه ، الخنه إلا وقعت عندك ، آباؤنا من قصر عليه العلم تجده ملآن بمحبة أهله وله من الأعمال الشيء الكثير .

وكان يحكي عن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ أنه دخل مرةً إلىٰ غيل باوزير وقصد المسجد ، وكان بذلك المسجد أخدام للشيخ باوزير

يعملون حضرةً ، وكانوا يمططون الألفاظ ويلحنون لحناً فاحشاً ، فأنكر عليهم الحبيب عبد الله ، فلما قام آخر الليل إلىٰ المسجد وشرع يركع علىٰ عادته إلا وشخص دَوَّر عليه دائرةً ، فما درىٰ سيدي عبد الله إلا وخرج الشيخ باوزير من قبره وناشر سيف ، فما وصل إلىٰ عند الحبيب عبد الله وما قدر يتجاوز الدائرة ، وخاطب الحبيب وقال له : كيف تنكر علىٰ أخدامي ؟ أما تعلم أنهم يحملهم جاهي ؟! والآن تَحَكَّم لي وإلا قتلناك .

فقال الحبيب عبد الله : أنا شيخي عبد الله بن حسين ، ما بااتحكم لك . واهترىٰ الحبيب عبد الله بأسلافه ما درىٰ إلا باثنين بجنبه ، واحد عن يمينه ، وواحد عن شماله ، قيل : الذي عن يمينه الشيخ المحضار ، والذي عن شماله الحبيب عبد الله بن حسين ، فلما رأىٰ الشيخ ذلك الرجلين . . رجع إلىٰ قبره مثل الهر ، فلما أصبح الحبيب عبد الله . . قال : شلوا نحا من هـٰذه البلدة ، ما في نحن طاقة . أو كما قال .

وتكلم ـ رضي الله عنه ـ في مولده بمسجد سرور في (٢٠) شهر رجب سنة (١٣٥٨هـ) بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب علي بن شيخ بن شهاب الدين ، وهي : مقاصد الخير مفتاح العنايات .

فقال سيدي : سمعتم هـٰذه القصيدة العظيمة ؟ شوا ما أحد جمع مثلها ، بَيَّن لنا كيفية الزيارة وترتيب من زار من أسلافنا .

الحمد لله ربي جعل لنا وسائل ، جعل القرآن وسيلة ، وزيارة الأنبياء والأولياء وسيلة .

السلف إذا نابهم أمر . . ساروا إلىٰ نبي الله هود وشكوا إليه ما حل بهم ، ويحصل الفرج ببركة هود صلىٰ الله عليه وعلىٰ نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام .

قال الحبيب علي بن حسن العطاس : (حضرموت) فضلت غيرها

بأربعة أشياء : بزيارة نبي الله هود ، وبكثرة أهل البيت ، وقيام رمضان ، والخريف .

فيش يا إخواني كل واحد مِنَّنَا مِن قَدَمه إلى رأسه أسود ، اليد تشكي والعين تشكي والرجل تشكي واللسان كذلك ، قال الله تعالىٰ : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] . سمع بعض الصحابة النبي ﷺ يقرأ هٰذه الآية : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣] فخر ميتاً .

ثم قال : مواقف القيامة هائلة ، قال ولد علوي :

مواقف من أهوالها وخطوبها يشيب من الولدان شعر الذوائب

قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] الآية . الشيطان قائم لنا بالمرصاد ، يشغل نحن عن الخيرات ، وألْهىٰ نحن باخبار وأعلام ، من يوم نصبح كلامنا : قال آه الرديو ؟ قالت آه الحكومة ، قررت آه ؟ ارجعوا إلىٰ ربكم ولا تخافون من هٰذه الأراجيف ، قد ضمكم في هٰذا الوادي أحمد بن عيسىٰ ، وربي إذا أراد إيقاع أمر . . بايقع ، ولا حد يقدر مِنَّنَا يرده ؛ الكون ملكه والعبيد عبيده ، يفعل فينا ما يشاء ، خلوا ثقتكم بربكم ونبيكم وسلفكم ولا شيء بايضركم ، فأنتم في حصن حصين ، لا تخوِّفون إخوانكم بالحرب ، وأما الكفار . . الله يهلكهم ويشتت شملهم ويفرق جمعهم .

وأنتم إذا سرتم في الطريقة الحسنة ، وصدَّقتم بما قالوه أسلافكم وأحببتم ما أحبوه . . سيحفظ الله أجسامكم وأموالكم ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن : ١٦] .

ارجعوا إلىٰ الله ، أوقات نمَضِّيها علىٰ عدم فائدة فنحن مسؤولون عنها ، ومن هو مضيّع أشْرُدْ منه ، شُوْا نحن رأينا أهل البشكات الذين

يجلسون علىٰ مجالس غيبة ونميمة تبهذلوا ولا عاد لهم ذكر ، لا دين ولا دنيا ، شوا ضياع الوقت في الترهات مسخة دين ودنيا ، والعيب الكبير أن عادك طالب علم ، شوا نحن ما عاد لنا حرمة يا طلبة العلم ، والسبب أن نحن ما عرفنا الخلعة التي خلعها الله علينا ، سيرة أسلافنا بجانب ونحن بجانب ، أما تعلم أنك مسؤول عن عمرك وشبابك وصحتك ؟ عسىٰ نظرة ، عسىٰ نفحة :

يمكن الولد يمر عليه الشهر ولا يذكر أحد من أسلافه ، كيف سيرتهم ، كيف مضوا في هـٰذا الوادي ؟ إذا نسيت أهلك . . باينسونك .

ثم قال : هـٰذه الأشهر مواسم ، رجب وشعبان ورمضان ، مضىٰ علينا رجب ولا شيء ظهر علينا ، حَدْ رآىٰ سيد الوجود ﷺ ، أو رأى أحد من سلفه ؟ لا ، نبيت نخربط في أحوال الدنيا وبايهل علينا شعبان ، وجعلوا السلف فيه زيارة نبي الله هود ونِعْم الزيارة ، زيارة نبي مرسل تحصِّلها فيين ؟ أسلافنا تحدثوا ، وذا يقول : فُتِح لي ، وذا يقول : أُعطيت كذا ، وأما نحن . . أعمالنا خاربة ، تجد نحن نفكر إلا في المركوب والهدية ، قال : حاجة الفلاني ، خرقة الفلاني ، والسَّيْر بايكون في موتر أو غيره ، فكل الزوَّار بايصلون إلىٰ الشعب ، الراكب والماشي ، ولـٰكن التفاوت بايكون علىٰ قدر الرابطة والمشهد ، فمِنَّا من بايرجع مزود ظاهر وباطن ، ومِنَّا من بايرجع بالخرج ملآن وهو خالي مما مع الرجال ، الله يحفظ ويسلم . . . إلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، أنه يقول لأولاده : صلوا مثل صلاتي ، واتلوا مثل تلاوتي .

وكان الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ يقول : إن خالي عبد الله اجتمعت فيه أحوال أهل المشرع ، وممن شفع في أهل عصره . ويقول :

إن خالي طاهراً ممن اجتمعت فيه شروط الإمامة العظمىٰ . أو كما قال .

وذكر ـ رضي الله عنه ـ سيدي الحبيب عبد الله بن علي بن حسن بن الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، أنه كان بالوهط وحاله عظيم ، جم ، قيل لما خرج سيدي محمد بن علوي صاحب (مكة) إلىٰ (حضرموت) وزار (تريم) وغيرها ، ورجع إلىٰ (الشحر) فأمره أحد من السادة ال العيدروس بالدخول إلىٰ عند الحبيب عبد الله المذكور ، فدخل الحبيب محمد إلىٰ الوهط ، ودخل إلىٰ عند الحبيب عبد الله ، فخاطبه وقال له : يا محمد ، هل أدركت شيئاً من القرن العاشر ؟

فقال سيدي محمد : لا .

فقال الحبيب عبد الله : لو أدركت شيئاً من القرن العاشر لأوصلتك إلىٰ الله في أسرع وقت ـ وفي رواية : لبلغت مطلوبك في أسرع وقت ـ والآن اجلس عندنا ، فجلس الحبيب محمد عند الحبيب عبد الله وكان شُغْله يروِّح علىٰ الحبيب عبد الله ويملي حوضه ، وزوَّجه بنته ونظر إليه وملاه ، ثم أمره بالذهاب إلىٰ (مكة) وصار محمد بن علوي يقال : إنه ما يدخل عليه الداخل ويراه إلا ويذكر الله من الجلال والهيبة الذي عليه .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : عاد أحد داعي مثل ولد علوي ؟ دعا الناس بلسانه وقلمه وجَنانه ، تأملوا كلامه ؛ فإنه مرهم ودواء للقلوب العليلة .

قال الحبيب علي بن محمد الحبشي : لما جئت إلىٰ (تريم) وزرت السلف . . افكرت آه بايدخلنا علىٰ أهلي ؟ فأنشدت مديحة في الحبيب عبد الله الحداد ، مطلعها :

بالفتح والإرشاد والإمداد ثبتت قواعد شيخنا الحداد

فحصل المطلوب ورجعنا بشيء كبير . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي يقول عن

الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أنه يقول : إن الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان والشيخ عبد الله بن سمير هبت عليهم علياء العلويين حتىٰ صيرت رطبهم رطب ، يكاد أن يكونوا من أهل البيت حقيقة .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الرحمٰن بن علي ابن الشيخ علي بن أبي بكر السكران أنه صلى مع والده علىٰ جنازةٍ بجَبَّانة (تريم) فلما صلىٰ والده علىٰ الجنازة . . قال الحبيب عبد الرحمٰن المذكور لوالده : إني رأيت الميت لما خرجوا به من الدار وهو يبكي ، والآن لما صليتم عليه . . صار يضحك . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : عمل أهل (تريم) يقدمون صلاة العصر علىٰ الصلاة علىٰ الميت مخالفين لما يقولونه الفقهاء ، لعله : أن الشخص لما أنه بايتوجه إلىٰ الله في الدعاء للميت بالمغفرة أحبوا أن يكون بعد الفريضة ؛ لأن الإنسان يدخل للصلاة وهو أسود من الذنوب ، فإذا صلىٰ . . صفا ، وبايكون دعاه للميت أرجىٰ للقبول . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : تبدلت سيرنا وتبدلت أخلاقنا ، الله لا يبلي « **بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ** » .

فقدنا جميع الخير لما ترحلوا ومنهم خلا وعر البسيطة والسهل

عبد الله الحداد عدد جملة من رجال (تريم) ، آباءك ، اعرض نفسك علىٰ تراجمهم ، هل فيك شيء مما فيهم ، أم لا ؟ ظلمنا أنفسنا وظلمنا عيالنا ظلم كبير ، ظنَنَّا الشرف في أمور وهي مسقطة لشرفنا ، الخلق أموات ، لو بغيت وصي علىٰ أولادك ما تجد أحد تثق به .

قال الحبيب علي حبشي : عيب علىٰ الولد يوم يقول : أنا ولد فلان ، وهو مخالف ، ما تجد فيه حتىٰ خُلق من أخلاق أبيه .

الحبيب أحمد بن زين الحبشي عارض واحد من أولاد آل العيدروس

آل المعيقاب ، فأراد الحبيب العيدروس أن يصافح الحبيب أحمد وهو راكب ، قال الحبيب أحمد : اصبر خلنا اخرج من فوق الدابة . فبعد ما صافحه . . قال الحبيب أحمد : يا ولدي ، شف جدك عالم ، وأبوك عالم ، وجدك ورع ، وأبوك ورع ، جِد واجتهد لا تخليهم يقولون انقصعت في خريق الصغَيِّر .

فوقعت كلمة الحبيب أحمد موقعاً في قلب العيدروس ، فجد واجتهد في طلب العلم حتىٰ صار من كبار الرجال .

ثم قال سيدي : من طرحه محمد في حضنه . . تحدث بحديث عظيم ، أبو السبحة سيد الوجود يا خير رأس .

ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾

[آل عمران : ١٠٣] .

شُفْ عندنا هيج لي هو بالحُموله يثورْ

ثم قال : باانذكر نبينا وأسلافنا عسى يمدون نحن بشيء! ولا بايقع المدد منهم إلا إذا شافوك حريص علىٰ صلاتك ، حريص على أوقاتك ، ما تضيعها في قيل وقال ، ما بين العشاءين حريص علىٰ إحيائه وإن عاده في مسجد من مساجدهم ، آه بايكون فرحهم ونظرهم إليك ؟ لا تخلون نحن نعمر المساجد إلا في رمضان ، وبعد رمضان نطلقها ، الله يسلك بي وبكم مسلك حسن .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الإمام خَرِد ، تلميذ سيدي عبد الرحمٰن بن علي بن أبي بكر السكران ، قال : كنت ذات يوم أنا وسيدي عبد الرحمٰن بن علي المذكور نزور مقبرة : (زنبل) فقلت له : هل تحس بشيء من أهل القبور ؟

فقال لي : نعم ، كنت إذا قرأت القرآن عند قبر الفقيه وغلطت . . يرد

علي من القبر ، وإذا جلست عند قبر والدي علي بن أبي بكر . . يقول لي : قم يا عبد الرحمٰن لا تحرقك الشمس . حتىٰ إني في تلك الزيارة قمت أنا وسيدي عبد الرحمٰن إلىٰ عند صاحب قبر يريد زيارته ، فقال لي : إن صاحب هٰذا القبر صوته حسن ، حتىٰ إنه إذا قده يقرأ القرآن . . يجتمعون أهل البرزخ لسماع قراءته . أو كما قال .

وكان يحكي عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني أنه يقول : كان الناس دواءً ، ثم جاءت طائفة داء ودواء ، ثم جاءت طائفة داء .

وسيدي عيدروس بن عمر الحبشي يقول : كان الناس قلوب بلا نفوس ، ثم جاءت طائِفة قلوب ونفوس ، ثم جاءت طائِفة نفوس بلا قلوب . قال الوالد : هو وقتنا هٰذا ، تجد الواحد مننا جالس في المجلس وتمر عليه الآية والحديث والحكاية وهو غايب في وادي الأفكار للدنيا ، لو قلت له : هت شيء مما سمعت ، يقول : ما حفظت شيء . ولو قلت له : آه أخبار الرديو ؟ شرع يتكلم ومفتخر! . . وين الكلام فيين ؟ يظن أنه يتكلم في حديث محمد ﷺ ؟ ما هو داري أن هٰذه الأخبار من فتن الزمان . أو كما قال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : نحن يا أهل الزمان زَرْزَرْنا ثيابنا حتى تَزَرْزَرَت علينا ، تجد نحن يا أهل الزمان من حين يطلع الولد إلىٰ المكتب يطلع علىٰ الموتر ، وقلم الشبحه في الجيب ، ويجلسونه علىٰ كرسي ، ويِرْبىٰ علىٰ الدعوىٰ وقل الأدب ، ما تقدر تنظر إليه .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحكي عن الحبيب عبد الله الحداد أنه مر على ساني في مقوده ، فسمعه يقول : خابت شبُوبَه ما وصَلْتْ (يثرب) ، فقال الحبيب عبد الله : إذا مات هٰذا الشخص أخبرونا .

فلما مات الساني . . أخبروا الحبيب فأجر الحبيب عبد الله شخصاً

يحج عنه بخمسة ريال فقال سيدي الوالد : خمسة ريال من عبد الله الحداد أفضل من خمسة الاف في زماننا ؛ لأن فلوسنا كلها جمعت من شُبَه وحرام . بيوت (جاوة) من فيها ، شُوْا ظاهرنا بياض وباطننا سواد ، والعياذ بالله .

ومما يحكيه ـ رضي الله عنه ـ عن الحبيب عبد الله باعلوي : أنه مر علىٰ ساني ، وهو ينشد أبياتاً مذكِّرةً في الآخرة ، فقال الحبيب عبد الله باعلوي للساني : أعد الصوت .

فقال الساني : ما باأعيده إلا بضمانة بالجنة . فضمن له الحبيب عبد الله فأعادها ، فلما مات الساني . . أُخبر الحبيب عبد الله فحضر الصلاة عليه وخرج المقبرة وحضر الدفن ، فلما دفن . . رأوا الحاضرون تغير وجه الحبيب عبد الله ، والسبب أنه أتوا إليه الملكان يسألانه ، فقالا له : من ربك ؟ قال لهما : حبيبي عبد الله باعلوي . وكلما سألاه عن شيء . . قال : حبيبي عبد الله باعلوي . . . . . [1] .

* * *

---

(١) هكذا بياض في الأصل .

الفصل الثامن

في ذكر بعض ما امتدحه به الشعراء في حياته

قد امتدحه ـ رضي الله عنه ـ في حياته كثير من الشعراء ، وقرئت عليه مدائحهم ، ولـٰكنه كان معترفاً تمام الاعتراف لا يشهد من تلك المدائح ، إلا أن الله الذي أجرىٰ علىٰ ألسنتهم مدحه قادر علىٰ تحقيقها له .

فممن امتدحه : الشيخ الراجي من ربه الإحسان ، عبد الله بن محمد بازغيفان . وقد نظم هـٰذه القصيدة وقدمها له سنة (١٣٧٥هـ) وكتب قبلها ما يلي :

هـٰذه الأبيات خطرت بالبال في ليلة من الليالي ، متضرعاً بها إلىٰ الله تعالىٰ وسائلاً منه أن يمن بالشفاء لسيدي البقية لساداتنا العلوية ، الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب الدين ، حفظه الله تعالىٰ مولاه ، وبلطفه وعنايته تولاه ، اللهم آمين وهي :

مديت كفي لربي في الشفا للحبيبْ ... والمن بالعافية واللطف له عن قريبْ
يطول عمره وعمري والمحب والصحيب ... وتذهب الورد من جسمه وسُقمه يغيب
تعمر جميع المدارس والموالد تطيب ... هو سمعنا هو بصرنا والوسل والطبيب
خليفة أهله وأسلافه وكم من نجيب ... قد صار نسخة لهم تُقرأ وهيكل عجيب
طابت به أرواحنا وعصرُنا بِهْ خصيب ... أعني به القطب علوي الشهاب النقيب
ينشر علينا محاسن كل قطب منيب ... مثل الفقيه المقدم ذي المقام الرحيب

وأولاده الكل والسقاف ماله ربيبْ وأولاده الفخر والمحضار حالاً يجيبْ
والعيدروس المكرَّم والعلي الأريب والقطب أحمد شهاب الدين جد الحبيب
وفخر عينات من يدعىٰ بمولىٰ الكثيب والعارف القطب حداد القلوب اللبيب
وكم وكم وَسْط زنبل والفريط العجيب كالشيخ بافضل سالم والإمام الخطيب
وقفل ساداتنا سعدون نعم الأديب ياخيرهم ذخر من كانوا معه ما يريب
ومن شِنِيْهمْ فيا ليته يقع في القليب بهم توسلت في نيل الشفاء له قريب
ورفع ما حل به من ذا البلاء التعيب إلىٰ متىٰ يا حبايب وقتنا بايطيب
نعم الوسيلة لنا أنتم ونعم الطبيب لكم وجاهة علىٰ المولىٰ السميع القريب
ذا حسن ظني وفيكم قط ما بايخيب قولوا جَبَا هاك يا الخادم شفاء للحبيب
نجم السعادة طلع والنحس نجمه يغيب وصَلِّ ربي وسلم ما سجع عندليب
علىٰ ختام النبيين الحسيب النسيب والآل والصحب نعم الجيل ذاك المصيب

تمت ليلة الثلاثاء في (١٥) ربيع الأول سنة (١٣٧٥هـ) .

* * *

ومنهم الشيخ الفاضل محفوظ بن سالم بن عثمان . فقد قال ـ ممتدحاً له ، ومهنئاً بحصول الشفاء له من بعض الأمراض ـ هٰذه القصيدة :

لربي جزيلُ الحمد في كل لحظةِ علىٰ نِعَم تترىٰ لدينا عظيمةِ
لقد منَّ مولانا علىٰ المؤمنين إذ حباهم بإنعام وفضل ورحمة
بعافية القطب الملاذ إمامِنا وغوث البرايا عند كل ملمة
مقدَّم أهل العصر حقاً بلا امترا مجدِّد هٰذا الدين في كل لحظة
وجامع أسرار الذين تقدموا بلا مرية بل حاز سر الرسالة
ومحيي طريق القوم في كل ساعة بفعل وقول واضح مع هيئة
به الدين أمسىٰ آمناً في ربوعه فليس يخاف الآن من شر فترة

فما دام هٰذا القطب بين ظهورنا ... فليس نخاف الميل عن خير ملة
وأعني به علويَّ اِبن عفيفنا ... واِبن شهاب الدين شيخ الطريقة
فكم موقفٍ قد قام فيه مذكراً ... بآيات تنزيل الإلٰه العظيمة
وسنةِ خير الخلق أفضل مرشد ... وأقوال سادات الورىٰ خير عترة
وأقوال أهل الدين من كل صادق ... فلانت به صم الصخورِ الصليبة
فسالت دموع الغافلين حقيقة ... مِنَ ٱهل الجفا أهل الشقاق القطيعة
فخافوا من المولىٰ بتذكير سيدي ... وتابوا فأمسوا فائزين بتوبة
ولاحت عليهم بالقبول دلائل ... من البر والتقوىٰ وحسن الإنابة
وهٰذا رأيناه عِياناً بلا مرا ... بما قُلْتُه تشهد كل الخليقة
به أعين المختار قرت لأنه ... بذا العصر عند القوم خيرُ خليفة
وسُرَّت به أرواح أعظم سادة ... كمثل الفقيه الحبر شيخ الطريقة
فسل مكة الغراء هل فيكِ مثله ... وسل بلدة المختار خير مدينة
يجيباك ما فينا كمثل إمامكم ... ولا عُشْرِهِ أعظم بها من مزية
وسل عنه أهل الكون شرقاً ومغرباً ... خصوصاً عموماً من جميع البرية
فهل فيكمُ داعٍ وحَبْر وعارف ... كهٰذا الذي قد فاق كل البسيطة
يجيبوك ما في الكون طُرّاً كمثله ... ولو دُرْتَ أو فتشت في كل بلدة
وهٰذا هو الحق الصريح محقَّقاً ... فلا يمتري فيه سوىٰ ذي ضغينة
حسود ظلوم أحمق متجاهل ... فينكر ضوء الشمس وقت الظهيرة
فقد شهد الأقطاب من أهل عصرنا ... بإحرازه حقاً لكل فضيلة
وسِرِّ الذي قد حاز أسرار أهله ... وزاد عليهم من فيوضات منحة
شهاب العُلا والدين فيه جميعه ... وزاد عليه سيدي في الحقيقة
وليس مرادي ههنا حصرَ فضله ... لأنِّيَ عنه عاجز بالطبيعة

ولـكن مرادي أن أهني بذا الشفا جميع الورىٰ من كل حي وميِّت
أهني جميع الكون في كل لحظة بعـافيـة الـداعـي لكـل البـريـة
أهني أهيل الدين في كل موطن بعافية المصداق في كل لهجة
أهنـي جميـع العـارفيـن بـربهـم بعـافيـة الغـوث وشيـخ الطـريقـة
أهني أهيل القطر وادي ابنِ راشد بعـافيـة المحيـي لهـم خيرَ خطـة
أهنـي بـلاد العلـم والخيـر والهنـا تريم التي تزهو به كل لحظة
أيا بلدة الخيرات يهناكِ بالشفا شفا مَن به فاخَرْتِ كلَّ مدينة
هنيئـاً لنـا إن السعـادة قـد بـدت ولاحت علىٰ الأكوان شمس المسرة
وغرد طير الإنس فوق غصونه يهنـي جميـع الكـائنـات بفـرحـة
فللـه ربـي الحمـد والشكـر دائمـاً عِداد الذي في الكون من كل ذرة
علـىٰ هـٰـذه النعمـاء أعظـم نعمـة علىٰ الكون وأهل الكون في كل لمحة
فيا واسع الإفضال والجود والعطا ويا راحم الأكوان في كل لحظة
سـألتـك يـا رب بـذاتـك سيـدي وأسمائك الحسنىٰ وخير شريعة
وتنـزيلـك القـرآن والكُتْـب كلِّهـا وسيـدنـا المختـار خيـر الخليقـة
وآلِ لـــه نعـــم الكـــرام وصحبـــه نجوم الهدىٰ أهل التقىٰ والأمانة
وتـابعهـم مـن كـل حبـر وعـارف وأهـل العلـوم النـافعـات السنيـة
وبالأولياء والمرسلين جميعِهم وآل لهم والصحب من كل ملة
وأمـلاكـك الغـر الكـرام جميعِهـم وكـل ولـي فـي الـورىٰ وولـيـة
سألتك يا رب بهم أن تديم ذا الـ ـشفـاءَ لمـولانـا إمـام الطـريقـة
وفي كل حين أن تُدِيم له الرضىٰ وتُعطِيَهُ المأمول مَعْ كل صحة
وطـوِّل لنـا يـا ربنـا عمـر سِيْـدِنـا وسلطـاننـا بحـر العلـوم الـدقيقـة
وهبه سنينا ليس تحصىٰ لحاسب وبلغه ما يرجوه في كل لحظة

ودعوته فانفع بها كل مسلم ... وأَبِّدْ لها تبقىٰ ليوم القيامة
وَسُرَّ له قلباً برؤية كُلِّ ما ... يحب من الأولاد وآهل وعترة
وسائرِ أهل القطر والدين كلِّهم ... يرىٰ كل ما يرضيه في كل ساعة
وهٰذا دعاء للبرية كلها ... يعم الورىٰ من كل حي وميت
وشفعه يا مولاي فِيَّ فإنني ... مُسيء مَعِيب ذو عيوب كثيرة
تحليتُ يا رب بكل رذيلة ... وسيدُنا قد حاز كل فضيلة
فإني أضعت العمر في غير طائل ... مضى كله في غفلة وبطالة
فيا سيدي وافاك نظمُ مقصِّرٍ ... ذميمٍ حقير غارق في الخطيئة
وليس له في أبحر الشعر من يد ... فسامحه في أبيات منه ضعيفة
وحالِيَ لا يخفاك يا خيرَ مرشد ... فجد لي بمأمولي وجد لي بنظرة
بها أبلغ الآمال في الدين والدنا ... وأبلغه يا سِيْدي بها كل نية
فأنتم أهيل الجود والفضل للورىٰ ... وأهل العطايا الكاملات الجليلة
فما خاب من يسعىٰ إلىٰ باب جودكم ... وإحسانكم بل نال أعلىٰ عطية
علىٰ عبدكم مُنُّوا بكل فضيلة ... وداوُوه من أمراضه بمودة
تعطف علينا سيدي بتحنن ... وعم أصولاً والفروع بنفحة
وأصلح لنا ديناً ودنيا وآخراً ... وقلباً وأجساماً علىٰ كل حالة
وإن لم تَرَ المملوك أهلاً لفضلكم ... لتقصيره مَعْ كسب كل رذيلة
ففضلك مبذول علىٰ كل قاصد ... وإن كان عاص غارق في الخطيئة
فسامح عبيداً قد تجرَّأ عليكم ... وأعطوه من أفضالكم كل بغية
وصلىٰ إلٰه العرش ما لاح بارق ... علىٰ المصطفى والآل في كل لحظة
وأصحابه القوم الكرام وتابع ... علىٰ سُبْلهم يمشي بصدق ونية
وأَحمَدُ ربي كل حين علىٰ الشفا ... لسيدنا الحاوي لكل فضيلة

* * *

و[منها] : هـٰذه الأبيات للشيخ العلامة ، فضل بن عبد الله عرفان بارجاء ، أنشأها بعد أن زاره سيدي وهو مريض بداء الاستسقاء ، فطلب من سيدي الدعاء له بالشفاء من المرض ، فدعا له وشفاه الله ، فأنشأ هـٰذه الأبيات وأرسلها إلىٰ سيدي ، وهي :

الحمـد لله زار القطـب والشـرُّ فَـرّْ ... والعافيهْ جات وانزاح النكد والكدَرْ
هـٰذا بسر الذي للناس نوره غَمَرْ ... علوي حميد الشمائل بن شهاب الأَبَرْ
سلك طريقة رجاله قصها بالأثر ... طريقة المصطفىٰ ما حاد عنها آو فتر
داعي إلىٰ الله دائم بالعَشِيْ والبُكَرْ ... رَحْمه من الله لاهل البادية والحضر
يدعو لهم في ظلام الليل وقت السحر ... يـذود عنهـم نـوازل مـا يطقهـا البشـر
يدفع به الله عنهم كل بؤس وضر ... يابختنا بِهْ سعدنا بخت من له نظر
بحسن ظنه له يقضي جميع الوطر ... يا سِيْدَنا يا حبيب القلب نور البصر
نظره لنا تصلح الباطن وما قد ظهر ... وننظر السر لي عنا اختفىٰ واستتر
نعيش في عيش صافي ما يشوبه كدر ... عيش الرجال الكرام الصالحين الخِيَرْ
ثم الصلاة علىٰ أحمد عَدَّ طش المطر ... والآل والصحب والتابع لهم بالأثر
ما ناح قمري وغرد فوق رُوس الشجر ... وما حَدَا الحادي أو هبت نسيم السحَرْ

* * *

و[منها] : للسيد محمد بن عبد الله الهدار ، ساكن البيضاء ، هـٰذه القصيدة ، وقد كتب قبلها ما لفظه :

الحمد لله علىٰ نعمه المتوالية ، وأياديه الظاهرة والخافية ، وألطافه الخفية السارية ، وصلىٰ الله وسلم في كل لحظة أبداً أفضل صلاة وأزكىٰ سلام علىٰ المشفع في كل مهمة ، والمرجو لكل مدلهمة ، وآله الأئمة ، بدور الدُّجُنَّة ، حِداد الأسنة ، وأصحابه الأبطال ، وتابعيهم الأبدال ،

وعلىٰ وارث علومهم وحامل أعلامهم ، وحاوي أسرارهم وعاصب أقسامهم ، بدر الكمال المشرق ، في ظلام الجهل الحالك المحرق ، وغصن الأسرار المثمر المورق ، في زمن مضىٰ فيه الصدق وأهل الصدق ، من أحيا به الله موات العلوم ، ودوارس رسوم سير أكابر القوم .

فلتفخر الغَنَّاءْ بقطب زمانها ... بحر العلوم الواسع المتدفقِ
بإمامها الماحي ظلامَ قَتامها ... وَشِهابها بدر الكمال المشرق
حاوي فضائل من مضى من أهلها ... وربيعها الغيث الغزير المُغْدِق
يا وارثَ القوم الكرام وكاشف الـ ... ـكُرَب العظام ونور كل موفق
يا غوث كل مُفَزَّع وغياث كُـ ... ـلِّ مؤمِّل في مغرب أو مشرق
أنت الملاذ بأمر ربك والعيا ... ذ لأهل وقتك كاذبٍ أو صادقِ
عبد علىٰ أعتاب فضلك مدنف ... حيرانُ في ظلمات بحر مغرِق
ففؤاده في قسوة وذنوبه ... في كثرة والفعلُ غير موفق
وَصْفُ المنافق وَصْفُه ولقد تضا ... عف ضعفه والشيب لاح بمَفْرِق
أيامه ذهبت سدىً لم يأته ... منكم هدى يجلو صداه ليرتقي
يا ليته قد مات طفلاً ليته ... قد كان نِسياً ليته لم يُخلَقِ
يا ذخرَ كلِّ عظيمة ومزيح كُـ ... ـلِّ بلية عطفاً علىٰ العبد الشقي
أودت به غفلاته لعبت به ... شهواته أخذت عليه بمخنق
فحياته ونجاته في نظرة ... من عين مولاه الرحيم المشفق
قم نائبَ الأسلاف واحلل قيده ... وافتح فَدَيْتُك كل باب مغلق
وانظر إليه بنظرة نبوية ... علوية يرقىٰ بها مع من رقي
يشربْ شراب العارفين ويصطبح ... من راحهم وإذا انثنى فليَغْبُقِ
مَن غيركم للنائبات ومن سوا ... كم للكروب وكل خطب مُقْلِق
هيا كرام الحي هل من غارة ... للمستغيث المستجير المُوبَق

هيا ارحموا هيا أدركوا هيا انقذوا ... من صار في حَلْق المضيق الضيق
ما لي سواكم منقذ ما لي سوا ... كم مدرك فَبِكُم ألوذ وأتقي
بالله بالله العظيم عليكم ... أن تُلحِقوني بخير حزبٍ أَلْحَقِ
من للفقير سواكم من للضعيـ ... ـف سواكم من للأسير الموثق
ولنا وأهلينا وأهل ودادنا ... ظن بكم من كل مكروه بقي
ولنا مطالبُ جمةٌ ولنا مآ ... رب كثرة لابد من أن تلتقي
قل تَمَّ ما رمتم وزدنا فوقه ... أضعاف ذلك مع فتح مطلق
يا حامل الأثقال لفتة ماجد ... نحو العدو الناكث المتزندق
عاث الفساد بجيشه سفك الدما ... ءَ بطشه لا يرعوي عن متقي
أعوانه أهل النفاق وحزبه ... أهل الشقاق وكل مأبون شقي
عملوا الفواحش جهرة قتلوا النفو ... س بريئة وعَدُوُّهم مَن يتقي
مرقوا من الدين الحنيف وحاربوا الـ ... ـشرع الشريف بسيفهم والمنطق
والله ما تغني الفيالق ساعة ... عنهم إذا المحضار جاء بفيلق
وجموعهم وجميع آلة حربهم ... لا شيء إن جاء الفقيه ببندق
قم أنت أنت لها وهٰذا حِلُّها ... فاسلل حسامك وٱرْوِ رمحك واصدُقِ
نادِ الوصيَّ وآلَهُ وادع الفقيـ ... ـه وقومه وعلى السوابق فاسبق
عار عظيم في جبينك فٱمحُهُ ... فالحِمْل حِمْلك قم به واستوثق
واسأَلْ تُجَبْ واشفع تشفع واغسل الـ ... ـقُطْرَ المبارك نَقِّهِ مما لقي
ضاق الخناق أبا محمد فاستجب ... وٱسمَع وأَسرِع وٱسْعَ وٱعجِل وٱلْحَقِ
حزب الضلال قد استطال ولم يزل ... في بغيه الوحشيْ الرهيف المزهق
قد صَبَّ أنواع العذاب فصُبَّ فو ... ق طغاته سوط العذاب المحرِق
دَمِّرْهُ كُلَّ مدمَّر شتته كُـ ... ـلَّ مشتت مزقه كل ممزق

عـرفـه أن وراءه قـومـاً همـو حتف العدىٰ مَن حاربوه يُمْحَقِ
ثـم الصـلاة علـىٰ النبـي وآلـه سفن النجا مَن حاد عنها يَغرقِ

* * *

و[منهـا] : هـٰذه القصيـدة للسيـد الفـاضـل سـالـم بـن علـوي بـن عبد الرحمـٰن الخَرِد ، قالها ممتدحاً لسيدي ، ومهنئاً له بالشفاء :

شُفـي الكـون كلـه بشفـاكـا يـا إمـامـاً كـل الأنـام فِـداكـا
وسَـرَتْ فـي الفـؤاد روحُ حيـاة حينمـا مَـنَّ بـالشفـا مـولاكـا
واستنـارت ربـوعنـا إذْ أَطَلَّـتْ فـي سمـا أفقهـا شمـوس سناكـا
واستعـادت كـلُّ الـدروس قـواهـا حيـن عـادت إليـك بعـض قـواكـا
فـريـاض العلـوم تَبْسَـمُ لمـا فـاح فـي روضهـا أريـج شـذاكـا
وٱكتسَىٰ المجد حلة من فِخار نسجتهـا مـن التقـىٰ كفـاكـا
وبـك اهتـز منبـر الـوعـظ أُنسـاً حيـن مسـت أعـوادَهُ قـدمـاكـا
مـر ردح مـن الـزمـان علينـا مظلـم لـم يُنِـرْه بـدر ضيـاكـا
بـرهـة فـي خـلالهـا مـا سمعنـا واعظـاً داعيـاً إلـىٰ مـرمـاكـا
مـدة لـم تَـرَ العيـون مُحَيّـاً كمحيـاك لا ولا سيمـاكـا
وافتقـدنـا لمـا احتجبـت دروسـاً مـا وجـدنـا لهـا إمـامـاً سـواكـا
وبقينـا كـالبَهْـم نمشـي حيـارىٰ فـي ذهـول ممـا عـرىٰ نتشـاكـىٰ
نسـأل العـائـديـن عنـك صبـاحـاً ونعيـد السـؤال وقـت مَسـاكـا
كلنـا بـالشفـاء نلهـج حتـىٰ وهب البعض عُمرَهم لافتداكا
كيـف لا يفتـدون روح تـريـم مَـن حيـاة العلـوم فـي مَحْيـاكـا
تـارة يغلـب الـرجـاء علينـا فنمنـي نفـوسنـا ببقـاكـا
وتـذوب القلـوب طـوراً إذا مـا غلـب الخـوف مِـن تطـاوُلِ داكـا

غيـــر أن الإلـــه يعلـــم أنَّـــا ... لـك فـي حـاجـة فمَـنَّ بـذاكـا
فلـربـي أجـل شكـر وحمـد ... مـن صميـم القلـوب إذ عـافـاكـا
يـا لهـا ليلـة تحسَّـمَ فيهـا ... اشتيـاق الغنَّـاءْ إلـىٰ لقيـاكـا
ليلـة المـولـد التـي بـدُجـاهـا ... فـي سـرور بَـدَا لنـا مـرآكـا
سيِّدي علـويَّ يـا ابـن شهـاب الـ ... ـديـن يـا قطبَنـا الـرفيـعُ عـلاكـا
يـا إمـامـاً ربـاك أشيـاخ علـم ... حمَّلـوك الأسـرار منـذ صبـاكـا
وذَوُو الكشـف عظمـوك وقـالـوا ... مِن خيار العصور عصر حواكا
أنت مخطوب حضرة القدس حقاً ... فلهٰـذا قلـوبنـا تهـواكـا
أنـت فينـا محبـب ومهـاب ... جـل مـن بـالجـلال منـه كسـاكـا
أنـت حصـن لنـا إذا مـا دهـانـا ... أي خطـب نـؤم نحـو فِنـاكـا
أنـت والله للقلـوب طبيـب ... حـاذق يبـرىءُ السقـام دَواكـا
أنت فينا كالروح للجسم نفعاً ... فلهٰـذا إلٰهنـا أبقـاكـا
ربِّ واحفـظ لنـا إمـام تـريـم ... علـويـاً واحلـل عليـه رضـاكـا
هـب لـه يـا كـريـم عمـراً طـويـلاً ... فهـو فـي عصـرنـا منـار هـداكـا
وأبْقِـهِ متعـة لنـا فـي عـواف ... وقِـهِ يـا كـريـم كـل ابتـلاكـا
رب بلغـه مـا يـؤمِّـل فينـا ... وأعطه فوق ما رجا من عطاكا
واهـدنـا نهـج أهلنـا وأنلنـا ... مـا طلبنـاه مـن جـزيـل حبـاكـا
واحم بلداننا من الأجانب حتىٰ ... لا نـرىٰ فـي ربـوعنـا أعـداكـا
يـا أبـانـا بنظـرة جُـدْ علينـا ... وتعطـف فكلنـا أبنـاكـا
نظـرة تصلـح القلـوب وتحيـي ... كـل مَيْـت لكـي نلبـي نـداكـا
أيهـا السيـد العظيـم الـذي قـد ... وسـع الكـلَّ يـا ابـن طـه نَـداكـا
إن لـي مطلبـاً أريـد قضـاه ... فتـوجـه فـي نيلـه بـدعـاكـا
وإلىٰ سُوح فضلك الرحب أُهدي ... كلمـات قـد زانهـن ثنـاكـا

فتقبل نظمي وقل أنت مني ... في الدنا هٰذه وفي أخراكا
فلِيَ البشر إن حللتُ بقلب ... بين جنبيك أو نزلتُ حماكا
وصلاة الإلٰه في كل حين ... بعد طٰه وآله تغشاكا

* * *

وقال السيد حسين بن أحمد بن محمد الصليبية العيدروس ، ممتدحاً له :

أبدي بمن للفاتحه قد أنزلْ ... والواقعة وسورة الأنفالِ
الواحد الفرد الكريم الأولْ ... ذي الجود والإحسان والإفضالِ
يجيب من جاءْ تحت بابه يسأل ... باب الكرم مفتوح للسُّؤَّال
وأثني بسيدنا الرسول الأكمل ... محمد المختار مولىٰ بْلال
شفيعنا في الحشر ساعة نُنْقَلْ ... للمبعث المشهود والأهوال
يجيرنا من نار حمراء تشعل ... ويفك علىٰ الأمة من الأغلال
قال الفهيم العيدروس أتزعل ... نومي وقد له وقت في تْزعال
مِن جَور في هٰذا الزمن لا تسأل ... أفعالنا يا خسها أفعال
هٰذا وذا منظوم مني مرسل ... إلىٰ رفيع القدر ذي الإجلال
ابْن العفيف القطب علويْ ٱلأمثل ... أبو محمد حامل الأثقالِ
بِنْ عيدروس ٱبْن الشهاب إمْبجَّل ... ومعدن البرهان صيته عالي
يفتح من الأبواب ما يتقفل ... وينقذ الأمة من الأضلال
أدرِك وسارع في عجل لا تبخل ... لأننا في وقت ماله تالي
والمنصب العالي وراه ٱتْنَزَّل ... يشكي وقد عاثت به الأنذال
صرنا شبيه البَهْم ما نتعقل ... وحارَوُا الحذاق والعقال
كُلْ مَن ركز رأسه عَمَدْ يتبطل ... ويقول ذا حقي وهٰذا مالي

وصاحب الحق انظلم وٱتْسفل ... ويصيح أنا مظلوم حد يرثىٰ لي
القصد مَلْيِ البطن كُلْ من حصَّل ... شَبْعِهْ سرح يقطع في الأحبال
مولىٰ العَنِيَّهْ حقه ٱبْخَصْ وٱنزل ... قفله وراحت فَيْد للدلال
الوقت ما يعجب وفعله أرذل ... كم من مناكر هَدَّت الأجبال
كُلٌّ على تَوُّهْ قَطَبْ ما عَوَّل ... حد خذ إلىٰ يمنىٰ وحد لِشْمال
من لا مشىٰ في سيرته يتبهذل ... بالدُّوْن يِسْعِر كل ما هو غالي
انظر إلىٰ ما في الخلايق قد حل ... ولا صفا للناس بعض الحال
كيف البصر ولعاد حد يتحمل ... لٱصحاب والأعمام والأخوال
يا قلة الحيلة ولا نتحصل ... علىٰ الذي بايوفي المكيال
زمان قَلّْ مَن فيه ما يتحلل ... وفيه زاد الجور والإهمال
ورَحمة المولىٰ لها تتنزل ... والله يفعل ما يشاء فَعَّال
يلطف بنا ورحمته تتنزل ... ولا يؤاخذنا علىٰ الأعمال
أعمالنا عَيْفهْ وجوده أشمل ... عفوه سبق للويل والأَنكال
سِرْنا وزرنا هود والله يقبل ... نُسْقَىٰ من المشروب صافي زلال
رمضان شهر الخير جا وَتْوَصَّل ... يدخل بخيره والعطا يتوالي
يابو محمد ذو المقام الأجْلَل ... يا سعدنا بَكْ في المقام العالي
أنتَ وسيلَتْنا وبَكْ نتوسل ... ما حد عرف قدرك وعظم الحال
عندك وفي سعفك نوينا المدخل ... ولَكْ علىٰ المولىٰ كثير ادلال
يا بخت من في شجرتك يتظلل ... في الجنة الخضرا له الإجلال
والسِّرْ لي في الهاشمي يتنقل ... واليوم عندك في الزمان التالي
يشهد بهٰذا من لذاك ٱتْمثل ... يظهر له المشروح في التمثال
ومَن لنور الشمس ينكر أَخجَل ... ويسير في غَدْرا وفي إذلال
جزاك من ربك ولا تتحمل ... والعذر ماشي والدرك باعجال

وقصدنا كل الطلب يتكمل ... برزق واسع كالمطر واسبال
كُلْ ما تصعَّب بالهنا يتسهل ... وتنزل الرحمة ونشرب حالي
يا حول والبارق سَرَىٰ يتشعَّل ... من كل وادي سيل لي بالبال
بَشِّرْ وَنَا بَشِّرْ وذا الخير أقبل ... بعد العَسَرْ يسرين في الإنزال
والعافية للخلق أوسع وأشمل ... يا رب بلغهم فِي الآمال
وبعد طول العمر مُنَّ وأتْفضَّل ... يا الله بحسن الخاتمة يا والي
نظمي سَنَةْ وحده وسبعين أكمَل ... والألف وثلاث المئة بِأكْمال
في سلخ شعبان ارتقم وتكمَّل ... قَولي وَبَاأخْتِمْ بالنبيِّ الدال
محمد المحمود طَه المرسل ... محبوبنا تصلح به الأحوالِ
عليه صَلُّوا ما مُهَلِّلْ هَلَّلْ ... مِن بعده الأصحاب هم والآل

* * *

وقال السيد الفاضل عبد الرحمٰن بن حامد بن محمد السري هٰذه القصيدة :

هب نَوْد المودهْ والرضىٰ والكرامهْ ... فوق خيلهْ وعيديد استهلت غمامهْ
نَوُّها زين يمطر غيث مخصب رزامه ... بارق الخير علىٰ الغَنَّا يَلُوح ابتسامه
خير بلدهْ بها قلبي تزايد غرامه ... كل من حَبَّها لابُدَّ ترعىٰ ذمامه
ساسها ساس لا تخشىٰ عليه انهدامهْ ... مَن سكنها وحَلّْ بشِّره يوم القيامه
بالهنا والرضىٰ فيها رجال الزعامه ... خص أبو علوي العالي من الله مقامه
جوهرهْ لاَوْلِياءْ والكون بيده خطامه ... وأهل بَشَّار أهل القُرْب والاستقامه
لي بهم زانت الغَنَّا أحْرَمَتْ بالإمامهْ ... قبلة أهل القلوب أَحلِفْ بهٰذا قَسامه
من فراقي لها نفسي حزينهْ مُضامهْ ... حن قلبي شفىٰ الله ممن فؤادي سِقامه
بالحبيب الذي في الكون ربي أقامه ... شيخِي القطب لي مِنَّهْ بغيت الكرامه

بومحمد حبيبي بحره الفين قامه الشهاب الذي لُهْ طأطأَتْ كل هامه
عَلْوِي الزين جَلَّىٰ من قليبي قَتامه بالهدىٰ والندىٰ والمرحمة والزعامهْ
خزنة السر ظهرت لي بذاكَ علامه قلبِي الذاكر الشاكر وفيه الرحامهْ
شمسنا الضاحية في الكون مدت خيامه ينشر العلم في الغنَّاءْ ولا له سآمهْ
في السِّيَر والمناقب حلو يروي كلامه بحر تيار فائض للمكارم دعامه
في طريق السلف دائم يزيد اهتمامه لي عليها العمد لأهل الشرف والوسامه
آل عَلْوي رجالي درع ضافي ولامه رونق الكون هم للمجدِ ٱلأعلىٰ سنامه
وِأنْتِهِ اليوم وارثْ سرها لا مَلامه خصك الله وألقىٰ لكْ فِي الكون شامه
جُدْ بنظرهْ على المسكين يدرك مرامه في الهوىٰ واللعب طاغي وكُلُّهْ قُمامه
ما عرف شيء ولا يطرب بصوت الحمامه يا حبيبي متىٰ باتكشفون اللثامه
ينتظم في صفوف أهله لشرب المُدامه قل لهم ابنكم ضائع غرق في منامه
وٱنتم أهله بكم قَبْضُهْ وحبل اعتصامه كم لِيَ ٱشكي لكم وٱبكي خشيتُ الندامه
يوم قلبي يتابع في الدَّنِيَّهْ حطامه هيا هيا ٱسرعوا غارهْ بحق الرحامه
لي ولاَهْلي ولاَوْلادي تفيض الغمامه نلتحق بالنبي معكم بدار المقامه
وألف صلوا عليه إنه لقولي ختامه

* * *

وله أيضاً هٰذه القصيدة ، وكتب قبلها ما لفظه :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا وحبيبنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، **وبعد** :

فهٰذه أبيات ركيكة تتشرف بذكر ساداتنا وآبائنا العلويين ، وخليفتهم الكامل ووارث أسرارهم الجامع ، الحبيب الإمام ، سيدي وحبيبي

علوي بن عبد الله بن شهاب الدين ، حفظه الله ، ومتَّع به مُتعةً كافيةً وافيةً في عافية ضافية ، آمين :

يقول ابن هاشم نسيم الهنا ... هبت وأحيت كل مضنىٰ
من نحو عيديد استبان السنا ... ذاك الذي في طُور سينا
وكل صادق في المحبهْ دنا ... وطاب له من ذاك مجنىٰ
في خير وادي طاب فيه الغِنا ... كم فيه حاديْ الأُنس غَنَّىٰ
يبشِّر الصادق بنيل المنىٰ ... يهيِّجْ أشواق المعنىٰ
حَدْ راح يتغزل فِي المنحنىٰ ... وحَدْ إلىٰ بشار حَنَّا
بشار لي فيه الذخائر لنا ... أشرق عليها النور لاَسْنىٰ
حَلُّوه سادات الورىٰ حصننا ... بَاْضْرِب لهم يسرىٰ ويمنىٰ
من آل عَلْوي لي بهم فخرنا ... لهم مكارم ليسْ تَفْنىٰ
وخص أبو علوي الذي زادنا ... وبِهْ فِي الآفاق طلنا
فقيهنا أستاذنا شمسنا ... ما له مَثَل في كل معنىٰ
يابوعلي عبدك ببابك حَنَىٰ ... يرجوك إفضالاً ومَنَّا
يا نورنا الشارق ويا كنزنا ... متىٰ تفك الأسر عنا
نلحقْ فِي الدنيا حياة الهنا ... والآخرهْ أهنا وأهنا
انظر إلينا وآنْ ثقُلْ حملنا ... أنت الذي تَحْمِل ثَقَلْنا
وعَلْوِي القطب الغيور أصلنا ... لابُدّْ يُدرِك مَن تعنَّىٰ
باخوانه الكل اعتلىٰ برجنا ... وذكرهم لاغاب عنا
وعلي وعبد الله ساداتنا ... قالوا سِرِعْ وآلاَّ ظَهَرْنا
وعاد سقاف العُلا ذخرنا ... وآولاده الصفوهْ دَرَكْنا
محضارنا والفخر سكراننا ... لِي مِن محبتهم سِكِرْنا
والعيدروس القطب سلطاننا ... لي في عطيَّاتهْ طمِعنا

وصِنْـوُهُ ٱلمستـور فـي صفنـا ... وكـم لَـهُ المنـهْ علينـا
بـالعَـدْنِـي المـدراك نلنـا المنىٰ ... بـو بكـر بِـهْ فـي النـاس فـزنـا
بعبـد الـرحمٰـن الـوجيـه أنسنـا ... هـو حصـن فـي الغنـاء بلـدنـا
وعـاد ذخـري بِـنْ حسـن جـدنـا ... لـي جَـوَّحَ الـداجـي جَمَلْنـا
وذكـر فخـر الكـون لاغَبَّنَـا ... بـو بكـر بِـنْ سـالـم دَرَكْنـا
بحبيبنـا العطـاس هـو غـوثنـا ... بـن عبـد الـرحمٰـن استغثنـا
والقطـب حـداد القلـوب اعتنىٰ ... كـم شـاد فـي الإسـلام رُكنـا
دعـوتـه عمـت مـن هنـا إلىٰ هنا ... عسـىٰ لـدعـوتـه استجبنـا
وكـم لبشـار البشـائـر لنـا ... حصـون فـوق السـاس مبنـىٰ
والغيـر لا شُفْتُـهْ ولا شـافنـا ... معنـا ذخـائـرنـا سلفنـا
الحمـد لله امتـلأ كـأسنـا ... يـديـرهـا السـاقـي علينـا
زال الكـدر والشـوش زال العنـا ... فـي ركـب أهلينـا ارتبطنـا
ببـركـة الـذخـر البقيـة لنـا ... لـي مـن مـواريـده شـربنـا
يهنـاه والمـولـىٰ يعينـه لنـا ... مِنَّـهْ مـن المـولـىٰ علينـا
كـي بِـهْ فِـي الغَنَّـا اعْتِلا قصرنـا ... تـريـم بـه يـا خيـر غَنـا
أبـو محمـد بَخْتَنـا بختَنـا ... منـه المـدد واصـل الينـا
ويطيـل عمـره جـم فينـا ... بحـق طَـه المصطفىٰ جـدنـا
حبيبـي المشهـور علـوي دنـا ... بـالقـرب زائـد ثـم إنَّـا
نسـأل إلهـي يحفظـه كنـزنـا ... نـادىٰ لسلمـان أنـت منـا
فكيـف نسـل الطـاهـرهْ أمنـا ... بهـا وقعنـا خيـر أَبنـا
عسـىٰ بهـا نسلك طـريـق أهلنـا ... يصلـح ويتبـارك عملنـا
ويجمـع الله بـالنبـي شملنـا ... عليـه صلـوا مـا تغنـىٰ
حـادي ومـا طـابـت ليـالـي منىٰ ... ودار فيهـا الكـأس لاَهْنَـىٰ

والآل لـي فيهـم يطيـب الثنـا والصحـب أهـل المجـد لاَسْنَىٰ

* * *

و[منها] : للسيد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم هـٰذه القصيدة :

الحمـد لله مَـنَّ الله رب البريـهْ بـالعـافيـة والمِنَـنْ
ببركة المصطفىٰ زالت جميع الأذيهْ والابتـلاء والمحـن
وجاد ربي علىٰ من له مشارب هنيه مِـنْ مشـربْ أهـل الفطـن
وله مواهب وله أسرار عظمىٰ خفيهْ حبـه بقلبـي سكـن
بل في قلوب الورىٰ جمعاً لهم فيه نيهْ بـالاعتقـاد الحسـن
سبحان من قد وهبه أخلاق حسنىٰ عَلِيَّهْ والنـور فيـه اعتجـن
حبيبنا القطب عَلْوي نسل صافي الطويهْ عبـد الله المـؤتمـن
بن عيدروس المعالي فرع أهل المعيهْ سـادات أهـل اليمـن
بل سادة القطر كله بل من خيار البريهْ وهـم بـدور الـدُّجَـن
مثل الشهاب الذي أسرار أهل المزيهْ تجمعـت بِـهْ علـنْ
وكالوجيه المكاشف ذي الفهوم الزكيهْ لُـهْ نظـم يُجلـي الحـزن
وبهجة أهل الفضائل ذي العلوم السنيهْ صـدره حـوىٰ كـل فـن
وصنوه العيدروس الغوث نعم الخبيهْ والقطـب مـولـىٰ عـدن
والفخر من قد سَكِرْ في حب رب البريهْ سكـران مـن غيـر دن
وصنوه المشتهر ذي الهمة الهاشميهْ محضـارنـا المـؤتمـن
والشيخ غوث الورىٰ السقاف قطب المزيه حضـرتـه فيهـا المنـن
والشيخ مولىٰ الدويلة ذي المزايا الجليهْ ذكـره شفـا للبـدن
وعلي وعَلْوي دَرَكْهم بِهْ تزول الشكيهْ ممـا ظهـر أو بطـن
ومقدم القوم من سن الطريق السويهْ لنـا وكـم لـه منـن

بكسره السيف حاز الفضل والسابقيهْ يحيـــي شعـــار السنـــن
له من كؤوس المحبة كَمْ مشارب هنيهْ ولا رواه ألـــــــف دن
وكم وكم وَسْط زنبل من رجال السريهْ هـــم مفخـــر أهـــل اليمـــن
من كل عارف وواصل دوب يتبع نبيَّهْ فـــي ســـرِّهِ والعلـــن
وقـــد رأينـــا خليفتهـــم ونعـــم البقيـــهْ هـــو نـــاطـــق أهـــل الـــزمـــن
مَن دُوب يحدُو إلىٰ السيرة بهمَّهْ عليَّهْ بقلبِـــــــهِ والبـــــدن
وناشر أوصافهم فينا وكم من مزيه لمـــن مضـــىٰ فـــي الـــوطـــن
وكـــم منـــاقـــب يُبيِّنْهـــا بلهجـــهْ شهيـــهْ تُـــذهِـــب جميـــع الشجـــن
تدخل إلىٰ وَسْط قلب أهل النفوس الغويهْ إلـــىٰ السبيـــل الحســـن
الله رب الـــورىٰ أبقـــاه رحمـــه هنيـــه داعـــي إلـــىٰ آقـــوم سَنَـــن
كـــأنـــه إلاَّ نبـــي معصـــوم مـــالـــه قضيـــه يلحقـــــه فيهـــا وهـــن
ذا حجـة الله علـوي بـن شهـاب البقيـه مجلســـه مـــالـــه ثمـــن
رَوْحَته فيها المعارف والعلوم الطريهْ فيهـــا الفـــواكـــه عِيَـــنْ
وعـاد مـولـد سـرور الجنـةُ المعنـويـه داعِيـــهْ جـــد الحســـن
الله يحفظـــه مـــن كـــل الأذىٰ والبليـــهْ ومـــن جميـــع المحـــن
يطيـل عمـره وينفحنـا بنفحـة شـذيـه تـــزيـــح كـــل الـــدرن
يصلح بها القلب والقالب وحسن الطويه يـــا رب لا خـــاب ظـــن
حـاجـاتنـا دنيـويـة كـانـت أو أخـرويـه تُقضَـــىٰ بمحـــض المنـــن
ببركة المصطفىٰ المختار خير البريه رســـولنـــا المـــؤتمـــن
صلىٰ عليه المهيمن عد طش النَّشِيَّه وكلمـــا رعـــد حـــن
والآل والصحب مَعْ ساداتنا العَلَويه أهـــل الحِجـــا والفِطـــن

* * *

و[منها] : هٰذه القصيدة قد قالها السيد المفضال ، عبد الرحمٰن بن حامد بن محمد السري ، وأرسلها إليه من دار السلام تنزانيا :

كم ذا تريني الليالي من نواياها ... وكم يؤرق عينيْ ذكرُ مَيّاها
هي المنازل أضنت مهجتي ولَكَمْ ... ضمت من الألم المضني طواياها
يا ليت شعري وكم بالقلب من حِرَقٍ ... هل يسمح الدهر لي يوماً برؤياها
وهل لعَيْنَيَّ من شِعْب الرضىٰ نظر ... لعرض قتبةَ والوسمي رواياها
وللرياض ببشار البشائر مِن ... ذاك الحمىٰ عجَّل الرحمٰن سقياها
إن لاح وهناً وميضُ البرق مبتسماً ... أو فاح من نسمات الحي رَيّاها
هاجت بلابل نفسي لوعةً وجوًى ... لشوقها نبراتٌ في حشاياها
يا شوق رفقاً بأضلاع عصفت بها ... فالقلب يخفق ذعراً في حناياها
شوق يطيل زفيري بالنحيب إذا ... جن الظلام ودمعُ العين أعشاها
مَن للغريب بَعيدِ الدار يقلقه ... مَرُّ النسيم بأرض كان يهواها
موَلَّهاً بَعُدت عنه الأحبة أقـ ... ـصته الأمانيْ فهلاً كان يلقاها
شطَّت به الدار والأيام تُرهِقه ... في غربة يتلظىٰ في شظاياها
حنينه لصفا تلك الموارد لم ... يبرح يكرر من تذكارها واها
لا شيء يُبرِد حَرّاً ألهبته يَدُ الـ ... ـبعاد غير ارتشافي من حُمَيّاها
في حانة القرب حيث الغيد ترتع في ... أرجائها مرحاً تزهو بأزياها
بين المعاهد من تلك السفوح بِعَيْـ ... ـديد النَّدىٰ بمغانٍ طاب مثواها
حيث الهدىٰ من تريم الخير بادية ... أعلامه وجمال الحق يغشاها
بالسادة الغُرِّ من آل الرسول بني الـ ... ـزَّهرا البتول سلام الله حياها
نور النبوة يبدو في أَسِرَّتهم ... ملامحٌ سطعت في طُور سيناها
بهم تُضيءُ القباب البيض شامخة ... طوبى لمن شهدت عيناه مَرْآها
خلاصة ثبتوا في الاتِّباع لهم ... من التقىٰ حُلَل عَزُّوا بها جاها

بالله قد شغلوا في حضرة عَرَجت ... أرواحهم نحوها يابُعْدَ مرماها
لم يلفتوا نظراً للفانيات بهم ... يستدفع الناس في الدنيا بلاياها
أجل وهم شفعاء الخلق بعد حبيـ ... ـبِ الله متبوعهم خير الورىٰ طهَ
شُمُّ الذُّرىٰ من بني علوي الكُماة لدىٰ الـ ... اسنات تروي البرايا من رواياها
قوم إذا الليل أضواهم رَأَيْتَهُمُ ... ملءَ المحارب تلقىٰ الكل أوّاها
يستقبلون من الآيات مأدبة الـ ... ـقرآن يتلون والرحمٰن أملاها
لطائِفاً من علوم الذوق يدركها الـ ... ـوجدان كم سَكِروا من راح معناها
خُصُّوا بفهم معاني الآي من لدن الـ ... ـمولىٰ بنص أحاديثٍ رُوِيناها
فروع مجد نمت لله كم سُقيت ... ماء النبوة قِدْماً في خباياها
من الوصي من الريحانتين من الـ ... ـزَّهرا من البَرَّة الكبرىٰ عهدناها
سلالة سبقت بالمعنيين إلىٰ ... نيل العُلا كرمت حقاً سجاياها
يا مَن هُمُ مظهرُ التطهير كم نزلت ... فيهم من الوحي آياتٌ تلوناها
يا سادةً بتريمٍ إنَّ لي بكمو ... نفساً أذاب النوىٰ منها حواياها
وكيف لا وبها عينُ الكمال وقيـ ... ـدوم الأكابر في الدنيا وأُخراها
فقيهنا القطب غوثُ للخليقة في ... كل البسيطة أقصاها وأدناها
فَرْدٌ إليه قلوب العارفين عَنَت ... واستقبلت منه سراً فهو مولاها
شيخ المشايخ أرباب البصائر مَن ... يحتل مِن رتب التقريب أسماها
أزِمَّة الركب ركبِ الواصلين إلىٰ الـ ... ـرحمٰن في يده والرب يرعاها
ماذا أقول وهٰذا القطب عمدتنا الـ ... ـحداد فيه بفضل القول قد فاها
كانت بدايتُه مثلَ النهاية من ... أقرانه وعلومَ الفيض أبداها
من عين إمداد علمٍ من حروف وعـ ... ـلَّمناه فاضت بفضل الله يؤتاها
حسبي به والولاءُ الصدق انطقني ... أرجو من الحضرة العلياءِ رحماها
ومن خليفته حقاً بدعوته الـ ... ـغَنَّا زهت بَعَث الرحمٰن موتاها

أكرِمْ به عَلَوي الذات مرشدنا ... إلىٰ الطريقة بالأعمال جَلاَّها
من ينتمي لشهاب الدين تربطه ... أواصرٌ شمخت في أفق عَلياها
علىٰ متابعة المختار راسخة ... أقدامه وعليها طاب ممشاها
في مظهر الدعوة العظمىٰ علىٰ قدم الـ ... إخلاص والصدق أَضحىٰ ركنَ مبناها
بطلعةٍ ملء عين القلب روعتها ... يمد ناظرَها بالسر مرآها
مَجْلًىٰ لمن يجتلي سر الأوائل مِن ... أهليه حقاً له لم تُلْفِ أشباها
عينُ الزمان نقيب العترة الشرفا ... لإرْثِهِمْ حاز فاسمع ما به فاها
تلق البحار الطواميْ في تدافقها ... تلقىٰ الجواهر علماً في طواياها
خليفة الكل من أسلافه وبه الـ ... ـدنيا ازدهت نعمةً لله أولاها
غوث اللهيف وعونٌ للضعيف به الـ ... ـعصر استطال علىٰ الأعصار قد تاها
بالعلم والحلم والقلب الرحيم علىٰ الـ ... ـنَّهج القويم بنفس طاب مجراها
تواضع ومداراة ومرحمة ... وكم مكارمَ أخلاق عرفناها
خزانة جمعتْ مِن كل ما جمعت ... أسلافه فهو يعطي من عطاياها
يا من به القلب أضحىٰ في تعلقه ... والنفس تأمل أن تحظىٰ برجواها
يا حجةَ الله بين الخلق في زمن ... بك استنار أدام الله بقياها
أمناً وذخراً لأهل البيت خالصة ... والمسلمين جميعاً حسن عقباها
ها قد مددت يدي والذنب يخجلني ... أرجو بكم نظراتٍ فاسألوا الله
يعيدني لحماكم شاكراً لِأرا ... كُمْ في الحمىٰ قبلة لله يرضاها
في خير عيش وإنعام وعافية ... بالحفظ من فتن الدنيا وبلواها
لي منكُمُ كلماتٌ في الفؤاد لها ... مكانةٌ شَرُفَتْ حاشاك تنساها
حاشاك حاشاك واليعسوب شيمته ... لا يهمل النحل حتىٰ في خلاياها
كن لي حبيبي وزد في حالتي نظراً ... لتلهم النفس من رحماك تقواها
لئن بَعُدْتُ فلي في عودتي طمع ... بأحرف قلم الإفضال أجراها

علىٰ لسانِكُمُ لي بالبشارة والـ أقدار لا شك تبدي من خفاياها
أنت الوسيلة لي في كل ما أرتجي بعد الحبيب الشفيع المرتضىٰ طـه
عليـه أزكـىٰ صـلاة الله يتبعهـا الـ ـتَّسليم ما ٱتصلت روح بمولاها
وآلِهِ الغُرِّ والصحب الذين علت أرواحهم في جنان الخلد مأواها

تمت بعون الله وتوفيقه ، وأرجو الله قبولها بمنه وجوده ، لناظمها الأقل الفقير إلىٰ الله عبد الرحمـٰن بن حامد بن محمد السري .

* * *

الفصل التاسع

في ذكر مرض موته ووفاته ، وتشييع جنازته ، وبعض ما قيل فيه من المراثي

لما شاخ ـ رضي الله عنه ـ وضعف . . مكث في بيته لا يخرج منه ، وذلك قبل وفاته بنحو سنتين ، واعتراه أثناء هـٰذه المدة سكوت عن الكلام تدريجياً ، لا عن خرس ولا عن خلل في العقل ، ولـٰكنه لعله عن نوع من الاصطلام الذي كان يعتري بعض الأولياء في أواخر حياتهم . علىٰ أنه ـ رضي الله عنه ـ كان في بعض الأوقات قد ينطق ، لاسيما إذا جاء إليه أحد واستشهد له بشطر بيت من الأبيات التي كان يستشهد بها في كلامه ومذاكراته ، فإنه ينطق بالشطر الثاني من البيت كاملاً ، وإذا نطق بذلك الشطر وأريد منه جواب عن كلام آخر . . فإنه لا يجيب عنه .

نعم جاء إليه مرةً بعض خواصه في حال سكوته ، وقال له : يا سيدي علوي ، ما لك لا تتكلم ؟ وسأله عن سبب سكوته ، فنطق بهـٰذا البيت :

حير بعقلي وفي مثله تحير العقول ميل الفروع الزكيهْ عن طريق الأصول

وكان في حال سكوته أيضاً إذا أتىٰ له ابنه محمد أو أحد أحفاده بحكاية مضحكة . . ضحك ، إلا أنه لا يتكلم معه بل يحدق النظر فيهم بالرغم من سكوته .

أما في أوائل سكوته إذا قيل له : رتب الفاتحة فإنه يرتبها ، وربما وقف في أثنائها فيكملها ابنه محمد .

وكان في مذاكراته الأخيرة التي أعقبها سكوته كثيراً ما يردد هـٰذا البيت للحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

وصرنا حيارىٰ في مفاوز جهلنا نُشَبَّهُ بالبَهْم السويرحة الغُفْل

وقد ابتلي ـ رضي الله عنه ـ قبل سكوته وبعده بأمراض متنوعة كما يبتلىٰ بها بعض الأولياء ، ومما ابتلي به : الباسور ، والأكزيماء ، وسوء الهضم ، والحمىٰ في بعض الأحيان .

وفي ليلة ست من رمضان سنة (١٣٨٥هـ) خلعت يده من الرسغ بسبب سقطة خفيفة وقعت له في مقدمة فاضلة بيته القديم ، فجبرها المجبِّر ، ولم يحصل منه وقت التجبير ولا قبله ولا بعده أنين ولا تأوُّه ولا شكوىٰ ، بل كان صابراً علىٰ الألم محتسباً لله تعالىٰ .

وفي ثمانية عشر شوال من السنة المذكورة انحرفت صحته بسبب سوء هضم شديد ، حتىٰ غابت حواسه تلك الليلة وخيف عليه الهلاك ، وانتشر خبر مرضه هـٰذا في البلد ، فعاده غالب المواطنين ، رجالاً ونساءً ، كباراً وصغاراً ، وصاروا يدخلون عليه أفواجاً أفواجاً ، كلما امتلأ منهم البيت وخَلِي مرةً . . امتلأ منهم ثانياً ، وبقي هـٰكذا أياماً ، ولـٰكن والحمد لله ـ عاجله الله بالشفاء من ذلك المرض وعادت له صحته .

ثم إنه في أوائل شهر شعبان سنة (١٣٨٦هـ) انحرفت صحته ، وفي أواخر ذلك الشهر وأوائل شهر رمضان كانت أشد انحرافاً بحمىٰ وضعف شديد مستمرين ، حتىٰ إذا كان صباح يوم السبت الثاني عشر من رمضان تلك السنة المذكورة حوالي الساعة الثانية من ذلك اليوم . . فاضت روحه الزكية وارتقت إلىٰ الحضرة العلية ورأسه ـ رحمه الله ـ فوق فخذ ابنه الوارث لسره محمد بن علوي ، ولم يحضر عنده وقتئذ غيره ، تصديقاً لقول أبيه له في حياته : لا أموت إلا وأنت عندي وحدك .

وسرعان ماانتشر خبر وفاته بين الناس ، صاروا يجيئون إلىٰ بيته ، لالتماس بركته والتمسح بجسده الطاهر زرافات زرافات ، لا يزال البيت ممتلِئاً بهم ، والباكي يبكي ، والداعي يدعو ، والقارىء يقرأ طيلة ذلك اليوم وطيلة الليلة التي بعده .

وأُعلنت وفاته ووقت تشييع جنازته لأهل البلدان المجاورة وغير المجاورة بالبرقيات وبالكتب توصلها السيارات إليها .

وكان في ذلك اليوم أكبر مصيبة عرفتها بلدة (تريم) وغيرها من سائر البلدان منذ أعشار السنوات .

وغُسِّل ـ رضي الله عنه ـ في الربع الأخير من ليلة الأحد الثالث عشر من ذلك الشهر ، وكُفن قبيل الفجر ، وازدحم الناس علىٰ ماء غسله فأخذوه للتبرك به ، حتىٰ إن بعضهم نقلوه إلىٰ البلدان البعيدة ، كـ(عدن) ونحوها .

وشُيِّع نعشه صبيحة ذلك اليوم الساعة الثالثة في حفل مهيب رهيب ، وازدحم عليه الناس من كل حدب وصوب ملتمسين بركاته في ضجة كبرىٰ من البكاء والدعاء والاستغفار وغير ذلك مما لم يُعهد لمثله من أئمة الدين الأكابر المتأخرين ، عن حسن ظن ومحبة خَلْصاء في ذلك الفقيد .

واكتظت الطرق بالمشيعين من مدن (حضرموت) وقراها ، وامتلأت الجبانة علىٰ اتساعها بالناس متراصين وكذا الفضاء الواسع المكتنف بها ، ولم يصل النعش إلىٰ الجبانة إلا بعد مضي ساعة فلكية من خروجه من البيت ؛ لكثرة الزحام .

ثم لما وضع في الجبانة . . تكلم ابنه محمد بكلام قيم سرد بعض شمائله النبوية وأخلاقه العلوية التي ذَكَّرَتْنا أهل (المشرع) و(العينية) .

ثم ذكر من كلامه له أنه قال له يوماً : إنني لا أفعل شيئاً إلا بإذن من النبي محمد ﷺ والسلف الصالح .

ثم قام السيد الفاضل محمد المهدي بن عبد الله بن عمر الشاطري مؤبناً وذاكراً بعض أخلاقه الغراء ، وناصحاً للناس وهم في بكاء ونحيب ، وللجبانة دوي كدوي النحل .

ثم نودي للصلاة عليه ، فصلىٰ عليه إماماً ابنه محمد ، ثم حُمل النعش علىٰ أكتاف الرجال في زحام شديد يتبرك الناس بحمل النعش علىٰ أكتافهم حتىٰ خيف أن يسقط من شدة الازدحام ، ووُضع علىٰ شفير القبر ، ونزل فيه الحافر والسيد الصوفي الولي أبو بكر العطاس بن عبد الله بن علوي الحبشي بوصية له من الفقيد أن يلحده .

وقُبر ـ رضي الله عنه ـ في قبر عمه محمد بن عيدروس بن شهاب بوصية منه أيضاً ، وأُخِّر ختم القراءة عليه إلىٰ اليوم الحادي عشر من شهر شوال تلك السنة .

وعُمل يوم الختم وليمة دعي لها الآلاف من الخلق ، وامتلأ الدار بالمدعوين ـ علىٰ اتساعها ـ مراراً من صبيحة ذلك اليوم إلىٰ ما بعد الظهر ، كلما امتلأت بطائفة منهم . . قُدم لهم الطعام فيأكلون ثم يخرجون فتأتي طائفة أخرىٰ . . وهٰكذا إلىٰ قريب العصر .

وقد جاؤوا لذلك من أماكن بعيدة متبركين وضارعين إلىٰ الله ومبتهلين إليه جل وعلا ، وسائلين منه أن يجعله في المهديين ويرفعه إلىٰ عليين ، ويجزيه عن المسلمين خير ما يجزي المحسنين ، ويخلفه بخلف صالح ، إنه سميع الدعاء .

وقد مر في الفصل الثالث أن ميلاده ـ رضي الله عنه ـ في آخر شهر محرم سنة (١٣٠٣هـ) ويؤخذ من هٰذا ومن تاريخ وفاته المار قريباً أنه

مات عن ثلاث وثمانين سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام تقريباً ، رحمه الله وبل ثراه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه ، آمين .

ذكر بعض المراثي التي قيلت فيه رحمه الله وبَلَّ ثراه

فممن رثاه : السيد المفضال محمد بن عبد الله الهدار ، ساكن بلاد البيضاء ، وهـٰذه مرثاته ، وقد كتبت في طرتها ما لفظه :

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

مرثاة في فقيد الإسلام الإمام غوث العباد الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب الدين ، رحمه الله تعالىٰ ورحمنا به وكانت وفاته يوم السبت (١٢) رمضان سنة (١٣٨٦هـ) لناظمها محمد الهدار بالبيضاء :

اهتز عرش الله ترحيباً بِهِ ... وتزخرفت كل الجنان بقُربِهِ
وتباشرت مَلأُ العُلا بلقائه ... لٰكنها بكت السماء لخَطْبِهِ
والأرض تبكي سهلُها وجبالها ... وتريمُ ثكلىٰ ما لها من مُشْبِهِ
لهفي علىٰ حامي الحمىٰ غوث الأنا ... م بلا مرا عينِ الزمان وقطبِهِ
لهفي علىٰ ذاك الإمام وحسرتي ... واحَرَّ قلبي من جَواهُ وكربِهِ
لهفي علىٰ تلك الدروس وصدرها ... مُشفِيْ النفوس من العضال بطبه
فيها يفيض من المعارف أبحراً ... ويدير كاسات العظات لِشَرْبِهِ
آهاً علىٰ تلك الحياض ومائها ... يحيي القلوب بقطرة من عذبه
آهاً علىٰ تلك الرحاب وشهمها ... ذاك الشهاب تَسُحُّ وابلُ سُحْبِهِ
يا عين جودي بالدموع وجانبي ... منكِ الهجوع وآذنيه بحربه
اِبكي إمام العصر جامعَ راية الـ ... إرشاد والتقوىٰ وقائدَ حزبه
داعي الفلاح مدىٰ الصباح مع الروا ... ح بفعله وبقوله وبقلبه
ناداه مولاه ليُكْرِم نُزْلَه ... وَلْيُحْظِهِ فأجاب دعوة ربه

اِبكي شهاب الدين عَلْويَ الفتىٰ عينَ الزمان ونور مهجة لبه
هاتي المناديل التي قد كان يذكـ ـرها الفقيد فغسِّليها بسكبه
بشار يا بشراه قد نال المنىٰ فالنور يسطع من ثراهُ وجربِهِ
يا زنبلٌ قد جاءكِ الضيف الكريـ ـم فأكرمي مثواه واحتفلي به
يا زنبل قد حل فيك ماجد أكرم به من ماجد أكرم به
طوبىٰ له من نازل طوبىٰ له من منزل ولجسمه ولتربه
بين الفقيه وقومه في صفه قَسَماً به ما في الربوع كعُرْبه
بين الكرام المطعمين وعيشهمْ رغد لكل النازلين بخصبه
بين الصناديد الأسود ومنهمُ في مقعد الصدق الفسيح ورحبه
هٰذا المقدم شمس كل الأولياء يزفه بجيوشه وبصحبه
هٰذا المقدم قائد الصف الثخيـ ـن يقول يا أهلاً ويا سهلاً به
أهلاً بقرة عين طَه المجتبىٰ أهلاً بناشر شرعه وبحِبِّهِ
هٰذا الذي أحيا المرابعَ علمُه وأزاح ظلمة جهلها عن شَعْبِهِ
هٰذا خليفةُ جده هٰذا مقـ ـدم قرنه وشفيعه من ذنبه
هٰذا خليفتنا وحامل سرنا هٰذا الذي ماء الفؤاد بحبه
هٰذا ابننا هٰذا الذي نشتاقه شوق العطاش إلىٰ الزلال وشربه
هٰذا الذي احتشد الكرام لينظروا أعلام موكبه ورايةَ ركبه
فرحين بالضيف الكريم أشدَّ من فرح القنوط بغَيْثِهِ من جدبه
بشراك طب نفساً فإن الله قد أعطاك ما أمَّلتَه فابشر به
العلم باقٍ والخلافة في ذويـ ـك مدىٰ الزمان ومن أحبك نُحْبِهِ
يا رب فاجبر ذا المصاب بصيِّب الـ ـتسليم والصبر الجميل وصَبِّهِ
واجعل منار العلم في بيت الفقيـ ـد تضيء للدنيا مَشاكي شُهْبِهِ
رضوانَك اللهم عنه والرضا عَنَّا وسامح وارض واسترنا به

واغفر له وبه لنا فاغفر وألْـ ـحقنا به واسلك بنا في دربه
يا رب حننه وشفعه بنا وبِهِ اهدنا وامنن علينا بقربه
وأعن علىٰ الحمل الثقيل محمداً من حيثما سار الفقيد فسِرْ به
وأصلح جميع شؤونه وتَوَلَّ كُـ ـلَّ أموره وانظر إليه ورَبَّه
واجعله في أعماله وعلومه وسلوكه لأبيه أحسن مُشْبِهِ
واجعل تَمام قِرَىٰ الفقيد رعايةً لبلاده ولقطره ولشعبه
ووقاية من شر طارق فتنةٍ من نجده أو شرقه أو غربه
وعناية ترعىٰ بني عَلَوي فيلـ ـتفتون للعلم الشريف وكسبه
لِتَقَرَّ عينُ نبيِّهِمْ يمشوا علىٰ منهاجه في صفه وبجنبه
وانظر إلىٰ هٰذا الذميم بنظرة فيها الشفاءُ لدينه ولقلبه
وأنله في الدارين غايات المنىٰ واعطف عليه وعافه من رعبه
مع سائر الإخوان والأولاد واسـ ـترنا وسامحنا بما تدري به
ثم الصلاة علىٰ النبي وآله الطيبين الطاهرين وصحبه
والتابعين لهم إلىٰ يوم اللقا ما أَمَّل الخَطَّاءُ رحمةَ ربه

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين .

* * *

وممن رثاه : السيد الفاضل الأديب النجيب ، محمد بن محسن بن زين الهادي ، بهٰذه القصيدة الفريدة ، وكتب قبلها ما لفظه :

في اليوم الثاني عشر من رمضان المعظم سنة (١٣٨٦هـ) فقدت (تريم) عالمها الأبر وداعيتها الأكبر ، السيد العلامة علوي بن عبد الله بن شهاب الدين ، حيث لبىٰ نداء ربه ووافىٰ نُزُل آبائه وصحبه ، فكان لذلك رنة أسىٰ وحزن في جميع القلوب لا يمكن أن يعبر عنها الكلام ولا تصورها أسنة الأقلام .

وهٰذه مرثية تطفلت بها علىٰ مقام الفقيد العظيم ، وإن كنت أدري أن أوصافه الحميدة فوق الشعر النظيم ، وتصور الأديب الفهيم . فللّٰه المراد فيما أراد ، وله الحمد علىٰ كل حال . وفيما يلي المرثية :

إلىٰ فردوس جنات الخلودِ ورضوانٍ من المولىٰ الحميدِ
وعيش ناعم خَضْل هنيءٍ برفق الأنبياءِ مع الشهيد
إلىٰ خير الجوار بخير نُزْلٍ نزلت أبا الميامين السجود
لقد طبتَ ٱبنَ عبدِ الله فاهنأ بما قدَّمتَ بالعيش الرغيد
فأنت أبو العلا العَلَويُّ اسماً ونعتاً من ذرىٰ حَسَب وطيد
عزيزٌ إن تفارقنا ولٰكنْ قضاءٌ لا يدافَعُ بالحشود
لقد غادرتنا والعين عَبرىٰ تصب الدمع كالمطر النضيد
وفي كل القلوب أسىً وحزنٌ لهٰذا الحادث الجلل الشديد
وقد كنت العميد إليه نلجأ فأنت القطب ناب عن الجدودِ
تُلاقي القاصد الآتي بلطف بَشُوش للقريب وللبعيد
بأخلاق تبارك من حباها لها مدد من القول المجيد
فوا لَهَفَ البلاد غداة قالوا أجاب نداء خالقه الودود
تُرىٰ من للمجالس كي نراها كما ترعىٰ لها عين الفقيد
ترىٰ من يرشد العاني إذا ما أدْ لَهَمَّ الخطب بالرأي السديد
ترىٰ من للليتامىٰ والأيامىٰ يواسي الكل في عطف وجود
ترىٰ من للمدارس حين تبدو مشاكلها ملفعة الخدود
ومن للوعظ والتذكير يُملي درارِي النصح بالقول السديد
وللروحات مَن يُذكي شذاها بمعسول من القول المفيد
فوا أَسَفَ البلاد علىٰ مُحَيَّا يزج بناظريه إلىٰ السعود
بكته تريمُ في حزن وكُلٌّ بكاه من السهول أو النجود

وأجهشت المعابد والزوايا على حِلْس من الزمن العهيد
إذا صوت الدعاة علا بجَمْع تذكرنا لموقفك الفريد
تُصارِحُ كلَّ من تدعو بحق بصوت دونه زَأْر الأسودِ
كلامك قد أضاء بكل قلب وبدد ظلمة الجهل الطريد
به صلحت نفوس مجدبات بها زَرْعُ الجهالة كاد يودي
بذلت العمر في الإرشاد حتىٰ بلغت مَدًى من الجهد الجهيد
وكنت إلىٰ المحامد خير داع ومِنْ نَشْرِ الفضائل في مزيد
صفاتٌ في سجل الدهر فخرٌ طريف المجد ضُمَّ إلىٰ التليد
وأعمال سَلُوا التاريخ عنها يكون بحقها خيرَ الشهود
بها عبقت بدنيانا طيوب تضاءل دونها عرف الورود
بها شِيْدَتْ صروح تقًى وخيرٍ سيبقىٰ نفعها أبَدَ الأبيد
أبا الخيرات كم أوحشت شعباً بغيبة وجهك الحسنِ السعيدِ
تعاظمهُ الفراق فذاب حزناً وصار من التأسف كالكميد
وقد كان الفراق عليه صعباً لأيامٍ فكيف إلىٰ الخلود
علوت علىٰ الرؤوس كبَدْرِ تِمٍّ علىٰ بحر من البشر الوفود
يسير مع الزحام بكل ركن بطول الطرق في مشي وئيد
وكَضَّ الجمعُ متسعَ المصلىٰ ففاض إلىٰ الطريق بلا حدود
فبشرىٰ للأُلَىٰ وفدوا بجمع بإكرام من المولىٰ الحميد
فطب وٱهنَأْ بمنزل خير دار ففيها الفوز بالأجر الحصيد
لَنِعمتْ تضحياتُك من قديم وهٰذا اليوم أبشر بالوعود

وقد رثاه الشيخ توفيق بن فرج أمان بهٰذه القصيدة :

لَبَّيتَ دعوة ربك الغفارِ لجواره وحبيبه المختارِ
وأبي تراب والشهيد بكربلا وسليله السجاد بالأسحار

وجوار أهليك الأُلَىٰ اشتهروا بصد ق القـــول والإتقـــان والإيثـــار
خرجوا بنعشك والدموع هواطل تجري كجري الماء في الأنهار
عشـرون ألفـاً بـاسطـون أكفهـم بك يسألون لهم قَضَا ٱلأوطار
وفدوا لمَشْهَد نعشك الميمون من شتىٰ البلاد رجاء غَفْر الباري
حتى أتوا جدثاً وفيه الحور يشـ تقـن اللقـا فـي روضـةٍ مِعطـار
فـاهنـأ بقبـرك وٱبْشِـرَنَّ بجنـة الـ ـفـردوس مـع أجـدادك الأبـرار
غـادرتنـا فـي حيـن حـاجتنـا إليـ ـك شديدةً يا فارس المضمار
كنـا إذا مـا الحـادثـات بمـرصـد بـك نحتمـي يـا كعبـة الـزوار
كنا إذا ما الرعد يقصف والظلا م اشتـد صحنـا يـا شهـابُ بِـدار
غاب الشهاب ولم يغب مَنْ ذِكرُهُ بـاق مـدىٰ الأيـام والأعصـار
وَلَّىٰ ابنُ عبدِ الله كـان سراجَنا وشهـابَنـا فـي حـالـة الأغـدار
وَلَّىٰ ابنُ عبدِ الله داعينا إلىٰ التـ ـقـوىٰ ومفـزعُنـا لـدىٰ الأخطـار
وَلَّىٰ ابـن عبـد الله بعـد قيـامـه بـــوظيفـــة التبشيـــر والإنـــذار
فهـو الخليفـة فـي جميـع أمـوره عـــن جـــده وجـــدوده الأخيـــار
فرع تجمَّع فيه ما قد كان في أسـلافـه المـاضيـن مـن أسـرار
لا غَرْوَ إن صرنا حيارىٰ تائهيـ ـنَ لفقـد ذاك الكـوكـب السيـار
لا غرو إن بكت المحافل حسرة وتـــأسفـــاً لخطيبهـــا المغـــوار
ما مات من أبقىٰ له ولداً حميـ ـد السيـر بَـرّاً ثـاقـب الأفكـار
يقفـو سبيـل أصـولـه والفـرعُ يقـ ـفو الأصلَ في الإيراد والإصدار
صبـراً جميـلاً سـادتـي ففقيـدكـم فـي مقعـد عنـد المليـك البـاري
فعليـه مـن بعـد الـرسـول تحيـة ما انهل سُحْب الغَفْر في بشار

* * *

و[ممن] رثاه : الشيخ المفضال عبد الله بن محمد بازغيفان بهٰذه القصيدة ، وكتب قبلها ما يلي :

(عبرة باكي)

علىٰ فقيد العالم الإسلامي ، سيما القطر الحضرمي التريمي ، الداعي إلىٰ الله ، الملبي نداء مولاه ، بقية أسلافه العلوية ، بالديار الحضرمية التريمية ، بيت العلم والأعمال ، والسير والأخلاق ودرجات اليقين ، الحبيب المرحوم برحمة الحي القيوم ، سيدي العارف بالله تعالىٰ علوي بن عبد الله بن عيدروس بن محمد بن شهاب الدين ، تغشاه الله برحمته ، وجمعه مع أهله في فسيح جنته ، وأخلفه بالخلف الصالح علىٰ المسلمين بالخيرات والرحمات ، اللهم آمين ، وهٰذا أولها :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أضحىٰ لدينا مربعُ الأسلافِ ... يبكي ويندب كعبةَ الأشرافِ
بحر المكارم والمعارف والهدىٰ ... والصدق والإخلاص والإنصاف
والعلم والأخلاق والسر الذي ... أعطاه ربي واسعُ الألطاف
جمع المحاسن والفضائل كلها ... وبها تحلىٰ أكمل الأوصاف
شمس علىٰ كل العوالم أشرقت ... عمت جميع القطر والأرياف
هو زاهد متواضع متخشع ... وَرِع تقي مكرم الأضياف
هو نسخة الأسلاف عَزَّ نظيرها ... ما مثله تلقاه في الأحقاف
القانت السجاد في غسق الدجىٰ ... بتدبر الآيات والأوقاف
فخر الوجود وقطب هٰذا الكون بل ... بحر البحور لهٰذه الأطراف
ذاك المفكر في العواقب كلها ... بسياسةٍ محمودة وعفاف
ويقول كالحداد أفعالي بتو ... قيف من المختار والأسلاف

قـرت بـه عيـن النبـي محمـد ... فهـو لـه مـن أحسـن الأشـراف
يـا قُـرةَ العينيـن شيخـي عمـدتـي ... وطبيبَنـا مـن كـل داء شـافـي
قـد كنـت فينـا داعيـاً ومـربيـاً ... ومهـذِّبـاً بـالـرفـق والألطـاف
لا زلت تحدونا وترشدنا إلىٰ ... سِيَر الجدود جواهـر الأصـداف
مثـل الفقيـه محمـدٍ أستـاذِنـا ... وفـروعـه الأقطـاب كـالسقـاف
سكـراننـا محضـارنـا والعيـدرو ... س شهـابنـا بحـر عظيـم صـافـي
فلقد نزلتَ علىٰ كرام في الملا ... مستبشـريـن لـروحـك الطـوَّاف
فاستر قضايانا جميعاً عندهم ... لا تفشهـا يـا كـامـل الأوصـاف
ومَـلأْتَ أفئـدة الأنـام نصـائحـاً ... ومـواعظـاً وزواجـراً للجـافـي
كم ما تحذر من تخلفنا عَنَ ألْهـ ... ـلينـا بحـور العلـم بـالأحقـاف
وعن التشبه بالأجانب غالب الـ ... أحوال في التذكير ذاك الشافي
ولقـد تلقـىٰ عـن شيـوخ كُمَّـلٍ ... حـازوا لكـل المجـد والإتحـاف
مثل الوجيهِ عبد الرحمٰن[1] الذي ... قـد خصـه بـالـود والأعطـاف
وشهابنا ذاك الرفاعي أحمدٍ[2] ... اِبـن الجمـالِ محمـدِ اَلكـاف
والقطب شَيْخ[3] الحبر نجل العيدرو ... سِ مَـن لـه سِـرٌّ عظيـم خـافـي
وعفيفِنا[4] اَبنِ العيدروس وصِنْوِهِ ... عمرَ[5] الشجاع ملازميْ السقاف
وكذا الإمام الشاطري[6] المهتدِي ... بعلـومـه كـل الـورىٰ مـن قـاف

---

(١) بن محمد المشهور المتوفىٰ بتريم سنة ١٣٢٠ .
(٢) بن محمد بن عبد الله الكاف المتوفىٰ بتريم سنة ١٣١٧ .
(٣) بن عيدرّوس بن محمد العيدروس المتوفىٰ بتريم سنة ١٣٣٠ .
(٤) الحبيب عبد الله بن عيدروس بن علوي العيدروس المتوفىٰ بتريم سنة ١٣٤٧ .
(٥) بن عيدروس بن علوي العيدروس المتوفىٰ بتريم ١٣٢٨هـ .
(٦) هو شيخنا الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري المتوفىٰ بتريم سنة ١٣٦١ .

وشيوخه لا أستطيع لحصرهم ... سلكوا سبيل العدل والإنصاف
فلقد رمانا دهرنا في غِرة ... بين الأنام بأَسْهُمٍ يا كافي
ما للمصائب والنوائب رادع ... لو شاورت نفديه بالآلاف
الأرض ترجف والسموات العُلىٰ ... تبكي علىٰ القطب الزعيم الوافي
موت الأكابر مثلِ هٰذا ثلمةٌ ... في الدين والبلدان والأرياف
نزلت علىٰ وادي ابنِ راشدَ ظلمة ... بغروب شمس خليفة الأسلاف
إن الخطوب بأسرها لو جُمِّعت ... كانت لهٰذا الخطب في أَطراف
هٰذيْ المصيبة ما رأينا مثلها ... فيمن مضىٰ من سائر الأصناف
وتحيرت أحلامنا وتغيرت ... أحوالنا من ذلك الإرجاف
وتريمنا أضحت تنوح علىٰ الذي ... يُدْعىٰ بعَلْويْ بِنْ شهاب الصافي
وتقول أين رئيسُنا وزعيمنا ... حصن البلاد بوادي الأحقاف
فلتبكه كل الجوامع في الملا ... ومجالس التذكير بالأذراف
يبكي شهابُ الدين والماسُ معاً ... وكذا سرورٌ مجمعُ الأشراف
ومساجدٌ ومعابد ومعاهد ... وشوارعٌ في هٰذه الأطراف
وتراجمُ القوم الكرام لأنه ... يشفي الغليل بأحسن الأوصاف
آهاً علىٰ ذاك الحبيب ففقدُه ... أوهىٰ نياط القلب في الأجواف
آهاً علىٰ ذاك الحبيب لأنه ... كهف البلاد وناشر الأسياف
ما مُتَّ فينا والجواهر بيننا ... قد دُوِّنت كالجوهر الشفاف
ولنعشه حفت ملائكة السما ... والناس حول النعش بالآلاف
ما بين باكٍ منهمُ متألمٌ ... وَجِعٌ حزين بالبكا هتاف
خرجوا يزفون به كل الملا ... جعلوه فوق الراس والأكتاف
يا سيدي عَلْوي الغيورُ فجد لخا ... دمكم كثير الذنب والإسراف
فعسىٰ بكم يرقىٰ وتُقضىٰ أوطاره ... دنيا وأخرىٰ في رضًى وعواف

يُكفَىٰ البلايا والأذايا كُلَّها ... يُعطَىٰ جميعَ السُّؤل بالأَضعاف
نعم الخليفةُ بعده ذاك الجما ... لُ محمدٌ ذو السنر والإتحاف
أكرم به أعظم به من ماجد ... وأحفاده أُعطُوا بسهم وافي
خَدَّامكم يا سادتي متطفل ... نظم القريض وقاله بزحاف
ووفاته بالسبت من رمضان فِيْ أثْـ ... ـنَيْ عَشْرِهِ مع واحد الآلاف
وكذا لِثلثمائة الأعوام مِن ... عِقد الثمانينَ لِستٍّ كافي
ولختمه جاءت طوائف جمة ... وقد استمدت من طعام شافي
نرجو إلٰه العرش يرحمه ويسـ ... ـكنه جنان الخلد في رفراف
من بعد طول العمر يجمعنا به ... في مقعد الصدق مع الأسلاف
يا رب واخلفه علىٰ الأقطار بالـ ... ـغيث الهنيِّ وأكمل الألطاف
ثم الصلاة علىٰ النبي محمد ... والآل ثم الصحب والأشراف
من بعدهم تغشىٰ الفقيدَ وقبرَه ... تعداد ما في الكون من أصناف

وحررت يوم الأربعاء الموافق (١٥) شهر شوال سنة (١٣٨٦هـ) ست وثمانين وثلاث مئة وألف هجرية .

ناظمها خويدمه وتراب قدمه ، الحقير عبد الله بن محمد بازغيفان بتريم عَفا الله عنه آمين .

* * *

و[ممن] رثاه أيضاً : السيد الفاضل عبد الله بن أحمد الهدار بهٰذه القصيدة ، وكتب قبلها ما لفظه :

رثاء فقيد المسلمين

صاغها علىٰ رأس القلم بحزن عميق ، السيد عبد الله بن أحمد بن عبد الله الهدار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي ، رثاءً في فقيد

المسلمين إمام وادي (حضرموت) ورائد المسلمين إلىٰ الخير ، فقيد الدعوة والإرشاد والنفع العام الشامل ، المحيي لسِيَر من سلف ، الإمام المهاب ومفخر الأئمة الأعلام الأقطاب ، الحبيب الأواب ، الناطق بالصواب ، علوي بن عبد الله بن شهاب ، المتوفىٰ بـ(تريم) الغناء صباح يوم السبت الموافق (١٢) شهر رمضان المبارك سنة (١٣٨٦هـ) .

وقد شُيِّع نعشه صباح يوم الأحد في حفل مهيب رهيب جذاب خلاب ، وازدحمت عليه الناس من كل حدب وصوب ، ملتمسةً بركاته ، في ضجة كبرىٰ من البكاء مما لم يعهد لمثله من أئمة الدين الأكابر الأفذاذ المتأخرين ، عن حسن ظن ونبل قصد ومحبة خلصاء في ذلك الفقيد المجمع علىٰ ولايته من الناس قاطبةً .

واكتظت الجبانة من المشيعين من مدن (حضرموت) وقراها وامتلأ الفضاء المكتنف بها مما لا يُعرَف تشييع مَن تأخَّر مثل هـٰذا ، مما يدل علىٰ جلالة هـٰذا الفذ العظيم القدر ، الكبير المنزلة عند الله وأبَّنَهُ ابنه البار الخليفة قرة العين (محمد) بكلمة قيمة سرد بعض شمائله النبوية وأخلاقه العلوية ، مما ذكَّرتنا بأهل (المشرع) والناس في بكاء ونحيب ، وللجبانة دوي كدوي النحل ، والعين تدمع ، وإنا علىٰ فراق هـٰذا الإمام لمحزونون ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقام بعده السيد مهدي بن عبد الله بن عمر الشاطري مؤبناً للفقيد ، وذاكراً بعض أخلاقه الغراء ، وناصحاً للناس .

وصَلَّوا عليه بقلوب حزينة وعيون باكية ، ضارعين إلىٰ الله ومبتهلين إليه جل وعلا ، وسائلين منه أن يجعله في المهديين ، ويرفعه إلىٰ عليين ، ويجزيَهُ عن المسلمين خير ما يجزي المحسنين ، ويخلفه بخير خلف ، إنه سميع الدعاء .

الله أكبر يا دنيا اندبي أسفا ... شيخَ العلوم مضىٰ والعقل قد وقفا
يا حضرموتُ دهتك اليومَ نائبة ... أَصْمَتْ وأعمت فيا حزناه واأسفا
فما تكون جميع النائبات ولو ... جَلَّت ومنها رأينا القلب مرتجفا
وكلُّ نائبة من دونها جَلَلٌ ... وعندها العين تهمي دمعها أسفا
مصيبة الدين قد هزت مشاعرنا ... وقد بكينا العلا والحق والشرفا
وهٰكذا فليجلَّ الخطبُ في عَلَم الـ ... إسلام يُذْكِرُنا في الوصف من سلفا
فكل عين علىٰ هٰذا الفقيد بكت ... محبةً فيه تبكي دائماً شغفا
وأقبلتْ قُدُماً من كل ناحية ... طوائف الناس حيث الوعد قد أزفا
ضاق المصلىٰ بهم بالرغم من سعةِ الـ ... ـفضاءِ كلُّ فتًى قد صار معترفا
جمع رهيب مهيب ما له مثل ... في كثرة الناس جمعٌ حَيَّر الخلفا
كأنما عرفاتٌ في الجموع بدت ... ومظهرُ العلم فخمٌ للقلوب شفا
ومثل هٰذا قليل في مظاهره ... ذا زينة العصر هٰذا فوقَ مَن وُصِفا
وقد علا عَلَوِيٌّ في معارجه ... وكان سمحاً وعن أهل الجفاءِ عفا
وكان واحدَ هٰذا العصر رائدَنا ... للخير يدعو دعاءً ظاهراً وخفا
لسانَ ذا العصر في التذكير ناطقةً ... ولم يَخَفْ من مقال الحق منحرفا
من في الزمان يقول الحق في علن ... لله يشبهه في قوله وكفىٰ
وذي مجامعه للناس قد برزت ... وبرهنت وأرتنا الحق مؤتلفا
فكان كالشمس للدنيا وهل خَلَفٌ ... للشمس إن فُقِدَتْ؟ لا . . فَلْنَهِمْ كَلَفا
هٰذا فقيد بني الإسلام قاطبةً ... شرقاً وغرباً وفيه الناس ما اختلفا
يدعو إلىٰ الله في طول الحياة لنا ... ولم يقل أبداً إثماً ولا جنفا
يمثِّل الحق في حزم بلا صلف ... حزم بلينٍ ولم يحنَث ولا حلفا
نبكي علىٰ ابن شهاب في محافلنا ... إذ كان يتحفنا من نصحه تحفا
وخلد اللهُ هٰذا النصح في صحف ... والحمد لله قد نلنا بها شرفا

والنفع للناس مضمون لما اشتملت ... عليه ، بشرىٰ لقد أبقىٰ لنا الصحفا
وقد زهت حضرموت الخيرُ وافتخرت ... بنفعه وغَدَا للنفع معتكِفا
وهٰكذا كان في هٰذي الحياةِ لنا ... نفعاً نهاراً مساءً حيث قد ألفا
وقد تحلت بما يُلقِي مسامعُنا ... من كل در ثمين قد حوىٰ الصَّدفا
وأثَّرت في بني الأوطان دعوته ... بفضل إخلاصه والله قد لطفا
وفي الدروس وفي كل الجموع له ... كلُّ القبول فنال الحسن والظرفا
وقد علونا به لما علا فَلَكَ آلـ ... ـسعود لم يك عنا قط منصرفا
وكله رحمة للناس شاملة ... وهاتف الحق بالبشرىٰ به هتفا
ولم نزل دائماً نلقاه مبتسماً ... يهش في وجه من بالباب قد وقفا
وفي جموع بني الغناءِ ينثر ما ... غلاف بحر إمام المسلمين صفا
وإنه آية في الكشف في سِيَر الـ ... أسلاف عنهم كفىٰ في قوله وشفا
وعن مناقبه حدث ولا حرجٌ ... وبحرها العذب لم نَدرك له طرفا
لذا وقفتُ عن التبيان مكتفياً ... ببعض ما قلتُه من كل ما عُرفا
ولم يمت قطُّ من أبقىٰ خليفته ... محمداً ابنَهُ من بحره اغترفا
وهٰذه صحف التذكير خالدةً ... لسانَه إنها قد أحيت السلفا
ونسأل الله يجزي الجامعين لها ... وأن يُبَوِّئَهُ الجناتِ والغُرفا
لا زلتَ في الخلد عند الطهر مبتهجاً ... جارَ الفقيه لدىٰ آبائك الشُّرفا
واذكر لهم حالة الإسلام واضحة ... من التنكر من هجرٍ وكلِّ جفا
عسىٰ لعل إلٰهُ العرش يُبدِلها ... بسر مَقْدَمِكم في ظاهرٍ وخفا
وأن يصلِّيَ ربُ العالمين علىٰ ... طٰه وآلٍ وصحب ما ٱلحَيَا وَكَفا

* * *

و[ممن] رثاه : السيد العلامة ، الداعي إلىٰ الله محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم بهٰذه القصيدة ، وكتب قبلها ما نصه :

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هٰذه أبيات رثائية ، وفيها تاريخ وفاة الإمام الهمام ، بركة المسلمين وخليفة السلف الصالحين ، الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب الدين ، المتوفىٰ ببلد (تريم) صباح يوم السبت في (١٢) رمضان سنة (١٣٨٦هـ) ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه ، وأسكنه أعلىٰ فراديس الجنان ، وأخلفه علىٰ الإسلام والمسلمين بالخلف الصالح :

غربت شمس قطب هٰذا الزمانِ ... فاستطال الظلام في الأكوانِ
وغدونا مستعجمين حيارىٰ ... لا نطيق التعبير عما نعاني
طَوْدُ رُشْدٍ هوىٰ فَدَكَّ صروح الـ ... ـمجد والفضل والهدىٰ والبيان
إن هٰذي مصيبة قد ألمت ... في صميم الإسلام والإيمان
فَقْدُ أهل التُّقىٰ علىٰ الدين نقص ... فهلموا نبكي علىٰ الأديان
كل عين بكته حتىٰ استحال الـ ... ـدمع فوق الخدود أحمرَ قاني
آهِ يا قلب هل تطيق عزاء ... عَزَّ في مثل ما دَهىٰ سُلواني
كيف نسلو ونحن ننظر صرح الـ ... ـرشد والحق ساقط البنيان
كيف نسلو وقد فقدنا الملاذ الـ ... ـكهف غوثَ البلاد نجم الأزمان
كيف نسلو وقد أصبنا بفقد الـ ... ـعارف القطب صفوةِ الأعيان
الإمامِ الهمام محيي علوم الـ ... ـسادة العارفين أهلِ المثاني
عَلَوِيِّ المهاب نجلِ العفيف أَبْـ ... ـنِ الشهاب المجاب فردِ الأوان
كان فينا مؤدباً وشفيقاً ... ونصيحاً برأفة وحنان
لم يزل يبذل النصيحة في كُـ ... ـلِّ مقام بغاية الإتقان

قد نَشَا زاهداً عفيفاً تقياً ... طاهرَ الجيب طيب الأردان
ليس تُدرَىٰ لذلك الحبر أدنىٰ ... صبوةٍ في زمانه والمكان
حافظاً وقتَه من البيت للمسـ ... ـجد للدرس للرباط المدان
ناشراً راية الهداية بالإخلاص ... في سره وفي الإعلان
ولقد بث في الربوع علوم الـ ... ـقوم عن خبرة وحسن بيان
ودعا للإلٰه دعوة ذي صد ... ق فدبَّت إلىٰ صميم الجَنان
كم هدىٰ ربُّنا به من جهول ... وغويٍّ وتائهٍ حيران
لم يزل راوياً لنا سِيَر الما ... ضينَ من كل عارف رباني
حاكياً من غرائِب العِقْد والمشـ ... ـرع والجوهر النفيس معاني
نسخة للأسلاف كالفخر والمحـ ... ـضار والعيدروس والجيلاني
قد ترقَّىٰ ذرىٰ المقامات حتىٰ ... صار فردَ الزمان في كل شان
وتردَّى رداء كلِّ كمال ... وتحلىٰ بحلية الإحسان
نال بالجد كلَّ مجد فلا غَرْ ... وَ إذا فاق سائر الأقران
لاحظته عناية الله في أطـ ... ـواره كلها وسرُّ المثاني
كم كشوف له وكم من كراما ... ت رآها الأنام رأي عِيان
فلهٰذا كان اعتقادهمو فيـ ... ـه اعتقاد الصَّدوق ذي الإتقان
كم له من شمائل وصفات ... ونعوت يَكِلُّ عنها بياني
إنما أدرجوا العفاف وزهداً ... والتقىٰ في لفائف الأكفان
حملوا نعشه وقد حَمَّل الأعـ ... ـناق كم مِنَّةٍ بدون امتنان
أقبل الناس للصلاة وللتشـ ... ـييع من كل جانب ومكان
ضاقت السُّبْل عنهمُ والمصلَّىٰ ... بين صفٍّ والصفِّ قِيْدَ بنان
كل من جاءه النَّبا قام يسعىٰ ... لحضور الدُّعا بدون توانِ
لم يَعُقْهم صوم ولا بُعْدُ دارٍ ... عن شهود الحفل الرهيب المصان

مشهدٌ فاخرَتْ تريم به حـ ـقّاً جميع الأمصار والبلدان
مشهد حفت الملائك في كُـ ـلِّ نواحيه ناكس الأذقان
هٰكذا شأن من أطاع وأسدىٰ كلَّ بِرٍّ ينال أقصىٰ الأماني
أيها القطب طبت حياً ومَيْتاً نلت من ذي الجلال كل أمان
يا نزيل الفقيه فزت بما تهـ ـواه في برزخ لذيذ المجاني
كن لنا ذاكراً وللأهل والأو لاد والأقربين والجيران
أنت فينا بما تركتَ من الآ ثار والذكر لست تُحْسَبُ فاني
وابنُك النَّدْبُ من أقام علىٰ البِرِّ مقاماً مُشَيَّدَ الأركان
بارك الله فيه قام بما قمـ ـتَ وقرت بفعله العينان
ولأمرٍ كانت وفاة حبيب الـ ـقلب في شهر صومنا رمضان
ولعام الوفاة إن شئت أرِّخ فاز بالمن والرضىٰ بالجنان
(سنة ١٣٨٦هـ) (٢١١) (١٠٣٨) (١٣٧)
ربنا اسكب علىٰ الفقيد سحاب الـ ـفضل والاقتراب والرضوان
وتكرَّم عليه بالعفو والفو زِ وَبالقرب واللقاء والتداني
وعلينا فاخلفه بالخير والرشـ ـد وحسن الختام والغفران
وصلاة الإلٰه تغشىٰ نبي الـ ـلّٰه طه المختار من عدنان
وعلىٰ الآل والصحابة والأصـ ـهار والتابعين في كل آن

* * *

تم في (٢٣) رمضان المعظم سنة (١٣٨٦هـ) .

وهٰذا آخر ما يسر الله تعالىٰ لي جمعه في مناقب ذلك الإمام ، وهو بلة من بحر ، بالنسبة لما لم أذكره .

وهنا يحسن الختام بأفضل الصلاة وأزكىٰ السلام علىٰ سيدنا وشفيعنا

محمد خير الأنام ، وعلىٰ آله الخيرة البررة الكرام ، وأصحابه حماة الإسلام ، والتابعين لهم في كل إقدام وإحجام ، وعلينا معهم وفيهم ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وكان الفراغ من تقييده وجمعه ، عشية يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام ، أحد شهور عام ألف وثلاث مئة وتسعة وثمانين من الهجرة النبوية ، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأزكىٰ التحية .

كملت النساخة ـ بحمد الله تعالىٰ ـ يوم السبت (٢٤) شهر شوال سنة (١٣٩٩هـ) وقد بلغ مقابلةً علىٰ النسخة المنسوخ منها حسب الإمكان في (٢٨) شوال سنة (١٣٩٩هـ) .

* * *

مناقب إمامنا وشيخنا ، القدوة الصفوة

السالك سبيل المهتدين ،

محمد بن علوي ، بن عبد الله ،

ابن عيدروس ، ابن شهاب الدين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

وبعد : فهـٰذه بعض مناقب سيدنا وبركتنا وقدوتنا وخليفة سيدنا ، السيد الكامل ، والعالم العامل ، النقوة الصفوة ، الذي لم تعرف له صبوة :

أبي عبد الله جمال الدين محمد بن علوي ، بن عبد الله ، بن عيدروس ، بن محمد ، بن علي ، بن عبد الله ، بن عيدروس ، بن علي ، بن محمد ، بن أحمد شهاب الدين الأصغر ، ابن عبد الرحمـٰن ، ابن شهاب الدين الأكبر أحمد بن عبد الرحمـٰن ، ابن الشيخ علي ، بن أبي بكر السكران ، ابن عبد الرحمـٰن السقاف ، ابن محمد مولىٰ الدويله ، ابن علي ، بن علوي ، ابن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط ، ابن علي خالع قَسَم ، ابن علوي ، بن محمد بن علوي ، بن عبد الله ، بن أحمد ، بن عيسىٰ ، بن محمد النقيب ، ابن علي العريضي ، ابن جعفر الصادق ، ابن محمد الباقر ، ابن علي زين العابدين ، ابن الحسين ، بن علي ، بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت المصطفىٰ محمد ﷺ .

وُجِد هـٰذا الإمام بـ« تريم » في (٦) شهر ربيع الأول ، سنة (١٣٣١ هـ) إحدىٰ وثلاثين وثلاث مئة وألف هجرية ، وتربىٰ في حَجر والده ، وكان من حين صباه وهو علىٰ طريقة حسنة وأفعال مستحسنة .

له القبول التام ، عند الخاص والعام . نظره دواء شافٍ ، وكلامه ترياق صافٍ ، وهو من الذين إذا رُؤوا . . ذُكِر الله ، ومن الذين قالوا : ربنا الله ، ثم استقاموا ، ومن الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ومن الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ومن العباد الذين يمشون علىٰ الأرض هوناً ، ومن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً .

وكان زاهداً في الدنيا ، لا يسأل عنها ولا عن أخبارها ، ولا تخطر له ببال ، راغباً في الآخرة ، وفيما يقربه إلىٰ مولاه .

قال القائل :

إن لله عبـــــاداً فُطُنَـــــا طلقـوا الـدنيـا وخـافـوا الفتنـا
نظـــروا فيهـــا فلمـــا علمـــوا أنهـــا ليســـت لحـــيٍّ وطنـــا
جعلـــوهـــا لجـــةً واتخـــذوا صـــالـــح الأعمـــال فيهـــا سفنـــا

ليس له التفات لغير الله ، كما حكي عن سيدنا العيدروس الأكبر أنه قال : من منذ خلقنا الله لم يلتفت قلبي لغير الله .

أخذ عن والده العلوم الظاهرة والباطنة ، وهو شيخ فتحه ، وجُلُّ انتفاعه به ، قرأ عليه القرآن من صغره حتىٰ ختمه ، وحفظ علىٰ يديه بعض المتون .

ومن حرص والده عليه أنه جاء له بالمعلم إلىٰ الدار .

ومن مشايخه والآخذِ عنهم : العالم العلامة ، الباذل نفسه ووقته في العلم والتعليم والدعوة إلىٰ الصراط المستقيم : الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري .

ومنهم : السيد العلامة المتحلي بكل نفيس ، ومؤلف « الياقوت النفيس » : الحبيب أحمد بن عمر الشاطري .

ومنهم : السيد العلامة الولي ، أبو بكر بن محمد بن أحمد السري . قرأ عليه في الفقه في مسجد سرجيس بعد صلاة الصبح ، وحضر أيضاً تدريسه في الفقه في محل سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي .

ومنهم : السيد العلامة ، خليفة الأسلاف ، وبقية السادة الأشراف : أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي السقاف . قرأ عليه « المعارج » للشيخ علي بن أبي بكر .

وكان الحبيب أحمد ـ المذكور ـ إذا جاء إلىٰ « تريم » يصلي الصبح في مسجد سرور مع الحبيب علوي ، ويطلع بعد الصلاة إلىٰ عند الحبيب علوي ويقرأ عليه صاحب الترجمة ، ويفطر عندهم ويخرج ، رضي الله عنهم .

ومنهم : السيد العلامة النحوي ، المتحلي بمحاسن الأوصاف : عمر بن علوي بن أبي بكر الكاف . قرأ عليه « فتح المعين » كما أخبرني بذلك .

ومنهم : السيد علي بن طاهر بن يحيىٰ .

كان يأتي إلىٰ البيت ويقرأ عليه بأمر والده .

ومنهم : الشيخ الفقيه ، المحب لأهل البيت النبوي : سالم سعيد بكير باغيثان . وكان يأتي إلىٰ بيت والده بعض الليالي بعد العصر ، وقرأ عليه كتباً كثيرةً غالبها في الفقه .

وكان الشيخ سالم ـ المذكور ـ يمدح صاحب الترجمة علىٰ اجتهاده وضبطه وتقييده للمسائل .

وقد جمع سيدي فوائد شتىٰ ومسائل في كل الفنون ، وغالبها في التصوف وكلام القوم ، موجودة عند أولاده ، وغالب منقولاته ينهيها ويسندها لصاحب الكتاب ، مع ذكر اسم الكتاب .

ومنهم : الشيخ الفقيه ، محفوظ بن سالم بن عثمان ، فكان يسير إلىٰ عنده لبيته بعد مدرس الرباط يوم السبت والربوع ، وقرأ عليه كتباً كثيرةً ، واستفاد منه فوائد كبيرةً .

وكان والده يحبه ويثني عليه ، وكان يقول في حقه ومدحه : محمد ولدي مقامه عظيم ، ومحمد معه سر ما هو معي ، ومن يحبنا . . يحب ولدي محمد .

ولم يزل ينظره ويرعاه إلىٰ أن توفاه الله .

وإن سألت عن بره بأبيه وأمه . . فهـٰذا شيء شاهدناه بعيوننا ، فكان لا ينام حتىٰ ينام والده ، ويكبِّس رجليه ، ويغطيه ليلياً ، ويدهن له أحياناً ، ويتعهد والده ويعتني به في أخذ الأدوية والمرطبات وغيرها ، والقيام بتغسيل ثيابه وتنظيفها ، وربما فعل ذلك بنفسه .

وإن اشتكىٰ والده شيئاً . . بات عنده بقربه تحت طلبه وإشارته .

وهو العضد الأيمن لوالده في الدار وغيره ؛ فكان يكتب له العزائم والحروز ، جالس عنده لا يفارقه .

وأذكر مرة من المرات جاءت عند الحبيب علوي امرأة تريد عزيمة من الحبيب ، فقال لها : « نحن نخلي محمد يكتب لك العزيمة » .

فقالت له : لا ، ما أريد الحبيب محمدْ يكتبها ، أريدك أنت تكتبها لي بقلم يدك .

فقال لها : « شِيْ محمد أحسن مني ، ومعه سر ما هو معي » .

وكان والده لا يرخص له بالخروج من « تريم » إلا لزيارة نبي الله هود فقط ، فكان إذا سار صاحب الترجمة لزيارة نبي الله هود . . تجد الحبيب علوي ينقبض وتضيق فرائصه من مفارقة ابنه البار ؛ لأنه كان يقول لنا : « محمد ولدي وأخي وصاحبي » .

فإذا جاء من الزيارة ، واتفق به . . فرح به فرحاً شديداً ، ويزول عنه القبض وينبسط ، ويبيتون في أنس وسرور كبير ، ويخبره بأخبار خُبْرته[1] ، وأخبار الزيارة ، فكأنه قدم عليه من سفر طويل ، ويقول له :

« الحمد لله ، قدك عندنا وقد عبرت الزيارة » .

وقد طلب صاحب الترجمة من والده السماح له بالحج ، فقال له : « ما مني رخصة ما دمت حي ، وأما إذا مت با يسهل الله لك الحج ، وباتحج وباترجع » .

فحج سيدي حجة الإسلام سنة (١٣٨٧ هـ) ، وزار المصطفىٰ ﷺ .

ثم سار بعد الحج إلىٰ (مصر) وصحبه ابنه الأخ عبد الله للتداوي من وجع رأسه ، وجلس بها نحو أربعة عشر يوماً ، وزاروا فيها المشاهد العظيمة ، فزاروا مشهد سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب ، وسيدي أحمد البدوي ، والسيدة نفيسة ، والشافعي ، والبوصيري ، والشعراني ، وغيرهم رضي الله عنهم .

وكان سيدي يشتكي من وجع في رأسه من قديم حوالي سنة (١٣٦٥ هـ) ، وبقي معه إلىٰ أن مات وهو صابر عليه ، ولعل موته كان بسببه ، وقد طلع إلىٰ (عدن) للتداوي منه ، ولعله سنة (١٣٦٩ هـ) .

يحس بدوِيٍّ شديد في رأسه حتىٰ أحدث فيه صمماً ، وقد يتقيأ من شدة الوجع ، وقد يسبب له دوراناً .

والحاصل أنه مبتلىٰ بهـٰذا الوجع وصابر عليه ، قال ﷺ : « إذا

---

(١) يقال للمكان النازلين فيه جماعة من الناس في « شِعب هود » . . خُبْرة . ولعل ذلك حيث تُخْتَبَرُ أخلاق الرجال في السفر .

أحب الله عبداً ابتلاه ، فمن رضي . . فله الرضىٰ ، ومن سخط . . فله السخط » .

وقال الله : ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾ [الأنفال : ١٧] .

وقال ﷺ : « أشدكم بلاءً الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الأمثل فالأمثل » .

وكان الحبيب علوي إذا جاء عنده أحد من رجال العلم والفضل والصلاح . . يقول لهم : « ادعوا لولدي محمد » .

ولما ابتدأ صاحب الترجمة في الدعوة إلىٰ الله ـ التي هي طريق والده وسلفنا الصالحين ، وطريقة سيد الكونين ـ استأذن والده أن يخرج إلىٰ بعض الأماكن القريبة ؛ كـ (الفجير) و(الحجيل) و(الغويطة) للتدرب علىٰ الوعظ والإرشاد . وليس الذي يتكلم هو العلم فقط ، وإنما الذي يتكلم هو النزاهة والاستقامة والشخصية الملحوظة المنظورة أولاً ، والعلم ثانياً .

وأذكر مرةً أنه ألقىٰ مولداً في مسجد شهاب الدين بـ« النويدره » بدل والده ، وحضروا ناس من أهل الاعتقاد وأهل الانتقاد ، وتكلم سيدي ولا استرسل في الكلام ، فجاء إلىٰ عند والده بعد المولد وأخبره بما وقع ، وأنه لم يسترسل في الكلام ، وأنه حضر فلان وفلان ، فقال له :

« لا تخاف عادك باتتكلم بحضرتهم كلهم وتفوقهم وتسبقهم » . وتَفَل في فيه .

ويقال : ما خرج من الجَنان . . دخل الجنان ، وما خرج من اللسان . . لا يجاوز الآذان .

وعِلْمُ ذي الأنوار في جَنانه وعلم ذي الأوزار في لسانه

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد : كلام أهل الإخلاص والصدق

نور وبركة وإن كان غير فصيح ، وكلام أهل الرياء والتكلف ظلمة ووحشة وإن كان فصيحاً .

وأصبح بعد والده قطب الزمان وعين المكان ، المجمع علىٰ فضله وتقديمه ، تطيب الجلسة بحضوره ، ويشرق عليها نوره ، فهو عِقد جوهرها ، ورأس سبحتها ، إذا أقبل عليهم . . قاموا له تعظيماً وإجلالاً حتىٰ يجلس في صدر المجلس .

وكان يكره القيام له ، وربما أشار بيده مع دخوله بالجلوس ، تواضعاً وخروجاً من قوله ﷺ : « **من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار** » .

فكان غايةً في التواضع وعدم رؤيته لنفسه ، متأدباً مع أقرانه ومن هو أصغر منه سناً ، فلهـٰذا رفعه الله ، قال ﷺ : « **من تواضع لله رفعه الله** » .

وما أدرك هـٰذا إلا بتأدبه مع مشايخه والتواضع لهم وكسر النفس ، ولو رأيته حين يدخل لمدرس الرباط يوم السبت والربوع وهو حامل حفيظته بهيئته العجيبة ، يصافح الجالسين في صدر المجلس كلهم ، ويقبل أيديهم وخصوصاً والده . . لأعجبك حاله واغتبطت به ، وما ذاك إلا ثمرة التربية الحسنة من والده ، فهـٰكذا فلتكن التربية ، وهـٰكذا فلتكن الأخلاق الحسنة :

لـولا المـربـي مـا عـرفـت ربـي

قال القائل :

بِـأَبِـهِ اقتـدىٰ عَـدِيٌّ فـي الكـرمْ ومـن يُشـابِـهْ أَبَـهُ فمـا ظلـمْ

فهو رحمه الله ، ورث الفضل عن أبيه وجده ، أب عن أب ، وجَد عن جَد إلىٰ النبي ﷺ ، فكل منهم فاضل ، وعالم وعامل ، وصالح وكامل ،

وصاحب المناقب فَضَلَ أباه وزاد عليه ، كما قيل : إن السيد الفاضل فَضْل بن علوي بن سهل مولىٰ الدويلة فَضَلَ أباه .

ويذكر عن الحبيب عبد الله بن شيخ العيدروس أنه أتىٰ بولده محمد بن عبد الله صاحب « إيضاح أسرار علوم المقربين » إلىٰ عند أحد من السادة آل باجحدب ، وقال له : ادع لولدي .

فقال له : أرجو أن يكون ولدك أحسن منك .

فبسط الحبيب عبد الله بن شيخ سجادته وسجد شكراً لله تعالىٰ . انتهىٰ .

ولأنهم يقولون : ما أحد يحب أن يكون أحد أحسن منه إلا ولده » .

وفي « تحفة المستفيد » جمع مناقب وأشياخ الحبيب محمد بن حسن مولىٰ عيديد ، في ذكر شيخه الجَد عبد الله بن عيدروس بن محمد بن شهاب الدين قال في آخرها : « ويكفيه فخراً خروج ولده الأخ علوي من صلبه » انتهىٰ ؛

ويكفي الحبيب علوي فخراً خروج ابنه محمد من صلبه .

قال بِنْ مصطفىٰ :

عالمٌ فاضل أبَي ثم جدي هٰكذا نسبتي إلىٰ المختار
وأنا أرتجي كمثل أصولي ذاك أقصىٰ المنىٰ من الغَفَّار

قال الحبيب علي بن محمد الحبشي في قصيدته :

أبٌ يتلقىٰ عن أبيه وهٰكذا فيا لك من آبا كرامٍ وأولاد

ونسمع عن الحبيب علوي أن أحد العارفين بالله يقول : إن الناس ثلاثة أقسام : سابق ، ولاحق ، وماحق .

فالسابق : الذي يسبق أهله .

قال سيدي : وممن سبق أهله عبد الله حداد .

واللاحق : الذي يحب سلفه وذِكْرهم ، ويتشمَّم إلىٰ سِيَرهم وأخلاقهم ، فهـٰذا يلحق بهم .

والماحق ـ والعياذ بالله ـ : هو الذي يمحق طريق أهله .

قال الحبيب علي بن محمد الحبشي :

من لا سلك في طريق أهله تهيَّم وضاع فيا فروع النبي سيروا علىٰ الاتباع

خَلُّوا القدم بالقدم واِحذروا الابتداع

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

من تردىٰ برداءٍ لم يرثه من أبيه سوف يأتيه زمان يتمنىٰ الموت فيه

وصاحب الترجمة ـ رحمه الله ـ شهد له الكل بأنه سبق أهله .

وكان الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر يعمل درساً في مسجد المحضار ، ويقرؤون في « المشرع » وفي غيره من تراجم السلف ، فقال له أحد الحاضرين : يا حبيب عبد الله ، عاد أحد من رجال « المَشْرَع » في هـٰذا الزمان ؟ فقال له : نعم ، هو عيدروس بن عمر . مع أن عيدروس بن عمر تلميذ من تلامذة عبد الله بن حسين بن طاهر ، ولا شك أن صاحب الترجمة ما يُشَبَّه إلا بأهل « المشرع » وأهل « الرسالة القشيرية » وكم ترك السلف للخلف ، وكم ترك الأول للآخر ؟ وفي الحديث : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق ، لا يضرهم من ناوأهم إلىٰ أن يخرج المهدي** » .

وذكر في « الغرر » وغيرها في ترجمة سيدنا أبي بكر العدني : أن أحد العارفين يقول : إن أهل البيت أفضل الناس ، والسادة العلويين أفضل أهل البيت ، وأفضل آل باعلوي في ذلك الزمان أبو بكر العدني .

ولا شك أن أفضل آل باعلوي في زماننا هـٰذا هو السيد محمد بن علوي صاحب الترجمة ، لا يختلف في ذلك اثنان .

قال ابن الوردي :

لا تقـــل قـــد ذهبـــت أربـــابـــه كل من سار علىٰ الدرب وصل

وأما حُسن ظنه :

فكان حَسَنَ الظن بالناس ، الصغير والكبير . وحُسن الظن لا يخفىٰ أنه رتبة عظيمة ، وصاحب حُسن الظن لا يخيب وإن أخطأ .

وذكروا عن سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، أنه رُئِيَ بعد وفاته ، فقيل له : ما أحسن ما وجدتموه في البرزخ ؟

فقال : حسن الظن بالله ، وحسن الظن بعباد الله .

قال سيدي عبد الرحمـٰن بن علي في قصيدته :

وحُسن الظن بالمسلمين الكُلّْ فالزَمْ

وقال سيدنا الحداد :

ولحُســـــــن الظـــــن لازمْ فهـــــو خلـــــي وحليفـــــي

وأَنِيســـــــي وجليســـــــي طـــــولَ لَيلِـــــيْ ونهـــــاريْ

فكان يعتقد في كل من رآه الخير والصلاح ، وإن كان يبدو منه خلاف ذلك .

قال ﷺ : « **خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله ، وحسن الظن بعباد الله . وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله ، وسوء الظن بعباد الله** » .

قال بعض الأكابر : إن حسن الظن والمحبة الصافية يُلحِقان الأصاغر

بالأكابر في أعلىٰ المقامات العلية . انتهىٰ من « العقد » للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي .

وكان سيدنا أبو بكر السكران ، بن عبد الرحمـٰن السقاف يقول : ما نلت ما نلت إلا بكثرة حسن ظني في الصالحين وجميع المسلمين .

وأما صبره ـ رضي الله عنه ـ : فقد صبر صبر أيوب ، صبر علىٰ مرض رأسه السنين الطويلة ، نحو خمس وثلاثين سنةً ، ولاقىٰ منه أتعاباً شديدةً .

وصبر علىٰ تكلُّفه بالعائلة الكبيرة وتدبير أمورها .

وصبر علىٰ « تريم » ومحلتها ، وعلىٰ أذية بعض أهلها له ، وصمد تجاه هـٰذا كله كالجبل الراسخ ، ولا حرَّكته العواصف والأرياح المزعجة ، ولا رأينا أحداً ثبت لها وتلقاها بصدر رحب غيرَه .

قال الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس : ما ينبغي الخروج من « تريم » إلا لأمر مزعج مزعج مزعج .

وذكروا عن الحبيب أحمد بن علي الجنيد : أنه صلىٰ ليلةً في السقاف بثمانية عبيد يحرسونه ، خائف من غَرامَه[1] .

وصبر علىٰ محلة « تريم » .

وكان الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه ما يأذن لأحد بالخروج من « تريم » إلا لمن أراد الحج أو زيارة نبي الله هود .

وقال الشيخ أحمد بكري خطيب : ما يُخرِجنا من « تريم » إلا ذنب أذنبته .

---

(١) اسم حاكم ظالم معروف ببطشه .

سئل الحبيب عيدروس بن عمر عن قول الشيخ المحضار في قصيدته :

ألا يا نازحاً عن بلاد الطب ما لَكْ ورُحْ وارجع إليها واجعلها حِلالَكْ

تَراك إنْ رُحْت منها فلا تُرزَق كمالَكْ

قال : المراد بالكمال هو الاتباع لسيد الوجود .

وقال الحبيب عبد القادر بن شيخ العيدروس في « النور السافر » : المراد بالكمال هو الموت علىٰ حسن الخاتمة .

وقال أيضاً : إن المحضار سماها بلاد الطب ؛ لأنها جمعت الطبين : طب القلوب ، وطب الأبدان .

ويحكىٰ عن الحبيب عمر بن حسن الحداد أنه طلب من أحد أغنياء (تريم) خمسة ريال فرانصه قِرضة ، فرده الغني ، وقال : أود أن أتجمل معكم ، ولـٰكن ما شِيْ معنا .

فقيل له في ذلك ، فقال : « بانصبر عليهم لأجل الكمال »

فقيل له : وما الكمال ؟

فقال : « هو الموت علىٰ حسن الخاتمة » .

وكان صاحب الترجمة باذلاً حاله للناس ولخدمة (تريم) حتىٰ أرهقه التعب وظهر علىٰ بدنه آثار الضعف والإرهاق فوق ما يعانيه من أمراض ، كما تقدم .

فكان إذا دعاه أحد إلىٰ بيته لزواج أو غيره . . سار إلىٰ عنده وجبره وأخذ بخاطره ، مع أخلاق رضية ، وصفات علية ، وأخلاق نبوية ، حتىٰ قد يَرىٰ ما لا يسره فيصبر ، أو قد تطول مدة جلوسه عند آل الزواج فلا يتكلم ولا يظهر شيئاً .

قال في كتاب « قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، قال : قال حكيم الحكماء ﷺ : « **من خالط الناس وصبر علىٰ أذاهم أفضل ممن لم يخالطهم ولم يصبر علىٰ أذاهم** » اهـ .

وربما جاءت لصاحب الترجمة أربع عزومات أو ثلاث في وقت واحد فيذهب عند كل واحد منهم ، وهـٰذا مشاهَد منه ، وكل أهل (تريم) يعرفون ذلك منه ، وهـٰذا ـ لعمري ـ من أخلاق النبوة ، فكان ﷺ يجيب من دعاه ، إذا دعاه المسكين . . أجابه إجابةً معجلةً .

ويعطيك طرفاً ونموذجاً من صبره وتحمله المشاق والأذىٰ : أن سيارته تكاد [تكون] موقوفةً لمن أراد ركوبها لا يرد عنها أحد ، حتىٰ إنها تمتلىء قبل أن يدخلها هو وأولاده .

وسمعت بعض السادة الأخيار يقول : هـٰذه سيارة محمد بن علوي ، هي سيارة الفقيه المقدم ونحن عيال الفقيه .

ويركبونها من غير إذن ، لكونهم يعلمون رضاه وأخلاقه .

فكم يبلغ فضل هـٰذا الركوب ودعوات من ركبها له من الشيابة[1] والصالحين والعجزة ، « **رب أشعث أغبر لو أقسم علىٰ الله لأبره** » . وقد يوقِّف السيارة لمن كان في الطريق ليركب .

وأما حزب ما بين المغرب والعشاء : فكان ـ رضي الله عنه ـ مواظباً عليه في مسجد الماس ، كعادة والده ، من أيام صغره إلىٰ أن مات والده ، ثم استمر هو وأولاده عليه إلىٰ أن مات هو ، والعَلَم في المصحف علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧] .

---

(١) الشيابة : هم كبار السن .

وأما صلاة الظهر : ففي الماس أيضاً ، كعادة والده ، ثم في السنين الأخيرة لما ضعف . . كان يصلي في البيت بأهله وأولاده .

وصلاة العصر كذلك في البيت إذا لم يَسِرْ إلىٰ مكان . وكان بعد صلاة العصر مباشرةً يُقرِئُهُم الفاتحة ، والتشهد ، وأركان الإسلام ، وأركان الإيمان ، والإحسان ، وفروض الوضوء ، ومعنىٰ لا إلـه إلا الله ، ونسب النبي ﷺ .

وقد يجلس مع نسائه وبناته وأخواته ويذكِّرهن بالله ويعظهن ، وغالب ذلك بعد وجبة العَشاء .

وأما صلاة الصبح : ففي مسجد سرور .

وأما قيامه آخر الليل : فكان ـ رضي الله عنه ـ يقوم وعادْ نحو ساعتين من الفجر أو أكثر إلىٰ مسجد سرور ويبقىٰ فيه وَحْدَهُ مدةً طويلةً ، يسبح الله ، ويحمده ويذكره ، ويركع الوتر ، ويتلو كتاب الله .

ولا ترك قيام آخر الليل حتىٰ ليلة وفاته ، قال الله تعالىٰ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٤] .

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾

[الإسراء : ٧٩] .

فكانوا يتلذذون بالليل وبمناجاة ربهم ، حتىٰ قال قائلهم : لولا الليل ما أحببنا البقاء في الدنيا ، إن كان أهل الجنة علىٰ ما نحن فيه بالليل . . إنهم لفي عيش طيب .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يستأنس بالمسجد ؛ لأنه في المسجد لا يشغله أحد ، وأما في البيت . . فقد يشغله عن القراءة أحد .

قال الإمام الوالد عبد الله بن حسين بن طاهر في وصف المساجد :

وفي المساجِد سرٌّ ما جلست بها إلا تعجبت ممن يسكن الدُّورا

وأما طلوعه ـ رضي الله عنه ـ لمسجد المحضار في رمضان : فكانت عادة سيدي كوالده ، يطلعون إليه كل ليلة من رمضان ، من أول الشهر إلىٰ آخره ، وكان انتظام الحزب وظهور مقام المحضار علىٰ يده وعلىٰ يد والده ، فكان يطلع حوالي الساعة الثالثة والنصف أو الرابعة ، عربي ، كل ليلة إلىٰ أن ينتهوا من الوترية ، جلسةً واحدةً ، وكَثُرَ فيه المصلُّون لالتماس بركة المحضار ووراث المحضار .

وكان سابقاً يصلي بهم التراويح وكيل المحضار ، السيد الفاضل عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن شهاب .

ووجدت بخط صاحب الترجمة ما نصه : « وفي (٧) رمضان سنة (١٣٦٣ هـ) طلب العم عبد الرحمـٰن والوالد علوي من الفقير أن أصلي بالناس التراويح ، فأبيت ؛ لكوني غير أهل لذلك ، وثانياً : تقدمي علىٰ الوالد قلة أدب ، فكلَّفا عليّ ، فدخلت وبقيت إلىٰ آخر ليلة من رمضان أصلي بالناس مع فرح والدي وبقية المأمومين ، حتىٰ قال لي الوالد لما خرجت أنا وإياه ووصلنا إلىٰ البيت ، قلت له : غير ما شي في صلاتي مخالف ؟

فقال لي : الله الشاهد ، ما هو يومك ولدي ، خصوصية في صلاتك إن نحن ما نستثقلها » اهـ .

وكان الشيخ الفقيه فضل بن عبد الله عرفان ممن يصلي التراويح في المحضار خلف صاحب الترجمة ، فسأله مرةً عن صلاته ، فقال له : صلاتك كلها تمام علىٰ موجب ما قالوه العلماء . أو ما هـٰذا معناه .

وفي الحقيقة : هي صلاة خفيفة ومحكمة ، مع حسن أداء للحروف والواجبات والسنن .

وبقي يصلي بالناس صلاة التراويح في المحضار إلىٰ أن مات سنة (١٤٠٠ هـ) . أي : ستاً وثلاثين سنةً .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحب الفقراء والمساكين ، ويتودد إليهم ، ويمدهم بالصدقة ويستأنس بهم ، يصل أرحامه وأقاربه ، ويؤدي حقوقهم ويكرمهم .

وقد عمر ـ رضي الله عنه ـ مجالس والده كلها من رَوْحَة في غالب الليالي في مسجد سرور ، وفي رمضان والست في مسجد الماس ، والمولد المشهور ليلة الثلاثاء في مسجد سرور ، وكذلك ما يُعتاد أيام والده في بيتهم من العواد العام في شوال والحجة ، ومسراح هود ومضواه ، وليلة سبعة عشر من رمضان ، ليلة ختم سرور للتشهير والتماس البركة ، وعشية يوم عاشورا علىٰ نية ما ذكره العلماء من الأعمال التي تسن في ذلك اليوم ؛ وهو زيارة صالح .

وكان في هـٰذه الجلسات ـ أي : العواد وما ذكر بعده ـ يعمل لهم ما يعتاد من قهوة ودخون ، كل ذلك علىٰ نفقته الخاصة ، وليس لها غَلَّة ولا وَقْف ينفق منه كبعض المقامات ، ولـٰكن . . من خدم الله . . خدمه كل شيء « **يا دنيا اخدمي من خدمني ، واستخدمي من خدمك** » .

قال سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر :

وسخِّرْ لي إلـٰهي كلَّ شيءٍ ومخلوقٍ ولو صُمَّ الجبالِ

وأما تدريسه ـ رضي الله عنه ـ بزاوية جده الشيخ علي بن أبي بكر السكران : فإنه بعد أن جلس الحبيب علوي في البيت تولاه السيد الفاضل عبد الله بن علي المشهور . مدةً وجيزةً ، ثم جلس هو الآخر في بيته

وعجز ، فتولاه صاحب الترجمة وقام به أتم قيام ، فكان يطلع في شدة الحر ظهر يوم الاثنين والخميس ـ كعادة والده ـ حتىٰ آخر يوم من أيامه ، وهو يوم الاثنين (١٦) ربيع الثاني ، قام بالمدرس .

وكان عادتهم في هـٰذا المدرس يبتدئُون يقرؤون عليه أولاد صغار ، واحداً بعد واحد : للتبرك ، في المختصرات و« السفينة » ثم يقرؤون في « المنهاج » .

وتوفي ـ رضي الله عنه ـ وهم في المعاملات في أثناء باب « الحَجر » .

ويذكر عن بعض العارفين بالله أنه يقول : ما دامت زاوية الشيخ علي بن أبي بكر تفتح للتدريس . . فالناس علىٰ خير .

وقال الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس : من علامات الساعة أن يقل العلم في آل الشيخ علي بن أبي بكر .

ولنذكر هـٰذه الزاوية المشهورة بالفتوح والمنوح :

قال سيدي الحبيب علوي بن عبد الله ، بن عيدروس ، بن شهاب الدين : إن الحبيب عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور ؛ قال : مكثت في مسجد جدي الشيخ علي أربعين سنةً أؤذن وأقيم ، وإماماً ومدرِّساً .

ثم درَّس بعده ابنه العالم العابد ، الخاشع الزاهد ، علي بن عبد الرحمـٰن المشهور .

ثم درس بعده السيد العلامة ، علي بن زين الهادي .

ثم بعد وفاة السيد المذكور سنة (١٣٤٦ هـ) تولىٰ التدريس بتلك الزاوية : الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب الدين . وقد يتولىٰ التدريس إذا غاب أو اعتذر السيد علي بن زين الهادي .

وكانت الزاوية ـ وخصوصاً أيام الحبيب علوي ـ تزدحم بالعلماء

والطلبة والمستمعين ، حتىٰ إن صلاة العصر يزدحم المسجد حتىٰ يصلي بعضهم خارجه .

قال الحبيب علوي : ونذكر أيام الحبيب عبد الرحمٰن المشهور يدرِّس في الزاوية ، نصلي الظهر خلفه مع خمسة نفر أو ستة ، وصلاة العصر يكون نحو صفين فقط ، وباقي المسجد خلي .

ثم درَّس بعده ـ أي : بعد الحبيب علوي ـ السيد العلامة ، عبد الله بن علي المشهور . ثم بعدَه صاحب الترجمة ، كما تقدم .

وقبل مَن ذكرناهم قد درَّس بها السيد العلامة الحبيب ، عبد الله بن علي ، بن عبد الله ، بن عيدروس ، بن شهاب ، شيخ العبادلة . ودرَّس بها وهو ابن ثماني عَشْرةَ سنةً ، وحضر درسه شيخه عبد الرحمٰن بن علوي صاحب البطيحاء .

وكان لا يقرىء أحداً في تلك الزاوية إلا بعد أن يأتي بخمسة أبيات من متن « الزبد » لابن رسلان ، وكان يسميها « بنت أحمد » وكان يحبها ولا يفارقها ، حتىٰ إنه يخرج بالنسخة معه إلىٰ مُرَبَّعة التمر ، يد قابضة « الزبد » ويد يغطل بها التمر .

ونسمع من الحبيب علوي وغيره أن من تعسَّر عليه حفظ « الزبد » يخرج إلىٰ عند قبره ويقرأ عليه شيئاً منها ، فإنه يسهل عليه حفظها .

قال الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه : ما وقع لي الفتح العظيم إلا لما قرأت علىٰ شيخي عبد الله بن علي بن شهاب في زاوية الشيخ علي .

ومما اشتهر وسمعناه من الحبيب علوي أنه قال : قال لي العم حسين بن زين العابدين العيدروس : من أراد السفر لعاد يقول لأهله : باسافر ، عليه يجي يلعب في زاوية الشيخ علي ؛ فإنها تنبع به .

قال الحبيب علوي : « إن عمي محمد بن عيدروس ما يخلي نحن

نطلع إلىٰ زاوية الشيخ إلا لما كبرنا وقد نحن نميِّز ، خائف أننا نلعب أو نقل الأدب فيها » .

وأفاد في « الشجرة العلوية » مما ذكره في ترجمة الإمام الشيخ القاضي عبد الرحمـٰن بن الشيخ شهاب الدين الأكبر ، أنه هو الذي عمر الزاوية المنسوبة لجده الشيخ علي بجانب مسجده بـ(تريم) المشهورة بالفتوح ولم تزل معمورةً ، ووقف عليها كتباً كثيرةً .

وحَدُّها : ما قُدَّام المنارة مُقَبِّلاً ، ثم زاد الشيخ علي بن شيخ بن شهاب الدين ساقطاً بحريَّ المنارة ، ثم زاد السيد عبد الله بن علي بن شهاب ساقطاً آخر بحريَّهُ ، ثم زاد الحبيب عبدُ الرحمـٰن بن محمد المشهور ساقطاً شرقي الساقطين ومحلاً للقهوة والماء ، ووقف القاضي المذكور عليها أوقافاً كثيرةً وصدقات . انتهىٰ من « الشجرة » بالحرف .

وفي الأخير عمرها السيد الفاضل أبو بكر بن علي بن أبي بكر بن شهاب ، خربها من أصلها ، كما هي عليه اليوم . انتهىٰ .

فالله يعمرها ويعمر المنازل بأهلها ، ويرد ما ضاع علينا من علوم أهلنا وأسرارهم حتىٰ نكون خير خلَف لخير سلَف .

قيل : لما مات سيدي أحمد باجحدب . . قام واحد علىٰ باب الجامع ينادي : « يا راد الضالة ، يا راد الضالة » ثلاثة أيام ، حتىٰ جاءه أحد وقال له : الضالة محفوظة .

ويعني بالضالة : علوم الحبيب أحمد باجحدب وأسراره .

وكان ـ رضي الله عنه ـ حَسَن الخط ، نسخ كتباً كثيرةً منها : « التحفة النورانية » لباوزير ، و« كلام الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي » جمع الحبيب عبيد الله بن محسن السقاف .

ومنها : « مناقب الحبيب سقاف بن محمد السقاف » . [وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن زين بن سميط] .

وكتب مصحفاً علىٰ قراءة أبي عمرو وجزَّأه سبعة أسباع ، وكتب كثيراً من المختصرات والمتون .

وبالجملة : فوقته كله طاعة وعبادة ، ما تدخل عليه في بيته إلا وهو يطالع في كتاب ، أو في مقابلة الزائرين ، أو في صلاة ، أو مع أهله وأولاده يباسطهم ويعلمهم .

وهٰكذا كانوا سلفنا ، أوقاتهم كلها معمورة بالخير .

قال الحبيب أحمد بن زين الحبشي في « شرح العينية » : من أراد أن ترجح كفة حسناته وتثقل كفة موازين خيراته . . فليستوعب في الطاعات أكثر أوقاته .

ومن حسن أخلاقه : أن كل من جاء إلىٰ عنده زائراً أو طالباً عزيمةً ما يخرج من عنده إلا بعد أن يبخره ويأتي له بالقهوة أو الشاي ، وقد يأتي إليه الزائرون وهو يتغدىٰ ، فيقوم من فوق الغداء ويكلمهم ويأخذ بخاطرهم .

قال سيدنا العدني : لما بلغنا بالنفوس ما شَقّ . . نلنا المنىٰ .

وقالت الشيخة سلطانة بنت علي الزبيدية ، في مدح سيدنا عبد الرحمٰن بن محمد السقاف :

شريفٌ جاهد النفس الذميمهْ صَبَرْ حتىٰ مَلَكْها بالعِنانِ

والله سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وما بلغ صاحب الترجمة هٰذا المقام إلا بالمجاهدة ، والصبر ، والتواضع ، والأخلاق الحسنة مع الصغير والكبير .

قال سيدنا الحداد في بعض قصائده :

وبالجد والصبر الجميل تَحُلُّ في فسيح العلا فاستوص بالجد والصبر

وفي الأخرىٰ يقول :

وحالف الصبر واعلم أن أوَّلَه مُرٌّ وآخره كالشَّهد والضَّرَب[1]

وقال أيضاً :

نَعَمْ وَعَوِّلْ في جميع الأمورْ ما دمت في الدنيا علىٰ الصبرِ

قال الله تعالىٰ مخاطباً لحبيبه ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وهٰكذا ورثته ﷺ ، كما قال فيهم سيدنا الحداد :

هُمُ الحاملون السرَّ بعد نبيهم وورَّاثُهُ أكرم بها من وراثة

وفي الأخرىٰ يقول :

أولئك وراث النبي ورهطُهُ وأولاده بالرغم للمتعامي

وقال أيضاً :

لمواريث الرسول حَوَوْا وأمير المؤمنين علي
ومن السبطين قد ورثوا ثُمَّ كم حبرٍ وكم بدل

قال الشواف :

فالسر لي في الهاديْ فقال هُوْ في أولادي

ولا شك ، إن صاحب الترجمة أخذ بالحظ الأوفر من هٰذه الوراثة

---

(١) الضَّرَب : العسل الأبيض .

النبوية ، ومشىٰ علىٰ طريقة آبائه الكرام ، ما حدىٰ عنها طَرْح بَنَانَة حتىٰ أمدوه كلهم وصار خليفتهم .

قال سيدنا السقاف : إذا طاب أحد أولادنا . . يكون ذهباً خالصاً ، وإذا طاب أحد من المشايخ آل أبي فضل . . يكون فضةً خالصةً .

وأهلنا العلويون كما وصفهم القطب عبد الله بن علوي الحداد في قصيدته العينية ، حيث قال :

قوم يُغاث بهم إذا حل البلا ... ولدىٰ المساغب كالغيوث الهُمَّعِ
قوم إذا أرخىٰ الظلام ستوره ... لم تُلْفِهِم رهن الوِطا والمضجع
بل تَلْقَهُم عُمُدَ المحارب قُوَّماً ... لله ، أكرم بالسجود الركع
يتلون آيات القرآن تدبراً ... فيه ولا كالغافل المتوزع
ثبتوا علىٰ قدم الرسول وصحبه ... والتابعين لهم فسَلْ وتتبع
ومضوا علىٰ قصد السبيل إلىٰ العلا ... قدماً علىٰ قدم بجِدٍّ أوزع

سأل الحبيب أحمد بن زين الحبشي شيخه القطب عبد الله بن علوي الحداد عن طريقة سلفنا العلويين ، ما هي ؟

فقال له : طريقتهم خمسة أشياء : العلم ، والعمل ، والخوف ، والورع ، والإخلاص .

وإنها هي المعني بها في قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

قال الحبيب علي بن محمد الحبشي في قصيدته ، مخاطباً أولاده وغيرهم :

ومما يسر القلبَ مني لزومُكم ... طريقة آبائي وأهلي وأجدادي
من السلف القوم الذين توجَّهوا ... إلىٰ الله يقفون النبيْ المصطفىٰ الهادي

ثم فسرها لهم وبينها بقوله :

وها هي أعمالٌ خلت عن شوائب وعلـــمٌ وأخـــلاق وكثـــرة أوراد

وصاحب الترجمة سار بسير أهله ، فعاش حميداً ومات سعيداً .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحب الإنشاد في مجالسه الخاصة والعامة بقصائد السلف ، وكان المنشد له في غالب جلساته هو ابنه الأخ علي بن محمد ، فكان يحبه ويحب إنشاده ، وكان حسن الصوت والأداء في النشائد والمواخذ .

وكان ـ رضي الله عنه ـ قد تولىٰ تدريس حلقة في الرباط بعد الظهر في الفقه ، وحلقة بعد الفجر في النحو مدةً طويلةً ، وكنت ممن يحضر درسه بعد الظهر .

وقد قرأنا عليه « العمدة » و« الزبد » و« ابن قاسم » علىٰ أبي شجاع .

وبعد الفجر قرأنا عليه في النحو في « الآجرومية » ، فـ« الملحة » ، فـ« المتممة » ، ثم في « شرح القطر » وبعضاً من « الألفية » .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يطلع بعد صلاة الصبح كل يوم جمعة إلىٰ التربة لزيارة أهل « زنبل » فيزور بالناس زيارةً كاملةً ، مبتدئاً بسيدنا الفقيه المقدم ، ويختم بصاحب الطاقة وأخيه محمد ، ابني الحبيب أحمد بن حسين بن عبد الله بن أبي بكر العيدروس ، علىٰ موجب ترتيب الزيارة المدونة .

ثم يزور والده ووالدته ، وقرابته وأخوال والده ، وأم والده الحبابة فاطمة بنت الحبيب محمد بن عمر بن أحمد بلفقيه ، وأخاها خال والده الجد أبا بكر بن محمد بن عمر بلفقيه ، ويزورهم واحداً واحداً ، ويرتب لهم الفاتحة ، ويخرج إلىٰ بيته .

وفي السنين الأخيرة ولما ضعف تأخر عن المطلع .

وورد في الحديث أن من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة . . غفر الله له ، وكان باراً بوالديه . وفي رواية : « **من زار قبر والديه كل جمعة أو أحدهما ، فقرأ عنده ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ غُفِر له بعدد ذلك ، آيةً أو حرفاً** » اهـ .

وأما زيارته لنبي الله هود : فكان يرغِّب الناس للزيارة ، ويحثهم عليها في مجالسه ، وكان لا يتخلف عنها ، فإذا عزم . . زاد عزم الناس لها .

وكان يتقدم قبل المسراح ، ويزور بهم ، ويصلي بالناس ، ويذكِّرهم ويعظهم ، وينذرهم ، ويبشرهم ، مع فرح الزائرين جميعاً وإجماعهم عليه علىٰ تقدمه ، حتىٰ إنه يتعب نفسه ، ويقول لنا : « الناس يجون إلىٰ هود يتنسمون ، ونحن إلا نتعب ونَكْلَفْ » .

فكان يحضر جميع الزيارات كلها ، ويطلع للمغرب والعشاء ، ويقوم آخر الليل وعاد نحو ساعتين من الفجر ، ويتكلف المطلع في البرد

وكان يقوم بزيارة للشيابة والظاهرين في الشعب إلىٰ خدورهم وهم يزورونه ، وتقع جلسات حشيمة مصحوبة ببسط وأنس ونشائد من كلام السلف ما تود أنها تنتهي ، تنسىٰ معها أهلك وعيالك ، يصدق عليها قول سيدنا الحداد :

هل ترىٰ عيشاً تقضَّىٰ ثَمَّ عائدْ إنْ وإلاَّ بالبكا يا عينُ جودي

ولما سمع والده بأنه تقدم إماماً بالناس في زيارة نبي الله هود . . فرح بذلك فرحاً شديداً ، وأثنىٰ علىٰ صاحب الترجمة ثناءً جميلاً .

وقد تولىٰ قيادة الزيارة كلها ، ظاهراً وباطناً ، وخصوصاً في الثلاث السنين الأخيرة .

وكان ـ رضي الله عنه ـ محافظاً علىٰ صيام الأيام الفاضلة في الشرع ؛ كيوم عاشوراء وتاسوعاء ، وأيام الست ، لم يتركها أبداً حتىٰ في صغره ، وقد يصوم الاثنين والخميس ، وأيام البيض والسود ، وخصوصاً في أيام شبابه .

ورأينا كثيراً من الشيابة والعلماء والأعيان يعظمون صاحب الترجمة ، ويحبونه ويثنون عليه ، ويقدمونه في الصلاة وغيرها ، ويطلبون منه الدعاء لهم ولجميع المسلمين .

وكان والده كثيراً ما يقدمه يصلي بالناس إماماً ، وخصوصاً في صلاة العشاء بمسجد سرور ليلة المولد .

وكان الحبيب عبد الله بن عمر بن أحمد الشاطري يقول للحبيب علوي : « خل ولدك محمد يطلع إلىٰ عندنا للرباط ؛ لأَنَّا أرىٰ فيه شيء » .

حتىٰ إن الحبيب عبد الله الشاطري طلع مرةً إلىٰ النعير مع الحبيب عبد الباري بن شيخ العيدروس ، وغيرهم من الشيابة وطلبة العلم ، وطلبوا من الحبيب علوي أن يطلع معهم إلىٰ النعير ويصحب معه ابنه صاحب الترجمة ، فاعتذر الحبيب علوي عن المطلع إلىٰ النعير ، وطلع معهم نيابةً عنه ابنه المذكور ، رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم ، آمين .

* * *

ومن كلامه ووعظه في بعض مجالسه الأخيرة مما سُجل عنه :

قال ـ رضي الله عنه ـ يوم الربوع في (١٠) شعبان سنة (١٣٩٩ هـ)، في زيارة آل الشيخ أبي بكر بن سالم بشعب نبي الله هود ، وتحت الحصاة المسماة بالناقة :

الحمد لله المنعم المنان ، الذي هدانا للإسلام والإيمان .

قال الله تعالىٰ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

الحمد لله الذي جمعنا الله في هـٰذا المحفل العظيم ، « **لا يجتمع أربعون من أمتي إلا وفيهم ولي لله** » .

إن لله عبـــــاداً فُطُنـــــا ... طلقـوا الـدنيـا وخـافـوا الفتنـا
نظـــروا فيهـــا فلمـــا علمـــوا ... أنهـــا ليســـت لحـــيٍّ وطنـــا
جعلـــوهـــا لجـــةً واتخـــذوا ... صـالـح الأعمـال فيهـا سفنـا

هـٰذه أوصاف آبائنا وأوصاف الشيخ أبي بكر بن سالم :

والشيخ أبي بكرٍ سلالةِ سالمٍ ... ذي الفخر والجاه الفسيح الأوسعِ

قال الله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ ما كنا خير أمة إلا بمحمد سيد الكونين .

محمـد سيـد الكـونيـن والثقليـ ... ـن والفريقين من عرب ومن عجم

الحمد لله ، والآن نحن في جاه الشيخ أبي بكر .

وشهاب الدين قال لوالده : « اتركه ، عاد قافلة الروم باتحط تحت بيته ، معه نظره منه ، دَقَّتُه إلىٰ فوق إلىٰ فوق ، والمحفل العظيم هـٰذا بانجده في أي مكان ، جينا كلنا بوضوء وعلىٰ طهارة ، وسلمنا علىٰ أرواح الأنبياء :

وَقْفَـــةْ تُشَبَّـــةْ بـــالحـــجْ والأرض منهـــم تـــرتـــجْ
يـــدعـــون فـــي ذاك الفـــج بصـــوت واحـــد يـــا هـــودْ

واغتسلنا في نهر من أنهار الجنة وطلعنا بالباقيات الصالحات يمكن بعض الأشخاص ما يأتي بالباقيات الصالحات مثلما يأتي بها هنا تخيلوا أسلافكم تخيلوا رجالكم كيف صورة الفقيه المقدم كيف صورة السقاف والمحضار وكلهم وقفوا في هـٰذه الأماكن قال القائل :

ومن رعته العنايه في المجي والذهابْ فلا يبالي ومن خانته الأقدار خابْ

ومن دخل في حماكم.. لا يخف لِا يخف

وهـٰذا حمانا يا العلويين .

واحد من المشايخ المتقدمين في وقت سيدي عبد الرحمـٰن بن علي دخل إلىٰ الشعب ومعه قربعة كبيرة ، فلما وصل إلىٰ الشعب.. سُلِب ، فقالو له : معاد بايرد إليك حالك إلا إن كان عبد الرحمـٰن بن علي .

فجاء إليه ، وقال له : أما تدري أن لكل مكان حمىٰ ، وهـٰذا حمانا يا العلويين ؟ « إن باتتأدب نرد إليك حالك » .

لـٰكنه عين المكاشفين ، وهو الذي أظهر عين القبر ، وقال : هـٰذا محل قبر النبي هود .

ونجله عابد الرحمـٰن مَن كَشَف الـ ـغطـاء عنـه بـإظهـار الخفيـاتِ

سمعنا القصيدة للحبيب علي بن شيخ بن شهاب الدين ، وشُوْا ، نحن جينا قاصدين وطالبين بأن الله يهدينا ويدلنا علىٰ الخير ، ويحفظنا من الشر والضير .

قال الحبيب علي حبشي :

حضرموت التي سكانها خير سكانْ وَلْد عيسىٰ ومن نسله شيابه وشُبَّانْ

المقـدم وسقـاف العـلا عبـد رحمـٰنْ شيخ لَحْقاف والمحضار والفخر سكران

كـم مـا نصحـوا نحـن ، وأرشـدوا نحـن ! والحمـد لله مشينـا علـىٰ طريقهم ، ووقفنا علىٰ ما وقفوا عليه ، وسلمنا كما هم علىٰ أرواح الأنبياء .

سيدنا الحداد لما وقف بحضرة سيد المرسلين قال :

وقفنا وسلَّمنا علىٰ خير مرسل وخيـر نبـي مـا لـه مـن مُنـاظِـرِ
فـرد علينـا وهـو حـي وحـاضـر فشُرِّف من حي كريم وحاضر

لما سمعوا الرد من النبي بهروا الحاضرون! كم ناس يَرِدون إلىٰ الحجاز وإلىٰ المدينة ، ولـٰكن . . هل حد سمع الرد من محمد ؟

وفـي أرض المـدينـة خيـرُ قبـر ومسجـده التعبُّـدُ فيـه سـؤلـي
لعلـي أن أمـس بحُـرِّ وجهـي مكـانـاً مسـه قـدم الـرسـول

من زار هوداً ولو للفضول . . يغفر الله ذنوبه ، لآه تخلوا نحن نجي إلا للفضول .

بالله يا طالب التقوىٰ ونيل القبولْ خذ لك من الناس في جانب وخل الفضولْ

والآن عكسنا الزمان ، كان الوالد في آخر زمانه يكرر البيت هـٰذا :

وصرنا حيارىٰ في مفاوز جهلنا نُشَبَّهُ بالبَهْم[1] السويرحة الغُفْلِ

ما يضرب إلا علىٰ زماننا هـٰذا ، أما زمانه . . يا خير زمان .

قام سيدي عمر بن عيدروس العيدروس يتكلم تحت هـٰذه الحصاه ، وقال لهم : شُوْكُم في حضرة هود .

---

(١) البهم : الصغير من أولاد الغنم والبقر والوحش وغيرها .

فقال له الحبيب علي حبشي : قل : في حضرة محمد ، هود إلا نائب عن محمد .

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الدِّيَمِ

سمعتوا التبجح للشيخ أبي بكر بن سالم :

أنا عرشها والكرسي أنا للسماء بانيها

مَن مِنَّا يا الحاضرين بايتكلم علىٰ حقيقة هـٰذه القولة ؟ صرنا بكعاشيش ، وسيرة غير حسنة ، تجده عمامة وصورة ولا شيْ في المقصورة .

من عنده شيء من الذنوب يتوب ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وليست التوبة قولك : تبت إلىٰ الله ، باللسان .

﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي ﴾ [المائدة : ١٢] .

كم ما في كتاب الله يكفي نحن عن قيامنا وعن كلامنا ، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] .

ما نقدر نقوم في مثل هـٰذا الجمع نبكي بقلوبنا ـ يا إخواني ـ علىٰ فقد الرجال .

وأكثروا من قراءة سورة هود ، شف آه فيها : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود : ٤٥ـ٤٦] طلب الشفاعة لواحد من أولاده ، ما قدر! ونحن أذنبنا! ولـٰكن . . نحن أبناء كرام ، عالم ابن عالم إلىٰ النبي نسب ما فيه مِن دَخَل .

جزىٰ الله عبد الله حداد خيراً أظهر مجدنا ، لٰكنه يخرج من العلمة يركع مئتي ركعة ، ونحن نتهاد نحن والخمسة الفروض .

ثم قال : يا خير شعب نوير مطهَّر ، طهَّره الرجال ، نمشي فيه بليل أو نهار ما نخاف من شيء ، من لي طهره ؟ نحن يا الغبران ، يا سودان الوُجِيْه ؟!

قال بعضهم : ما ينبغي لزائر هود أن يجي ولا يقرأ حتىٰ ختمه من القرآن .

وواظِبْ علىٰ درس القرآن فإن في تلاوته الإكسير والشرح للصدر
ألا إنـه البحـر المحيـط وغيـره من الكتب أنهار تُمَدُّ من البحر

نحن بغينا عيالنا إلا يتعلمون الخط والحساب ، لا بأس . .

مـا أَحْسَـن الـديـن والـدنيـا إذا اجتمعـا

علِّمه الدين ، علمه أركان الإسلام وأركان الإيمان ، ما شيء يطرق باله بالكلية ، غايته إن نفعك ففي الدنيا ، والدنيا فانية ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمٰن : ٢٦] كل يوم نشيِّع ، يكفي الموت واعظاً والقرآن .

قال الحداد :

مواقف من أهوالها وخطوبها يشيب من الولدان شعرُ الذوائب

* * *

يـا رب كـن لـي يـا معيـنْ إذا رَشَـحْ عظـم الجبيـنْ

نشيِّع ونضحك ، نشيِّع ونهذي! مَا أَحْسَن المؤمن لما يموت علىٰ لا إلٰه إلا الله « **من كان آخر كلامه من الدنيا : لا إلٰه إلا الله . . دخل الجنة** » .

ونحن ـ إن شاء الله ـ ما جينا إلىٰ هـٰذا المحل العظيم والموطن الحشيم ، وتكلفنا المشاق والتعب إلا وربي بايعطينا ، وبايعطينا كل ما نحبه ، لـٰكن . . علينا أن نمشي علىٰ الطريقة .

قال الله : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : ١٠] يعني طريق الخير ، وطريق الشر .

وهـٰذا لي مشينا عليه هو من طريق الخير ، اجتماع في خير ، والواسطة الشيخ أبو بكر ، والواسطة شهاب الدين :

قل يا شهاب الدين إن اعراكَ خطب يا فطنْ فـأنـا لخطبـك أدْفـع
إني سريع الغوث في كل الشدائد فاهتِفَنْ باسمي تجدني أسرع

عسىٰ يتحننون علينا ، ولا نرضىٰ بشيء غير السلوك في طريقهم .

وهـٰذه منازلهم :

منازل خير سادة لكل الناس قادة محبتهم سعادة
ألا يابخت مَن زارهم بالصدق واندر إليهـم معتنـي كـل مطلـوبـه تيسـر

لما تخلف سيدنا الفقيه المقدم ، محمد بن علي ، عن الزيارة لهود . . جاء هو يزوره!

فعنـه يـروىٰ لقـد خلّفتهـا سنـةً من السنين فجاني بعضَ ساعاتي
هود الرسول يطاطي رأسه حذرا من سقف بيتي ونادىٰ في مناجاة
يا شيخُ إن لم تَزُرْ زرناك فاتضح الـ ـحق وجـادَلَهـا أهـلُ الضـلالات

فهم أحياء في قبورهم ، وذَلاًّ همة قلبية تحركت معنا قلنا بانقف حيثما وقفوا ، وبانغتسل حيثما اغتسلوا ، وعسىٰ لنا نظرة .

ألا يا الله بنظره من العين الرحيمه تداوي كل ما بي من أمراض سقيمة

أمراض قلبية ، منها : الحسد ، والكبر ، والعُجب ، والرياء ، ولا يعرفها الإنسان ملآنين حسد ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء : ٥٤] لا صاحب دنيا مغبوط ولا صاحب سلطنة ولا غيره ، وأعمالنا ما شيء يسر فيها ، ولـٰكن إذا شفنا الجمع استَرَيْنا .

عند اجتماع الصالحين بلا مِرَا نيل المنىٰ من ربنا مأمولُ

خطواتنا كلها حسنات ، من يوم نخرج من بيوتنا .

سلفنا يقولون : الضحكة في هود بتسبيحة ، الضحك أمر يقسي القلب ، ما هم جالسين علىٰ غِيبة ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

كل نفس من أنفاسك جوهرة لا قيمة لها ، والعفو منكم . . ما نحن حق كلام ، ونحن إلا مقصرين ولا معنا شيء

يا رب ما معنا عمل وكسبنا كله زلل
لكـٰن لنا فيك أمل تحيي العظام الرامه

والعفو منكم . إلىٰ آخر ما قال .

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ عشية الأحد ، ليلة النصف من شعبان المكرم سنة (١٣٩٩ هـ) ، عند ضريح الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ، بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب علي بن محمد الحبشي التي مطلعها :

بالفتح والإرشاد والإمداد ثبتت قواعد شيخنا الحداد

قال ـ رحمه الله تعالىٰ ـ :

علىٰ بشار جادت سحائب رحمة البَر وحياهم بروح الرضىٰ ربي وبشَّر
بها ساداتنا والشيوخ العارفونا وأهلونا وأحباب قلبي نازلونا
ومن هم في سرائر فؤادي قاطنونا بساحة قربها من ذَكِيِّ المسك أعطر

قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة : ١٢] نحن ، آه صدقتنا صدقتنا؟ التوبة الصادقة .

الكرام المُطْعِمِين لمن أَمَّهُمْ في الخِصب والمَحَل

* * *

من زارهم يعطىٰ مناه في الدين والدنيا الجميعْ
يبشر يقع له مايشاه والنور في القبر الوسيع

ونحن يا ـ إخواني ـ خرجنا بظروف خلية ، ولم نَدْرِ شِيْ ، قبول أم لا ؟ ومحل نظر الحق إلا إلىٰ الباطن .

أولئك آبائي وأهلي وقدوتي بهم سُدْتُ فخراً في الوجود وحقَّ لي

ما لنا فخر ، لا بلباس طيب ، ولا بتزيين الصورة هٰذه ، ما الفخر إلا بالتقوىٰ ، من اتقىٰ الله . . عاش قوياً وسار في بلاد الله آمناً .

قال الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

بيِّضوا الوُجِيْه ـ يا إخواني ـ شُوْها سَوَّدت ، نبي الله هود لما زاره سيدنا السقاف رأىٰ في وجهه سواداً ، فقال له : ما هـٰذا السواد اللي علىٰ وجهك ؟

فقال له : هو من ذنوب الزوار أتحملها .

فـإنني أحمـل الكُـلَّ بـأجمعهـا والله يـرفعهـا عنـي لميقـاتـي

ونحن زرنا الفقيه ، والسقاف ، والمحضار ، والعيدروس المشهار ، وختامها عبد الله حداد .

شُوْا ، هـٰذه بلاد ما تشَبَّه إلا بـ« مكة » و« المدينة » ، بل قالوا في (تريم) أشياء ما هي في « مكة » ولا في « المدينة » وسيد المرسلين ﷺ له نظر إلىٰ هـٰذه البلاد بنظر خاص ، لكونها فيها أولاده الذين قرت بهم عين محمد .

قال الحبيب علي :

أب يتلقـىٰ عـن أبيـه وهـٰكـذا فيـا لـك مـن آبـاء كـرام وأولاد

انتبهوا من أنفسكم ومن أولادكم ، خصوصاً نحن ياالسادة العلويين ، ضيعنا كل شيء ، وفات نحن كل شيء ، أصبحنا عمامة وصورة ولا شيء في المقصورة ، ولـٰكن :

إن لـي فـي الله آمـالاً طـويلـه وظنـونـاً حَسَنـهْ فيـه جميلـه

ليس لي في نيل ما أرجو وسيله غير طـٰه المصطفىٰ زين الوجود

يا بختنا بالنبي يا بختنا بالرسولْ ذخري وفخري وباحمِّل عليه الحمولْ

ما كنا خير أمة إلا بمحمد سيد الوجود ، ومعنا الوسائط الذين هم أهلنا .

ما دام الإنسان في قيد الحياة عادُه في فسحة ، وكلٌّ داري بما جناه وما عمله ، يتوب في هـٰذه الليلة . فيها يفرق كل أمر حكيم ويبرم .

اكشف عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم .

ولا شك أن القبول حاصل ، والله يعلم بالسرائر ويعلم ما في القلوب .

قال العدني :

شـوارعهـا دُبغـت بـأقـدام سـادةٍ بـدورِ الهـدىٰ أنـوارِ كُـلِّ دُجُنَّـةِ

كان ﷺ يقول الحق ولو كان مراً ، ولا يضمر لمسلم غشاً ولا ضراً ، لـٰكن الجهل خيم علىٰ ديارنا .

قال الحبيب علي :

ومما يسر القلبَ مني لزومُكم طـريقـة آبـائـي وأهلـي وأجـدادي

والآن . . كل يسأل عن الدنيا فقط ، فلان كذا ، فلان كذا ، ما بها فخر ، الفخر إلا لأهل العلم ، كما قال القائل :

مـا الفخـر إلا لأهـل العلـم إنهُـمُ علىٰ الهدىٰ لمن استهدىٰ أدِلاَّءُ
وقَدْرُ كلِّ امرىء ما كان يُحسِنه والجـاهلـون لأهـل العلـم أعـداء
ففُـزْ بعلـم تعـش حيّـاً بـه أبـداً الناس موتىٰ وأهل العلم أحياء

وهـٰذه (تريم) بلاد العلم مما ينيف مع الواحد علىٰ مئة علم ، والآن . . بعض الناس هو والثور والبقرة سواء .

فتشوا علىٰ أولادكم ، علىٰ صلاتهم ، علىٰ فاتحتهم ، علىٰ دينهم ، ففي هـٰذه الليلة يقع تجلي جم .

احذروا من الغفلة . كثير مَن يحييها ويقوم فيها بالصلاة ونحن في غفلة .

« إن لله في أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها » .

اللهم بارك لنا في رجب وشعبان ، وبلغنا رمضان .

كيف هـٰذا ، ونحن تَهاوَنَّا بالصلاة ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] .

ذا الحين بايجي رمضان بايدوِّر للختمة هي في أيَّة طاق ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة : ١-٢] لا شك فيه . شُفْ كتاب الله يقول : آه! شُفْ شريعة محمد تقول : آه!

هـٰذا الحبيب عبد الله الحداد رأوه أهل البصيرة أن قبره امتد مَدَّ النظر من كل جانب .

شي أعمال معك؟ كل من جاء . . يشتكي من الشباب ، هـٰذا الشباب العاطل . الدنيا ما بها فخر ، خلوا نحن نصوم رمضان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

والآن بايجي رمضان وقد جيتوا من هود ، فهناكم الزيارة يابختنا برمضان ، عسىٰ نعطيه حقه ونصومه .

وإذا عرفوا أهل الأمر أن أَحَدْ ما يصوم ؛ يأكل في رمضان أو يمز الدخان . . قالوا : تأخذه الحكومة وتحبسه النهار كله إلىٰ المغرب . . تفكه ، أقل ما يكون هـٰذا ، وإلاَّ لِيْ بوها يِشْوَرُون لها .

لا تشوفون الشوفه هـٰذه ، الحمد لله زرنا هودْ ، والجموعات العظيمة ، زاروا الإخوان لله ، لا شي قَرْبعة ، ولا شي ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ١٠٠] .

وخطواتنا من يوم نخرج حسنات ، وكل خير بايقع لنا ، والإنسان

لا يدعو لنفسه فقط ، يدعو للمسلمين كلهم شُوْا إسلامنا ينتفض .

﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

[المائدة : ١٢] .

كم من آيات جمعت أوامر ونواهي تكفي المؤمن .

كان سيدنا محمد بن حسن جمل الليل يَطعَم العسل في فمه من تلاوة القرآن ، وأما نحن . . إن بيت الستات يجي حمل الختمة!

وإن شاء الله باتعود بركة هـٰذه الزيارة علينا وعليكم وعلىٰ « تريم » خاصة ، وعلىٰ المسلمين عامة . كم من واحد في بيته وقاسم في الزيارة .

قال والدي : شُوْنا شوفكم وأنتم في هود ، وأمة محمد إلىٰ خير ، ربنا يعيدنا ويعيدكم ونطعم شيئاً ونذوق شيئاً من بركات هـٰذه الليلة .

وهـٰذا وقت الندم ووقت التوبة ، ومن حضر . . كَفَىٰ ، ومن لا حضر . . حسرته بزيارة .

فازت « تريم » بهـٰؤلاء ، ونحن ما فينا أهلية أن نقوم ، لـٰكن : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف : ٨٢] .

وادي ابـــن راشـــد منـــىٰ قلبـــي وراحـــة الـــروح والخـــاطـــر

الله يسترنا ويستركم ، ويصلحنا ويصلحكم ، والعفو منكم .

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ يوم الأحد بالحاوي ، الموافق (٢٦) ربيع الأول سنة (١٤٠٠ هـ) ، بعد المقام من مولد شَرَفِ الأنام :

قال الحبيب علي بن محمد الحبشي :

بالفتحِ والإرشادِ والإمداد ثَبَتَتْ قَواعِدُ شَيخِنَا الحَدَّاد
مستجمعُ السِّرِّ الذي اتَّصفت به آباؤُهُ وخليفةُ الأجداد
فجميعُ من سَلَكَ الطَّريقةَ بعدَهُ مُستَصبِحُونَ بنورهِ الوقَّاد
هو قدوةٌ للمقتدينَ وكعبةٌ للقاصدينَ ومفخرٌ للوادي
فرعٌ تسلسلَ من كرامٍ حُبُّهمْ قَدْ شاعَ في الأغوَارِ والأنجَادِ

تنزل ثلاث رحمات علىٰ الحاوي زيادة علىٰ « تريم » بواسطة مَن ؟ بواسطة عبدَ الله حداد ، يا حدَّاد القلوب :

وَمَضَوْا علىٰ قصدِ السبيلِ إلىٰ العلا قَدَماً علىٰ قَدَمٍ بجِدٍّ أَوْزَعِ

الله يجعلنا وإياكم من المحبوبين . ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

من يقول : أنا أحبْ محمدْ . . يشارك في هٰذه الجموعات ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

[آل عمران : ١٦٤] .

كان الناس علىٰ ضلال ، وعلىٰ طريقةْ غير مرضيةْ ، حتىٰ أنقذهم من النار ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

من لي أنقذنا ؟ هو محمد سيد الوجود ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

خرجنا إلىٰ هـٰذا المحل ما لنا قصد إلا بغينا مَدَدْ من عبدَ الله حَدَّاد .

وفـي مَسجـدْ بنـي الـزهـراءِ سِـرٌّ عظيـــمٌ مسَّـــهُ قَـــدَمُ الفقيـــهِ
عسىٰ وقتَ السجود يمسُّ شيئاً لِمقعَـــدِهِ مُـــلاقِـــي فَضْـــلَ فيـــهِ
فقـــد وَطِئتـــه أقـــدامٌ كـــرامٌ لِســـاداتٍ وكـــم شخـــصٍ وجيْـــهِ
مُصَـــلاَّهُـــمْ يقُـــومُ الليـــلَ فِيْـــهِ فكـــمْ مِـــنْ عَـــابِـــدٍ بَـــدَلٍ نَبِيـــهِ

فكِّروا فيمن مضىٰ في هـٰذا الوادي ، زَيَّنوا الوادي ونحن في استطاعتنا أن نُزيِّن هـٰذا الوادي .

وفائدة هـٰذه المحافل أن نجعلْ لها ثمرةْ ، قال الله : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٠] ونحن خرجنا إلىٰ مسجد عبدَ اللهْ الحدَّاد ، خلُّوا نحن نزيِّن « تريم » .

تـــريـــمٌ بهـــا منهُـــمْ ألـــوفٌ عـــديـــدةٌ

وهـٰذا الموطن بغا أدَبْ ، وعبد الله الحدَّادْ قال :

وَهَـــدَىٰ ضَـــالاً وأرشَـــدَ غَـــاوٍ تَـــائِهـــاً فـــي مفـــاوِزٍ مـــن ضَـــلاَلِ

يقولها في العيدروس ، وأنتم اقتدوا بمن تقدَّم ، وكل واحد منَّا لُهْ سلف ، ولُهْ آباء كرام ، عليه إلاَّ يقتديْ بأبيه لي شافُهْ .

حُضُورُ مَجْلِسِ عِلمٍ خَيْرُ مِنْ أَلْفِ أن تَعـودَهـم أو تشيِّعْهُـمْ وأن تـركعَـنْ

وهـٰذه مجالس فيها فوائد عظيمة ، فعلينا أن نقبلْ علىٰ الله ، ونرجع إلىٰ الله ، ونتوب إلىٰ الله .

سيد المرسلين يقول : « **توبوا إلىٰ الله ، فإني أتوب إلىٰ الله في اليوم والليلة سبعين مرةً** » وكلنا عندنا قِسْمَنا من المخالفات والمعاصي .

وعند ذكر الصالحينْ تنزل الرحمةْ ، فكيف بأصلح الصالحين ؟

قال الله : « من ذكرني في نفسه . . ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ . . ذكرته في ملأ خير منهم » أيش المَزيةْ هـٰذه .

قال الله : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] يكفي من غفلةْ ، ويكفي من لَهْو ، شُوْها سنين عدَّت علينا .

عَلَىٰ العُمْرِ إِذْ وَلَّىٰ وَحَانَ انقِضَاؤُهُ بِآمَالِ مَغْرُورٍ وَأَعْمَالِ نَاكِبِ

حاشا عبد الله الحداد ، وكم ما وصف في كلامه ، قالوا :

إن ديوانهْ ملآن مِنَ العلوم .

قالوا : إن واحد من « مكةْ » جاء إلىٰ عندْ أحد ، فوجد عنده قصيدةْ لعبدَ الله الحدَّاد وهي :

عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ في السِّرِّ وَالعَلَنْ وَقَلْبَكَ نَظِّفْهُ مِنَ الرِّجْسِ وَالدَّرَنْ

فقال له : أتأذن لي أن أكتبها ؟ فقال له : نعم .

فكتَبَها ، وقال : هـٰذه تكفينا ، وإنها جمعت ما في « الإحياءْ » كلِّه ، وهـٰذا المقصود .

ومحلُّ نظرِ الحق إلاّ القلبْ ، قال سيدْنا الحدَّاد :

وَإِنَّ صَلاَحَ الدِّيْنِ والقَلْبِ سَيِّدِيْ هُوْ الغَرَضُ الأقصَىٰ فَيَا سَيِّدِيْ قُمْ بِيْ

فإذا رأىٰ قلبكْ صاف عن الحسد والكِبر . . نظر إليك ربك ، قال الحدَّاد :

علىٰ النَّار أني ما هجرتُ سبيلَهَا ولا خِفْتُ مِنْ حيَّاتِهَا والعَقَارِبِ

فهـٰذه المجالسْ لا شكَّ أنها تسهِّل الطريقْ إلىٰ الجنَّة ، ولـٰكن علينا أن نحافظ علىٰ الصلاة .

علىٰ الصَّلواتْ واظِبْ عليها في الجَماعَه ولا تَغْفَلْ عَنِ الذِّكْرْ للهْ كُلَّ سَاعَهْ

« أنا جليس من ذكرني » قال الله ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل : ٥٣] .

آه لي أخرجْ نحن إلىٰ هـٰذا المحل إلا العافيهْ والمحبهْ واللوعهْ ، ولسماع المولد الشريف .

قال الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس : لو ما في مولد شَرَفِ الأنام إلا قوله : تَجمَّعَ الحُسْنُ فيهِ فَهْوَ واحدُهُ . . لكفىٰ .

قال البوصيري :

يَا أكرمَ الخلقِ ما لِي من أَلُوذُ به سِوَاكَ عند حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

اِرجعوا إلىٰ الله ، وأقبلوا علىٰ الله ، امتثلوا الأوامرْ واجتنبوا النواهي ، والأوامرْ معلومهْ .

ما كنا نسمع أن أحَدْ في تريم يترك الصلاة إلا إن كانْ في البوادي البعيدة .

من ترك الصلاة متعمداً . . فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

وتارك الصلاة علىٰ ما ذَكَرَهُ الفقهاء :

فإن تركها كسلاً . . يُستتاب ، فإن تاب ، وإلا . . فيُقتل ويُدفن في مقابر المسلمين .

وأما تاركها جحوداً ـ والعياذ بالله ـ فهـٰذا يُقتل حَدّاً ، ولا يُدفن في مقابر المسلمين .

ولـٰكن علينا أن نُراقب الله ؛ فربك يُشاهدك في كل حضرة ، كلما حَدَّثَتْه نفسه بشيء . . راقَب اللهْ ، وخاف المولىٰ عزَّ وجلَّ .

قالوا : إن واحدْ اجتمع بامرأة ومقصوده بغاها في نفسها ، وقال لها : الآن معاد أحد يشوفنا إلا الكواكب .

فقالت له : وأين مُكَوْكب الكواكب ؟ أي الحق سبحانه وتعالىٰ . فكانت سبب هدايته .

ومراقبة الله باب واسع ، علينا أن نحافظ علىٰ الصلاة ، خمسُ صلواتٍ كتبهن الله علىٰ العباد في اليوم والليلة ، فرض الله علىٰ محمد وعلىٰ أمته خمسين صلاة وخففها إلىٰ خمس .

ومَعَنَا « لا إلـه إلا الله » ، الله يُبقيها معنا إلىٰ مماتنا ، يَموتُ المرء علىٰ ما عاش عليه ، ويُبعث علىٰ ما مات عليه ، فمن كان في هـٰذه الدنيا يصلي ويصوم ولا يؤذي أحد . . يا فوزه .

قال النبي ﷺ : « **أعمار أُمَّتي مِنَ السِّتِّينَ إلىٰ السَّبعينَ** » ومن بلغَ السَّبعينَ ، آه! عادُهْ منتظره ، النبي عَمَّر ثلاثاً وستين سنةً ، والصديق كذلك .

العُمْـر ولَّـىٰ وهَـمّ النـاسْ أكـل الـرَّضيـحْ
مـا فِكْـرُهُـم غيـرْ حـولْ المَقْضَمَـهْ والسَّفيـح
مـا كَـأَنَّهُـمْ عـن قـريـبٍ واردين الضَّـريـح
وخَلَّفُـوكِ وَمَـا أَسْلَفْـتِ مِـنْ عَمَـلٍ فالمالُ مُسْتَأْخِرٌ والكَسْبُ مُصْطَحَبُ

مَن عمل صالحاً فلنفسه ، وروح سيد المرسلين ليست محصورة في مكان ، وكل مولد يُقرأ يحضره محمد ، وهـٰذا مولد عبد الله الحداد باندوِّر لُهْ محمد في أي مكان .

لمَّا وقف تجاه الحضرة الشريفة وسلم علىٰ النبي . . رد السلام عليه محمد ، وسَمِعوا مَن بحضرته .

وأما نحن . . مَنْ رجع مِنَّا وقال : رأيت محمد ؟ حجاب بيننا وبين محمد وأهلنا ، حجبتنا الدنيا .

قال القائل :

ما نِبَا الهندْ لو تمْطُرْ عَلينَا بِفِضَّهْ ما نِبَا ٱلاَّ الوَطَنْ لَوْ عَضَّنَا الجُوعْ عَضَّهْ

إذا وَطَّن نفسه أنَّهْ يعيش في وطنه . . يُسهِّل الله رزقه في وطنه ، وحَيَّ الله من هُوْ في « مكَّة » و« المدينة » ، أفضل البلدان « مكة » والصلاة في الحرم مضاعفة إلىٰ مئة ألف صلاة .

الله يرزقنا الأدب ، وفي هـٰذا الوقت أمور فشت فينا ، نخاف أن ينعكس علينا الزمان ونكون مُهَذْهَذِين .

فَقَدْنَا جَمِيْعَ الخَيْرِ لَمَّا تَرَحَّلُوا وَمِنْهُم خَلاَ وَعْرُ البَسِيْطَةِ وَالسَّهْلِ

دَفَنَّا الدَّاعين ، قِد نحنا إلا نلفلف الكلام ، الله يجعلنا من المحبوبين عند عبدَ الله الحداد :

مَنْ حَبَّهُمْ صِدِقْ مَا تُكْتَبْ عَلِيْه الذُّنُوبْ وَمَنْ قَصَدْهُم بَلَغْ قَصْدُهْ وَنَال الطُّلُوبْ

لمَّا تزور محل الولي أفضلْ من أن تزور قبره ؛ لأنَّهْ محل متصل بثوبه ، وثوبه متصل ببدنه ، وبدنه متصل بقلبه ، وقلبه متصل بربه .

يا ذا الصباح السعيد . . اشكروا الله علىٰ هـٰذه النِّعمة ، قال الشيخ أبو بكر بن سالم :

أنـــا اشكُـــر لِنِعمَـــةْ رَبِّـــي ولـٰكـــــن لا أُحصِيْهَـــــا

أعطاكَ الله العافية ، أعطاك الله السمع ، أعطاك الله البصر ، كم من نعم ؟ وآه شُكْرها ؟ أن نمتثل الأوامر ونجتنب النواهي .

قال الله : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : ١٠] مَيَّزك ما بين الحيوانات كلها ،

ابن آدم محبوب عند الله ، ولُهْ مَزِيَّة عند ربه ، لـٰكن . . خلُّوا نحن نقوم علىٰ أهل بيوتنا ، الله الله في النساء ، فإنهنَّ أماناتٌ عندكم ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة : ٩٢] كفىٰ بالمرء إثماً أن يضيِّع من يعول .

هَمُّنا أن الولد يعرف الحساب والانقليزية[1] ، وإن كان قالوا له : ولدك ما يصلي ، أو يشرب الخمر ، أو يعمل الفواحش . . ما بايتحرك له خاطر! ولدك ، فلذة كبدك!

وعلينا أن نشرك هـٰذا التعليم العصري . . التعليم الديني ، بتحفيظ « السفينة » أو « المختصر » أو « رسالة الحبيب أحمد بن زين الحبشي » .

قالوا : إنها جمعت ثلاثة علوم : علم الفقه ، وعلم التصوف ، وعلم التوحيد .

ولـٰكن . . إن شاء الله ربنا يحسّن الحالة وتزين المجالس ، وأما نحن علينا إلا الدعاء .

يا إخواني : جزاهم الله خيرْ لي بايقومون ، وإن خرجنا إلىٰ البرزخ . . معنا القوم الزِّيان :

مَنْ كانْ شَيْخُهْ ما خَافْ يَعْصِي ويَرْحَمْه الله

إذا شَيْ شق علينا . . بانخرج إليهم ، ما معنا إلا هم

واذكُرْ عمر مثل القمر باهي الغُرر

إذا دعا به مبتلي جاه الفَرَجْ متواصِلِ

ثلاثة من أسلافنا يدركون في الحال ، وهم : سيدنا المحضار ، وسيدي شهاب الدين ، والحبيب عبد الله الحداد .

---

(١) الإنكليزية .

قالوا : كان واحد له طريقة ، وكان يبتدىء ويقول : يا عبد الله الحداد ، يا عبد الله الحداد! حتىٰ تبرز صورة عبد الله الحداد .

ثم قالوا : يقول : يا رسول الله ، يا رسول الله! حتىٰ تبرز له صورة محمد .

ثم يقول : يا الله يا الله! حتىٰ يدخل إلىٰ الحضرة الأحدية .

وذكروا أن واحدْ معه شيء من سجادة عبد الله حداد ، أخذها وطرحها علىٰ موضع سجوده .

أنتم جالستوا وهابية ، من جاء معاد له نية صالحة في أحد إلا حق مجاملة .

كان المسافر إذا جاء أول ما يزور الفقيه المقدم قبل كل شيء ، وذا الحين . . يقول لك آلاَّ : هيا اترك الخراط حقك .

والولد إذا ما قرأ فأين بايعرف شيء .

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور

ثم قال : قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ومحمد صبر ، قال له ربي : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ كان في المدينة كذا كذا منافق والنبي عالم بهم ، ولٰكنه صابر عليهم وعلىٰ أذاهم ، ونحن قد مضىٰ من عمرنا غالبُه عاد القليل ، والله يهدينا ويهديكم ببركة من سبق في هٰذا المحل .

قالوا : إن الحبيب عمر بن حسن الحداد صلىٰ به واحد في هٰذا المحراب أو غيره ، وبعدما صَلَّوا . . قال له : صلاتك هٰذه ما قرروه الفقهاء فيها ، ولٰكن هل تقدر تعرضها علىٰ محمد سيد الوجود ؟ وكيف لو شاف صلاتنا ندقِّس القاع .

والنقــرُ فــي السجــود كــالغــراب

ومن بايشوف صلاتنا يجي إلىٰ جامع تريم يشوفهم يدقّسون القاع وكلنا ساكتين ، وإن حد تكلم . . امْتَلَوْا منه .

كما قلنا لكم كلامنا ملفلف .

كان الوالد يقوم في هـٰذا المجلس ومات ، وإخواننا سافروا وخلوا نحن وحيدنا ، ولـٰكن البركة في الموجودين .

والله ، أنا ما أستطيع الخروج ولا فينا طاقة ، ولـٰكن قلنا : بينا مدد من عبد الله حداد ، وإن شاء الله . . الأمور كلها تصلح ببركة أهل « زنبل » وبركة الحبيب عبد الله الحداد لي خرجنا إلىٰ محله ، والعفو منكم .

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ بمسجد سرور ليلة الثلوث ، في (٢٤) شهر ربيع الأول سنة (١٤٠٠ هـ) ، بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه ، قال ـ رحمه الله ـ : سمعتوا هٰذا الكلام للحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه :

وبلفقيه الذي في الفقه كالأذرعي وفي التصوف والآداب مُتَّسِعِ

شُوْه يشتكي زمانه ، وما حل بهم ؟ قالوا : إنه ما يُشْبِه إلا ابن حجر .

كتب للشيخ رضوان ، وقال له : ومما يسرنا في هٰذا العام أن أحداً من المهادلة رأىٰ لي جواباً علىٰ مسألة ، فقال : هٰذا ما نُشَبِّهه إلا بابن حجر .

تريمٌ بها منهم ألوف عديدة بساحة بشار شمس الهدىٰ قل

عسىٰ لنا ردة ، نرجع إلىٰ الله ونجعل للمدارس والمجالس هٰذه ثمرةً .

يا سيد الرسل هادينا هيا بغارةْ إلينا الآن

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] والأولياء كلٌّ له مدد ما هو مع الآخر ، وما نحن ـ يا إخواني ـ إلا خليين ، وببركة هٰذه المجالس ـ إن شاء الله ـ ننال شَيْ ، والواسطة لنا محمد سيد الوجود ، وأسلافنا هم أهل شفقة ورحمة .

الصبح حضرنا مولدْ عند سيدنا العيدروس ، الحمد لله ، فهٰذا مولد مفضل علىٰ غيره ؛ لكونه بحضرة العيدروس .

هيا يا عيدروس هيا بغوثٍ غارةً منكمُ تحل عقالي

وتزيح الكروب عني وتُدني ما أُرَجِّي من صالح الأعمال

شُوْه يتملق هـٰكذا ، وهـٰذا عبد الله حداد ، وكل الأشياء راجعة إلىٰ محمد .

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العَمِمِ

* * *

رحمـــة كلـــه وحـــزم وعـــزم ووقـــار وعصمـــة وحيـــاء
معجـز القـول والفعـال كـريـم الـ ـخَلْـقِ والخُلْـقِ مقسـط معطـاء

إذا كَثَّرنا من الصلاة علىٰ النبي يابختنا ، محمد قال له أحد من الصحابة : أجعل لك ربع وقتي للصلاة عليك يا رسول الله ؟ فقال له : إن زدت . . فحَسَن ؛ أو نصف وقتي ؟ فقال له : إن زدت . . فهو أولىٰ .

قال سيدنا السقاف : من لا له ورد . . فهو قرد ، ومن لا له ورد . . ماله وارد .

ضيعنا أوقاتنا ، والوقت كالسيف إن قطعته ، وإلا . . قطعك .

أكثر من ذكر الله ، أفضل الذكر لا إلـٰه إلا الله « **أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إلـٰه إلا الله** » لا تنطفي هـٰذه الشمعة من قلوبنا .

قالوا : إن سيدنا السقاف حضر عند خروج روح والده مولىٰ « الدويلة » ، ولِشْعَتْ مولىٰ « الدويلة » فهقة ، فقال سيدنا السقاف : ما هـٰكذا موت الصوفية ! فخاطبه والده وقال له : هـٰذا ذكر رباني .

والشيـــخ مـــولـــىٰ الـــدويلـــهْ لـــي لـــه عـــزائـــم مهيلـــهْ

فنحن إلا في حماهم ، فعسىٰ يرحمونا ، فعسىٰ ينظرون إلينا ، يتحسسون من عيالهم ، شُوْا سيد المرسلين غضبان علينا ؟

قال الحبيب عبد الله الحداد : أهل الزمان ادَّعَوْا كل شيء ، وفاتهم كل شيء . وكيف بوقتنا هـٰذا ؟

قال الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه :

وفاتني من خيار الناس كم رجلٍ ما فارق الذكر طول العمر والكتبا
بَكَّاءُ ليلته سجاد خلوته من خوف مالكه يستعذب التعبا
له اشتغال بحفظ السر عن دَخَلٍ ليثُ النزال إذا ما عارك الرُّقَبَا
تلقاه في الجود كالطائي وأَحْنَفِهِمْ في الحلم قد فاق قُسّاً حيثما خطبا
من آل بيت رسول الله أكثرُهُمْ وآلْ أبي فضلٍ الأخيارِ والخُطَبا

والوادي هٰذا منظور إليه ، وبعض الإخوان فيهم البركة ، فرحنا بانتعاشهم وقيامهم ، وفراحَىٰ بهم ونحن محتاجين .

حاجةً في النَّفْس يا رَب فأَقْضِها يا خير قاضي

معاد لها إلا رجالها من مثل الشيخ أبي بكر والعيدروس ، والمحضار .

واذكر عمر ، مثل القمر ، باهي الغرر
إذا دعا به مبتلي . . جاه الفرج متواصل

كونوا سنيين لا تكونوا بدعيين أو وهابيين ، وأهلنا إلا أحيا في قبورهم ، ما هم أموات ، تموت إلا الحمير ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

سيد المرسلين خاطب أهل القليب أبا جهل وغيره : « **يا فلان ، ويا فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟** » فقال له سيدنا عمر : يا رسول الله تخاطب أمواتاً ؟ فقال له النبي ﷺ « **لستم بأسمع منهم** » .

ونحن إذا حَسَّنَّا عقيدتنا . . باتَحْسُن لنا الأشياء كلها . « **إنما الأعمال بالنيات** » ما لنا جلسة دينية ، قال صاحب الزبد :

وكل من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تقبل

معاد بغينا الاتساع في العلم جم بغينا إلا المبادي ، عاد حد يقرأ في « السفينة » و« المختصر »؟ ما ندري قُبلت لنا صلاة أم لا ؟ قال له : « **صَلِّ فإنك لم تُصَلِّ** » « **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** » والفاتحة جمعت ما في القرآن كله ، ولا خصّوها بالصلاة إلا لما فيها من الخير ، قسمها الله بينه وبين عبده ، أولها ثناء ، وآخرها دعاء ، تدبروا القرآن المجيد :

كلام قديم لا يُمَلُّ سماعه تنَزَّه عن قول وفعل ونية

كان سيدنا جمل الليل يكرر آيةً من القرآن الليل كله

وواظِبْ علىٰ درس القرآن فإن في تلاوته الإكسيرَ والشرحَ للصدر
ألا إنه البحر المحيط وغيره من الكُتْب أنهار تُمَدُّ من البحر

وقد تميزت بعض السور بمزيد فضل ؛ كسورة الإخلاص وآية الكرسي ، فليكثر الإنسان منها ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد : ٤] .

قال الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر :

من بغا الخير والبَرْكهْ يعلِّم عياله

تحسسوا من عيالكم ، إذا خرجت إلىٰ قبرك وجاءتك هدية من ولدك ، قرأ عليك شيئاً من القرآن .

كانوا سلفنا يعتنون بتعليم البنات ؛ لأن أول مدرسة للولد إلاَّ أمه .

قالوا : إن إحدىٰ بنات الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر اجتمعت فيها شروط القضاء ، إلا كونها امرأة ، كيه وِزِنْها بنساء وقتنا هـٰذا تعدل بنِسانا كلهن ، ما وحده فيها رَقْعة « **كفىٰ بالمرء إثماً أن يضيِّع من يعول** » .

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الجاثية : ١٥] .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] .

بانفرح بأولادنا أن يكونوا قرة عين ، وأما عيال الزمان هـٰذا إلا سُخنة عين ، ولـٰكن عسىٰ الهداية لهم من الله ، والعفو منكم .

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ في زاوية الشيخ سالم بن فضل بافضل ، بعد المقام من مولد شرف الأنام ، يوم الثلوث في (٢٥) ربيع الأول سنة (١٤٠٠هـ) ، قال رحمه الله :

مـن تـريـم الخيـر لا بـرحَـتْ فـي أمـان الله خيـر ولـي

* * *

فهي لمن بعد المساجد الثلاثة لمن خير بلاد الله من جنوب وشام

الحمد لله الذي خصنا بهـٰذه البلاد ، وخصنا بأهل « زنبل » .

اقرُبْ إليهمْ والفَرَجْ يقعْ لك .

قال القائل :

وفـي مسجـدْ بنـي الـزهـراء سِـرٌّ عظيـم مَسَّـهُ قـدم الفقيـهِ
عسىٰ وقتَ السجود يمس شيئاً لمقعـده مـلاقٍ فَضْـلَ فيـه
فقـد وطئتـه أقـدامٌ كـرامٌ لسـاداتٍ وكـم شخـصٍ وجيـه
مصـلاهـم يقـوم الليـل فيـه فكَـمْ مـن عـابـد بـدلٍ نبيـه

قال الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه :

وفاتني من خيار الناس كم رجلٍ ما فارق الذكر طول العمر والكتبا
بَكَّـاءُ ليلتـه سجـاد خلـوتـه من خوف مالكه يستعذب التعبا
له اشتغال بحفظ السر عن دَخَلٍ ليثُ النزال إذا ما عارك الرُّقَبَا
تلقاه في الجود كالطائي وأَحنَفِهِمْ في الحلم قد فاق قُسّاً حيثما خَطَبا
مِـن آلِ بيـتِ رسـولِ الله أكْثَـرُهُـمْ وآلْ أبي فضلٍ الأخيارِ والخُطَبَا

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد : لا عاد آل باعلوي آل

باعلوي ، ولا آل باشراحيل آل باشراحيل ، ولا آل العمودي آل العمودي .

ونحن نقول : لا عاد آل باعلوي آل باعلوي ، ولا آل بافضل آل بافضل ، ولا آل الخطيب آل الخطيب .

ولا شك أن الإنسان إذا أقبل في هٰذه الزاوية أو في زاوية الشيخ علي بن أبي بكر . . بايفتح الله عليه .

قال بعضهم : ما زال زاوية الشيخ علي تُفتح فالناس علىٰ خير .

والآن! الزوايا صارت خَبْت ، ويقولون : لي يتولىٰ الزاوية إلا ثقيل دم .

قالوا : إن الإمام السبكي لما زار الإمام النواوي فوجده قد مات ، فقال لهم : دلوني على محل تدريسه فدلُّوه عليه ، فجاء إليه وأنشأ يقول :

وفي دار الحديث لطيف معنًى ... إلىٰ بُسُطٍ لها أصبو وآوي
لعلي أن أمس بحُرِّ وجهي ... مكاناً مسَّه قدم النواوي

ولا شك أن ما في النواوي في الشيخ سالم وزيادة .

يا دارُ إن غزالاً فيك هَيَّمني ... لله دَرُّك ما تحويه يا دارُ

لأن الحضرمي يُعطىٰ زيادةً بسبب صبره علىٰ بلاده ، والآن! فقدنا جميع الخير لما تَرَحَّلوا ، كانت هٰذه البلاد ملآنةً بالعلماء والدعاة إلىٰ الله .

قال القائل :

لو غاب عني محمد طرفة عين . . لما عَددت نفسي من المسلمين .

ذَلاً غَلُظ الحجاب علينا .

قال الحبيب علي :

حُجِبوا وحَسْبهم الحجاب عذابُ يا ليتهم سمعوا النِّدا فأجابوا

كم قرئت في هٰذه الزاوية من كتب ؟ وكم دخلوها من الرجال ؟ وإن شاء الله نخرج من هٰذه الزاوية مغفورةً ذنوبنا مستورةً عيوبنا ، قال الله : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

عسىٰ طب يوافق عافية ، عسىٰ نزول هداية للحاضرين ونُقْسَم فيها .

﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٠] ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٧ـ٤١] .

قال ﷺ : « **من أكل الحلال أطاعت جوارحه شاء أم أبىٰ ، ومن أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبىٰ** » .

كل هٰذا من الطُعْمة ، قَدِمْنا علىٰ كل شيء ، عسىٰ تشملنا دعوة من أحد الأولياء الكبار ؛ مثل الشيخ سالم ، والشيخ فضل بن عبد الله صاحب الشحر ، هٰذا من كبار الرجال يقولون له : محضار المشايخ ، ونحن معنا محضار ، وكلنا شيء واحد .

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

هٰذا الزمان الذي قد كان يحذره أئمة الحق من حبر ومن بدل
هٰذا الزمان الذي لا خير فيه ولا عُرْفٌ تراه علىٰ التفصيل والجمل

عبد الله الحداد يشتكي زمانه ، وقبله عبد الرحمٰن بن علي يشتكي زمانه ، ونحن هَمُّنا أمر دنيانا يصلح فقط .

النبي يقول : « **من تشبه بقوم فهو منهم** » « **ألا إن في الجسد مضغةً ، إذا صلحت . . صلح سائر الجسد ، وإذا فسدت . . فسد سائر الجسد** » .

قال الله : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : ١٠] .

والأوامر معلومة ، فمنها : الصلوات الخمس .

ولا يجوز تركها لمن عَقَلْ وبَعْدَ عَجْزٍ إِنْ يَظُنْ شيئاً فَعَلْ

والآن! منهم من تركها جحوداً . . فهٰذا حَدُّه القتل .

علىٰ الصلوات واظِبْ عليها في الجماعهْ ولا تغفل عن الذكر لله كل ساعهْ

والآن الناس معاد عَوَّلوا ، بَغَوا دنيا ، وهٰذه المجالس من الأمور لي بانحصِّلها قبلنا جزاه الله خيرْ لمن يعرِّب لهٰذه المجالس ، بايُجازَوْن أكثر مِنَّنا ، ونحن إذا نابتنا النوائب . . ما باتُفُكْ علينا إلا مثل هٰذه الاجتماعات .

و« تريم » بعض الأشياء معاد تعجب فيها ، العمر بغا مغانمه ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٠] معاد عَوَّلوا بدينهم ، والدنيا إلا فانية ، كلنا أموات ، لٰكن بخت من قدم إحسان .

قال سيدنا الحداد : فإن لي مطلباً أرجو تَنْجُزَهُ .

قالت سيدتنا مريم ، بنت عبد الرحمٰن السقاف : من له حاجة ولم تقض . . فليأت إلىٰ مسجد أبي ليلة راتبُهْ .

والحمد لله رجعت الحضرة علىٰ عادتها وأحيوها .

أحْيُوُا الراتب المليحْ وأضرب الطارْ وأنشد القول في السلاطين الأخيارْ

والحمد لله ، أحياها الله .

والشيخ ذاك السقاف يحضر مع أهل الله

وإلاَّ لو نظر أحد من العارفين بالله في « تريم » من أهل الله . . لقال لنا : هٰذه بلاد تجب الهجرة منها ، تحتاج إلىٰ أدب كـ« مكة » و« المدينة » .

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] خصكم الله بهٰذه البلاد الزينه ، الظاهر يعطيه الإنسان حقه ، عاد أحد يجي إلىٰ هٰذه الزاوية يقول : رضي الله عنكم ؟ هٰذا الزِّيْ مَن قُدْوَتك فيه؟

قال بعضهم : إذا غيَّر الإنسان زِيّه . . تتغير سيرته ، وإذا تغيرت سيرته . . يتغير دينه . ولٰكن . . علينا بالصبر .

(تريم) (تريم) ، ولو علىٰ أضراس الشريم ؛ أي : ولو كنت جالساً علىٰ حيات وعقارب ، اصبر وبايكون لك العز كبير .

بلاد حشيمة ، قال الحبيب أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب :

دُبغت بأقدام الأكابر أرضها فترابها طبُّ السقيم الناحلِ

الواحد مِنَّا ما يُحْسِن صلاة سوا ، ما يُحْسِن تلاوة ، ولٰكن . . إن شاء الله ببركة من تقدم في هٰذه الزاوية ربنا يمن علينا بكل خير .

قالوا : إن الإمام السبكي قالوا له : إن ولدك لَمَّا يدرِّس أحسن منك ، فأنشأ يقول :

دروسُ أحمدَ خيرٌ من دروس عليْ وذاك عند عليٍّ منتهىٰ الأملِ

قالوا : ما أحد يحب أن يكون أحد أحسن منه إلاَّ ابنُه .

لا تخلي ولدك سُخنة عين ، اجعله قرة عين .

وشُوْا نحن جينا للزاوية هٰذه مستمدين . منزل العلم ، منزل

الشرف ، جزىٰ الله إخواننا خيرْ عادهم يفتحون هـٰذه الزاوية ، ما عاد معنا إلا الصبر والاحتمال والسلوك .

ما حد قال لك : لا تعمل ، إن عرفت حق الله فيه . . يا بختك ، كفىٰ بالمرء إثماً أن يضيِّع من يعول .

من بات ويده كالَّةٌ من العمل . . بات مغفوراً له .

إن وجبت عليك زكاة . . أخرجها ، إن وجبت عليك صلة لأرحامك . . أدِّها .

والتقوىٰ هي : امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وثمرة المجالس هـٰذه إلا التقوىٰ ، والمجالس عادها باقية ، ولا بد ما تستفيدون دنيا وأخرىٰ .

والمرء من جليسه ، انتبهوا من أولادكم من الجليس . أولاد المدارس سراويل وكعاشيش ، حتىٰ الصلاة في السراويل فيها ما فيها ، والصلاة بلا كوفية مكروهة ، وهـٰذه السروايل ما هي سراويل العرب ، ولـٰكن . . كما قال بامخرمة :

رضينا بحُكْمُهْ رضينا إلىٰ جنةٍ أو نارْ تَلْهَبْ

لـٰكن هـٰذه لسان عارف بالله ، سيدنا الحداد يقول :

علىٰ النار أَني ما هجرت سبيلها ولا خفت من حياتها والعقاربِ

وأعظم قارعة لنا الموت ، النبي يقول : « **إذا كثر الزنا . . كثر موت الفجا** » . والآن! خلطنا الأولاد بالبنات ، إذا جات المرأة قرب العِشا . . متىٰ صلاة المغرب ؟

الله الله في النساء ، فإنهن أماناتٌ عندكم ، علينا بأمر أولادنا ونسائنا ، ونصغِّر الدنيا في قلوبهم ، وكل عنده قِسْمُه .

يا إخواني ، ساعه وغَدَفَك الموت ، ولا عاد ثلاجة ، ولا مسجل .

والله يوفقنا ويوفقكم ، والعفو منكم .

المقصود إلا عمارة الجلسة ، لي يطلع علىٰ خاطرنا نجيبه ، والمقصود القبول ، ونحن نترجىٰ من يقوم أحسن مننا .

والحمد لله ، قال لي أحد من الشباب : هؤلاء لي شافوا عمي عَلْوي عادهم علىٰ خير .

أعجبتنا كلمته هـٰذه ، والله يوفقنا ببركة الشيخ سالم ، والله يمتعنا إلىٰ قابل سنين عديدة ، الحياة محبوبة يا إخواني ، والعفو منكم .

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ عشية الأربعاء الموافق (٢٧) ربيع الأول ، سنة (١٤٠٠هـ) بمسجد الحبيب عبد الله بن شيخ ، بن عبد الله ، بن شيخ ، بن القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس بـ« السحيل » بعد المقام من مولد شرف الأنام ، قال ـ رحمه الله ـ :

موائد الخير مبسوطة لمن بايرد ، وهٰذه المائدة ـ يا إخواني ـ مائدة محمد ﷺ ، ومائدة وارثه عبد الله بن شيخ ، وأولاده وورثته ، ونحن جينا مستمدين إلىٰ مسجد الأبرار . في مسجد الأبرار خير ، عسىٰ لنا قِسْم يرحمنا ربي برحمة سابغة هنية .

قالوا : إن سيدي عبد الله بن شيخ يُقصَد لثلاث خصال فيه : للعلم النافع ، والكرم الواسع ، والجاه الشاسع .

علىٰ العلم نبكي إذ قد اندرس العلمُ

فأين العلم يا إخواني؟ فأين العلم من سادتنا؟ فأين العلم من مشايخنا؟

قال القائل :

وفاتني من خيار الناس كم رجلٍ ... ما فارق الذكرَ طول العمر والكتبا
بكّاءُ ليلته سجاد خلوته ... من خوف مالكه يستعذب التعبا
له اشتغال بحفظ السر عن دَخَلٍ ... ليثُ النزال إذا ما عارك الرُّقَبا
تلقاه في الجود كالطائي وأحنفِهِم ... في الحلم قد فاق قُسّاً حيثما خطبا
من آل بيت رسول الله أكثرُهمْ ... وآلْ أبي فضلٍ الأخيارِ والخُطَبا

ادعينا كل شيء ، وفاتنا كل شيء ، قال الله : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : ٦٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

هـٰذه موائد بالنال خيرها . حاضرها وغائبها ، طالبين كريم ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد : ٤] .

وهـٰذه بلاد آبائنا وأجدادنا .

دُبِغت بأقدام الأكابر أرضها فترابها طِبُّ السقيم الناحلِ

يا خير بلاد ، ولـٰكن . . مَن زَيَّنها ؟ زينوها آباؤنا مِن مثل عبد الله بن شيخ ، قالوا : له مسجدين ؛ مسجد النور ، ومسجد الأبرار .

وفي السخا كأنه البحرُ زَخَرْ يُعطي مئيناً وألوفاً مَن حَضَرْ

يا خير سادة ، موائدهم باقية وذكرهم باقي إلىٰ يوم الدين .

الصبح اجتمعنا في الرباط ، وهـٰذا الرباط قد دخل فيه ، كم من مشمر . خَرَّج رجالْ علماء ، ونحن عَمَرْنا الظاهر فقط ، وهـٰذا خير كبير ، ما لهم حظ بالدنيا ، حظهم إلا العلم .

ولـٰكن فأين الرجال لي بايقومون بالتدريس والتقرير ؟ ولا عاد بغينا التوسعة في الكتب الكبيرة .

قال الحبيب علي :

ففي العلم نور للفؤاد وبهجة وميراده للعبد أحسن ميرادِ

الآراض ناشفه ، ما يحصِّل الإنسان شيئاً إلا بالعلم ، مع الإخلاص ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر : ٣] إذا قام الإنسان إلا ومقصوده المدح والثنا عليه في الخارج . . فهـٰذا لا يفيده شيئاً .

حالت الذنوب بيننا وبين موائد أهلنا ، وبيننا وبين محمد ، تمر السنة والسنتان والثلاث ولا هناك حتىٰ رؤيا للنبي ﷺ .

شي مدد حصل لك ؟ شي طعم في قرآن ؟ شي طعم في ذِكر ؟

كان بعض أهلنا لا يقرأ القرآن في نهار رمضان ، لماذا ؟ قال : لأنه يطعم طعم العسل في فيه!!

القرآن يَدْعِينا ، والسنة المحمدية تدعينا ، آل فلان يقرؤون البخاري ؛ أما سرده هكذا . . ما يفيد شيئاً ، ولكن . . قالوا أهل للعلم : يُتعبد بقراءة البخاري ومسلم وكذا باقي السنن .

قال ولد حسين :

خُذْ لك من الناس في جانب وخَلِّ الفضولْ بالله يا طالب التقوىٰ ونيل القبولْ

ونحن سَيَّبنا القرآن ، وكانوا أهلنا علىٰ مراتب في فهم القرآن ، عسىٰ طِبّ يوافق عافية ، عسىٰ ببركة هٰذه المجالس .

الحجاب غلظ علينا يا إخواني ، مَن أكل الحلال . . أطاعت جوارحه ، شاء أم أبىٰ ، ومن أكل الحرام . . عصت جوارحه ، شاء أم أبىٰ ، خربطنا جم .

قال الحبيب علي الحبشي :

يا ليتهم سمعوا الندا فأجابوا حجبوا وحسبهم الحجاب عذابُ

وسبب إنشاء هٰذه القصيدة : أن الحبيب علِيْ خرج لصلاة المغرب وناس عندهم زواج ، والمغرب يؤذن ، وعاده إلا طلع الغوىٰ عندهم ، ومطلعها بشع جم ، كان أحد عند والدي إذا جاء بهٰذه القصيدة . . يقول له : ما هو سوىٰ منك تجيء بهٰذه القصيدة .

ما شيء شر ؟ الله يرفع الحجاب .

والناس ـ ما شاء الله ـ ما قصروا ، حضروا في الرباط ، وفرحوا بعمارة الرباط وافتتاحه ، ولكن . . يحتاج إلىٰ همة كبيرة ، وكم تخرَّجوا منه ؟ وإن شاء الله ربنا يعمره ببركة هٰذا الشهر ، شهر محمد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

واحد من الصحابة قال للنبي : كم أجعل من وقتي للصلاة عليك ، ربع وقتي أو ثلث وقتي ؟ فقال له : وإن زدتَ فحسن .

هٰذه الدلائل ، آه سبب تصنيفها وإنشائها؟

قالوا : إنه جاء بايتوضأ ، حصل الرشا في البير ، وبعد جاءت بنت صغيرة وقالت له : مالك ؟

فقال لها : بانتوضأ ما حصلنا ماء .

فقالت له : تميَّل ، فتَفَلَتْ في البير ، ففاض الماء ، وتوضأت وتوضأ .

فقال لها : بأي شيء نلتِ هٰذه الرتبة ؟

فقالت له : بكثرة الصلاة علىٰ محمد .

فآلىٰ علىٰ نفسه أن يصنف الدلائل .

وكانوا الكثير من أهلنا معتنين بالدلائل ، يأتون بها يوم الجمعة كلها ، ومنهم من يأتي بها علىٰ جزو جزو .

قال الله : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] . وهٰذا مولد شرف الأنام ، قال الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس : لو ما في مولد شرف الأنام إلا قوله :

تجمَّع الحسنُ فيه فهو واحِدُهُ . . . لكفىٰ .

قال الحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه : سمعت النبي يقرأ بالقاف اليابسة .

إذا قال لنا عبد الرحمٰن بن عبد الله بهٰذا . . يكفي نحن ، آه! هٰذه المنقبه ، أهلنا فازوا بالقرب من سيد المرسلين ، ونالوا منه كل خير ، وكيف ممن تقدم من أهلنا مثل العيدروس الأكبر والمحضار والفقيه المقدم ؟

كان أحد المتقدمين إذا زار سيدنا الفقيه المقدم . . يقول : الصيد كل الصيد في جوف الفِراء .

ونحن قصَّرنا في زيارتهم ، وقصَّرنا فيما يوصونا به ، حتىٰ في مثل ذولا لي شفناهم ؛ مثل الوالد ، والحبيب عبد الله الشاطري ، والحبيب عبد الباري .

ولماذا جمعوا كلامهم ، ونحن إلا طارحينه في الطيقان ؟ مثل كلام الحبيب عيدروس بن عمر ، هٰذا إمام لو عرفناه حقيقة . . لمشينا إليه ولو حبواً ، ولٰكن . . ما عرفنا قدر أحد .

وقالوا : ما لهٰذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ؟

حـاجـةً فـي النفـس يـا رب فـاقضهـا يـا خيـر قـاضـي

لنا حاجات في أنفسنا ، وفي أولادنا من جهة أدبهم وإحسان صلاتهم ، كان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أول ما يسبِّر للأولاد في تعليم الصلاة .

كان الوالد إذا شافك ما طرحت إيديك سواء في الصلاة . . يقول لنا : ضع إيديك سوا .

وأما ذا الحين بَا الولد يترعرع ويعرف شيئاً من الإنكليزية ، وبانَنْذُقْ بُهْ يا عند سِدِّه ، يا في مشرب ، يا في جمرك ، والعشور لي يلقونه هٰذا قايستوه حلال! ملوك جور ، ما هم ملوك عدل .

وشُوْا ، نحن بغينا الحبيب عبد الله بن شيخ هـٰذه الليلة يقسِّم علينا ، أما الحسي . . قد ألقوه لنا ، بغينا المعنوي ، وهـٰذا الحبيب عبد الله عادُهْ بقية من بقايا عبد الله بن شيخ ، أضافنا في الحس ، وأضاف نحن في المسجد .

وبغينا المائدة المعنوية ، إما نرىٰ أَحَدْ من أهلنا ، أو نرىٰ محمدْ سيد الوجود ، ولـٰكن الحجاب غلظ ، ولا عاد بانفزِّع أنفسنا ، بشِّروا ولا تنفِّروا ، وهـٰذه ثمرة المجالس . وهـٰذه الخاتمة ، وعاد في السقاف . « **المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره** » « **المسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضاً** » .

وإن شاء الله ربنا يفتح علينا وعلىٰ أولادنا فتوح العارفين ، ويسلك بنا مسلك الأنبياء والصديقين ، والشهداء والصالحين .

باندعي في هـٰذا المسجد العظيم ، ولا شك أن الدعاء مستجاب فيه ، وهـٰذه « تريم » بيناها تزين ، ومَن شُوُرْ بشيء يلقيه ، يباهون بها « مكة » و« المدينة » ، قال الحداد :

فهي لَمِن بعد المساجد الثلاثة لَمِن خير بلاد الله من جنوب وشام

كان سلفنا إذا وصل أحدهم الأربعين . . ينوي ويحلف بأنه لا يخرج من « تريم » خائف أن المنية تقع في غير « تريم » ؛ لأنهم بَوْ مجاورة أهلهم .

قال له : لا تخف وأنت بجنبك علي بن علوي خالع قسم ، هـٰذا كان يسمع الرد من النبي ﷺ :

رَدَّ الـرسـولُ عليـهِ مثـلَ سـلامِـهِ يا شيخْ فاعجَبْ للفِخارِ الأجمعِ

عادْ حَدْ يسمع الرد من النبي ، ساروا للحج وزاروا محمدْ ، هل أحد

سمع الرد من محمد ؟ وسيد المرسلين يرد علىٰ مَن سلَّم عليه لـٰكن نحن محجوبون ، لـٰكن عسىٰ ببركة الحبيب عبد الله بن شيخ ، وعبد الله بن شيخ هـٰذا ، يرفع الله الحجاب .

وكل من رأيتَه اعتقد فيه الخير ، سيد أو شيخ أو مسكين أو قبيلي ، ولي يحشِّمون الجلسة إلا أهل البيت ، هـٰذولا لي تشوفونهم إلا كما الذِّبَّان ، تعال صافح كما الخلق ، هـٰكذا . . ما حتىٰ يسلِّم علىٰ أحد ينْفِر كما الحمار ، قال الله : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء : ٨٦] وأنا شفتهم بعيني ، هـٰكذا . قال أهل العلم : إذا قلت السلام عليكم . . تكتب لك عشر حسنات ، وإذا قلت : السلام عليكم ورحمة الله . . تكتب لك عشرين حسنة ، وإذا قلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . تكتب لك ثلاثين حسنة .

ومنين بانعرف فضل السلام والواجبات والمندوبات إلا بالتعليم وحضور مجالس العلم ؟ ولـكن . . الله يوفق ، والعفو منكم .

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ عشية الجمعة الموافق (٢٩) ربيع الأول ، سنة (١٤٠٠هـ) ، بمسجد سيدنا عبد الرحمٰن بن محمد السقاف بعد المقام من مولد شرف الأنام ، قال ـ رحمه الله ـ :

الله يميتنا وإياكم علىٰ لا إلـه إلا الله ، لا يطفيها مني ومنكم .

يقول سيد المرسلين : « **يموت المرء علىٰ ما عاش عليه ، ويبعث علىٰ ما مات عليه** » فمن كان في هـٰذه الدار علىٰ حالة حسنة وسيرة رضية ، وكان له القدم المعَلَّىٰ في كل خير . . فلا شك أن محمداً يمده من بحر القدرة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

رحمـــةٌ كلُّـــه وعـــزمٌ وحـــزمٌ ووقـــارٌ وعصمـــةٌ وحيـــاءُ

بيِّضوا الوجه ، شُوْكُم في مسجد السقاف ، جددوا توبه ، إن الإيمان يزيد وينقص .

قالوا : إن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي صلىٰ خلف الحبيب عيدروس بن علوي العيدروس ، قطعةً من نور ، إذا رُئِيَ . . ذُكِر الله . ﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ [الفتح : ٢٩] ولما سلم من الصلاة . . جاء وجَثا وقبَّل قدمي الحبيب عيدروس بن علوي ، فقال له : ما هـٰكذا يـا حبيـب عيـدروس ـ لأن الحبـايـب آل بـن علـوي يعظمـون الحبيـب عيدروس بن عمر زائدْ علىٰ الكفاية ، وهـٰذا عيدروس بن عمر خليفة الرجال الكُمَّل ـ

وقال له : كيف ما با اقبِّل قدمك وأنت في محراب السقاف ؟

وعرفنا من أولاده : الحبيب عبد الله بن عيدروس ، ومع القرآن في قَرَن ، قال لي والدي : من بايقول أنا أحفظ القرآن حقيقة ؟ مِن مِثْل

عبد الله بن عيدروس ، والحبيب عبد الباري ، والشيخ عبد الله بكري ، وغيرهم ؟ جملة عدَّدهم والدي .

ولد بـ« تريم » وحفظ القرآن العظيم ، وهـٰذه المنقبة مذكورة في كثير من مناقب أهلنا ، الحمد لله . . عادها موجودة إلىٰ الآن .

وهـٰذا مسجد ما يَقرأ فيه إلا الحافظ ، ولد بـ« تريم » وحفظ القرآن العظيم ، وحفظ « الزبد » وحفظ « الألفية » .

وإنما الآن يقول لك : ولدي يدرس ، يدرس . . آه! يدرس الإنكليزيه ، لا بأس ، علموهم هـٰذه الأشياء ، ولـٰكن . . علموهم الدين ، هل يعتقد أن الله واحد أم لا ؟ ما حتىٰ يقول : خلّها علىٰ الله ، إلا علىٰ من ؟ يا إخواني ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [المائدة : ١٢] .

ثم قال سيدي : انتبهوا من أنفسكم وفتشوا علىٰ عيالكم ، قال القائل :

ولا تَسْمُرْ فتُحْمَرْ عن الطاعاتْ والدينْ تجنَّبْ جَمْ جداً عن السُّفَهَا الشياطينْ

المرء من جليسه ، المرء علىٰ دين خليله ، من جالس الأخيار . . حَظي بالخير والأسرار ، ومن جالس الأشرار . . حظي بالعار والنار .

ولدك إذا جالس ناسْ يشربون الخمر . . بايشرب كماهم ، جالس ناسْ يسبون أهل البيت . . بايسب كماهم . ولـٰكن ما بايداوي نحن من هـٰذه الأشياء إلا من مثل هـٰذه المجالس ؟

فيا نفحاتِ الله يا عطفاته ويا جذبات الحق جودي بزورة
ويا سُحُبَ الجود الإلـٰهيِّ أمطري فإنَّ أَكُفَّ المَحْل تِلقاكِ مُدَّتِ

والحمد لله ، فهـٰذه من أكبر النعم علينا ، فيجب علينا أن نجدد توبه ، وأن نقوم بهمة تامة في عيالنا ونسائنا وبناتنا .

قال لي والدي ، لما مرينا علىٰ بيت الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه ، قال لي : هـٰذا البيت حتىٰ جدرانه تنضح علماً ،

والآن . . تنضح تنباك ، أو الشراب الثاني .

من شرب الخمر . . خرج نور الإيمان من قلبه .

قال أهل العلم : إذا شرب المسلم الخمر وتاب . . قبل الله توبته ، وإذا شرب ثانياً وتاب . . قبل الله توبته .

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة : ٢١٩] سلب الله المنفعة منه .

﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠] .

كان هـٰذا ما يُذكر عندنا ، ولا في مجالسنا . ذنوب جديدة استَبْدينا عليها ، ويُبَسْبِسْ وحامل سبحة ، يظن أنها باتصافحه الملائكة ، ولـٰكن . . إن شاء الله ببركة سيدنا السقاف تصلح أمورنا كلها .

وهـٰذه الأماكن سموها الحوطة قلب « تريم » كان فيها ثلاثة ديار : دار يقال له : دار آل علوي ، ودار يقال له : دار آل جديد ، ودار يقال له : دار آل بصري .

وعلىٰ هـٰذه الديار دَوْر ، ولا يخلون الولد يخرج عرض الدَّوْر هـٰذا حتىٰ يترعرع ويبلغ ويعرف ما له وما عليه ، يقولون له : تَوَكْ معاد باتضرك الخِلْطة .

وهـٰذا المسجد مثلما ذكروا عن سيدي أحمد البدوي ، أنه يفرش

سجادته لمن جاء ويجلسون عليها ، وهي تمتد وكل من جاء حصَّل له نَفَسْ في السجادة .

وهـٰذا مسجد السقاف يتسع للناس ، تشوفونه صغير ما يسع أحد ، ولـٰكن من دخل حصل له مكان فيه ، وما في البدوي في السقاف وزيادة .

وهـٰذا السقاف تراجم له واسعة في « المشرع » و« شرح العينية » بلغ النهاية في كل شيء .

قالوا : إن أبوهم مولىٰ الدويله أمرهم أن يرتفعوا ويتطاولوا ، فارتفع سيدنا السقاف ولا عاد رجع ، وعلا إلىٰ فوق ، حتىٰ ناداه أبوه وقال له : ارجع! فقال : لو ما نادانا أبي وقال لي ارجع.. لخرقت السبع السمـٰوات .

وراثة لمحمد سيد المرسلين أسري به ، وعُرج به إلىٰ السماء ، وجاء لنا بكل خير .

قال الله : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١] وفرض الله عليه وعلىٰ أمته خمسين صلاةً ، ولما أنه رحمة عامة ، قال الله له : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] اتفق بنبي الله موسىٰ وقال له : كم فرض الله عليك وعلىٰ أمتك ؟ فقال له : خمسين صلاة ، فقال له : ارجع إلىٰ ربك واسأله التخفيف ، ورُدَّت الخمسون إلىٰ الخمس .

والآن.. قد نحن نتهاد نحن والخمسه الفروض ، حد يصلي وحد ما يصلي ، وحد يصلي ويخلي ، وحد كذا وحد كذا ، وبعضهم تارك لها بالكلية ، ما عنده دقة؟

كان والدي ينهاهم . عمال في « عيديد » من « النويدرة » قال : باصلي إلا في الشيخ عيديد ، أو باصلي إلا في الزاهر ، وتجده يتقطع في

الطريق ، ما هي في بالك ، إن تأخير الصلاة عن وقتها من الكبائر إذا كان من غير عذر .

أعذار الصلاة اثنان : النوم ، والنسيان .

أو عامل في الخارج ، يقول لك : ما باصلي إلا في الجامع ، كيف هـٰذا ؟ شف ذا فرض بايفوتك ، خصوصاً المغرب .

الجهل عم نِسانَا ، الغربان السود هـٰذه لي تشوفوهن نِسانَا كما هن ، لمّان بعد المغرب زين ، إلىٰ نصف الوقت وهن في الطرقات ؟ « **ما تركت فتنةً بعدي أضر علىٰ الرجالِ من النساء** »

آه ، حاجتهن يجين يشفن المولد ، المنكر حتىٰ في الديار هـٰذه!؟

كان المتقدمون ما يخلون حتىٰ كُوَّه ؛ لأجل ما يشرفن النساء ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] فأين النساء حقيقة ؟ مثل سيدتنا عائشة ، وفاطمة ، وخديجة الكبرىٰ ، وغيرهن من النساء الصحابيات .

قالوا : إن بنت الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر اجتمعت فيها شروط القضاء ، إلا كونها امرأةً . طرَحْها في كفة وطرَحْ نسانا كلهن في كفة ، باترجح بهن .

الله الله في النساء ؛ فإنهن أمانات عندكم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] والداعي في الحقيقة هو محمد سيد الوجود ، وسلفنا وأهلنا ورثته ، وطابت بهم المنازل ، وطابت بهم المساجد ، وإن شاء الله بلادنا عادها أحسن من غيرها ، ما هو شُغْلنا ذَلاَّ دعوات قد خرجت لها .

يقول سيدنا الفقيه المقدم : أنا لأهل بلدي كالغيث المخصِب . « تريم » « تريم » ولو علىٰ أضراس الشريم .

فهي لَمِن بعد المساجد الثلاثة لَمِن خير بلاد الله من جنوب وشام

وجئنا إلىٰ مسجد السقاف ، وكلنا طالبين كريم ، والوسيلة محمد ﷺ ، ووسيلة الوسيلة آباؤنا أهل بشار .

تنسون موتاكم ، لا تظنون أن كل من دفناه أنه في راحة ، لو مكَّنك الله من ميتك بعد دفنه بثلاثة أيام . . ما تقدر تشوفه .

والقبر إما روضة نعيمه نعم وإلا حفرة جحيمه

فاعمل لنفسك لا تكن بهيمه

قال سيدنا المحضار : ليتنا كبش سمَّنونا أهلي وبا يذبحونا وبا ياكلونا .

كيف هٰذا ، وعنده هٰذا الخوف ، وهو المحضار ، وهو من كبار الرجال ؟ وجينا مستمدين وطالبين لنا ولأولادنا وللحاضرين ، ولأهل « تريم » خاصة ، وجميع بلدان المسلمين عامة ، أن الله يهديهم للإسلام حقيقة .

كفىٰ بالمرء إثماً أن يضيِّع من يعول ، كل واحد منا متكفل بعائلة ينتبه منهم ، وخصوصاً النساء ، كثيراً يأتون إلىٰ عندي وفيهم خاتم من ذهب ، ولُبْس الذهب حرام علىٰ ذكور أمتي حِلٌّ لنسائهم ، من لبس الحرير في الدنيا . . لم يلبسه في الآخرة ، ومن شرب الخمر في الدنيا . . لم يشربها في الآخرة ، ولٰكن . . افتكرتْ هٰذا من جهله .

ولما أرشدناه تَوْ . . خرَّجه ، قال : وإذا كان المرض بسبب هٰذا والعافية باتجي . . باخرِّجه .

فقلنا له : والعافية باتحصل . يظن أن الفخر في هٰذا .

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمُ علىٰ الهدىٰ لمن استهدىٰ أدلاَّءُ

وقَدْرُ كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففُزْ بعلمٍ تعش حيّاً به أبداً الناس موتىٰ وأهل العلم أحياء

« **أنا مدينة العلم وعلي بابها** » .

قال عمي أبو بكر بن شهاب :

واملأ ضميرك من محبة سيد الـ ـكونين هادينا الشفيع الكاملِ
وبحُبِّ صهرِ المصطفىٰ ووصيِّهِ وأخيه حيدرةِ الشجاع الباسلِ

ولٰكن ، نحن ـ يا أهل البيت ـ ما عرفنا المزية لي معنا . كَعْشَشوا الناس[1] . . قلنا كماهم . لو كان البقاره عادهم يلقون مداد بايحصّلون كثير ممن ينعشون . بيتوا نحن نقول آه عاد نحن .

والدي مرة عارض واحد موظف ، فقال له : قال لي فلان من السادة : والحق أن تمكث حيث أنزلك ، فقال له والدي : بصرك ، أنا ماسيبي ، هٰذه رتبة ما هي لائقة بك ، ولٰكن إن شاء الله السر باقي ، سر عبد الله بن عيدروس ، وعمر بن عيدروس ، وعيدروس بن علوي وعيدروس بن عمر .

لآه ، ما نحسن الظن ، سر الآباء في الأبناء ، قالوا : إن صاحب حُسن الظن ما يخيب وإن أخطأ .

كل واحد حامل شريمه علىٰ إخوانه ، من صَمَتَ نجا ، عسىٰ لنا نظرة ، عسىٰ نظرة لشيبتنا مع الشاب ، وإن شاء الله الأمور كلها تقع زينة وجميلة ، والعفو منكم .

* * *

---

(١) يعني : أصبح الناس حاسري الرأس . كناية عن ترك السنة .

وقال ـ رضي الله عنه ـ ليلة الثلاثاء في المولد بمسجد سرور ، الموافق (١٧) ربيع الثاني سنة (١٤٠٠ هـ) ، ليلة وفاته ـ رحمه الله ـ بعد الإنشاد برشفة من رشفات الحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه ، وخاتمة هدية الصديق للحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، قال ـ رضي الله عنه ـ :

« سمعتوا كلام الرجال الكُمَّل ، رشفات الحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه ، سمعتوه يمدح سيد المرسلين ؟

وفي السخا كأنه البحرُ زَخَرْ يعطي مئينا وألوفاً مَن حَضَرْ

والحبيب عبد الله بن حسين غاية في الاعتراف ، سمعتوا تملقه لأهله وسلفه وربه ونبيه ؟ شُوْا نحن في أعظم حاجة لما عليه أهلنا وسلفنا .

والمتقون رجاله وحضوره يا رب فألحقنا بهم يا ربنا

ومن بغىٰ مع أهله وسلفه . . يجد ويجتهد ما زاله علىٰ قيد الحياة ، وما زاله في هٰذه الدار .

هٰذه الدار ما فيها سرور قط تخلوا عن أخلاط الكَدَرْ

الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ١٥] فقراء لفضله ، فقراء لكرمه ، فقراء لعفوه ، فقراء لصفحه . الله يصلحنا ويصلحكم ، ويهدينا ويهديكم .

شُوْا عبد الله الحداد يقول :

حاجةً في النفس يا رب فاقضها يا خير قاضي

والحاجة هي قوله :

يا رب واجمعنا وأحباباً لنا في دارك الفردوس أطيب موضع

شُوْا ، الجنة ما هي سهلة ، الجنة بغت عمل ، فاعمل لنفسك لا تكن بهيمة ، كم ما شيعنا ؟ كم ما دفنا ؟ ولم ندري آه حالتهم ، إلا رجانا في الله جميل « **ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله هي الجنة** » « **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** » ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

قال سيد المرسلين : « **لقنوا موتاكم : لا إلـه إلا الله** » . « **أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إلـه إلا الله** » .

هـٰذه شمعة تتوقد في قلوبنا ، لا تخلون معصية تحول بيننا وبينها ، امشوا في الطريق الحسنة .

من لا سلك في طريق أهله تهيم وضاع فيا فروع النبي سيروا علىٰ الاتِّباع

خَلُّوا القدمْ بالقدمْ واحذروا الابتداع

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠-١١] .

ومضوا علىٰ قصد السبيل إلىٰ العلا قدماً علىٰ قدم بجدٍّ أوزَعِ

من جد واجتهد واستقام . . لابد ما يلحق بالرجال ، أما أهلنا ، كما وصفهم الله ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر : ٥٥] وهـٰذا ظننا في الله ، وإلا . . في الحقيقة الأمر مبهم علينا .

واحد دفنوه بجنب علي بن علوي خالع قسم وهو مختاف ، فنودي وقيل له : لا تخاف وأنت بجنبك علي بن علوي خالع قسم .

لماذا أدرك هـٰذه المزية العظمىٰ ؟

كان إذا قال في الصلاة أو غيرها : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . . يسمع الرد من النبي ﷺ يقول له : وعليك السلام يا شيخ .

ونحن لنا سنين نصلي ولا طعمنا ولا ذقنا في صلاة ، ولا لنا حتىٰ رؤية حسنة ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾ [الزمر : ٣] ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾ [الحديد : ٤] .

من راقب الله في حركاته وسكناته . . هو الخيِّر حقيقة ، ما هو إذا لاحت له معصية . . قال : فوقها .

قال سيدنا المحضار : لو عرفت أنها قُبلت لي تسبيحة . . لضيفت أهل « تريم » ثمان أيام بالبر واللحم . هـٰذه قولة ما هي لواحد من طَرَف الجَلَب ، ومقدم التربة الفقيه المقدم ، وعلي بن علوي خالع قسم .

كان بعض المتقدمين إذا بلغ الأربعين السنة . . يكاد يقسم يمين أنه لا يخرج من « تريم » .

محلة « تريم » نعمة عظيمة ما شيء يوازيها ، وزخارف الدنيا ما لها نظر عندهم ، ومن له عقيدة في أهله وسلفه . . لابد ما يدرجون عليه .

واحد حضرته الوفاة وبَطَا ينازع ، فدخل عليهم واحد وقال لهم : خلوا فلاناً يخرج من عنده ، فقام من عنده ، فخرجت روحه .

وعاد شِي عَلَيْ خوف إذا حضر عندي الفقيه المقدم عند نزع الروح ؟ يموت المرء علىٰ ما عاش عليه ، ويبعث علىٰ ما مات عليه .

ولا بايحضر الفقيه عنده إلا وقد قرت به عين الفقيه المقدم وعين محمد ، وأما نحن . . الحمد لله عقيدتنا في أسلافنا طيبة ، والمقصود إلا ربك إذا أحبك وامتثلت أوامر الله واجتنبت نواهيه . . لابد ما تلحق بأهلك ، وباتقع إلا جنات جم .

يا إخواني : بلادنا هـٰذه دبغت بأقدام الصالحين ، حسنوا نياتكم في هـٰذه البلاد ، الإنسان بايشكر علىٰ نفسه إلاَّ إذا مَيَّلوا التكية من تحته ، الله يوفقنا وإياكم .

وهـٰذه التعاليم الجديدة أضعفت الإيمان بالكلية ، يكاد يخرج من القلوب ، ترقَّوا في الحساب وغيره وهم خاليين من الدين ، لو عارضهم الخيِّر يضيق منهم ، آه السبب ؟

أما التعليم . . ما حد ينكره ، وهـٰذا التعليم ليس له في الآخرة حظ ولا له خشوع ، وإذا ترقىٰ في التعليم هـٰذا ، آه باينالله ؟ غايته إن ربي وفقه كان منه المدد لأهله ووالديه وقرابته .

شُوْا ، نحن من منذ أيام فارقنا شيخاً فاضلاً كان من الصالحين .

ـ يعني الشيخ أحمد بن أبي بكر بافضل ـ فهـٰذا يصدق عليه ، ولد بـ« تريم » وحفظ القرآن العظيم ، وحفظ « الإرشاد » . وشيخ حشيم جم قوِّموا أولاده ومن يقرب إليه ، مَن مثله؟ لا بد من كرة السام ، وهـٰذا من العقوبة علىٰ أهل الزمان ، الموت يلقِّط الناس الزيان والأخيار ولا عرفنا قدرهم ، ولا يعرف الولي إلا الولي ، ولا يعرف قدر العالم إلا العالم .

كم ما فارقنا من علماء وصلحاء ؟ بغيت واحد يفتيك في أقل سؤال ما تجده إلا بالدورة .

كان جامع « تريم » في أول صف يجتمعون أربعين عالمْ ، وذا الحين سيَّبنا العلم الديني ، عاد حد يقرأ في « السفينة » ؟ حد يقرأ في « المختصر » ؟ لا . يرون هـٰذه القراءة إلا تجيب الفقر! .

كان بعض المتقدمين يقول : لا نخاف الفقر وفي يدنا الخياطة والكتابة .

لا تظنوا أننا بينا الأولاد إلا من المسجد إلىٰ الدار ، لا . . هـٰذا إلا مَن هو شيبه ، أما الشباب . . يعطي نحره ملاه في ذا وفي ذا .

التعليم هـٰذا ما هو مذموم ، ومن في يده شغل ممدوح ما هو مذموم ،

لـٰكن هـٰذا الذي شُوْه قبل كل شيء . يأتون إلينا من « الحجاز » وغيره بلباس ما يليق بالموطن .

كان يقول : با اجي إلىٰ وطني با البس لباس أهل وطني ، وأما إذا قده هناك بصره ، قال القائل :

ما نبا الهند لو تمطر علينا بفضه ما نبا إلا الوطن لو عضنا الجوع عضه

الحمد لله إذا أحب الله عبداً . . سهل الله رزقه في وطنه ، وآه قَصَر علىٰ من لا سافر ؟ ومن سافر غايته يزيد قليل ، الله يرزقنا القناعة .

من قنع حل عند أهله ولا سار جاوه .

والآن ، معاد نالوا منها شيء ، ولا سِنْت واحد ، ولـٰكن . . ربي فتح أبواب ثانية ، حد سخر له ابنه ، وحد سخر له صاحب ، ونخاف من العقوبة . ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٠] ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] .

وأنتم إذا قمتم علىٰ أولادكم وعلىٰ صلاتهم وسيرتهم . . مشكورين ، والولد إذا كان يحب الخير . . بايذكرك إذا مت بالدعاء ، وبايستغفر لك ، وبايقرأ لك ما تيسر .

وأما التعاليم الأخيرة لي اختاروها المتأخرين . . ما تُبقي السر ، بل تعصر السر ، والعفو منكم ، والله يخلف علينا من تقدم من العلماء والصلحاءبغينا بدلهم ، ما بايعتمر الدار إلا بالسلوك والعلم والطريقة الحسنة .

حد عالم في الدار ؟ حد يحب الخير في الدار ؟ قالوا : ما حد ، ما حد إلا شارب تنباك ، أو صاحب كلام فارغ ، وإن عادُه يشرب الخمر ، والعياذ بالله . الله يحفظنا .

مَن شرب الخمر أول مرة وتاب . . قبل الله توبته ، ومن شرب ثانياً وتاب . . قبل الله توبته ، ومن شربها ثالث مرة وتاب . . لم يقبل الله توبته ، كيف هـٰذا ، وهـٰذا نصُّوا عليه في الحديث ؟

وأنتم اسمعوا ، وأقبلوا ، وارجعوا ، واقربوا من المنازل ، كما رأيتم في ربيع الأول وحضرتوا الجموعات العظيمة ، آه ثمرتها! شيء ثمره؟ هل حد قام مِنَّا علىٰ نِساه ؟ هيا بانتحاكىٰ بالصدق ، عسىٰ التوفيق والهداية ، والعفو منكم .

قلت : وفي هـٰذه المذاكرة كان ـ رضي الله عنه ـ يشير من طرف خفي [إلىٰ] قرب رحيله من هـٰذه الدار ، وكان كبار الأئمة يعلمهم الله بقرب وفاتهم ، حتىٰ في اليوم والساعة ليكونوا علىٰ استعداد للقاء ربهم ؛ حتىٰ يكونوا ممن أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه .

يدل علىٰ ذلك : ما حكي عن أبي العباس المرسي أنه كان يقول لتلامذته : هل منكم من إذا أراد الله وقوع شيء في العالم يخبره . . قبل وقوعه ؟ وهل منكم من إذا قال في الصلاة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . . سمع الرد من النبي ؟

فقالوا له : لا .

فقال لهم : ابكوا علىٰ قلوب محجوبة عن الله وعن رسول الله .

قال الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس : لو غاب عني النبي طرفة عين . . لما أعددت نفسي من المسلمين . قال : وكيف بايغيب عنا وهو عين وجودنا ؟

وإن كنا قد سمعنا لصاحب الترجمة آخر مذاكرة له قبل وفاته وصبيحتها بحضرة الحبيب العلامة في الباطن والظاهر عبد الله بن حسين بن طاهر ، في الحول السنوي المعتاد ، المقام في(١٧) ربيع الثاني من كل عام ، إلا

أنها مع الأسف لم تُكتب عنه ، وكم ما فات عنه وعن غيره ، كما قيل شعراً :

تموت الخبايا في الزوايا وَما لها من الناس بين الناس للناس ذاكرُ

وهـٰذا شيء قليل ونزر حقير مما قيل عنه وحُفظ ، ونخاف أننا قد أهملنا هـٰذا الحبيب ومواعظه ، وما بقي معنا إلا السَّيْر بسيرته ، وهو سار بسير أبيه .

رأينا أخلاقهم وعلمهم وأعمالهم وتواضعهم ، وهي طريقة موصلة إلىٰ الله .

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد : آل تريم مداحة قبور ؛ أي : إذا كان عندهم العالم أو الصالح أو الولي ما يعبئون به ، وإذا مات . . تأسفوا عليه وتحسروا ، وتندموا حيث لم يأخذوا عنه ولم يحضروا مجالسه ، ولات ساعة مندم!

وقد قيل في حقه ـ أي : الحبيب عبد الله الحداد ـ يوم مات : وكان رجل من أهل « تريم » جالس عند الجامع ، فرأىٰ كثرة ناس وغُرَباء يدخلون البلاد ، فقال : من هـٰؤلاء ؟ ولأي سبب جاؤوا ؟

فقال له آخر : من « تريم » ذَلاَّ ذاك العيور صاحب « الحاوي » مات .

ويذكر عنه أيضاً : أن رجلاً من « تريم » سار إلىٰ عَلْوىٰ وقصد عند أحد أصحابه ، ولما جلس . . ذكروا الحبيب عبد الله الحداد وما له من الفضل ، فقال صاحب « تريم » : أنتم ـ يا آل عَلْوىٰ ـ لكم اعتقادية كبيرة في عبد الله حداد ، وَراهم يذكرون أنه أعمىٰ ، فقال له صاحبه : قم من عندي ، لا جمع الله بيني وبينك

إلىٰ هنا وقف جامع الترجمة من تبييض الترجمة ، والبقية في كراسات

مسودة بقلم رصاص ، وبعضها مداد حاولت بقدر المستطاع نقلها فيما يلي :

ويذكر عن الحبيب عيدوس بن عمر : أن رجلاً من « الغُرفه »[1] . سار إلىٰ الهند ، واتفق برجل من أهل الهند ، فقال الهندي للحضرمي : منين أنت ؟

فقال : من حضرموت .

فقال له : هل تعرف عيدروس بن عمر ؟

فقال له : أنا من البلاد التي فيها عيدروس بن عمر .

فقال له : كم مرات تشوفه في النهار ؟

فقال له : شوفه غايتنا من الجمعة للجمعة في الجامع ، إذا شفته ، وإلا . . فلا .

فقال له : والله ، إنك لمحروم ، وأنا لو كنت في البلاد التي فيها عيدروس بن عمر ، إن لا تمكَّنَتْ لي رؤيته ، في الصباح باجلس قبلي داره ، وفي المساء شرقي داره ؛ لعل يَلُوح لي مِن خَلْفه أو فَتْحه .

وهـٰذا مما يدل علىٰ علو قدرهم ؛ إذ لم يعرفوا قدرهم أهل وقتهم .

قال القائل :

ومن صد عنا حسبه الصد والقِلىٰ ومـن فـاتنـا يكفيـه أنـا نفـوتـهُ

وفي تثبيت الفؤاد : أهل « تريم » جاءهم عبد الله بن أبي بكر العيدروس ، ولا أحد أخذ عنه إلا أولاده ، والشيخ علي وأولاده ، وعمر بن عبد الرحمٰن صاحب الحمراء ، وجاءهم باجابر من عندل

---

(١) الغرفه : اسم بلد في حضرموت ، مسكن المشايخ آل باعباد .

وجلس عندهم ثلاثة أيام في « بروم » بضمانة واحد من أهل الباطن - أحمد بن حسين - وواحد من أهل الظاهر ، هو القاضي محمد بن حسن بن الشيخ علي ، والذين أخذوا عنه ثلاث مئة نفر .

قال العدني :

ليتنا ما عرفنا حد ولا حد عرفنا ليتنا ما خُلِقنا أو ليتنا ما وُلِدنا

لـٰكِنِ الحق بإنعامه وفضله ظَهَرْنا .

وكانوا سلفنا لا يحبون الشهرة ، بل يؤثرون الخمول ، وهي الطريقة التي اختارها سيدنا الفقيه المقدم له ولأولاده ، من ظهر منهم أنهم رجوا فيه بغيتهم ، كما قيل : إن في وقت المحضار كثير بـ« تريم » بلغوا حال المحضار ، ولـٰكنهم اندرجوا تحت ظهوره .

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد : وأهلنا ما يحبون الشهرة ولا الظهور ، فأول من ظهر منهم بمظهر كبير هو سيدنا العيدروس الأكبر ، قال : وإن أهله لاموه علىٰ ظهوره .

لـٰكن . . قال الحداد في حقه : ما حد بَقَّل الشَّعَر في رؤوس السادة العلويين إلا عبد الله بِنْ بو بكر ؛ أي : ما أحد أظهر مجدهم ومنارهم مثل عبد الله بن بو بكر ، ومن أحبها منهم يدل علىٰ نقصه ، ولـٰكن أهل البيت لهم عناية ، فمن أحبها منهم أول الأمر . . رجع يبغضها ، وأما أهل الكمال . . فلا يحبونها من ابتداء أمرهم ، وقد قيل : آخر ما يخرج من رأس العلماء حب الرئاسة .

جاء الحبيب أحمد إلىٰ عند الحبيب عبد الله الحداد ، وقال له : بغيتك تخرِّج من رأسي الرئاسة والخساسة .

ولا وصل صاحب الترجمة الذي هو خليفتهم وفرع من تلك الأصول ، ما وصل إلا بالتقوىٰ ، وما وصلوا إلا بالعلم المصحوب بالعمل ،

المصحوب بالتقوىٰ ، المصحوب بالخوف من الله ، المصحوب بالخشية ، المصحوب بالورع ، المصحوب بالتواضع :

سيماهم التواضع وقطع كل قاطع

قيل للشبلي : هل لك من سبب تستعين به ؟

فقال معي سببان ، الإيمان والتقوىٰ .

والله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

ووصف الله أولياءه بالإيمان والتقوىٰ ، فقال : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ ثم بشرهم بقوله : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [يونس : ٦٣-٦٤] .

فالبشارة في الحياة الدنيا بالموت علىٰ « لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ » .

والبشارة في الآخرة بالجنة ، ورضىٰ الرب عنهم ، ورؤيته ، كما قال الحداد :

وأكبر من هٰذا رضىٰ الربِّ عنهمُ ورؤيتهم إياه من غير حاجبِ

وبهم وبأمثالهم يُرحم العباد ، وتنزل الرحمة الحسية والمعنوية ، فيا فوز عبد رآهم أو جالسهم ولو مرةً في العمر :

فهم القوم الذين هُدوا وبفضل الله قد سَعدوا
ولغير الله ما قصدوا ومع القرآن في قَرَن

قال بامخرمة :

مطربه بخت من دخلوا دياره وشافوه

إلىٰ آخر الأبيات .

قال الحبيب عبد الله الحداد في التائية :

بهم يرفع الله البلايا ويكشف الـ ـرزايا ويُبدي كل خير ونعمة
ولولاهمُ بين الأنام لدُكدِكَتْ جبال وارض لارتكاب الخطيئة

قال الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر :

طوبىٰ لمن رآهم ومن مشىٰ وراهم

فإذا كان هٰذا حال من رآهم أو تشرف بوصولهم بيته.. فكيف بمن أخذ عنهم ، واقتبس من أنوارهم ، واتبع آثارهم ، وسلك مسلكهم ، ومشىٰ علىٰ طريقهم ؟

قال سيدنا السكران : ما معي شيء ، ولٰكن إذا وضعوا أهلي قَدَماً.. وضعت قدمي علىٰ قدمهم .

وروي عن بعض الأكابر أنه بات يسير في طريق وخلفه أحد تلامذته ، وكان التلميذ يضع قدمه حيث وضع قدمه شيخه ، فالتفت إليه شيخه شزراً ، وقال له : هٰذا العمل ما ينفعك ولا ينفعك إلا الاتباع لسيرتي ، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، قال الله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

اللهم ارزقنا مجالستهم ومحبتهم ، وحسن الظن بهم والتسليم لهم .

قال معروف الكرخي ـ رضي الله عنه ـ أقل خصلة عند ذكرهم نزول الرحمة .

وفي الحديث : « **جلوسك بين يدي ولي لله كحلب شاة أو شج بيضة أفضل من أن تتقطع في العبادة إرباً إرباً حياً أو ميتاً** » .

وصاحب الترجمة رُزِق محبة له عند الناس ، وتعظيماً واحتراماً من كبار الشخصيات فضلاً عن غيرهم ، وفي الحديث : « **إذا أحب الله**

عبداً . . أمر جبريل أن ينادي في السماء : إن الله أحب فلاناً فأحبوه ، فتوضع له المحبة عند أهل السماء . ثم ينادي علىٰ أهل الأرض ، فيقول : يا أهل الأرض ، أحبوا فلاناً ، فإن الله يحبه ، فتُخلَق له المحبة والقبول في الأرض » .

قال الحبيب علي حبشي : إذا دعيت ربك . . ادع الله أن يجعلك محبوباً ، فإنك إذا كنت محبوباً فخطؤُك صواب .

قال القائل :

إذا كان المحبُّ قليلَ حظٍّ فما حسناته إلا ذنوب

فالله يرزقنا المحبة عند الله ، وعند رسوله ، وعند سلفنا الكرام ، حتىٰ يصير خطؤُنا صواباً .

قال القائل :

من حد حبهم . . حبوه ، وإذا تطفَّل . . رَبَّوه ، وإذا دعاهم . . لَبَّوه ، ومن بغوا له يا صاح . . فتحوا له بالمفتاح ، وأصلحه رب الصلاح .

قال الحبيب عبد الله في قصيدته :

يا الله بذرة من محبة الله أفنىٰ بها عن كل ما سوىٰ الله
ولا أرىٰ من بعدها سوىٰ الله الواحد المعبود رب الأرباب

وكان الحبيب علوي يقول ـ إذا جاء بهٰذا البيت للحداد ـ يقول : نحن ما فينا طاقة لهٰذا ، وبانقول : يا الله بذرة من محبة الفقيه ، أو السقاف ، أو المحضار ، أو العيدروس .

وكان الحبيب علي بن محمد الحبشي إذا جاء إلىٰ « تريم » يقدِّم الجد عبد الله بن عيدروس في الصلاة إماماً ، وقال : إني أرىٰ القلوب كلها تحبه .

ولما جاءه خبر وفاته في (فليمباغ) قال الحبيب علي : الثلمة في الحقيقة إلا موت عبد الله بن عيدروس ، ما هو موت شيخ الكاف . دخل رجلان من السادة آل البيتي مرةً علىٰ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ، ابنا عم ، فدخل الأول لنفسه ، وكان عالماً متسعاً في العلم الظاهر ، فقام له الحبيب وأخذ بخاطره ، ثم دخل ابن العم الآخر الذي هو أنقص من الأول في العلم بكثير ، ولـٰكن الحبيب عبد الله الحداد لما دخل . . قام له إلىٰ تحت المنزل ، وبجَّله وعظَّمه أكثر بكثير من الأول ، وجلس يؤانسه ويباسطه ، ويوجه الخطاب إليه! فأضمر الأول في نفسه ، وقال : كيف أنا أعلم من ابن عمي ، ولـٰكن الحبيب عبد الله ما عظمنا ولا وجه الخطاب إلي مثل ما فعل مع ابن عمي ؟

فكشف الله للحبيب عبد الله الحداد عما أضمره ، فقال لهم : أسألكم عن رجلين : رجل يحب الله ، ورجل يحبه الله ، من الأفضل منهما ؟

فقالوا له : الذي يحبه الله أفضل ، لأنه قده محبوب ، والذي يحب الله . . عادُه إلا يتحبب .

فعرف العالم هـٰذا بأن عادُهْ إلا يتحبب وإن كان معه ما معه من العلم .

قال الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس ، للحبيب علي حبشي : يا علي ، باتكون مغناطيس القلوب ، فكان كما قال ، كله محبوب ، كلامه ومقامه وشعره ، وخصوصاً الحميني ، كما قال الحبيب علوي : إنه فيه شيء ما هو في الحكمي .

ولا تَخْلُو غالب المجالس والموالد من الإنشاد فيها بقصائد سيدنا عبد الله بن علوي الحداد ، والحبيب علي بن محمد الحبشي ، رضي الله عنهم وأرضاهم .

وكان صاحب الترجمة ، كما ذكرنا في أول المناقب أنه لم تُعرف له

صبوة ، فهـٰذه منقبة وأي منقبة ، لأنها علىٰ خلاف العادة ؛ إذ لكل شاب صبوة ، ولكل جواد كبوة ، وفي الحديث : « **عجب ربك من شاب لا صبوة له** » .

وذكروا عن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر أنه ما هم بمكروه ولا فعل مكروهاً ، فإذا كان هـٰذا في المكروه الذي لا يعاقب علىٰ فعله . . فكيف بالمعصية ؟ ومَن الذي سلم من الهفوات ومن المعاصي والزلات ، ومَن الذي تعد معايبه ؟ كما قيل شعراً :

ومن ذا الذي تُرضىٰ سجاياه كلُّها كفىٰ المرءَ نُبلاً أن تُعَدَّ معايبُهْ

وذكروا عن سيدنا محمد بن أحمد بن الفقيه المقدم أنه يقول : ملكت أعضائي السبعة ، ما صرفتها إلا في طاعة .

وقال المغربي في رحلته : إنهم أشبه بالملائكة .

قال الحبيب علي بن محمد الحبشي : ولو عرف حقيقتهم . . لقطع أنهم أعظم من الملائكة ، أما الملائكة . . معصومون بنص القرآن .

سئل بعض الأكابر ، فقيل له : هل يعصي الولي ؟

فقال : وكان أمر الله مفعولاً .

قال الخطيب في تفسيره عند قوله تعالىٰ في سورة الواقعة : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٧-١١] قال سميط ابن عجلان : الناس ثلاثة رجال : رجل ابتكر الخير في حداثة سنه ، ثم داوم عليه حتىٰ خرج من الدنيا ، فهـٰذا هو السابق المقرب .

ورجل ابتكر عمره بالذنوب ، ثم طول الغفلة ، ثم رجع بتوبة حتىٰ خُتِم له بها ، فهـٰذا من أصحاب اليمين .

ورجل ابتكر عمره بالذنوب ، ثم لم يزل عليها حتىٰ خُتِم له بها ، فهـٰذا من أصحاب الشمال . اهـ .

وحيث تشرفت « تريم » وذُكرت بكثرة الأولياء والصالحين ، والعلماء العاملين ، والعباد الزاهدين ، والسادة العلويين الذين احتلوها واستقروا بها وجعلوها وطنهم سنة (٥٦١ هـ) ، ونظروا إليها ودعوا لها بالدعوات الجزيلة ، ودَعا لها قبلهم خليفة رسول الله ، سيدنا أبو بكر الصديق بالدعوات الجزيلة ، ومن جملتها : أنها تنبت الأولياء والصالحين مثل نبت الزرع ، فأنجبت هـٰذه البلاد ببركة هـٰذه الدعوة الألوف المؤلفة من العلماء والأولياء ، والصلحاء والأقطاب ، والأوتاد والأبدال .

وقال السيد العلامة أحمد بن عبد الله السقاف :

إن في (حضرموت) كانوا ولا زا ... لوا رجالٌ هم الشموسَ والأقمارا
قد عَلَوا بالعلوم والفضل والأعـ ... ـمال والزهد والتقىٰ مقدارا
مَن مضىٰ منهمُ مضىٰ بعد أن خـ ... ـلَّد من حُسن سعيه آثارا
كان وادي الأحقاف خِلْواً ولٰكن ... بعد أن حَلَّهُ المهاجر صارا
بقعةً غيرَ ذات زرع ولٰكن ... يُنبتُ الصالحين والأخيارا
نِعْمَ مَن أنبتت أولئك آبا ... ئي مجيرين مَن لَجَا واستجارا
فهم الذخرُ إن تفاقم خطب ... وهم الفخر إن أردنا افتخارا
سلكوا مسلكاً من الهَدْي من سا ... ر عليه قد اهتدىٰ واستشارا
مَهَّدوا خطةً لمن بعدهم بيـ ... ـضاءَ لم يتركوا عليها غبارا
هـٰذه كُتْبهم إذا ما تركنا ... ها اختياراً عدنا إليها اضطرارا

قال الشواف :

أما تريم التحسين ... فيها نُشُوْءُ أهل الدين
نَشْو الزراعةْ في الطين ... أولادْ بِنْ عبدِ الله

فالسلالة الطاهرة النبوية الذين خرج بهم جدهم المهاجر إلىٰ الله ، أحمد بن عيسىٰ من البصرة إلىٰ « حضرموت » كَسَوُا البلاد علماً ونوراً ، حتىٰ كانوا ولا زالوا يقولون : يا « تريم » وأهلها .

فمنهم : سيدنا الفقيه المقدم وذريته ، ومشايخه التريميون ، مثل الفقيه علي بن أحمد بامروان ، ومحمد بن أحمد بن أبي الحب ، وعبد الله بن عبد الرحمٰن باعبيد ، مما ينيف مع الواحد منهم علىٰ مئة علم ، والسيد الأوحد سالم بن بصري ، والمحدِّث علي بن محمد بن جديد ، والشيخ سالم بن فضل بافضل وذريته ، والشيخ علي بن محمد الخطيب صاحب الوعل وذريته .

رجال ، وأي رجال ، وخلَّفوا رجالاً وعلماء أعقبوا علماء ، وهٰكذا حتىٰ زماننا هٰذا .

قال سيدنا القطب عبد الله بن علوي الحداد :

من السلف الماضين والخلف الذي ذكرنا كراماً أردَفَتْ بكرام

وسيدنا الحداد منهم والدرب الخارجي عليهم ، وبعد الحداد جاؤوا العبادلة السبعة ، وبعدهم عيدروس بن عمر ، وعلي بن محمد الحبشي ، وغيرهم وغيرهم كثير ، وخصوصاً بـ« تريم » ، ورأينا كثيراً من بقية الرجال الذين ساروا بسَيْر من تقدم ، وآخر من رأيناهم مثل صاحب الترجمة ووالده ، فهٰؤلاء ساروا بسير من تقدم .

قال الحبيب محمد بن زين بن سميط : لا أغبط من تقدم بجلوسهم مع مشايخهم وأخذهم عنهم ، ونحن جلسنا وأخذنا عن عبد الله بن علوي الحداد وأحمد بن زين الحبشي .

وكان الحبيب عبيد الله بن محسن السقاف يقول : ما نغبط المتقدمين ، ونحن جلسنا بين يدي عيدروس بن عمر الحبشي .

وكل هـٰذا يحصل عند الرابطة والعقيدة والنية ، كما قيل : عند العقائد تحصل الفوائد .

ويمكن للقائل أن يقول : لا نغبط من تقدم ونحن جلسنا بحضرة الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب وابنه صاحب الترجمة ـ رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

ثم إن الغنا « تريم » لا تخلوا من أفاضل آل أبي علوي ، كما قال القطب سيدنا عبد الله بن علوي الحداد : لا يخلو الزمان من أفاضل آل أبي علوي إلىٰ أن يخرج المهدي ، إما خامل مستور ، أو ظاهر مشهور ، فالبلاد ملآنة بالأخيار والصلحاء ، ودعوة الصدِّيق مستقرة ومستمرة فيها وفي أهلها إلىٰ يوم الدين ، بلا شك ولا ريب .

نَعَمْ . . الرجال الذين يَمْلُون العين وتجتمع القلوب علىٰ محبتهم فهـٰؤلاء قلوا . قال الحبيب العلامة عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه في « الرشفات » :

يقول قوم عن هداهم ضَلُّوا ... قد عُدِموا في عصرنا أو قَلُّوا
فقل لهم كلا ولـٰكن جَلُّوا ... عن أن تراهمْ أعينُ الجهال
فليس يخلو عالم الشهادهْ ... عنهم وهم فيه الهداة القادهْ
قد حفظ الله بهم عبادَهْ ... وصانَهم في سائر الخصال

وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في المعنىٰ أيضاً :

فأين أولو التقوىٰ وأين أولو النهىٰ ... وأين أولو الإيقان في العلم والفِطَنْ
وأين الرجال المقتدىٰ بفعالهم ... وأقوالِهم يا سعدُ في السر والعلَنْ
أكلُّهُمُ ماتوا أكلُّهُمُ فَنُوا ... أم استتروا لما تعاظَمَتِ المحن ؟

وكله عند حسن الظن والرابطة والعقيدة ، لو اعتقد أحدكم في حجر . . لنفعه ؛ أي : نفعه ذلك الاعتقاد ، فكيف بمن يقول : لا إلـه إلا الله محمدٌ رسولُ الله ﷺ ، ويمتثل الأوامر ويجتنب النواهي ؟ لو كُشف نور العبد العاصي . . لَعُبِدَ من دون الله وفي رواية : لطبَّق ما بين السماء والأرض نوره ، فكيف بالعبد الطائع ؟ وما أحقنا بقول ابن بنت الميلق حيث يقول :

والمرء إن يعتقد شيئاً وليس كما يظنـــه لـــم يَخِـــبْ والله يعطيـــهِ

وكان سيدنا العدني كثيراً ما يتمثل بهـٰذا البيت ، ويقول : إن تصرف الأنبياء والأولياء بحُسن الظن .

وكان يقول : حسن الظن هو الكنز الأكبر والاسم الأعظم .

وقال أيضاً : احذروا سوء الظن ؛ فإنه دليل الشقاوة ، ويُخشىٰ علىٰ صاحبه سوءُ الخاتمة . انتهىٰ « غرر » .

وصاحب الترجمة أخذ بالحظ الأوفر من حسن الظن ، وكان لا يرىٰ نفسه شيئاً ، حتىٰ إنه يعتذر ويعترف بالقصور والتقصير في غالب جلساته ومذاكراته ، كما هو مشاهد منه ، وهـٰكذا كانت عادة المتقدمين ، يشهدون التقصير في التشمير ، كما قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في قصيدته ، مقراً بالتقصير والقصور ، فقال :

مقرِّين بالتقصير عن شَأْوِ مجدهم وحُسْـنِ مســاعيهــم بكــل مقــام

وفي الأخرىٰ يقول :

ولو أنني أبكي الدموع . . . إلىٰ آخر البيتين .

فكان وهو صغير يخرج من العلمه ويركع مئتي ركعة ـ وفي رواية مئة ركعة ـ ، ويقول هـٰكذا .

وكذلك الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، حيث يقول :

يـــا رب مـــامعنـــا عمـــلْ وكسبنـــا كلـــه زلـــلْ
لـٰكـــنْ لنـــا فيـــك أمـــلْ تُحيـــي العظـــام الـــرامَّـــهْ

وسيدي عبد الله بن حسين يعترف بعدم الأعمال ووردده كل يوم (٢٥) ألفاً من : لا إلـٰه إلا الله ، و(٢٠) ألفاً من : يا الله ، و(٢٠) ألفاً من الصلاة علىٰ النبي ، فمَن أحق بالاعتراف ؟

وإذا ظهر أحد العلويين ، وخصوصاً بـ« تريم » ، بجاه أو علم أو كرم . . فإنما هو مظهر للعلويين كلهم ، لا لقبيلة فقط كما يزعم بعض الناس ؛ فإنهم ذرية بعضها من بعض ، وهم كالجسد الواحد ؛ لأنهم يرجعون إلىٰ أصل واحد .

وكان سيدي الحبيب علوي بن عبد الله ابن شهاب الدين يقول : كلنا ـ يا العلويين ـ في النسب سواء ، ما أحد زائد علىٰ أحد ، ولـٰكن من ظهر مِنَّا بعلم أو تقوىٰ . . يستاهل التعظيم والتقدير .

قال سيدنا عبد الله بن علوي الحداد : ومددنا يا العلويين من بعضنا البعض .

وقد عتب سيدي الحداد علىٰ العلامة عبد الله بن أحمد بلفقيه لما مال عن الحبيب محمد بن علوي صاحب « مكة » إلىٰ الشيخ أحمد بن محمد القشاشي ، وكان القشاشي هـٰذا ممن يجتمع بالنبي يقظةً ، وقال له : إن مددنا يا العلويين من بعضنا البعض .

ولا ينبغي لنا التفاخر بالآباء والأجداد مع التخلي عن أخلاقهم وسِيَرهم فهـٰذا هو الغرور .

سمع سيدنا القطب عبد الله بن علوي الحداد أحد العلويين يتمدح

ويفتخر بآبائه ، فقال له : كن كأبيك ، وإلا . . فأنت عمامة وصورة ولا شيء في المقصورة .

ولتكن كما قال القائل :

لسنا وإنْ أحسابُنا كَرُمتْ ... يوماً علىٰ الأحساب نتكلُ
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثلما فعلوا

وعلينا أن نجد ونجتهد في الأعمال الصالحة ونسأل عما درجوا عليه أسلافنا ؛ حتىٰ نلحق بهم .

قال سيدنا الحداد :

وقد درج الأسلاف من قبل هٰؤلا ... وهمَّتُهم نيلُ المكارم والفضلِ
لقد رفضوا الدنيا الغَرور وما سَعَوْا ... لها والذي يأتي يُبادَر بالبذل
فقيرهُمُ حرٌّ وذو المال منفق ... رجاءَ ثوابِ الله في صالح السُّبْلِ

حتىٰ قال في آخرها ، ملزماً نفسه سلوك سبيلهم :

سأحمل نفسي ما استطعت علىٰ اقتفا ... سبيلِهِمِ حتىٰ أُوَسَّدَ في الرمل

وقال في قصيدته الأخرىٰ في مدح أهل البيت :

نعرف البطحا وتعرفنا ... والصفا والبيت يألفنا
ولنا المعلىٰ وخَيْفُ منىٰ ... فاعلمن هٰذا وكُنْ وكنِ
ولنا خير الأنام أبُ ... وعليٌّ المرتضىٰ حَسَبُ
وإلىٰ السبطين ننتسب ... نسباً ما فيه من دَخَنِ

ثم إن الحبيب عبد الله أحس ولمس من بعض السادة الاتكال علىٰ النسب وعلىٰ من تقدم من آبائهم ، فنهاهم عن ذلك ، وأمرهم بالاتباع لنبيهم وسلفهم ، فقال في هٰذ القصيدة نفسها :

ثـــم لا تغتـــرَّ بـــالنســـب لا ولا تقنـــع بكـــان أبـــي
واتَّبِـع فـي الهَـدْيِ خيـرَ نبـيْ أحمـد الهـادي إلـىٰ السَّنَـنِ

ومن الجهل المفرط : أن بعض السادة يعرف بالإجمال أنه ينتسب إلىٰ فلان من مشاهير الرجال ، إلىٰ العيدروس مثلاً ، أو إلىٰ شهاب الدين ، أو إلىٰ الحداد ، ولا يعرف ولا يحفظ نسبه إلىٰ ذلك الجد ، أما هـٰذا من التقصير ؟ أما هـٰذا من الإهمال ؟

ارجعوا بنا إلىٰ الشجرات لنعرف نسبنا ونسب إخواننا العلويين من جهة الآباء والأمهات ، ليقوىٰ الاتصال بهم ، وإن زدت فحفظت بعضاً من مناقبهم وتاريخ وجودهم ووفاتهم . . فهو أحسن وأولىٰ .

ومما له تعلق بالموضوع : ما حكاه لنا صاحب الترجمة وهو صغير دون البلوغ ، قال : عارضت السيد العلامة حامد بن محمد بن سالم السري ، فلما صافحته . . قال لي : من أنت ؟

فقلت له : محمد بن علوي بن شهاب .

فقال لي : محمد بن علوي بن من ؟ فقلت : بن عبد الله .

فقال : بن عبد الله بن من ؟ فقلت له : بن عيدروس .

فقال : بن عيدروس بن من ؟

فقلت : بن عيدروس بن محمد . فتوقفت ، لـٰكن بعدها نقلت نسبي كله إلىٰ النبي وحفظته .

فانظر إلىٰ اعتناء الشيابة بصغارهم وأمرِهِم لهم بحفظ نسبهم ، رحم الله الجميع .

ولما حج صاحب الترجمة سنة (١٣٨٧ هـ) ، وسار بعد إلىٰ مصر

للتداوي ، ورجع بحمد الله بالسلامة والعافية إلىٰ « تريم » خرجت الناس لملاقاته بالفرح والسرور ، وطلب الدعاء والاستغفار منه لهم كما هو في السُّنَّة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **رحم الله الحاج ولمن استغفر له الحاج** » .

فلما خرج من السيارة . . ازدحمت عليه الناس لمصافحته والتسليم عليه والترحيب به ازدحاماً شديداً ، حتىٰ وصل إلىٰ « زنبل » ووقف تجاه ضريح سيدنا الفقيه المقدم ، وسلم عليه ، وعلىٰ من حواليه ، فبكىٰ وأبكىٰ الحاضرين ، وتكلم ، ومن جملة كلامه أن قال :

الحمد لله ، من السعادات ـ إن شاء الله ـ بلوغنا لحج بيت الله الحرام ، وزيارتنا لسيد الأنام ، ورجوعنا إلىٰ بلاد أسلافنا الكرام « تريم » المحروسة وبالخير مأنوسة ، والحمد لله ما بنا خوف ونحن بجوار أبي علوي وقومه :

يا بخت من له محله عندهم لو يقع كما عش الطيور

* * *

يا بخت من جاورهم أو بالعيون أبصرهم

يجلي بصيرته الله

الله يجلي بصائرنا حتىٰ نعرف قدر أهلنا وبلادنا .

قال الحبيب أبو بكر بن شهاب :

إذا نحن زرناها وجدنا ترابها يفوح لنا كالعنبر المتنفَّسِ

ونمشي حفاةً في ثراها تأدباً نرىٰ أننا نمشي بوادٍ مقدس

* * *

زاد شوقي إلىٰ ساحة تريم للمشايخ وخص أهل التُّرَبْ
الرجاجيل منهم والنسا أهل تلك اللطافة والنسَبْ
عَمَّر الله بهم ما قد خَرَبْ لا ولا أراهُمُ ربي تعبْ

حقيق قول الشيخ أحمد بكري : ما يخرجنا من « تريم » إلا ذنب ارتكبته . شُوْه فرق كبير بين « تريم » وغيرها ، لٰكن ما يعرف قدرها إلا من خرج منها .

تريمُ رُمْها ولا تبغي بها بدلاً واكلف عليها ولا تخشىٰ الضروراتِ
حي حي ليالي الوصل في وادِي الغيد وادِي الخير والرحمه وكم جِيْدْ مِن جِيْد
ضمن تلك الضرائح والمقابر بعيديد المحبين لله كلَّ يومٍ لهم عيدْ

الحمد لله علىٰ هٰذه النعمة ، جينا إلىٰ هٰذا الوادي الميمون بعد أن حجينا بيت الله الحرام ، وزرنا حبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فنرجو من الله القبول ، وحصول كل مطلوب ومأمول ، والقبول ـ بلا شك ـ حاصل ، والواسطة سيد المرسلين وإمام المتقين ، ومن قرت به عين محمد حقيقةً : الفقيه المقدم أب « تريم » .

يقول القائل : ما من نَفَس ولا لحظة إلا والرحمة تصب علىٰ ضريح الفقيه المقدم . فنرجو من المولىٰ أن يقسم لنا وللحاضرين في تلك الرحمة .

قال الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر : إن الروحنة واللذة التي وجدتها عند ضرائح الأنبياء ما وجدتها إلا عند ضريح المهاجر إلىٰ الله أحمد بن عيسىٰ ، ومثلها عند ضريح الفقيه المقدم .

يقول القائل : أَحَبّْ جلسة لي . . جلسة عند رأس الفقيه المقدم .

يقول الحداد :

أنت الغياث لنا في كل نائبة بعد الإلٰه وطٰنه خير عدنان
وأنت عُدَّتنا عند الخطوب إذا لَحَّتْ وهمَّت بإيقاع وعدوان

و« تريم » بل و« حضرموت » كلها محفوظة وملطوف بها بواسطة هٰؤلاء الرجال :

لُذْ بهم في كل نائبة وٱدْعُ ذا العرش بهم وسَلِ

ولم كانوا كذلك ؟ لأنهم :

لمواريث الرسول حَوَوْا وأمير المؤمنين عليْ

* * *

بهم أصبح الوادي أنيساً وعامراً أميناً ومحمياً بغير حسام

* * *

وادي ابن راشد منىٰ قلبي وراحة الروح والخاطرْ
لا زال مَظْلُولْ بالسُّحْبِ مَطْلُولْ من صَيِّب الماطرْ

* * *

«تريمٌ» بحمد الله طاب بها السكنىٰ ونلنا بها الخيرات والمشرب الأهنا
شربنا بها كاسات أنسٍ وراحة فأَنْعِمْ بهٰذا الشرب في هٰذه الغَنَّا

وأنتم ـ يا أهل « تريم » ـ حزتم خيرات كثيرة بمجاورتكم للفقيه المقدم ومن حوله من الأسلاف ، وكلنا ـ يا آل « حضرموت » ـ لنا عناية من هؤلاء ، سيد وشيخ وعبد ، ومَن سلك . . ظهرت عليه العناية ، ومن تأخر وخربط في هٰذه البلاد . . لا بد يصله الصميل ويبهذل الله به ويموت غريباً .

يقول المحضار :

ومن جانا وبا يخضع حِمانا نكثِّرْ في بلده الصائبات

قال بعضهم : المراد ببلده ؛ أي : قلبه . الله يحفظ ويسلِّم .

ارجعوا ـ يا إخواني ـ وخلوا سمعتكم زينه ، شُوْا « تريم » لها ذكرىٰ طيبة في الخارج ، الله يرزقنا الأدب فيها ، ويجعلنا من أهلها ، والعفو منكم .

ثم بعدها رتب الفاتحة عند الفقيه المقدم وختمها بالدعوات الجزيلة ، وزار بعض الأسلاف ، ثم ختم الزيارة بزيارة والده ، ورتب الفاتحة وخرج ، وخرج الناس معه سائرين إلىٰ بيته مع ازدحام شديد في الطريق ، حتىٰ وصل إلىٰ منزله ، فرحب بالناس ورحبوا به ، ورتب فاتحة الحج مرةً ثانية ، ورتب بعده ابنه عبد الله فاتحة الحج أيضاً ، ثم أنشد السيد العلامة سالم بن علوي الخَرِد ـ رحمه الله ـ قصيدته التي أنشأها مرحِّباً وممتدحاً بها صاحب الترجمة بصوته الشجي ، وها هي هٰذه :

عدتمو بالشفا ونيل القبولِ بعد أن زرتمو ضريح الرسولِ
قد دعاكمْ شوق حثيث فَطِرْتُمْ فوق متن السحاب فوق التلول
فقصدتم حمىٰ النبي أبي القا سم طه والشافع المقبولِ
ومَثَلْتُم أمام أكرم خلق الـ ـلّٰه طراً فيا له من مثول
ووقفتم تجاه خير ضريح في سرور وبهجة وذهول
يا لها حضرة بها المرء ينسىٰ كلَّ دنياه عرضِها والطولِ
وتبل الدموع فيها غزار هيبةً من جلال طٰه الرسول
وظفرتم بكل خير وفزتم وبلغتم نهاية المأمول
وقصدتم بالنُّسْك أشرف بيت امتثالاً لأمر رب جليل

وببيت الإلٰه طُفْتم كما طا ... ف لمولاه كل عبد ذليل
واتخذتم من المقام مصلىً ... ودعوتم بحِجْرِ إسماعيل
ووقفتم بالسفح من عرفاتٍ ... في خضوع وخشية وعويل
حيث تَهمىٰ سحائب الفضل والجو ... دِ وغفران كلِّ ذنب ثقيل
يا له موقف به يتجلىٰ ... مالك الملك بالعطاء الجزيل
فهنيئاً لكم بما قد مُنِحتم ... من عطايا أبدت سمات القبول
وإلىٰ مصرَ قد رحلتم فجُلْتُم ... في رباها وفي ضفاف النيل
ثم عدتم كما نحب جميعاً ... لتريمِ الغناءِ مأوىٰ الأصول
إن ذا اليومَ يومُ عيد سعيد ... سطعت في سماه شمس الوصول
إن ذا اليوم يوم أنس عظيم ... وابتهاج بعَوْدك المأمول
إنما عَوْدُكم إلينا كعَوْد الـ ... ـروح للجسم والشفا للعليل
أنت في هٰذه البلاد كنورٍ ... لامعٍ نورُه مضيءِ السبيل
أنت لم تَصْبُ مذ صباك لهٰذا ... كنت فينا كالتاج والإكليل
وَصْفُك الحلمُ والتواضع بل أنـ ... ـت مثال لكل خُلْق نبيل
مرحباً مرحباً بِمحمدُ يا من ... خُلْقُه العذب مثلُ روض طليل
مرحباً مرحباً يكرِّرْه عقد الـ ... ـمجد والعلم والفخار الأصيل
مرحباً بالأخ العزيز علينا ... فرعِ طٰه وحيدرٍ والبتولِ
مرحباً بابن قُطبِنا عَلَوِيِّ ابـ ... ـن شهابٍ للرشد خير دليل
مرحباً بابنك العفيف الذي طا ... ب سلوكاً فكان خيرَ سليل
مرحباً من ضمين قلب مليءٍ ... لك بالود صادقٍ في المقول
فعلىٰ الرحب والسعادة والإجـ ... ـلال فانزل فأنت خير نزيل
وتمتع بخير عيش سعيداً ... في هناءٍ بقصرك المأهول

ولك البشرىٰ إذ حججتَ وزرت الـ ـمصطفىٰ إنَّ ذاك أشرفُ سول
واشكرِ الله حيث وُفِّقْتَ وٱبشر بالجزاءِ العظيم يوم الرحيل
رب متِّع بذا الحبيب ووفقـ ـه لنهج التقىٰ وفعل الجميل
هب له ما يروم واجعل جنان الـ ـخلد مأواه بعد عمر طويل
اِكْسِهِ حلة العوافي وحِطْهُ من جميع الأعدا وكل دخيل
وٱبقه رحمةً ونفعاً وذخراً ومناراً يهدي لخير سبيل
وإلىٰ سُوْح فضلك الرحب أُهدي زَهَرات الترحيب والتأهيل
في قوافٍ قد زانها ذكرك العذ ب فجاءت في الطِّيْب كالسلسبيل
فاجعل الصفح والقبولَ قِراها فهو للقلب غاية المأمول
وعليكم تحية بعد طٰه وكذا الآل والكرام الفحول

تمت

* * *

ومما وجدته بخطه من أثناء مكاتبة له من العالم العلامة ، الغني عن العلامة ، السيد الفاضل عبد القادر بن أحمد ، بن عبد الرحمـٰن السقاف من « مكة » ، قال فيها :

بعد البسملة والحمدلة ، والصلاة علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ أخينا وحبيبنا وابن حبيبنا ، سيدي الأخ الظافر الشاكر ، الطاهر الذاكر ، الخليقة التامة ، والرحمة العامة ، خليفة سلفنا الأبرار ، والنائب عنهم في الدعوة إلىٰ طريق النبي المختار ، محمد بن علوي ، بن عبد الله ، بن شهاب .

ثم قال : وعساكم تذكرونا وتدعون لنا في مهابط البركات ، حول « بشار » و« تريم » وما بها من أبرار تحت ذيل الخفاء ، ونحن طالت علينا الغربة ، ما نود بها ، والله يتداركنا بعطفه ولطفه .

ادعوا للناس ـ يا حبيبي ـ ولنا مدة بانكتب لكم ونطلب دعاكم ، ما عرفنا كيف ، وعسىٰ غارة ، وفيها بشارة ، ببركة رمضان ، شهر مبارك علينا وعليكم ، ادعوا لنا يا سيدي فيه ، واذكرونا في لياليه .

وذكِّروا والدكم بنا ، شوه يحبنا ، والله يجمع الشمل في القريب .

وبلغوا سلامنا الأولاد ومن تحبون .

من المستمد ، أخيكم عبد القادر بن أحمد السقاف . في (٢٨) شعبان سنة (١٣٩٥ هـ) اهـ .

ومن أثناء مكاتبة له من الشيخ الفاضل عمر بن عوض حداد ، تعزيةً في الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب الدين ، قال فيها :

بعد البسملة والحمد لله ، والصلاة علىٰ النبي ﷺ :

حضرة سيدي الحبيب العارف بالله والدال عليه ، خليفة الأسلاف ، الفقيه ومَن حول الفقيه ، ومن هو سر أبيه ـ والابن سر أبيه ـ سيدي الحبيب

محمد بن علوي ابن شهاب الدين ، حفظه الله ، وأيده الله ، وقواه الله علىٰ ما أولاه وتولاه ، وبلغه مناه في دينه ودنياه وأخراه .

ثم قال ، بعد أن عزَّاه في والده وأشاد وأجاد :

وأنتم ـ يا سيدي ـ ذكرىٰ لوالدكم ، وأنتم خليفة حقيقةً ، شريعةً وطريقةً وحقيقةً ، ولم يغب عنا الحبيب ، وأنتم ذلك الحبيب ، وأنتم الخلف الصالح ، والسلام .

من تراب أقدامكم : عمر بن عوض الحداد ، في (٢٤) رمضان (١٣٨٦ هـ) .

ومن أثناء مكاتبة من السيد العلامة عبد القادر بن أحمد ، بن عبد الرحمٰن السقاف تعزية منه للأخ عبد الله بن محمد ، بن علوي ، بن شهاب الدين ، في والده صاحب الترجمة ، قال فيها :

وهٰذا لمسنون ، التعزية في الراحل الكبير ، الذي هو رحمة للصغير والكبير ، وخليفة عن جده البشير ، وأهله أهل المقام الذي ليس له نظير .

بكته الناس كلها بصوت واحد ؛ لأنه في أخلاقه واحد ، وفي حسن سيرته واحد ، وفي إجماع الناس عليه واحد ، وفي محبة القلوب له واحد ، ولهٰذا انتفع الناس به في جميع المشاهد ، وتأثر بدعوته الغائب والشاهد ، والقائم والقاعد ، خلافةً عن آبائه الأماجد .

ومن صدقه مع الله . . وافته المنية وهو قائم يذكِّر الناس بأيام الله ، فأعظم بها من مزية ، وأكرم بها من مرتبة هو حري بها وبمثلها ؛ لأنه من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

والموت سبيل مسلوك ، يشترك فيه الغني والصعلوك ، والملك والمملوك ، ولابد من المنية لجميع البرية ، ولٰكن وفاة الرجال نقص في

الدين وثلمة ، والأمر لله ، وهو المسؤول أن يُخْلِف الفقيد ، ويتغمده برحمته ، ويسكنه فسيح جنته .

وفيكم البركة ، وأنتم محله ، وعليكم بالصبر والاحتمال والسير في طريقتهم في جميع الأحوال .

فأعظم الله أجركم وأجر الجميع ، وأخلفه فيكم وفي الأمة الجميع بخلف صالح في جميع المصالح .

حرر في (١) جمادىٰ الأول سنة (١٤٠٠ هـ) المستمد والداعي : عبد القادر بن أحمد السقاف .

ومن أثناء مكاتبة تعزية في صاحب الترجمة لابنه الأخ عبد الله بن محمد ، من السيد العلامة ، خليفة الأسلاف ، وبقية السادة الأشراف ، الحبيب عطاس بن عبد الله الحبشي ، قال فيها :

وقد شق علينا ، وعلىٰ العلويين ، وعلىٰ « تريم » وأهلها خاصةً ، والمسلمين عامةً ، فراق أبيكم محمد ؛ لكونه داعياً إلىٰ سبيل جده محمد ، ونائباً عن السلف الصالح في جميع النوائب والمهمات ، وما لهم في « تريم » من عادات وعبادات .

وأفرح الجميعَ موتُه الحشيم ، ولقاء ربه الكريم ، من حيثية استراحته من هموم الدنيا ، ووضع الأثقال الشاقة التي كانت علىٰ ظهره ؛ فقد تحمل ـ رحمه الله ـ بعد سيدي الوالد علوي من الأحمال الثقال ما يعجز عنه الأبطال .

والموت تحفة كل عبد مختار ، ودليل كونه مختاراً لله . . انتقاله إلىٰ رحمة الله عند أهل الله ، وفي حضرة من اختاره الله واصطفاه ، وهو يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة إلىٰ سبيل الله .

فيالها من خاتمة ما أحسنها ، ويا لها من موتة ما أعظمها ، ويا الله بها يا الله بها ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون .

اللهم أجرنا في مصيبتنا ، واخلفنا خيراً منها .

حرر بـ« مكة » المكرمة ، فاتحة شهر جمادىٰ الأول ، سنة (١٤٠٠ هـ) .

مستمد الدعاء وباذله : الفقير إلىٰ الله ، أبو بكر العطاس بن عبد الله الحبشي .

ومما وجدته بخط صاحب الترجمة رؤيا للشيخ عمر بن عوض حداد ، رأىٰ بعد موت الوالد علوي بليلتين أو ثلاث ، والرؤيا مضمونها :

كأن هناك جمع عظيم ، وذلك درس علمي ، وكان الصف الذي [هو] متصدر فيه كلهم شيابة ، وأنت فيهم ـ يعني الفقير ـ ولا عرفت أحدْ منهم غير الحبيب علوي وأنتم .

أما الحبيب علوي . . فعليه أُبّهة وهيئة عظيمة ، والمتصدر في المجلس أنتم ـ يعني الفقير ـ وأنتم الذي تدرسون ، حتىٰ إنكم أشرتم إلىٰ آخر فسمَّع .

وأنتم لكم الكلام والصدارة والأمر والنهي ، والحبيب علوي مخلِّيكم علىٰ قياسكم ، ومع هـٰذا . . إن الجلسة فيها بسط وانشراح جم جم ، وأنتم بزيادة علىٰ غيركم في بشاشة وتبسم .

فعجبت أنا ، وأنا في الرؤيا ، وأقول في نفسي : كيف هـٰذا ؟ درس علم ، فقه وتقرير ، وإذا بكم تأمرون بالسماع ، والفرح غامر المجلس وأهله!

ولا ضبطت المكان في أي محل ، وعلىٰ كل حال . . رؤيا كأنها يقظة ، وانتبهت فرحاً مسروراً . انتهىٰ بخطه .

قلت : وأخبرنا شيخنا العلامة ، محمد بن سالم ، بن حفيظ ، بن الشيخ أبي بكر بن سالم ، برؤيا لأحد السادة ، قال :

إنه في يوم وفاة الحبيب علوي بن عبد الله وتشييع جنازته ، ومع دخول الجنازة إلىٰ التربة . . رأىٰ بعض السادة وكان جالساً عند الفقيه المقدم مع الناس والزحمة لحضور الدفن ، وفي قلبه من الحسرة علىٰ فراق الحبيب علوي ما لا يعلمه إلا الله ، قال : فأخذته سنة وهو عند الفقيه ، ويقول في نفسه : الحبيب علوي مات! ومن بعده خليفةً بايعمر المدارس والمجالس ؟

فكأن أحداً أيقظه من نومه وهو يقول له : لا تخاف ، شُفْ الخليفة لي بايدخل عند الفقيه المقدم الآن .

قال : فانتبهت ، فإذا بصاحب الترجمة الحبيب محمد بن علوي داخل عند الفقيه المقدم ، فعرفت أنه الخليفة . اهـ .

ولصاحب الترجمة الإلباس والإجازة العامة والتلقيم من والده عشرات المرات ، وقد حضرنا معه ـ ولله الحمد ـ عدة مرات الإلباس والإجازة والتلقيم بالحلوىٰ والتمر وغيرهما ، وقد لبسنا من صاحب الترجمة مرات كثيرة ، وحصل لنا كذلك منه الإجازة العامة والتلقيم .

وله إجازة من السيد الفاضل العلامة ، محمد بن هادي السقاف في هـٰذا الدعاء :

اللهم إني أسألك فهم النبين ، وحفظ المرسلين ، وإلهام ملائكتك المقربين .

وفي (٢٥) شهر محرم ، سنة (١٣٧٩ هـ) ، أجازني السيد الفضل ، العم محمد بن سالم ، بن أحمد العطاس في هـٰذا الدعاء ، يُقرأ علىٰ كل وجع سبع مرات وهو هـٰذا :

أسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم أن يشفيَني .

وإن كان علىٰ ذكر . . تقول : أن يشفيَكَ . أو أنثىٰ تقول : أن يشفيَكِ . اهـ من خط صاحب الترجمة .

ورأيت بخطه في (٤) شعبان سنة (١٣٦٩ هـ) :

أتىٰ إلىٰ عند الوالد علوي السيد الناسك العالم ، الحبيب أحمد بن موسىٰ الحبشي ، فطلب من الوالد الإجازة والإلباس ، وكان الوالد يجله ويعظمه ، فألبسه وأجازه هو ومن معه ؛ أولاده والعم عبد الله بن سالم الحبشي ، وشرط :

إذا جاء ولدي محمد إلىٰ الشِّعب أن يأتي إليك بسرٍّ وتلبسه وتجيزه .

فالحمد لله ، كانت الإجازة للفقير من المذكور بشِعب نبي الله هود ، في خدر الحبيب محمد بن هادي السقاف ، بعد صلاة الظهر ، نحن والأولاد عبد الله وعلي ، وأعطاني كوفيةً أخرجها من رأسه ، وقال : لأجل تبقون تذكرونا ، وهي محفوظة عندنا . اهـ من خط صاحب الترجمة .

وفي شهر محرم سنة (١٣٦٧ هـ) ، أجازني سيدي العلامة محمد بن هادي السقاف في هـٰذه الأسماء وهي :

يا عزيز يا رحيم ، يا عليم يا خبير ، يا عزيز يا عليم ، يا عزيز يا وهاب ، [علىٰ] الأقل ثلاث مرات . اهـ من خطه .

ولم يزل علىٰ الطريق القويم والدعوة إلىٰ الصراط المستقيم حتىٰ وافته المنية ، وهو يدعو الناس إلىٰ رب البرية ، عند ضريح الإمام الجامع بين علمي الباطن والظاهر ، الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، بمسيلة آل شيخ ، يوم حوله المعتاد في كل عام .

فكان من أمره أن خرج بعد أن صلىٰ الفجر بمسجد سرور ، وقام من آخر الليل فيه كعادته ، وما أن وصل إلىٰ ضريح الحبيب عبد الله بن حسين . . سلم عليه وعلىٰ أخيه الحبيب طاهر والحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ ومن حولهم ، فجلس تجاه الضريح والناس حوله في كل جانب ، وما أن ختموا ما يُعتاد في هـٰذا الحول . . [حتىٰ] طلب منه المتصدر للجلسة السيد عبد الرحمـٰن بن طاهر أن يتكلم ويعظ الناس ، فامتثل الأمر وقام ، وذكر بعض مناقب الحبيب عبد الله بن حسين وما له من الأعمال والأوراد ، وقال : هنا تنزل الرحمات والنفحات ، الله يقسم لنا فيها بحظ وافر ، عسىٰ التوفيق .

وجلس وصَفا ومات حالاً ، فقام إليه ابنه عبد الله وغيره وحركوه وكلموه فإذا هو قد فارق الحياة ، حتىٰ جيء له بماء فلم يشرب منه شيئاً ، وبالعطر ـ ظنُّوا أنه الدوران الذي يعتاده فإذا هو موت في لحظات خفيفة ، قال ﷺ : « **إن لله أصفياء من عباده يحييهم في عافية ويميتهم في عافية** » .

قال الحبيب عبد الله في « تثبيت الفؤاد » :

إذا حصلت للإنسان في هـٰذا الزمان الشهادة وواجهته الرحمة . . فسكون القبور خير له من سكون الدُّور .

قال : وقد رأيت ليلةً في المنام الشيخ عمر العطاس يقول ذلك ، وتمثل بقول بامخرمة :

قِدْ حِلال المقابرْ خيرْ وأكثرْ فوائدْ من مقامي كذا ما بين واشي وحاسدْ

فحملوه في سيارة صغيرة إلىٰ عند الدكتور عبد القادر بن عبد الله بن حسن الكاف ، فلما رآه وركب فيه السماعة علىٰ قلبه . . قال لهم : ميت ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

وسرعان ما انتشر الخبر في « تريم » ونواحيها ، وجيء به إلىٰ البيت ، فهاج الناس بالبكاء عليه وعلىٰ فراقه وجاء المقربون من جميع النواحي ، فكتبت الخطوط حالاً ، وأرسلت البرقيات إلىٰ عدة جهات ، ونفذ الكل في الحال ، واتصل بعضهم بالتلفون من « سيؤن » إلىٰ « عدن » ومن « عدن » إلىٰ « الحجاز » و« الكويت » ، وأذيع خبر وفاته بالراديو من « سيؤن » و« المكلا » و« عدن » .

قال القائل :

وما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ولٰكنه بنيانُ قوم تهدما

قال الله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد : ٤١] .

ونقصها هو موت العلماء والأولياء والصلحاء ، فكيف بمن جمع العلم والولاية والصلاح معاً ؟ كيف يكون النقص ؟ فإنه نقص وأي نقص ، علىٰ أولاده وذويه والسادة العلويين ، وأهل « تريم » خاصةً ، و« حضرموت » وجميع بلدان المسلمين عامةً .

وتولىٰ غسله الأخ الفقيه علي المشهور ، بن العلامة محمد بن سالم ، بن حفيظ ، بن الشيخ أبي بكر بن سالم ، والشيخ الفاضل زين بن أبي بكر الراقي بافضل ، غسلاً كاملاً ، بواجباته وسننه ، جزاهم الله خير الجزاء ، وجيء له ببعض ماء غسله من بير سيدنا الشيخ عمر المحضار تبركاً بمائها ، كما فعل ذلك في غسل والده الحبيب علوي رضي الله عنهم .

وماء غسله أخذه الناس للتبرك والاستشفاء به .

ويُذكر عن سيدنا عبد الله باعلوي : أن ماء غسله كلَّه أُخذ للتبرك ، وأيضاً الحبيب عبد الله الحداد ، وآخر من شاهدنا علىٰ هذه الطريقة :

صاحب المناقب ووالده الحبيب ، علوي بن عبد الله ، بن عيدروس ، بن شهاب رحمهم الله ، فإن ماء غسله بلغ إلىٰ « عدن » و« الحجاز » بيد المسافرين للتبرك .

وورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ريق المؤمن شفا ، فكيف بماء غسله الذي مر علىٰ جسده كله ؟

ثم كفن في ثلاث لفائف مع ملبوس من لباس والده ، وتم الغسل والتكفين قبل أذان الفجر .

وكان موته يوم الثلوث في الصباح الباكر ، في (١٧) ربيع الثاني سنة (١٤٠٠ هـ) ، عن عمر يناهز التاسعة والستين ، وبالضبط : ثماني وستين سنةً وشهراً واحداً وأَحَد عشر يوماً ؛ لأن وجوده ـ كما تقدم ـ في (٦) ربيع الأول سنة (١٣٣١ هـ) .

والحاصل : أن موت هـٰذا الحبيب ترك في النفوس حزناً لا ينسىٰ ، وفراغاً لا مَسَدَّ له .

وشُيِّع يوم الربوع (١٨) ربيع الثاني في جمع عظيم رهيب ومهيب ، لم تشهد « تريم » مثله حتىٰ في جنازة والده ، فالجبانة ملآنة مرصوصة ، والباحة كذلك وبعض المسيال إلىٰ قرب أكدر .

وحُملت الجنازة علىٰ أكتاف الرجال ، يتقدمها أخدام السقاف بالذكر المعتاد سابقاً ، وبزحمة شديدة ومشقة تزهق الأرواح لا يقدر يحمل ، اللهم إلا الشاب الصاحي النشيط .

وما أن وصلت الجنازة للجبانة ووضعت في القبلة ، وهدأت الناس وجلسوا . . قام خليفته ـ ابنه عبد الله ـ وتكلم ، وذكر بعض مناقب الفقيد ، ثم تكلم بعده العلامة سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري ، ثم

بعده العلامة عبد القادر بن سالم السقاف ، الملقب الرُّوِش ، ثم السيد حسن بن عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف ، ثم السيد الفاضل العلامة عيدروس بن هاشم الحبشي .

وكلهم أثنوا علىٰ صاحب الترجمة خيراً ، وقالوا حقاً ، فجزاهم الله خير الجزاء ، ولسان حال الجميع يقول :

ألا يـــا عيـــن جـــودي بـــدمـــعٍ منـــك ســـائـــلْ
علـــىٰ ذاك الحبيـــب الـ ـــذي قـــد كـــان نـــازل
معـــانـــا فـــي المـــرابـــع وأمســـىٰ اليـــوم راحـــل
وأمســـىٰ القلـــب والبـــال مـــن بَعـــده مكـــدَّر

ولـٰكنْ حسبيَ اللهْ وكُلُّ الأمرْ للهْ ولا يبقىٰ سِوىٰ اللهْ

ثم نودي عليه بالصلاة ، فتقدم وصلىٰ عليه إماماً ابنه الأخ عبد الله بوصية منه ، ثم حُمل نعشه إلىٰ مثواه الأخير ، ودفن شرقي والده لصقاً ، نبش له قبر السيد العلامة حسين بن عبد الرحمٰن بن علي بن شيخ بن شهاب ، والد السيد الفاضل عبد القادر بن حسين بن شهاب ، وأدخله القبر ابنه عبد الله ، وعملوا له تسابيح في التربة فوق القبر ثلاث ليالي ، ووهبةً كاملةً ، والختم يوم الرابع صباحاً في التربة عند القبر أيضاً ، كالعادة السابقة لأهل « تريم » .

وعملوا له ختماً يوم الرابع من لحده ، وافق يوم السبت (٢١) ربيع الثاني ، في ختم عام دعوا فيه جميع أهل تريم ، وفتحوا دارهم للخاص والعام ، لي بالعزام ولي بلا عزام ، فجاؤوا بعد الختم وتباركوا ، وأخذوا منه إلىٰ ديارهم ليطعموا أهلهم وصغارهم .

وكنا نؤمل لهـٰذا الحبيب طول العمر ؛ لأنه من رجال الدعوة ،

والدعاة إلىٰ الله غالباً تطول أعمارهم ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] .

ولـٰكن . . لكل أجل كتاب .

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في تثبيت الفؤاد : إن الرجال أهل الأحوال والمقامات الكبيرة ما تطول أعمارهم ، تشتاق لهم الحضرة الإلـٰهية .

وذكر منهم : العيدروس الأكبر ؛ فإنه مات وعمره (٥٤) سنةً ، والإمام النووي ؛ فإنه مات وعمره (٤٥) سنةً ، والإمام السهروردي ، والإمام الغزالي ؛ فإنه عُمِّر (٥٥) سنةً .

قلت : وإن غاب عنا شخصه . . فذكره باق كما قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في المعنىٰ :

عليهم سلام الله إن كان قد مَضَوا فذكرُهُمُ باقٍ وقد شاع في النقل

وفي الأخرىٰ يقول :

إذا فاتني قرب الأحبة واللقا ففي ذكرِهِمْ أنسٌ لوحشة خاطري

وأكبر ذكرىٰ خلَّفها لنا هم أولاده الثلاثة ، وخصوصاً ابنه الأكبر عبد الله ، الذي ظهرت فيه آثار الخلافة لوالده من يوم موته ، بارك الله فيهم وأعانهم علىٰ ما تحملوه من المقام العظيم والمظهر الحشيم .

أتته الخلافة راغمةً تجر إليه أذيالها

فليس تصلح إلا له وليس يصلح إلا لها

قال سيدنا العدني : أَتَوْنا بها مسرجةً ملجمةً ، وقالوا لي : اركب ، فركبت .

قال الحبيب علي حبشي :

أبٌ يتلقىٰ عن أبيه وهٰكذا فيا لك من آبا كرامٍ وأولاد

وموت هٰذا الحبيب نقلة برزخية في المحل الزين ، بحضرة عبد الله بن حسين ، متوضئاً ، وهو يدعو إلىٰ الله .

وما أحسن قول الشاعر في هٰذا المعنىٰ :

وَا أسفي لفراق قومٍ هم المصابيحُ والحصونُ
والمُدْنُ والمزن والرواسي والخِصب والأنس والسكون
لم تتغير لنا الليالي حتىٰ توفَّتْهُم المنون
فكل جمرٍ لنا قلوب وكل ماءٍ لنا عيون

ورثاه كثير من العلماء والشعراء والأدباء ، وكنا وددنا أن ننقل كل مرثاة قيلت فيه برمتها ، ولٰكن لكثرتها أشرنا إلىٰ بعضها .

فمنها : مرثاة السيد النبيل ، محمد بن محسن بن زين الهادي ، قال فيها :

إن المنايا بها يُستأصَلُ الأملُ كم أتلفت منه غرساً كاد يَكتَمِلُ
وصَوَّحت زرع قوم في غضارته حتىٰ ذوىٰ وهو رَيَّانٌ نَدٍ خَضِلُ
يلهو الغفول بهٰذي الدار في سَفَهٍ يا سُقْمَ مَن لم يُفِدْهُ الحادث الجَلَل
بالأمس قد أخذتْ من بيننا رجلاً طوىٰ الحياة بثوب النسك مشتمل
له اجتهاد بأعمال منزهة يبدو علىٰ ظهره من عبئها الثقل
خوفاً لمولاه لا في سمعة وريا فبينه والرياءِ البِيْدُ والقُلَل
يا من يعز علينا أن نفارقهم غبتم فأضحىٰ الورىٰ في حَيرة ذُهُلُ
غبتم فياوحشةَ الدنيا لغَيبتكم فاليوم لا عِوَضٌ عنكم ولا بدل

وافىٰ النبا لا نِعِمَّا ذاك من نَبَأِ تقرحت إثرَه الأكباد والمُقَلُ
سالت دموع بآماق مجرحة هي الغوارب وهي العارض الهَطِل
حزناً ووجداً تُرَوِّي للخدود علىٰ وجه منير بحسن الخلق مكتمل
قد كان نَدّاً عطوفاً محسناً ورعاً إلفاً شكوراً وممن للعُلا وصلوا
ألفُ سلام وألفا ألفِ مرحمةٍ عليه تترىٰ من المولىٰ وتتصل
علىٰ ترحُّله فاض الفؤاد أسىً مِن فقدِه الحزن في الأحشاء يشتعل
حاز التواضع رغم الجد في عمل يراقب اللهَ منه القولُ والعمل
أمضىٰ الحياة صبوراً مخلصاً ولعاً بكل خير إلىٰ المولىٰ به يصل
نشا وشب وأمضىٰ العمر أجمعَه في طاعة الله لا وانٍ ولا كَسِلُ
إذا نظرت إليه في مهابته ترىٰ مثالاً لأسلاف له رحلوا
قد سار سيرتهم واختط خطتهم كذاك كان إلىٰ أن جاءه الأجل
ترىٰ سطوراً من الأنوار بينةً في قامة قد كساها النبل والوَجَل
لم تلقه غير سبَّاقٍ لمفخرة له إلىٰ الله سعي مسرعٌ عجل
في دعوة الحق لا ينفك مجتهداً يدعو إلىٰ الله مَن زَلُّوا ومن غفلوا
عبر الحياة مضىٰ للنصح محتضناً لا تعتريه مشقات ولا ملل
حتىٰ قضىٰ النحبَ يدعو الناس محتسباً في حضرة الصِّيْد من للخالق امتثلوا
أكرم بذا من ختام فيه مفخرة وفيه رجوىٰ وفيه القصد والأمل
لقد تركتَ فراغاً بين أظهرنا مذ غبت يا أيها الصنديد والبطل
لٰكننا نحمل الرجوىٰ بأنفسنا أن يخلُف الابنُ آباءً له كَمُلوا
وللكريم نمد الكف ضارعةً بأن يَحُل بجنات ونبتهل
جوارَ خير الورىٰ والحور تخدمه مُنَعَّماً وعليه الحَلْيُ والحُلل
تنهل سحب الرضىٰ في وابل غَدِقٍ علىٰ ضريحٍ ثوىٰ فيه وتنهمل

ومنها : مرثاة الأخ الفاضل حسين بن عيدروس بن أحمد ، مولىٰ عيديد التي مطلعها :

دهتنا بني الزهراء سودُ النوائِب ... تشن علينا عاديات الكتائبِ
أَلاَ ما لهٰذا الرزء حط بكاهلٍ ... تنوء به شم الجبال الغوارب
فصبراً بني الزهراء فالخطب فادح ... عزاءً بني الغَنَّاءِ في خير ذاهب
علىٰ أن دمع العين ليس بصادق ... إذا لم يكن قلب الحزين بذائب
سيَبْكيك محراب ويَرثيك منبر ... فلستَ ترانا غيرَ باكٍ وناحب
فللّٰه كم أرهقت نفسك داعياً ... تحذرنا من موبقات الشوائب
ملكت من الناس الزمام تقودهم ... إلىٰ الله من أعجامهم والأعارب
عليك سلام الله يا خير راحل ... إلىٰ ربه يهفو لقرب الحبايب
بروضة بشار الخصيبة نازل ... ليلحق بالركب السَّرِيْ والركائب
تقابلك الزهرا البتول وحيدرٌ ... وعترة طٰه خيرُ آلٍ أطايب
فقيهٌ وسقاف وشيخٌ معلِّمٌ ... ومحضارنا أكرم بتلك المواكب
ووالدك البَرُّ الغيور وجده ... شهاب المعالي والعُلا والرغائب
ولابن الحسين الطاهر الليث دعوة ... أجبت سريعاً يا لها من مطالب
كذا ولنا في نجلكم خَلَفٌ لكم ... يحث الخُطا نحو العُلا والمراتب

وهي ثلاثون بيتاً .

ومنهم : السيد الفاضل أبو بكر بن عمر ، بن محمد الهدار ، بن الشيخ أبي بكر بن سالم ، مطلعها :

هل مات هٰذا إمام العصر خير الأئـ ... ـمَّة الجهابذة الأفذاذ أو ذهبا
قفوا أجيبوا علىٰ هٰذا السؤال فلم ... يُغني الأسىٰ وعظيمُ الخطب قد كُتبا

ماذا أقول علىٰ هـٰذا المصاب وما يقـول مثلـي ومـاذا قـالـه الخُطبـا
فالخطب هـٰذا عظيم فادح جَلَلٌ مصيبة عظمت والشَّعب قد نُكِبا

إلىٰ آخرها ، وهي طويلة نحو (٣٨) بيتاً .

ومنها : مرثاة للأخ أبو بكر بن علي ، بن أبي بكر المشهور ، قال فيها :

قفـراً أرىٰ الـوادي بمـوت محمـدٍ يـا للفجيعـة كيـف حـال الـواديْ
كيف المَواطن والمجالس بعده أَلِفـت مُحَيّـاه البهـيَّ الهـادي
وتـريـم تنـزف دمعـةً لفـراقـه ثكلـىٰ لمـوت العـابـد السجـاد
والله مـا فقـد الـزمـانُ كمثلـه يـدعـو الجميـع لسيـرة الأجـداد
خَلَـفٌ لخيـر سـلالـة محمـودة سلـك الطـريـق بهمـة وجهـاد
أَبكيـه لا يغنـي البكـاءُ لمثلـه مـا قيمـة التـذراف بعـد بِعـاد

إلىٰ أن قال :

نـدر الـزمـان بـأن يجـود بمثلكـم فـي كـل ربـع مـن ربـوع الـوادي
طبتم علىٰ الدنيا وطبتم في الثرىٰ أنتـم رَواءُ المشـرئـب الصـادي

وعدد أبياتها (٣٤) .

ومنها : مرثاة السيد الفاضل أحمد بن ضياء بن شهاب الدين ، مطلعها :

هل يستفيد القلب من مرثاتِكْ مـن بعـدِ أن حطمتـه بـوفـاتِـكْ
يـا راحـلاً عنـا لقـد أفجعتنـا ما كنتُ أعهدُ تلك من عاداتك
يا راكعاً يا ساجداً وقت الدجىٰ يـا ذاكـراً لله فـي خلـواتـك
يـا داعيـاً لله مُـتَّ مجـاهـداً في دعوة الرحمـٰن في طاعاتك
بـالأمـس كنـت .... خطيبـاً بل قبل ساعاتِ نَعِيْ لعظاتك

في مشهد لابن الحسين حضرتَهُ أنهيت فيه علىٰ التقىٰ كلماتك
وافاك في خير الأماكن داعياً فأجبتَه ومضيتَ في رحلاتكْ
أَلجَمْتَ كلَّ الحاقدين بموتةٍ حَجَراً فأبدت للورىٰ آياتِك
فسرورُ يبكي من غرائب دهره والماسُ محزون علىٰ صلواتك

إلىٰ أن قال :

ما كان للدنيا بقلبك مطمع فأتتك جاثيةً إلىٰ ساحاتك
فاذهب إلىٰ جنات ربك لابساً حُلَلَ الرضىٰ والحور في حَفَّاتك
بجوار والدك الغيورِ وحولَك الـ ـمحضار والسادات من قاداتك
وإلىٰ الفقيه ومن تَجَدَّثَ حوله بُثَّ الشكاوىٰ أعطهم آهاتك
واشرح لهم ما قد جرىٰ بتريمهم ما قد لَمَستَ وذقت في حالاتك

إلىٰ آخرها ، وهي طويلة عدد أبياتها (٤١) .

ومنها : مرثاة الأخ الفاضل أحمد بن سقاف ، بن عمر بن شهاب ، مطلعها :

يا للمصيبة قد دهانا فادح ينذاب منه حديدنا والباسُ
نَبَأٌ أصَمَّ سامعيه وأُخرِست أفواههم وتعطل الإحساس
ما لي أراك راحلاً عنا وقد شِيْدَتْ لأركان الشريعة ساس
قد قمت فينا داعياً ومؤدباً فانجابت الأرجاس والأغلاس

إلىٰ أن قال :

ما مات قدوتنا وخلَّف بعده عَقِباً تسامىٰ فهُمُ أَبناسُ
يا رب وارحم للفقيد محمدٍ وأسكنه جنات بها أغراس

إلىٰ آخرها ، وهي (١٢) بيتاً .

وهٰذه بعض من مرثاة السيد الفاضل حسن بن زين العابدين ، بن أحمد الجنيد ، مطلعها :

كيف تصفو أيامنا والليالي ... بعد خطب قد دك شم الجبال
كادت الأرض ترجف بالنا ... س وتنهد منه كلُّ جمعُ العوالي
كل خطب يُعَدُّ في جنب هٰذا الـ ... ـخطب لا شيءَ لا من الأهوال
غال من بيتنا المنونُ إماماً ... هو لا بِدْعَ فرد أهل الكمال

إلىٰ أن قال :

لِتَسُحّي يا عين بالدمع هطلاً ... ذا مصاب ليس له من مثال
ذا محمدُ قد ثوىٰ عند أهليـ ... ـهِ وفارَقَنا أبو الأشبال
من لنا بعده مربٍّ حكيمٌ ... يرشد الناس لحميد الخصال
من لنا يا تريم بعد شهاب الـ ... ـدين يُظهِرُ جابر الاعتدال
أتمنىٰ من واسع الجود أن يجـ ... ـعل سر الفقيد في الأنجال
كي يُرَوا في مظاهر المجد أعلا ... ماً ويوعوا بالنصح للجهال

إلىٰ آخر ما قال ، وعدد أبياتها (٢٦) .

وهٰذه أبيات قليلة من لسان كليلة ، تحتوي علىٰ تاريخ الوفاة ، وتنوب عن قائلها في الحضور بمحفل جدة المشهور ، ويستحق بها من المدد الحظ الموفور ، قال عطاس حبشي :

خطب عظيم حير الأنبابا ... قد أحزن الأصحاب والأحبابا
بل روَّع القطر المبارك كلَّه ... لِمْ لا وقد فقدت تريم شهابا
وإذا تريم بكت بكىٰ كل الورىٰ ... لبكائها كالأم ليس عُجابا
أعني الجمال محمدَ ابنَ السيدِ الـ ... ـعَلَوِيِّ فخر فروعنا والآبا
كانت بوالِدِه تفوق المُدْن ثُـ ... ـمَّ الروح فيها بالخليفة آبا

وإذا رأىٰ الإنسان شخصاً منهما ... في الحي شاهد في الرجال مُهابا
والسر يسري في البلاد وأهلها ... كم في زواياها منيباً طابا
والأولياءُ بها كنَبْت زروعها ... ورجاؤنا في ربنا ما خابا
يا رب أصلحها وأصلح أهلها ... واعمر بها يا ذا الجلال خرابا
بربيعنا الثاني الوفاةُ لعامها الـ ... ـتاريخ بدر في حمانا غابا

١٤٠٠ هـ

فالله يرحمه ويصلح نسله ... كي ينجبوا الأنجاب والأقطابا
لمحمدٍ نهديه منا أشرف الـ ... ـصلوات ثم الآل والأصحابا
ثم الجمال فقيدنا وحبيبنا ... ما أنشأَتْ ريحُ القبول سحابا
والحمد لله الكريم ختامها ... وقد انتهت فافتح إلٰهي البابا

تمت

* * *

ومنها : مرثاة الشيخ سالم زين باحميد ، من أهل « مَدُودة » ، مطلعها :

نبأ يا لهوله إذ سمعنا هم يذيعونه بكل مكان

إلىٰ أن قال :

جاءه الموت وهو يدعو إلىٰ الله بصدق يجول في الميدان
دامعَ العين خاشعاً ومنيباً باسم الثغر راهناً في جنان
قطع العمر زاهداً وصبوراً أبداً داعياً إلىٰ الإيمان
زاهداً عالماً عطوفاً كريماً تالياً في الأسحار للقرآن
فيك سرٌّ أبا علي عظيم قد رأيناه ماثلاً للعِيان
يا كريمَ الآباءِ طبت مقاماً في روابيِّ الخلد والغفران
إن مضيت فأنت فينا بعلمٍ وبذكر باقي مدىٰ الأزمان
آلَ بيت النبي صبراً فهٰذا حدث هائل من الحدثان
آل بيت النبي صبراً فهٰذا قدر الله خالق الثقلان
يا لهول المصاب ما أفدحَ الخطـ ـبَ فصبراً لحادثات الزمان

إلىٰ آخر ما قاله ، وعدد أبياتها (٣٧) .

ومنها : مرثاة السيد الفاضل علي المشهور ، بن محمد بن سالم ، بن حفيظ ، ابن الشيخ أبي بكر بن سالم التي مطلعها :

خطب عظيم عم هٰذا الوادي لغياب هٰذا الكوكب الوقاد
كم قد أنار السُّبْل للجهال والـ ـمُسْتَحْيِرِيْنَ وكم هدىٰ متمادي
كيف السلُوُّ وقد فقدنا قائداً للخير والإصلاح والإسعاد
تبكي محاريب لنا ومعاهد وزعامة للوعظ والإرشاد

إلىٰ أن قال :

قد كان يحدونا ويدعونا لما ... يرضي الإلٰه مع النبي الهادي
قد كان يحرص أن يكون رجالنا ... ونساؤنا في سيرة الأجداد
قد كانت الأوقات زاهيةً به ... فيها السرور لحاضر والباد
حتىٰ أتىٰ أمر الإلٰه بأن يُرَ ... حِّلَ مَن نضنُّ به من الأفراد
في مجمع الحول الذي قد ضم أَرْ ... واحاً من الزهاد والعباد
تتنزل الأملاك في الجمع النضيـ ... ـرِ بحضرة الأغواث والأوتاد
كالغوث عبدِ الله ثَمَّ وطاهر ... ابني حسين كعبة القصاد
ومقدم القوم الفقيه محمدٍ ... حضروا مع المِحضار والحداد
صُبَّت به الرحمات صَبّاً إذ حكا ... ه فقيدنا في الوعظ والإرشاد
فيها الملائك رحلوا بإمامنا ... للجنة العلياءِ باستشهاد
في مقعد الصدق الذي فيه الكرا ... مُ المتقون مع النبي الهادي
في جنة الخلد التي فيها لهم ... ما يشتهون ونيلُ كلِّ مراد
طوبىٰ لكم فتنعموا لا تغفلوا ... فيها عن الأبناء والأولاد
فسلوا الإلٰه يردهم للسير في الـ ... ـنَّهج الذي ترضون باستعداد
وتَقَرُّ أعينكم بأبناءٍ لكم ... يقفونكم يُحْيُون هٰذا الوادي
بإقامة الحفلات للخيرات فيـ ... ـها الوعظ والتدريس والإرشاد

إلىٰ آخرها ، وهي طويلة عدد أبياتها (٤٣) .

* * *

وإلىٰ هنا تم نقل ما كتبه السيد الفاضل عبد الله بن عمر ، بن أبي بكر ، بن محمد بلفقيه ابن أخت المترجم له ، نقلاً كاملاً بحذافيره ، حسبما خطته أنامله من مناقب إمامنا وشيخنا ، القدوة الصفوة السالك سبيل المهتدين ، محمد بن علوي ، بن عبد الله ، بن عيدروس ، ابن شهاب الدين .

وقد ترك جامع الترجمة تلك الأوراق ، بعضها قد بيضها وبعضها لم يقدر علىٰ إتمام تبيضها ، ووافته المنية وهي مسودة ، والله ولي التوفيق .

بقلم

أحمد بن ضياء بن علي ابن شهاب الدين

(٥) صفر سنة (١٤٠٤ هـ)

الموافق (١٠) نوفمبر سنة (١٩٨٣ م) .

* * *

الفهرس

تحفة الأحباب وتذكرة أولي الألباب
بذكر نزر من مناقب العارف بالله الوهاب
الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس
ابن محمد ابن شهاب الدين

ديباجة الكتاب ٩
الفصل الأول: في ذكر نسبه الطاهر الشريف ١٥
الفصل الثاني: في التعريف ببعض آبائه الأقربين وعمومته وبني عمومته المقربين ٢١
ذكر والده السيد عبد الله بن عيدروس بن شهاب ٢١
محمد بن عيدروس بن محمد بن شهاب ٤٦
أحمد بن عيدروس بن محمد بن شهاب ٤٨
عيدروس بن محمد بن علي ٥٢
عبد الرحمٰن بن محمدبن علي ٥٣
محمد بن علي بن عبد الله بن شهاب ٥٥
أحمد بن علي بن عبد الله بن شهاب ٥٥
عيدروس بن أحمد بن علي ٥٥
علي بن عيدروس بن أحمد ٥٦
عمر بن علي بن عبد الله بن شهاب ٥٦

شيخ بن علي بن عبد الله بن شهاب ٥٧
عبد الله بن علي بن عبد الله بن شهاب ٥٧
علي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب ٦٠
عبد الله بن عيدروس بن شهاب ٦٠
عيدروس بن علي بن محمد ٦١
عمر المحضار ابن عبد الرحمـٰن بن محمد بن شهاب الدين ٦١
أبو بكر ابن عبد الرحمـٰن بن محمد بن شهاب الدين ٦٢
هارون بن عبد الله بن علي بن شهاب ٦٤
عبد الله بن هارون بن عبد الله بن شهاب ٦٤
محمد بن هارون بن عبد الله بن شهاب ٦٤
عبد الرحمـٰن بن هارون بن عبد الله بن شهاب ٦٥
علوي بن أبي بكر بن عمر بن شهاب ٦٦
علي بن أبي بكر بن عمر بن شهاب ٦٦
حسين بن محمد بن علي بن محمد بن شهاب ٦٧
شيخ بن محمد بن علي بن محمد بن الشيخ شهاب الدين ٦٧
علي بن محمد بن شهاب الدين ٦٨
محمد ابن الشيخ شهاب الدين الأصغر ٦٨
الشيخ شهاب الدين الأصغر ٦٨
الشيخ عبد الرحمـٰن القاضي بن الشيخ شهاب الدين الأكبر ٦٨
أحمد بن محمد بن عبد الله بن شهاب ٧٠
حسين بن محمد بن عبد الله بن شهاب ٧١
علوي بن محمد بن عبد الله بن شهاب ٧١
شيخ بن علوي بن محمد بن شهاب ٧١
محمد بن عبد الله بن حسين بن محمد بن شهاب الدين ٧٢

علي بن أحمد بن محمد بن شهاب ٧٢
علي بن عبد الله بن حسين بن شهاب ٧٢
عبد الله بن علي بن عبد الله بن شهاب ٧٣
عبد الرحمـٰن بن علي بن عبد الله بن شهاب ٧٥
محمد بن عبد الرحمـٰن بن علي بن شهاب ٧٥
عمر بن عبد الرحمـن بن شهاب ٧٥
الحبيب علي بن شيخ بن شهاب ٧٦
حسين بن عبد الرحمـٰن بن شهاب ٨٠
عيدروس بن عبد الرحمـٰن بن شهاب ٨١
أحمدبن علي بن أحمد بن شهاب ٨١
حسن بن علوي بن عبد الله بن شهاب ٨١
التنويه بذكر شيء من مفاخر السادة آل شهاب ٨٣
الفصل الثالث: في ذكر ميلاده وتعلمه ومشايخه وتلامذته ٨٧
الحبيب عبد الرحمـٰن بن محمد المشهور ٩١
عبد الله بن الحسن بن صالح البحر ٩٥
عيدروس بن علوي العيدروس ٩٦
محيي الدين بن عبد الله بلفقيه ٩٦
علي بن محمد بن حسين الحبشي ٩٧
أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس ٩٧
سقاف بن حسن العيدروس ٩٨
الشيخ أحمد بكري الخطيب ٩٩
أبو بكر بن أحمد بن الخطيب ١٠٠
الحبيب علوي بن عبد الرحمـٰن المشهور ١٠١
علي بن عبد الرحمـٰن المشهور ١٠٥

الشيخ محمد بن أحمد الخطيب ١٠٨
الحبيب محمد بن سالم السري ١١٠
عبد الله بن عمر الشاطري ١١٢
حسين بن أحمد الكاف ١١٨
أحمد بن محمد الكاف ١١٩
ذِكر بعض الآخذين عنه مِن أقرانه وممن دونَهم ١٢٠
الفصل الرابع: في ذكر قيامه بنشر الدعوة والإرشاد وتصدره في الدروس العامة بتريم ١٢٣
قيامه بنشر الدعوة ١٢٣
تصدره في المدارس بتريم ١٢٧
ذكر استقامته ومجاهداته ١٣٢
الفصل الخامس: في ذكر خلقه وأخلاقه وأحواله ١٣٥
الفصل السادس: في ذكر بعض المرائي الصالحة إلخ ١٣٩
ذكر المبشرات لسيدي ١٤٠
ذكر ما جاء على لسانه على سبيل الكشف ١٤٦
الفصل السابع: في ذكر شيء من كلامه المنثور الذي كتبه عنه المؤلف ١٧١
ذكر ما كتبه من كلامه المنثور أيضاً ابنه محمد بن علوي ٢٤٧
الفصل الثامن: في ذكر بعض ما امتدحه به الشعراء في حياته رضي الله عنه ٢٩٣
قصيدة الشيخ عبد الله بن محمد بازغيفان ٢٩٣
قصيدة الشيخ محفوظ بن سالم بن عثمان ٢٩٤
قصيدة الشيخ فضل بن عبد الله عرفان بارجاء ٢٩٨

قصيدة السيد محمد الهدار ٢٩٨
قصيدة السيد سالم بن علوي الخرد ٣٠١
قصيدة السيد حسين بن أحمد بن محمد الصليبية ٣٠٣
قصيدة السيد عبد الرحمٰن بن حامد بن محمد السري ٣٠٥
قصيدة أخرى للسيد عبد الرحمن بن حامد أيضاً ٣٠٦
قصيدة السيد محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ٣٠٩
قصيدة للسيد عبد الرحمٰن بن حامد بن محمد السري ٣١١
الفصل التاسع: في ذكر مرض موته ووفاته وتشييع جنازته ٣١٥
بعض المراثي التي قيلت فيه رضي الله عنه ٣١٩
مرثاة السيد محمد الهدار ٣١٩
مرثاة السيد محمد بن محسن الهادي ٣٢١
مرثاة الأستاذ توفيق أمان ٣٢٣
مرثاة الشيخ عبد الله بازغيفان ٣٢٥
مرثاة السيد عبد الله بن أحمد الهدار ٣٢٨
مرثاة السيد محمد بن سالم حفيظ ٣٣٢
خاتمة الكتاب ٣٣٤

* * *

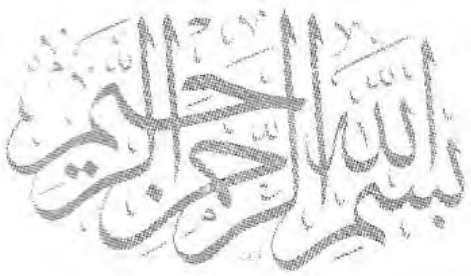

* الغلاف الأمامي: صورة (مسجد سرور) ، وكان يعتاد الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب إقامة الدروس فيه يومياً .
* الغلاف الخلفي: صورة (مسجد الماس) ، وكان يعتاد الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب إقامة المجالس الرمضانية فيه .

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

اعتنى بطبعه تلميذه وابن عمه
السيد علي بن عمر بن حسين الكاف

دار الحاوي
للطباعة والتوزيع والنشر
بيروت ـ لبنان

الحبيب البركة علوي بن عبد الله بن شهاب
(١٣٠٣ـ١٣٨٦ هـ)

الحبيب محمد بن علوي بن شهاب
(١٣٣١ـ ١٤٠٠هـ)

الحبيب عمر بن علوي الكاف
(١٣٢٥ـ ١٤١٢هـ)

اِرتشف من تحفة الأحباب رشفهْ ... تحفـة النـورِ لعمـري أي تحفـهْ
قد خلت عن شائب في قصدها ... فهـي فـي الله وأهـل الله صِـرْفـه
تبصـر البـاطـن مـن ظـاهـرهـا ... هٰكذا قد صنعت من غير كُلفه
صـاغهـا الجهبـذ أعنـي عُمَـراً ... من بمحض الحب قد شَكَّل حَرفه
قـد روىٰ التـاريـخَ حَبرٌ عـارف ... حيـث لا نقـدر أن نـرقـم نصفـه
عَلَـويٌّ ذاك مـن حيـنِ دَعَـا ... أخذت كلَّ أعادي الحقِّ رجفه
قطعـة مـن نـور طٰـه جَـدِّهِ ... مـن لـه أبصَـرَ لا يـرفـعُ طَـرْفـه
مـن يُعِـرْنـي كـلَّ أقـلام الـدُّنـا ... فعسـىٰ أو ربمـا أبلُـغُ وصفـه
كـل مـا قلنـاه فـي مجملـه ... أنـه بعـض مـن الأبعـاض نُتْفَـه
هـو فـرع مـن أصـول شَـرُفـت ... ليس منها تُبعث الأسرار صُدْفه
وابنـه القـانـت والأوّاب مَـنْ ... كان نعم الصابرُ الشاكر خلفه
فـأَصِـخْ سمعـاً لخيـر القـول يـا ... راغبـاً عنـد منـار الهـدي وقفـه

القاهرة/ عمر علوي شهاب

دار الحاوي
للطباعة والنشر والتوزيع

زاوية العيدروس العلمية

بحوطة آل أبي علوي بتريم